

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

المور و التحويلات السياسية والعسكرية في المغرب القديم
خلال الفترتين الوندالية والبيزنطية
(5-7م)

أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ القديم

تحت إشراف:
أ.د. رحمان بلقاسم

إعداد:
طويل عماد

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة الاصلية	الرتبة	اللقب والاسم
رئيسا	معهد الاثار الجزائر	أستاذ التعليم العالي	• أ.د فيلاح المصطفى
مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر 02	أستاذ التعليم العالي	• أ.د رحمان بلقاسم
عضوا مناقشا	معهد الاثار الجزائر	أستاذ التعليم العالي	• أ.د دريسي سليم
عضوا مناقشا	المدرسة العليا للاساتذة -بوزريعة	أستاذ التعليم العالي	• أ.د رضا بن علال
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 02	أستاذ محاضر	• د. بورني دليلة
عضوا مناقشا	معهد الاثار الجزائر	أستاذ محاضر	• د. عنان سليم

السنة الجامعية
2017-2018م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

المور و التّحوّلات السياسية والعسكرية في المغرب القديم
خلال الفترتين الوندالية والبيزنطية
(5-7م)

أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ القديم

تحت إشراف:
أ.د. رحمان بلقاسم

إعداد:
طويل عماد

لجنة المناقشة

رئيسا
مشرفا ومقررا
عضوا مناقشا
عضوا مناقشا
عضوا مناقشا
عضوا مناقشا

• أ.د فيلاح المصطفى
• أ.د. رحمان بلقاسم
• أ.د دريسي سليم
• د. بورني دليلة
• د. عنان سليم
• د. رضا بن علال

السنة الجامعية
2017-2018م

كلمة شكر وعرّفان

الشكر الجزيل و التقدير الكبير إلى الأستاذ الدكتور رحمانى بلقاسم الذي تابع وعالج بكل اهتمام هذا البحث المتواضع طيلة أشواطه، فكان أول المحفزين والناصحين، والذي بفضلله تمكنا من تجاوز العقبات و الصعاب التي واجهتنا في البحث، فألف شكر أستاذي الكريم .

و شكرا إلى مسيرى وعمال المكتبات على إعاناتهم القيمة وعلى صبرهم الجميل وإلى كل من ساهم في انجاز هذا البحث من قريب وبعيد.

إهداء

الحمد لله رب العالمين فائق الحب و النوى الذي وفقني و أمانني على إتمام هذا العمل المتواضع، والحلاة والسلام على خاتم النبيين محمد عليه الصلاة وأزكى التسليم، أهدي هذا العمل إلى أئمة إنسانيتي لي في هذه الدنيا: أمي و أبي اللذين يرجع لهما الفضل الكبير في تربيتي و تعليمي فألفه شكر لكما أيها الوالدين العزيزين، كما أهديه لزوجتي، وأشكرها على صبرها الجميل معي في غيابي المتكرر بسبب البحث وإلى ابنتي مرام و إلى إخوتي و أخواتي وإلى روح أخي عبد النور تغمده الله برحمته الواسعة .

قائمة المختصرات

Ant.afr	Antiquité Africaine
An-tard	Antiquité tardive
A.A.A	Atlas Archeologique de l'Algérie
C.T.H.S	Comité des travaux historique et scientifique
Ed	Edition
G.V	Guerre Vandales
H.L.A.Ch	Histoire littéraires de l'Afrique chrétien
H.N	Histoire naturelle
H.P.V	Histoire persecution vandales
H.S	Histoire secrete
H.A.A.N	Histoire Ancienne de l'Afrique du nord
Joh	Johannide
M.A.H	Mélanges d'archéologie et histoire
R.AF	Revue Africaine
R.A	Revue Archeologie
R. H .A	Revue d'histoire et d'Archéologie
R .T	Revue Tunisienne

مقدمة

تقديم الموضوع:

عرفت منطقة بلاد المغرب القديم وسكانها في الفترة المتأخرة من التاريخ القديم تحولات عديدة على الصعيد السياسي والعسكري كما عرفت أوضاعا اقتصادية واجتماعية صعبة أواخر فترة الاحتلال الروماني كانت لها انعكاسات على المنطقة وسكانها في الفترتين الوندالية والبيزنطية، وانطلاقا من ذلك كان موضوع بحثنا "المور والتحولت السياسية والعسكرية في المغرب القديم خلال الفترتين الوندالية والبيزنطية"، حيث حاولنا في هذا البحث الكشف عن تاريخ المغرب القديم خلال هذه الفترة التاريخية الهامة والتحليل في الملاحظات التاريخية المحيطة به .

حيث لعبت السياسة الإدارية والعسكرية الرومانية وكثرة الضرائب المفروضة على السكان -وما آلت إليه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية أواخر العهد الروماني-، دورا كبيرا في بروز القبائل المورية التي تحالفت مع بعضها البعض وربطت علاقات مع قبائل أخرى خارج بلاد المغرب قصد القضاء على الاحتلال الروماني، وهو ما حدث مع قبائل الوندال، حيث اتسمت العلاقات المورية الوندالية بطابع التعاون لأن الهدف واحد وهو القضاء على الاحتلال الروماني في المنطقة .

كما عرفت المنطقة تحولات كبيرة في فترة الاحتلال الوندال حيث ستحاول القبائل الوندالية الحفاظ على الموروث الروماني المادي وعلى المؤسسات الإدارية الرومانية التي ورثتها عن روما والاكتفاء فقط بتسييرها واستغلالها والتكيف على ما يتماشى و طبيعة المجتمع الوندالي .

و بقيت منطقة المغرب القديم بقيت محل أنظار المجتمع الروماني الشرقي بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية أواخر القرن الخامس الميلادي، وبقيت المحاولات متواصلة للقضاء على الوندال والسيطرة على المنطقة، وقد اقتضت النظرة البيزنطية على ضرورة استرجاع أملاك الإمبراطورية الرومانية الضائع بين أيدي القبائل الجرمانية وبعث الإمبراطورية الرومانية من جديد، وهي النظرة التي اهتدى إليها الإمبراطور جوستينيان وعمل على تحقيقها وتجسيدها في بلاد المغرب، حيث ستعرف المنطقة حياة سياسية وعسكرية في فترة الاحتلال البيزنطي لا تختلف كثيرا عن الفترة الرومانية .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع في كونه يعالج فترة انتقالية في تاريخ المنطقة، من التاريخ القديم إلى التاريخ الوسيط، أحدثت تغييرا جذريا في المنطقة سياسيا وعسكريا بعد القضاء على الاحتلال الروماني مع بداية الاحتلال الوندالي وبعدها مع الاحتلال البيزنطي، الأمر الذي أدى إلى ظهور قبائل وزعماء جدد على الساحة السياسية لم يكن لهم كيان مستقل طيلة الفترة الرومانية .

كما ساهمنا من خلال البحث التعريف بالحياة السياسية والعسكرية في بلاد المغرب في الفترتين الوندالية والبيزنطية، والتي تختلف تماما عما كانت عليه في الفترة الرومانية، حيث عرفت المنطقة نوعا من الاستقرار والأمن في الفترة الوندالية بعد القضاء على الاحتلال الروماني وفي الفترة البيزنطية بعد ذلك.

وتتجلى أهمية الموضوع أيضا في كونه يدرس فترة نهاية الاحتلال الروماني و بداية الاحتلال الوندالي وهي الفترة الأكثر استقرارا في بلاد المغرب منذ الاحتلال الروماني، أين تمكنت القبائل المورية من تأسيس ممالك مستقلة في كامل بلاد المغرب، بعد خروجها من المناطق البعيدة التي لجأت إليها، خاصة أعالي الجبال وجنوب خط اللّيمس بفعل الاحتلال الروماني وسياسته التعسفية اتجاه السكان المحليين، والتي كان لها تأثير كبير على مجريات الأحداث مع الوندال ومع البيزنطيين فيما بعد .

وسيالاحظ الدارس للفترة الوندالية والبيزنطية فيما بعد اختلافا كبيرا في السياسة الإدارية والعسكرية في بلاد المغرب عما كانت عليه فترة الاحتلال الروماني، الأمر الذي زاد من انتشار القبائل المورية وظهور قبائل أخرى لم تكن معروفة طيلة الاحتلال الروماني كان لها الأثر الكبير في القضاء على السياسة الاستيطانية الوندالية و البيزنطية فيما بعد .

و تكمن أهمية الموضوع أيضا في أنّ الفترة عرفت بروز قبائل كثيرة لم تكن معروفة طيلة الاحتلال الروماني، كان لها الدور الكبير في القضاء على هذا الاحتلال بالاستعانة بالقبائل الوندالية، والتي أصبحت أقوى مع الفترة الوندالية وطيلة الفترة البيزنطية، الأمر الذي يوحي بفكر المقاومة وعدم توقفها طيلة الاحتلال الروماني .

وتتلخص أسباب اختيارنا لهذا الموضوع في محاولة معرفة أسباب نفور الكثير من المؤرخين عن دراسة تاريخ بلاد المغرب القديم في الفترتين الوندالية والبيزنطية وهذا ما يتضح من خلال قلة الدراسات المتخصصة في الفترة المذكورة مقارنة بالدراسات الكثيرة عن تاريخ المنطقة في فترة الاحتلال الروماني .

ومحاولة منا في البحث عن إجابة لجملة من الإشكاليات المفتوحة التي ختمت بها رسالة الماجستير ولم نتوصل إليها، وهذا بسبب ضيق الوقت المخصص للبحث و اتساع مجال الدراسة ولقلة خبرتنا في البحث وقلة المادة العلمية التي كانت متوفرة بين أيدينا، ونظرا للفراغ المعرفي الكبير الذي تشهده الفترة المدروسة، فقد حاولنا من خلال البحث تغطيته وتقديم مفهوم جديد لبعض الحقائق التاريخية التي ذكرتها المصادر والتي يشوبها الغموض كما تتعارض والحقيقة التاريخية للمنطقة وسكانها خلال الفترة الوندالية والبيزنطية.

كما يسعى البحث إلى محاولة الوصول إلى معرفة الأسباب الحقيقية التي تبطن التحالف الموري الوندالي ضد الرومان، ثم التحالف مع البيزنطيين ضد الوندال بعد ذلك ثم تعكر العلاقات فيما بعد، الأمر الذي يحتم البحث عن مبررات هذا التحالف، وهل كان بسبب السياسة الوندالية والبيزنطية في المنطقة أم كان بسبب شغف وطموح السكان المحليين إلى الاستقلال وذلك بالقيام بثورات ضد المحتل الذي تم التحالف معه من قبل .

تحديد الإطار المكاني والزمني للموضوع :

يكتسي الإطار الجغرافي أهمية كبيرة في الدراسة كون المنطقة محل أطماع الكثير من الشعوب القديمة والحديثة، فقد عرفت منطقة بلاد المغرب القديم توافد الكثير من شعوب العالم القديم قصد احتلالها وذلك لموقعها الاستراتيجي وغناها الاقتصادي، فقد سعت الإمبراطورية الرومانية بكل الوسائل السياسية والعسكرية إحكام السيطرة عليها رغم الثورات الكثيرة التي قام بها السكان المحليون، والتي لم تتوقف طيلة فترة الاحتلال الروماني، الأمر الذي يؤكد أهمية المنطقة في الاقتصاد الروماني، فهي مطمور روما -كما تصفها المصادر- ومنها يتم تزويد المقاطعات الرومانية الأخرى .

وعلى هذا الأساس كان الإطار الجغرافي لبحثنا هو "بلاد المغرب القديم" أو "شمال إفريقيا"، نظرا للأوضاع السياسية والعسكرية التي عرفتھا المنطقة مع نهاية الاحتلال الروماني الذي استمر لمدة طويلة من الزمن تزيد عن خمسة قرون مغايرة تماما لأوضاع المنطقة في الفترتين الوندالية والبيزنطية .

و أما الإطار الزمني للبحث فهو الفترة الزمنية الممتدة ما بين "القرنين الخامس والسابع ميلادي" وهي فترة مهمة جدا في تاريخ المنطقة، حيث تمثل نهاية أقوى إمبراطوريات العالم القديم في بلاد المغرب وهي الإمبراطورية الرومانية، وبداية تاريخ جديد للمنطقة في ظل احتلال جديد وهو الاحتلال الوندالي والبيزنطي، الذي تزامن مع بروز قبائل وممالك محلية لعبت دورا فعّالا في تغيير الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة .

و تكمن أهمية الفترة المدروسة في كون المنطقة ستعرف احتلالا آخر لا يختلف كثيرا عن الاحتلال الروماني من حيث الأهداف و في تجسيد السياسة الإدارية والعسكرية وبناء علاقات مع القبائل المورية قائمة على المصلحة المشتركة، وتجسيد الاحتلال، وذلك بالقيام بإستراتيجية عسكرية كلفت الكثير من أموال الخزينة البيزنطية .

إشكالية الموضوع:

يحيط بموضوع المور والتحوّلات السياسية والعسكرية في بلاد المغرب القديم في الفترتين الوندالية والبيزنطية جملة من الإشكاليات، ويمكن التساؤل في هذا السياق عن: طبيعة البنية البشرية لبلاد المغرب القديم في ظل التحوّلات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة في الفترتين الوندالية والبيزنطية ؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية المركزية إلى جملة من الإشكاليات الثانوية أبرزها : ما هي أوضاع الإمبراطورية الرومانية ومنطقة بلاد المغرب القديم قبيل الاحتلال الوندالي ؟ وما هي المصادر المادية والكلاسيكية التي يمكن الاعتماد عليها لدراسة تاريخ المغرب القديم في الفترتين الوندالية والبيزنطية، وإلى أي مدى يمكن الوثوق فيها ؟

ما المقصود بالمور، وما هي أشهر القبائل المورية التي برزت مع ضعف روما وبداية الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم؟ وأشهر الأسماء التي عرفت بها ومناطق استقرارها وطبيعة العلاقات التي كانت تربطها؟

ويمكن التساؤل أيضا عن: أصل القبائل الوندالية وأسباب انتقالها إلى بلاد المغرب؟ وكيف كان موقف القبائل المورية من الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب وما طبيعة العلاقات المورية الوندالية؟ وما هي الجوانب الحضارية لمملكة الوندال في بلاد المغرب؟

ويمكن التساؤل عن: الظروف والأسباب الحقيقية لاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب؟ وموقف القبائل المورية من الاحتلال وطبيعة العلاقات التي جمعت الطرفين؟ وطبيعة التنظيم الإداري والعسكري البيزنطي في بلاد المغرب؟ وكيف كان رد فعل القبائل المورية من السياسة البيزنطية في المنطقة؟

خطة البحث:

يتفرع هذا البحث المخصص لمناقشة موضوع المور والتحويلات السياسية والعسكرية في بلاد المغرب القديم في الفترتين الوندالية والبيزنطية إلى: مقدمة ومدخل، و بابين، و كل باب تم تقسيمه إلى أربعة فصول وخاتمة .

أما المدخل فقد خصص لتحليل الأوضاع التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية قبل الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب الذي كان السبب المباشر لنهاية سلطة الرومان على المنطقة، وتم فيه تقديم صورة عامة عن أوضاع بلاد المغرب القديم وسكانه قبل حملة الوندال على المنطقة .

بالنسبة للباب الأول فقد عنوانه ب: "القبائل المورية ودولة الوندال" ويضم أربعة فصول، حاولنا في الفصل الأول الذي هو تحت عنوان المصادر التاريخية لبلاد المغرب القديم في الفترتين الوندالية والبيزنطية إعطاء لمحة عن أهم المصادر الكلاسيكية والأثرية التي تهتم الباحث في تاريخ بلاد المغرب القديم في الفترتين الوندالية والبيزنطية، وتطرقنا لبعض النقوش والبقايا الأثرية التي تخص هذه الفترة، وعالجنا في الفصل الثاني المعنون بالقبائل المورية في الفترتين الوندالية والبيزنطية حيث تطرقنا إلى تسمياتها ومناطق

انتشارها ، كما حاولنا إعطاء مفهوم عام لمصطلح المور ومفهوم خاص للمصطلح يخص الفترتين الوندالية والبيزنطية، أما **الفصل الثالث** وعنوانه الوندال واحتلال بلاد المغرب القديم فقد خصص لدراسة القبائل الوندالية وكيفية احتلالهم لبلاد المغرب القديم، وعرج البحث على أصولهم وتحركاتها في قارة أوروبا وبلاد المغرب، وتطرقنا لأهم الظروف والأسباب التي دفعتهم لاحتلال بلاد المغرب والمناطق التي سيطروا عليها واستقروا فيها ، وردود أفعال الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية من الحملة الوندالية على بلاد المغرب، وخصص **الفصل الرابع** وعنوانه السياسة الإدارية والعسكرية الوندالية في المغرب ورد فعل المور لدراسة السياسة الإدارية والعسكرية لدولة الوندال في بلاد المغرب، وموقف القبائل المورية منها، وقدم البحث لمحة عامة عن الملوك الوندال الذين حكموا بعد وفاة جنسريق، ووضّح طبيعة العلاقات التي جمعتهم بالقبائل المورية في عهده وعهد خلفائه، لينتهي الفصل بالتطرق لأشهر الثورات التي قامت بين القبائل المورية والوندال .

أما الباب الثاني فقد عنون ب "**القبائل المورية والإمبراطورية البيزنطية**" فقد احتوى هو الآخر على أربع فصول، عالج **الفصل الأول** وعنوانه الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم عالج أسباب وظروف الحملة البيزنطية على بلاد المغرب ضد الوندال وموقف القبائل المورية من الصراع الوندالي البيزنطي، وتم التركيز على المناطق وحدود السيطرة البيزنطية في بلاد المغرب بعد نجاح الحملة والقضاء على الوندال، أما **الفصل الثاني** وعنوانه التحولات السياسية البيزنطية في بلاد المغرب فقد عالج مختلف التنظيمات السياسية والتقسيمات الإدارية التي شهدتها مقاطعة بلاد المغرب والتي حاولت الإمبراطورية البيزنطية تجسيدها على أرض الواقع، وتم التطرق فيه إلى مختلف المناصب الإدارية البيزنطية التي كانت في الفترة البيزنطية، أما **الفصل الثالث** وعنوانه التحولات العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب وقد خصص لدراسة السياسة الدفاعية والتنظيم العسكري البيزنطي في بلاد المغرب، سيما التغييرات العسكرية التي أحدثها الإمبراطور موريس، والصعوبات التي واجهتها الإدارة البيزنطية من تمرّد داخل الجيش ، والتطرق لأهم المنشآت الدفاعية البيزنطية المنتشرة في بلاد المغرب، وبالنسبة **للفصل الرابع** والأخير والمعنون بموقف الممالك المورية من السياسة البيزنطية فقد خصص للحديث عن موقف القبائل المورية من السياسة الإدارية والعسكرية البيزنطية في المنطقة وإعطاء لمحة

عن طبيعة العلاقات التي تربط الطرفين، وأسباب تغيرها، ليختم الفصل بتحديد أشهر الحروب التي قامت بين الطرفين في عهد الإمبراطور جوستينيان وفي عهد خلفاءه .
أما الخاتمة فهي حوصلة للنتائج التي خلص إليها البحث، وإجابة عن شتى الإشكاليات المطروحة في البحث.

منهج الدراسة :

أما المنهج الذي تم اعتماده في الدراسة فهو: المنهج التاريخي التحليلي، حيث تتبعنا مختلف الأحداث التاريخية التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع البحث، وحللنا مختلف الوقائع والأحداث خاصة منها تلك التي تفتقر للحقيقة التاريخية، والتي رأينا أنها تمس المنطقة وتاريخ المنطقة وسكانها، ذلك ما لمسناه في الكثير من الدراسات الأجنبية التي تحوي في طياتها الفكر الاستعماري فكر القوة الشجاعة بالنسبة للمحتل، وإصاق ونسب كل صفات الخوف والضعف والجنون بالشعوب الأخرى -مثل: ما حدث مع سكان بلاد المغرب القديم-، حثمت علينا هذه الالتباسات التحليل مع محاولة التوفيق بين ما ورد في المصادر وبين الحقيقة التاريخية، والتخلص قدر الإمكان من الأيديولوجيات التي نشرتها بعض المدارس التاريخية سيما الفرنسية منها .

المصادر و المراجع المعتمدة في الدراسة :

من المصادر المهمة والتي لا يمكن الاستغناء عنها لدراسة تاريخ بلاد المغرب القديم وسكانه في الفترتين الوندالية والبيزنطية، كتابات المؤرخ البيزنطي بروكوب (Procopé de Césaire, la guerre contre les vandales)، سيما كتاب "الحروب"، "الحروب ضد الوندال" الجزء الثالث والرابع، حيث يساعدنا هذا الكتاب كثيرا فقد ابرز فيه بروكوب أوضاع الإمبراطورية الرومانية الغربية، والصراعات الداخلية التي كانت تتخبط فيها بعد وفاة الإمبراطور هونوريوس، وتحركات الوندال في القسم الأوروبي وبلاد المغرب في عهد الإمبراطور فالوننتيان الثالث بعد التحالف مع الكونت بونيفاس، ويصف لنا المؤلف فيه قوة الملك جنسريق وكيفية وصوله إلى تأسيس دولة وندالية مستقلة، في الوقت

الذي كانت فيه الإمبراطورية الرومانية تتخبط في مشاكلها بعد الانقسام الذي شهدته، كما يذكر الكاتب فيه التحضيرات التي قام بها الإمبراطور جوستينيان، وتعيين أحسن قادته بليزاريوس على الحملة التي أرسلها إلى بلاد المغرب ضد الوندال، وذكر أيضا مختلف القبائل المورية التي وقفت إلى جانب البيزنطيين في الحملة على الوندال لينهي الجزء الثالث من الكتاب بالمعركتين اللتين قادها بليزار ضد جلمير ونهاية المملكة الوندالية في بلاد المغرب ومصير الوندال، ويتحدث في الجزء الرابع عن التنظيم الإداري والعسكري الذي سيقوم به الإمبراطور في بلاد المغرب وعلاقته مع القبائل المورية التي أعطى مفهومها لها وأصولها كما تحدث عن الحروب المورية البيزنطية في البيزاكينا والاوراس و طرابلس ضد يوداس انتالاس وايرنا الخ .

وكذلك كتابات القديس فيكتور الفيتي (Victor de vita "تاريخ الاضطهاد الوندالي في إفريقيا") (Victor de Vita, histoire de la persécution vandale en Afrique) ، يساعدنا هذا الكتاب في معرفة السياسة التي انتهجها الملك جنسريق وابنه هنريك في بلاد المغرب وضد رجال الدين المسيحيين، القائمة على التهديم والتخريب حسب المؤلف، كما يبرز لنا طبيعة العلاقات المورية الوندالية في كونه سكت عن أي صراع جمع الطرفين، وهذا التحالف الموري الوندالي قد يعود إلى ما قبل الحملة الوندالية على بلاد المغرب وربما العلاقات كانت قبل ذلك، الأمر الذي حفز الوندال أكثر إلى الانتقال إلى بلاد المغرب .

كما لا يمكن الاستغناء عن أشعار كوريب (Corripe)، وكتاب "اليوحانية" أو الملحمة الليبية (Corippe, La Johannide) فهي تحوي البيئة الجغرافية لبلاد المغرب وسكانه في القرن السادس ميلادي، كما تبرز الحروب التي قادها الملوك المور ضد السياسة التوسعية البيزنطية ما بين 546-548م، وإعطاء أسماء لبعض القبائل المورية ومناطق انتشارها وحياتهم الحضارية، وتعتبر بذلك المعلومات التي أوردها الشاعر مهمة بالنسبة لنا بالرغم من أنها تفتقر للحقيقة التاريخية، فالكاتب كتب ليمجد انتصارات القائد البيزنطي جون تروقبليتا وانتصارات البيزنطيين بهدف الوصول إلى مكاسب شخصية الأمر الذي يضعف من المعلومات التي ساقها لنا .

وأهم المراجع التي يمكن الاعتماد عليها لدراسة تاريخ بلاد المغرب في الفترتين الوندالية و البيزنطية كتاب:

شارل دييل (Diehl ch, l'Afrique byzantine histoire de la domination byzantine en Afrique 533-709) " إفريقيا البيزنطية" فقد ساعدنا في معرفة ظروف سقوط الوندال ودخول الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، وأوضاع بلاد المغرب مع بداية الاحتلال البيزنطي وفي عهد صولومون، وكذا السياسة الإدارية والعسكرية البيزنطية، ومعرفة مختلف القبائل المورية وعلاقتها بالاحتلال البيزنطي وذلك بنوع من التحليل .

كريستيان كورتوا (Christian Courtois, Les Vandales et L'Afrique) وكتابه "الوندال وإفريقيا" وهو من أشهر الكتب التي تتناول الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب، فقد حلل الكاتب فيه أوضاع روما وبلاد المغرب قبل الاحتلال الوندالي، كما تحدث عن الحضارة الوندالية وكيفية انتقال القبائل الوندالية إلى بلاد المغرب وتأسيسهم لمملكة مستقلة وعلاقتهم بالسكان المحليين في عهد جنسريق وخلفاءه .

وكتاب موديرون ايف (Modéran Y, Les Maures et L'Afrique Romaine 4ème -7ème siècle) وكتابه "المور وإفريقيا الرومانية" ساعدنا هذا الكتاب كثيرا في معرفة القبائل المورية ومناطق انتشارها وعلاقتها بالاحتلال الوندالي و البيزنطي، كما ساعدنا في إعطاء مفاهيم وقراءات جديدة لبعض الحقائق التاريخية التي أوردها المؤرخين عن بلاد المغرب في الفترتين الوندالية والبيزنطية .

كما اعتمدنا على الدراسات التي قام بها كل من دريسي سليم (البيزنطيون في شمال إفريقيا الاحتلال و العمارة الدفاعية، أطروحة دكتوراه) محمد اللبار (إفريقيا الوندالية بين الحملات البيزنطية و الثورات المورية (429-534م)، و ماجدة بن حربيط(شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي (533-647م) فقد ساعدتنا في مجملها على إعطاء صورة مغايرة وقراءة جديدة لما أورده المصادر الأجنبية عن تاريخ بلاد المغرب في الفترتين الوندالية والبيزنطية، وعن سكان بلاد المغرب وعلاقتهم بسلطة الاحتلال .

صعوبات الموضوع:

أولى الصعوبات التي تصادف الباحث في تاريخ بلاد المغرب في الفترتين الوندالية و البيزنطية وهي الفترة المتأخرة من التاريخ القديم، هو قلة المصادر الكلاسيكية والأثرية، فهي الفترة التاريخية التي تعرف شحًا كبيرًا في المادة التاريخية، كذلك قلة المصادر الأثرية وصعوبة استنطاقها وضرورة الرجوع في كثير من المرات إلى المصادر الكلاسيكية الأصلية لإعطاء قراءات جديدة، وعدم الاكتفاء بما ذكرته المراجع، كذلك وجود مادة خبرية كتبت من طرف واحد في غياب كتابات الطرف الآخر وهو ما يدفعنا إلى الكثير من التحليل والشك للوصول إلى الحقيقة التاريخية .

الشكر:

وفي الأخير أتوجه بأخلص عبارات الشكر والتقدير للأستاذ المشرف "الدكتور رحمانى بلقاسم" على الصبر الجميل في كامل أشواط ومراحل البحث وعلى النصائح والإرشادات التي أفادنا بها في البحث منذ أن كان فكرة إلى أن بلغ صورته الحالية، حيث لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه وذلك الكثير من الصعاب التي واجهتنا في البحث .

مدخل : أوضاع روما وبلاد المغرب القديم قبيل الاحتلال الوندالي

1. الأوضاع السياسية
2. الجانب العسكري
3. الأوضاع الاقتصادية
4. الحياة الاجتماعية
5. الحياة الدينية

حظي تاريخ بلاد المغرب القديم بدراسات عديدة من طرف المؤرخين، خاصة الفترة التي تخص الاحتلال الروماني والقرون الأولى من الاحتلال الروماني للمنطقة، ذلك لأهمية الفترة التاريخية ولأهمية منطقة بلاد المغرب في دعم الاقتصاد الروماني وتوفير المصادر الكلاسيكية والمادية، حيث وصفتها المصادر التاريخية بأنها " مطمورة روما " نظرا لازدهار الاقتصادي الكبير الذي عرفته المنطقة في هذه الفترة ، وقد كان الدافع الاقتصادي هو العامل الرئيسي للاحتلال الروماني.

شهد المغرب القديم تحولات عديدة في القرنين الأخيرين من الاحتلال الروماني وقبل السقوط على يد الوندال بداية القرن الخامس ، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن أوضاع بلاد المغرب قبيل الاحتلال الوندالي، ولمعرفة أسباب ضعف الهيمنة الرومانية وسقوطها في بلاد المغرب القديم، يتوجب علينا تحليل أوضاع الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين الثالث و الرابع ميلادي ، لمعرفة انعكاساتها على المقاطعات الرومانية سيما الإفريقية منها، ونخص بالذكر أوضاع بلاد المغرب قبل الاحتلال الوندالي، أي بعد الأزمة العسكرية - كما يذكرها المؤرخون- التي بدأت في مطلع القرن الثالث وانتهت آخره، أي مابين (235-284م) تاريخ وصول الإمبراطور دقلديانوس (Doctétien) إلى حكم الإمبراطورية الرومانية الذي قام بإصلاحات إدارية ساهمت في امتداد الاحتلال الروماني للمنطقة قبل السقوط على يد قبائل الوندال ، وسنحاول البحث فيما يلي رصد مختلف الأوضاع التي عاشتها بلاد المغرب مطلع القرن الرابع إلى غاية سقوط روما على يد الوندال مع بداية القرن الخامس ميلادي .

1. الأوضاع السياسية:

عرفت الأوضاع السياسية في بلاد المغرب أواخر الاحتلال الروماني توترا شديدا، حيث كانت بلاد المغرب القديم مقسمة إداريا إلى ستة مقاطعات إدارية¹ منذ عهد الإمبراطور دقلديانوس بداية من سنة 284م، هذا الأخير الذي قام بسلسلة من الإصلاحات الإدارية²، أصبحت بذلك ولاية البروقنصلية تشمل ثلاث مقاطعات هي البروقنصلية أو الزوغيتانية (Proconsular Zeugitana) والبيزاكينا (Byzacin) وطرابلس (Tripolitaine)، وقسمت نوميديا إلى قسمين نوميديا السرتية (Numidia Cirtiensi) في الشمال ونوميديا العسكرية (Numidia Militaire)³ في الجنوب، وقسمت موريطانيا القيصرية أيضا إلى قسمين موريطانيا السطايفية شرقا (Mauritania Sitifien) وموريطانيا القيصرية غربا (Mauritania Caesarien)، أما موريطانيا الطنجية فقط ألحقت إداريا بدوقية إسبانيا (Diocèses Hispaniarum) تحت حكم رئيس مخول أو قاض⁴.

ومع وصول الإمبراطور قسطنطين (Constantine) إلى حكم الإمبراطورية الرومانية سنة 305-337م أحدثت بعض التعديلات الإدارية سنة 314م، حيث جمع كل من ولايتي نوميديا السرتية و العسكرية و أصبحت ولاية واحدة وابقى الولايات الأخرى على حالها وكما كانت عليه.

تعود أسباب الإصلاحات التي قام بها كل من دقلديانوس و قسطنطين الأكبر في محاولة تمتين السلطة المركزية في الأقاليم والمقاطعات والزيادة من موارد الدولة عن

¹ - Yann le Bohec, l'Afrique à la fin du bas empire, trad. Julia walter, grand exposition du land de bade-wurtemberg 2009, du 24 octobre 2009 au 21 février 2010, éd baden-wurtemberg, p23.

² - Serge Lancel, l'antiquité tardive et le christianisme, Algérie antique, catalogue de l'exposition 26 avril au 17 aout, musée de l'Arles st de la province antique, 2003, p235.

³ - اللبار محمد، التنظيم الإداري والعسكري لإفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية المتأخرة 284-429م، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد 24، 2001م، ص66-67.

⁴ - Le Bohec Y, l'Afrique à la fin du bas empire, op-cit, p23

طريق تسهيل عملية جباية الضرائب، والقضاء على الثورات المحلية من طرف السكان وحماية السلطة من الأخطار الخارجية، وقد استمرت الأوضاع الإدارية في بلاد المغرب على هذه الحال إلى نهاية الاحتلال الروماني على يد الوندال سنة 429م¹.

وبعد الانقسام الذي دب في الإمبراطورية الرومانية وانقسامها إلى قسمين شرقية وغربية سنة 395م أصبحت دوقية (مقاطعة) بلاد المغرب تابعة للإمبراطورية الرومانية الغربية أواخر القرن الرابع ميلادي، وكانت تدير من طرف دوق يقيم في قرطاج عاصمة الدوقية والحاكم العام على كل قنصل وحكام الولايات الأخرى².

وتتلخص مهام الدوق في تسيير الشؤون الإدارية و العسكرية على حد سواء حتى عهد الإمبراطور قسطنطين -وبالضبط إلى غاية سنة 320م- حيث جرد الدوق من مهامه العسكرية وبقي يحافظ فقط على السلطة المدنية، وكان حكام الولايات يخضعون لسلطة الدوق مباشرة سواء كانوا من رتبة بروقنصل أو قنصل أو من رتبة رؤساء وهي رتب متفاوتة في الدرجة³، فتأتي أعلاهم رتبة رتبة البروقنصل (Proconsule) ثم القنصل (Consule) ثم الرئيس (Praeside) (المحافظ) بحيث يتم اختيار البروقنصل و القنصل من الفئة السيناتوروية، أما الرؤساء فيتم اختيارهم من فئة الفرسان والدوق (Duc) من فئة الأشراف⁴.

وقد جاء في مدونة تيودوسيوس (Théodose) أن الدوق هو المسؤول عن جباية الضرائب⁵ وديوان البريد والمكلف بتبليغ أوامر الإمبراطورية إلى ولاية دوقيته وهو المنسق بين الولايات والمكلف بمراقبة للشؤون المالية، كما يتمتع بسلطة القضاء و البث في قضايا الاستئناف، وعادة ما تكون أحكام الدوق غير قابلة للاستئناف أو الطعن، أما

¹ - اللبارم، التنظيم الإداري و العسكري لإفريقيا، المرجع السابق، ص68.

² - نفسه، ص72.

³ - Le Bohec Y, l'Afrique à la fin du bas empire, op-cit, p23.

⁴ - اللبارم، التنظيم الإداري والعسكري لإفريقيا، المرجع السابق، ص74-75.

⁵ - Gibbon E, op-cit, p986.

الولاية فقد كانت مهامهم تقتصر على حفظ الأمن في الولايات التابعين لها وجباية الضرائب و القضاء بين الناس في الدعاوى المدنية و الجنائية¹.

يمكن القول إذا أن الإصلاحات الإدارية التي قام بها الإمبراطور دقلديانوس ومن بعده قسطنطين والتي مست كبار القادة السياسيين وقلصت من صلاحياتهم الإدارية ونفوذهم أبقتهم تابعين إلى سلطة الإمبراطور، وحالت دون التفكير بالاستقلال ببلاد المغرب أو القيام بحركات تمردية ضد السلطة، الأمر الذي سمح باستمرار السيطرة الرومانية على المنطقة رغم انقسام الإمبراطورية إلى قسمين شرقي و غربي ، ورغم الأوضاع السياسية والعسكرية الصعبة التي عرفتها بلاد المغرب مثل: حركة الدوارون والحركة الدينية الدوناتية، وثورات القبائل المورية في الداخل وعلى حدود الليمس.

2. الجانب العسكري :

مع وصول الإمبراطور دقلديانوس إلى حكم الإمبراطورية الرومانية قام بعدة إصلاحات إدارية مدنية و عسكرية مست مقاطعات المغرب القديم، حيث تم الفصل بين السلطتين المدنية و العسكرية حتى تتمكن الإمبراطورية من بسط نفوذها بشكل فعال²، وتم جرد الدوقيات وحكام المقاطعات من مهامهم العسكرية، وأسندت قيادة الجيوش إلى قادة عسكريين يعملون في ظل سلطة الإمبراطور³، وكأن الإمبراطور أراد بهذا العمل الحد من سلطة حكام المقاطعات وذلك بالفصل بين الإدارة السياسية والعسكرية، وهو ما كان عليه المغرب القديم لتجنب الانقلابات والتمردات الداخلية ضد السلطة .

ومع وصول الإمبراطور قسطنطين إلى الحكم واصل فكرة الفصل بين السلطتين المدنية و العسكرية⁴، ليصبح هذا الإصلاح الإداري ساري المفعول في كل دوقيات روما بما فيها بلاد المغرب، حيث أسند قيادة الجيوش إلى قائدين عسكريين هما القائد الأعلى

¹ - اللبارم،التنظيم الإداري و العسكري لإفريقيا،المرجع السابق ، ص76.

² - Le Bohec Y, l'Afrique à la fin du bas empire, op-cit, p23.

³ - اللبارم،التنظيم الإداري والعسكري لإفريقيا،المرجع السابق ، ص80

⁴ - Serge L, L'Antiquité tardive et le Christianisme, Op-cit, p 235

لجيش المشاة (Magister Militum Peditum) وقائد أعلى لجيش الخيالة (Magister Militum Equitum) ، وقد استمر هذا التسيير العسكري إلى غاية تقسيم الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الرابع ميلادي، وأصبحت قيادة فرق المشاة و الخيالة تحت سلطة قائد عسكري واحد وهم القائد الأعلى للجيش (Magister Militum) ، في حين واصلت الإمبراطورية الرومانية الشرقية نفس التقسيم القديم ولم تحدث أي تغيير في الفصل بين قائد المشاة و قائد الخيالة¹ .

كما وضعت مجموعة من الدوقيات العسكرية في المغرب تحت سلطة الكونت (القائد الأعلى للجيش) في كل من البروقنصلية، موريطانيا الطنجية، موريطانيا القيصرية و طرابلس، الأمر الذي يوحى باضطراب الأوضاع الأمنية خاصة تحركات القبائل المورية من الجبال إلى الداخل ومن جنوب الليمس إلى الشمال والتي تهدف إلى الاستقلال عن السلطة الإمبراطورية² .

أول من شغل منصب الكونت في بلاد المغرب (comte) أو منصب القائد الأعلى للجيش هو ارساكيوس (Ursacius) - كان ذلك ما بين 316-321م - في عهد الإمبراطور قسطنطين الأكبر (كان القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب يلقب بالكونت(Comte) أما الحاكم العام فكان يلقب بالدوق(Duc)³) ، وأما آخر كونت تقلد هذا المنصب فهو الكونت بونيفاس(Bouniface) ما بين 429-430م والذي سيتحالف مع الوندال في حملتهم على بلاد المغرب بعد الخلافات التي كانت بينه وبين الإمبراطورة كلا بلاسيديا⁴ ، حيث حاول أن يستقل ببلاد المغرب عن السلطة الرومانية، الأمر الذي دفعه

¹ - اللبارم، التنظيم الإداري والعسكري لإفريقيا، المرجع السابق، ص83

² - Le Bohec y , l'Afrique à la fin du bas empire, op-cit,p23

³ - اللبارم ،التنظيم الإداري والعسكري لإفريقيا،المرجع السابق، ص85

⁴ - كلا بلاسيديا **Cala placidia** : هي أخت الإمبراطور الروماني هونوريوس وهي والدة الإمبراطور الصغير فالونتينيان الثالث (423-455م) ، وكانت هي الوصية عليه وعلى عرشه ما بين (429-450م) لأنه كان صغير في السن ولا يستطيع تسيير شؤون الإمبراطورية بنفسه....انظر :
- اللبارم ، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق ، ص33.

بعد أن فشل في ذلك إلى طلب المساعدة من الوندال، وقد بعث برسالة إلى الملك الوندالي جنسريق يطلب منه التحالف وكان ذلك سنة 428م¹.

ومن المهام التي وكل بها الكونت في بلاد المغرب هو الإشراف على الدوقية أمام الإمبراطور، وحماتها من أي اعتداء خارجي، وقد كان يتحكم في كل القادة العسكريين في المقاطعات الإفريقية، كما يقوم بجمع الضرائب الموجهة إلى روما، وتخضع لسلطته جميع فرق المشاة و الخيالة، أي جميع حراس الحدود وحراس المدن الداخلية ، و كان مركز إقامة الكونت في المغرب القديم في قرطاج العاصمة الإدارية².

وأكبر خطأ ارتكبه الإدارة الرومانية والإمبراطور غورديانوس الثالث هو حل الفرقة الأغسطية الثالثة التي كانت تلعب الدور الكبير في التصدي للثورات المورية المتتالية خاصة من قبائل الجبال ومن القبائل المتاخمة للحدود الجنوبية لخط الليمس، وما زاد من تدهور الأوضاع الأمنية كذلك انعكاسات أزمة القرن الثالث على الأوضاع في بلاد المغرب³ ، والتي انجر عنها ثورات كبيرة في المنطقة منها ثورة فيرموس⁴ (firmus) 371-375م وثورة جيلدون (Gildon) سنة 396-397م⁵ .

كما لعبت القبائل المحاذية لخط الليمس الروماني خطرا كبيرا على المدن الرومانية في الداخل، يظهر ذلك من الرسائل الكثيرة التي كانت ترسلها السلطة الرومانية من قرطاج إلى روما، المتمثلة في طلب الإمدادات العسكرية وازدياد عدد الجيوش الرومانية في الشمال والجنوب وعلى طول خط الليمس⁶ ، كما استغلت القبائل المورية الانقلاب

¹ - Gibbon Edward, Histoire du déclin et de la chute de l'empire romaine, éd robert Laffont, paris, 1983, p983

² - اللبارم، التنظيم الإداري و العسكري لإفريقيا خلال الفترة الرومانية المتأخرة، المرجع السابق، ص87-88

³ - دريسي سليم، السياسة العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا، إيكوزيم، العدد 2015، 04م، ص180.

⁴ - فيرموس Firmus : من القادة الكبار الذين تركوا بصمتهم في تاريخ المغرب القديم قام بثورة كبيرة ضد الرومان أواخر القرن الرابع 372-375م كان يهدف من خلالها تحرير بلاد المغرب من الاحتلال الروماني ...انظر :

- Decret Francois, Fantar Mohamed, l'Afrique du nord dans l'antiquité, payon, paris, 1981, p282-283.

⁵ - Laronde André, l'Afrique antique histoire et monuments, éd tallandier, paris, 2001, p166.

⁶ - Le Bohec Y, l'Afrique à la fin du bas empire, op-cit, p23.

العسكري الذي قام به الكونت بونيفاس¹ وذلك بالهجوم والاستحواذ على المدن الرومانية، ويتجلى ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها القديس أوغسطين سنة (427-428م) إلى الكونت بونيفاس، وكذا الرسالة التي بعث بها القديس أوغسطين إلى أسقف سطيف فيكتوريانوس (Fectourianus) والتي تحدث فيها عن القتل الذي تعرض له رهبان من طرف القبائل المورية²، وتوحي هذه الأحداث بخطورة القبائل المورية سيما على الحدود الرومانية في الجنوب وعلى مستوى المدن .

رغم قلة المادة التاريخية سيما الرسائل التي كان يبعث بها القديس أوغسطين، حتى وإن كانت لا تفيدنا كثيرا في ما يخص الأوضاع الأمنية في المغرب القديم عشية الاحتلال الوندالي، إلا أنها توحي بأنها رسائل استغاثة وتنبيه للسلطة السياسية الرومانية بالأوضاع الأمنية الخطيرة التي تعيشها الإدارة الرومانية في المغرب، خصوصا في ظل الثورات التي قادتها القبائل المورية، والسيطرة الواسعة لهذه القبائل على الأراضي و الممتلكات التابعة لروما مع نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس ميلادي.

3. الأوضاع الاقتصادية :

لم تصلنا معلومات وفيرة عن الحياة الاقتصادية لبلاد المغرب القديم خلال القرنين الرابع و الخامس ميلادي ورغم ذلك ، يبدو أن المنطقة ظلت محافظة على استقرارها الاقتصادي وقد بقي بلاد المغرب بين المقاطعات الرومانية الغنية³، خاصة في إنتاج الحبوب والزيت و الخمر - التي تعرف كثيرا بجودتها- ، و التي تساهم كثيرا في دعم

¹ - الكونت بونيفاس **Comte Boniface** : كونت بلاد المغرب عين في هذا المنصب سنة 423م ، كان له الدور الكبير في إخماد الكثير من الثورات المورية في المنطقة، قام فيما بعد بمؤامرة ضد السلطة الرومانية ، السبب الذي ادخله في صراع ضد الإمبراطور فالونتينيان الثالث ، كان يسعى إلى الاستقلال و السيطرة على المقاطعة التي كان يحكمها حيث تحالف مع الوندال في البداية ثم وقف ضدهم وتصلح مع السلطة الرومانية، ولم يستطع إيقاف الزحف الوندالي نحو قرطاج ، توفي سنة 429مانظر:

- Yanoski MJ, l'Afrique chrétienne et domination des vandales en Afrique, t1, éd Jacoba, 1942, p229.

² - Ben Abbes M, l'insécurité et la situation militaire à la veille de la conquête vandale, mémoire pour l'obtention du diplôme des études approfondie, sous la direction de .M.Ammar Mahjoubi, faculté des sciences humaines et sociale, université Tunis 1, Tunis, 1998. p53.

³ - Serge .L, l'antiquité tardive et le christianisme, op-cit, p236.

اقتصاد روما بغض النظر عن الأوضاع السياسية و العسكرية و الدينية المزرية التي تتخبط فيها المنطقة¹.

يعدّ المغرب القديم من المقاطعات الرومانية التي حققت الاكتفاء الذاتي وصدرت إلى المقاطعات الرومانية الأخرى - التي تعاني العجز في تزويد الأفراد و الجيوش بالمؤونة ، الأمر الذي يوحي بعدم انعكاس الأوضاع السياسية و العسكرية على الحياة الاقتصادية لبلاد المغرب، وهو ما نستشفه من كتاب القديس أوغسطين "مدينة الرب" حيث تحدث عن المحاصيل الوفيرة التي كانت عليها مقاطعة نوميديا²

ربما يعود هذا التطور الاقتصادي حسبنا إلى عدم تضرر بعض المقاطعات في بلاد المغرب- كما هو الحال في نوميديا- من الحروب و الصراعات التي تتخبط فيها الإمبراطورية الرومانية، والى دور القبائل المورية التي لها علاقات سلمية وتجارية مع الإمبراطورية والدور الكبير الذي تلعبه في تزويد روما بمختلف المنتجات الفلاحية .

تؤكد بعض النصوص التاريخية الازدهار الاقتصادي لبلاد المغرب القديم في الفترة الرومانية المتأخرة، منها ما ذكره القديس أوغسطين³ St. Augustin في حوار دار بينه وبين أصدقائه أثناء إقامته في ايطاليا سنة 387م، حيث ذكر الأوضاع الاقتصادية المزدهرة التي كان عليها المغرب القديم بالمقارنة بما هي عليه باقي المقاطعات الرومانية في الشرق و الغرب وفي ايطاليا.

ينقل البيرتيني (Albertini) اندهاش القديس أوغسطين من الأوضاع التي كانت تعيشها بلاد المغرب فقد كانت القصور و المنازل في ايطاليا تقضي ليلها في الظلام

¹ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, éd. Arts métiers graphique, Paris, 1955. p149-150.

² - Lepelley Claude, l'Afrique et sa diversité vues par saint augustin, actes colloque Sempam-Ausonius, 10-11 octobre 2003, bordeaux, textes réunis par Serge Lancel, p34-35.

³ - القديس أوغسطين **Saint Augustin** : ولد بمدينة تاغيست سوق أهراس حاليا سنة 354م من أب وثني وأم مسيحية، درس في مدينته ثم انتقل إلى مداوروش ودرس المحاماة في قرطاج دون أن يمارسها انتقل بعد ذلك إلى روما تعرف إلى أسقف ميلانو وعاش مع الأساقفة ورجال الدين ولتزم الكهنوتية، له مجموعة من المؤلفات وكتابه الشهير هو مدينة الرب، عايش فترة الاحتلال الوندالي قبل وفاته سنة 430م بعنابة التي كان أسقفا عليها منذ سنة 396م.... انظر : - اعترافات القديس أوغسطين، تر الخوري يوحنا الحلو، ط5، دار المشرق بيروت، 1996م، ص-ص 1-6

عكس المنازل الإفريقية التي كانت متوهجة بأنوار المصابيح طول الليل، ويعود حسب البرتيني إلى أن الزيت في بلاد المغرب كان أقل تكلفة منه في إيطاليا آنذاك، وهو ما ذكره فيكتور الفيتي أيضا، الذي يؤكد الازدهار الكبير الذي وجده الوندال عند احتلالهم بلاد المغرب مع بداية القرن الخامس ميلادي سنة 429م¹.

حيث لا تخلو مدينة رومانية ببلاد المغرب من معاصر الزيتون، والتي يمكن إدراجها ضمن الصناعات التحويلية في إفريقيا الأمر الذي يوحى بتوفر الزيتون والزيت بكميات كبيرة وبدوره في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية²، ويستعمل هذا المورد في الإنارة والتغذية والحمامات وصناعة الصابون والتدليك والتجارة...الخ³، هذا ما يوحى بالتطور الاقتصادي الملحوظ الذي كان يعيشه المغرب قبيل الاحتلال الوندالي .

عرفت الزراعة ازدهارا كبيرا في بلاد المغرب القديم سيما إنتاج الحبوب و الزيتون و الكروم و التين وتربية الخيول و المواشي، وأصبحت بلاد المغرب من المناطق الأولى في العالم القديم في إنتاج الحبوب خاصة القمح والشعير، وبالخصوص في واد مجردة و أقاليم نوميديا ، وقد ظلت المنطقة محافظة على الخيرات التي كانت تستغلها روما طيلة القرون الأولى من الاحتلال ولم تؤثر عليها الأوضاع الأمنية والسياسية التي مرت بها الإمبراطورية الرومانية والمغرب القديم بداية من القرن الخامس ميلادي، وبقيت تمد روما بما تحتاجه من مواد فلاحية⁴، وعليه فإن بلاد المغرب هي مطمورة روما رغم الأوضاع السياسية والعسكرية الصعبة التي مرت بها، وما يؤكد الرخاء الاقتصادي في القرن

¹ - اللبار محمد، الأحوال الاقتصادية والظروف الاجتماعية في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية المتأخرة (284-429م)، مجلة المصباحية، العدد التاسع، 2012م، ص91-92

² - Camps Fabrer, l'Oliver et l'huile dans l'Afrique romaine, éd IMP. Officiel, Alger, 1953, pp25-31.

³ - Albertini E, L'Afrique romaine, Impr Officielle, Alger, (1955), p59.

⁴ - Bergasa Ingrid, épigrammes latines de l'Afrique vandale, éd.les belle lettre, paris, 2016, p35.

الخامس، الطريق الذي سلكه جنسريق حتى الوصول إلى أخصب مناطق بلاد المغرب وهي مناطق البروقنصلية ونوميديا¹ .

وبالمقابل يرى شارل أندري جوليان في أن أوضاع بلاد المغرب الاقتصادية عرفت تدهورا كبيرا قبيل الاحتلال الوندالي، الأمر الذي دفع بالسلطة الرومانية إلى مغادرة الكثير من المدن والمقاطعات التي سيطرت عليها القبائل المورية، ونفس الشيء انعكس على الحياة الاجتماعية² .

كما انتشرت زراعة الزيتون حيث تأتي في المرتبة الثانية بعد القمح و الدليل على ذلك وجود عدد كبير من أشجار الزيتون في سهل تيسدروس (الجم) (Thysdrus) ونوميديا، لتأتي الكروم في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بعد القمح و الزيتون.

كما اهتم الرومان بالتين وزراعة الفول و الجوز و اللوز و التمر، وتربية النحل و الدواجن والأبقار و الخنازير و الماعز و الخيول و البغال و الحمير.....الخ³ ، الأمر الذي يوحي بالرخاء الاقتصادي الذي ظلت عليه بلاد المغرب طيلة الفترة الرومانية، وهو ما الدوافع الرئيسية التي دفعت بالوندال إلى احتلال المنطقة لما تحتويه من خيارات اقتصادية هامة .

وعرفت بلاد الغرب القديم في الفترة الرومانية المتأخرة ازدهارا كبيرا في المجال الصناعي سيما الصناعات التحويلية مثل: تحويل بعض المنتجات الفلاحية إلى مواد صناعية قابلة للاستهلاك، كتحويل الزيتون و الكروم⁴، كما اهتموا أيضا بالتعدين (النحاس الرصاص الحديد)، واستخراج المواد الحجرية من المحاجر لاستعمالها في المطاحن و المعاصر، وقد انتشرت محاجر المرمر في نوميديا وفي البروقنصلية ذو

¹ - Gibbon G, op-cit, p987.

² - Charles André Julien, op-cit, p36.

³ - خليفة الشاطر وآخرون، تونس عبر التاريخ، ج1، مركز البحوث و الدراسات الاقتصادية و الاجتماعية ، تونس ، 2005، ص205.

⁴ - Camps F, op-cit, p25

اللون الأصفر و الوردي ومن أهم هاته المحاجر، محجرة جبل فلفلة (Filfila) بسكيكدة قرب هيبو ريجيوس(عنابة حاليا) ، كما استعملوا الجلود، الأخشاب، الصوف، العظام، قرون المواشي، وصنعوا منها أدوات منزلية و ملابس وأدوات الزينة¹.

إن كثرة الطرق التجارة في بلاد المغرب القديم هي دليل قاطع على كثافة النشاط التجاري بين مختلف المقاطعات والمدن²، حتى تسهل عملية نقل المنتجات و المواد الاستهلاكية، وكذا سرعة تنقل الجيوش الرومانية³ من منطقة إلى أخرى، كما كثرت الأسواق على مستوى المدن و الأرياف بحيث خصصت لها أيام خاصة معروفة لدى السكان يتم فيها التبادل التجاري و الاختلاط الاجتماعي .

وقد كانت الأسواق بلاد المغرب تصدر القمح الزيت الخمر الحيوانات المتوحشة (دبية، اسود، فهود، النعام، الغزلان، الخيول، البغال.....الخ) التي كانت تستعملها روما في ألعاب الكوليزيوم و السرك في المدن الرومانية قصد التسلية و الترفيه⁴.

انطلاقا مما سبق ذكره يتضح أن بلاد المغرب القديم من المقاطعات التي استطاعت أن تحقق الاكتفاء الذاتي لها طيلة القرنين الرابع و الخامس، وهي الفترة الأكثر ضعفا في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، عكس المقاطعات الرومانية الأخرى التي عانت من ويلات القبائل الجرمانية في الشرق و الغرب، ولا يرتبط هذا الازدهار بالسياسة الرومانية في المجال الاقتصادي بشق الطرق و حفر الآبار، وإنما يعود إلى وفرة الأراضي الزراعية الخصبة، وحيوية سكان المنطقة ونشاطهم المستمر في المجال الفلاحي والاهتمام بالأرض وما توفره من منتجات فلاحية.

¹ - اللبارم، الأحوال الاقتصادية، المرجع السابق، ص103.102

² - Lecoq A, le commerce de l'Afrique romaine, in B.S.G.A.O, t 12, 1932,339-343

³ - Salama P, les voies romaines de l'Afrique du nord, éd IMP officielle, Alger, 1951, pp35-50.

⁴ - اللبارم، الأحوال الاقتصادية، المرجع السابق، صص98-99.

هذا ولم تتأثر المقاطعات في المغرب القديم بالأزمة الاقتصادية التي أصابت المقاطعات الرومانية الأخرى خارج إفريقيا في هذه الفترة، فقد بقيت المنطقة تحقق اكتفاءها وتصدر إلى روما في الوقت الذي كانت فيه المقاطعات الرومانية تعاني الضعف و التدهور الاقتصادي طيلة الفترة الرومانية المتأخرة، الأمر الذي ساهم في تمديد عمر الإمبراطورية الرومانية وأبقاها متماسكة أمام الهجمات الجرمانية القادمة من الشمال الأوروبي، وضربات القبائل المورية في الأوراس وطرابلس ونوميديا و موريطانيا، وبقيت روما تزود جيوشها من اقتصاد المغرب القديم في ظل عجز المقاطعات الأخرى على تحقيق اكتفاءها .

4. الحياة الاجتماعية:

انعكست الأوضاع العسكرية و الصراعات الدينية على الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب أواخر الاحتلال الروماني¹، ويمكن تصنيف فئات مجتمع المغرب القديم قبل الاحتلال الوندالي إلى ثلاث فئات كانت منتشرة في كامل مقاطعات بلاد المغرب :

1. **الطبقة الغنية** : وتشمل كبار الملاك -أصحاب العقارات- واغلبهم كانوا يقيمون

في روما وتركوا ضيعتهم لمن ينوب عنهم في المقاطعات، وقد كان دورهم كبير في الحياة السياسية و الاجتماعية في المغرب.

2. **الطبقة المتوسطة** : تشمل ساكني المدن من صغار الملاك و التجار.

3. **الطبقة الفقيرة** : وهم التجار الصغار و الباعة المتجولون و الصناع الحرفيون،

كانوا يجمعون بين مهنتي الإنتاج و التسويق، بما في ذلك طبقة العبيد التي كان عددها كبير .

وقد كان الفقر مسيطرا على معظم فئات مجتمع المغرب القديم² نتيجة استيلاء كبار

التجار والسياسيين على مختلف الضيعات و الأراضي الصالحة للزراعة، في حين بقيت

¹ - Gibbon E,op-cit,p987.

² - اللبارم، الأحوال الاقتصادية، المرجع السابق، ص114-115.

الأراضي الفقيرة الجبلية غير الصالحة للزراعة في يد الطبقة العامة من الفلاحين الصغار البسطاء .

وكانت الحياة الاجتماعية في إفريقيا جد متردية بداية من القرن الرابع ميلادي وذلك بسبب الصراع الديني الذي كان قائما بين الديانة الكاثوليكية ديانة الإمبراطورية الرومانية و المذهب المنشق¹ مذهب الدوناتيون (Donatus)² الذين استقطبوا عددا كبيرا من شرائح مجتمع المغرب القديم بما فيهم الدوارون³ (Circoncellions) ، بحيث انعكس هذا الصراع على الظروف الاجتماعية و على الحياة الاقتصادية في بلاد المغرب طيلة القرن الرابع و الخامس ميلادي و والى غاية الاحتلال الوندالي سنة 429م⁴.

5. الحياة الدينية:

ظهرت صراعات دينية كثيرة في روما خلال عهد الإمبراطور دقلديانوس⁵، وكان لها انعكاسات خطيرة على بلاد المغرب، حيث قام الإمبراطور باضطهاد المعتنقين للديانة المسيحية وبقي يلاحقهم طيلة فترة حكمه، وأرغم المعتنقين للمسيحية بعبادة الإمبراطور وعرضهم إلى أشد أنواع التعذيب، نذكر على سبيل المثال: وفاة عدد من المعتنقين

¹ - دريسي س، السياسة العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا، المرجع السابق، ص181
² - الحركة الدوناتية : حركة ثورية دينية أسسها الراهب دوناتوس Donatus وحملت اسمه فيما بعد، ظهرت سنة 311م وبدأت كانشقاق ديني عن الكنيسة الكاثوليكية ، تطورت إلى حركة دينية ثورية ضد السلطة المدنية والدينية معادية لسلطة روما، تطورت من حركة دينية اجتماعية إلى حركة عسكرية شكلت خطرا كبيرا على الأوضاع الأمنية في إفريقيا... انظر :

- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تر محمد مزالي، ج1 ، تونس، 1985، ص.ص295-305.

-Monceaux p, histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion vandales ,4,le donatisme, paris, Ernest Leroux,1912,Brisson JP, Autonomisme et christianisme dans l'Afrique romaine de septime à l'invasion vandales, paris, 1958, p189.

³ - الدوارون (Circoncellions) : هي حركة اجتماعية ثورية قادها أهل الأرياف ببلاد المغرب القديم خلال القرن الرابع ميلادي، تهدف هذه الحركة إلى التحرر من الظروف الاقتصادية و الاجتماعية و الجباية التي مارستها روما عليهم ، وقد تحالف الدوارون مع الحركة الدوناتية الدينية منذ سنة 347م وتعاونوا مع أنصارها حتى اعتقد الكثير من الباحثين أن الدوارون مجرد جناح عسكري للحركة الدوناتية... انظر :

- المبكر محمد، الدوارون في شمال إفريقيا القديم حركة الدوارون وعلاقتها بالدوناتية 305م-429م، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 2001م، ص85-90
- محمد البشير شنياتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر، 1984م، ص301-304.

⁴ - اللبارم، الأحوال الاقتصادية، المرجع السابق، ص122

⁵ - Serge .L, l'antiquité tardive et le christianisme, Op-cit, p235

للمسيحية في السجن بالبروقنصلية وصل إلى قرابة 29 رجل، 5 أطفال، 19 امرأة ، تعرضوا إلى اشد التعذيب وماتوا جوعاً¹ .

تكررت نفس الأحداث في نوميديا و المقاطعات الأخرى، فلم تكف السلطة بقتل الأساقفة ورجال الدين وحسب بل شمل التعذيب والقتل كل من اعتنق الديانة المسيحية من كل شرائح المجتمع الإفريقي أو الروماني²، وقد عمت بذلك فوضى كبيرة في بلاد المغرب كانت نتائجها وخيمة على الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية خاصة في المدن والأرياف³ .

انتشرت الديانة المسيحية في بلاد المغرب عن طريق التجار من المشرق و الغرب، حيث اعتنقها الكثير من شرائح المجتمع الفقير المضطهد⁴ لما فيها من مساواة وحقوق تخدم الطبقة الفقيرة المضطهدة في الأرياف و المدن⁵ .

وقد انتهت سلسلة الاضطهادات الدينية التي مست رجال الدين المسيحيين و المعتنقين للديانة المسيحية في المغرب القديم مع اعتناق الإمبراطور قسطنطين للديانة المسيحية وإعلانها ديانة رسمية ووحيدة للإمبراطورية الرومانية⁶ .

ولكن فيما بعد ظهرت تيارات مسيحية أخرى ضد التيار الكاثوليكي زادت من تأزم الأوضاع الدينية في المنطقة⁷، نقصد التيار المسيحي المعروف بالحركة أو المذهب الدوناتى وهم أتباع القديس دوناتوس (Donatus) ، حيث شكلت الحركة الدوناتية وأتباعها خطرا كبيرا على المسيحية الكاثوليكية في بلاد المغرب⁸ و في المقاطعات الرومانية الأخرى، وأصبح هناك كنيستين مسيحييتين كنيسة الإمبراطورية وهي الكنيسة الكاثوليكية

¹ - Martroye F, Genséric, librairie hachette, paris, 1907, p03.

² - Le Bohec Y, l'Afrique à la fin du bas empire, op-cit,p23.

³ - Courtois Ch, Op-cit, p148-149.

⁴ - محمد البشير شنيطي، الدوناتية وثورة الريفين خلال القرن الرابع،مجلة الأصالة، العدد 60، 1978، ص26

⁵ - Mesnage GM, le christianisme en Afrique romaine, Alger, 1914, p44.

⁶ - Serge .L, L'Antiquité tardive et le christianisme, Op-cit, p235

⁷ - الحبيب بولعراس،تاريخ تونس أهم التواريخ من عصور ما قبل التاريخ حتى الثورة،تر:الصادق بن مهني،سراس للنشر،تونس،2015م،ص174

⁸ - Baslez Marie-Froncoise, Les Persécution dans l'Antiquité, éd fayard, Paris, 2003, p381

والكنيسة الدوناتية أتباع المذهب الدوناتى، وقد غذى الدوارون الحركة الدوناتية وأعطوها قوة ونفسا كبيرا للتصدي للحملات الاضطهادية التي مستهم من طرف السلطة الرومانية¹، حيث اصبح دوناتوس أسقف قرطاج الجديد- بعد موت أسقف قرطاج ماجورينوس (Majourinus) - وبدأت أعداد أتباعه تتزايد بشكل كبير حتى أصبح يشكل خطرا يهدد الديانة الكاثوليكية (ديانة الإمبراطورية الرسمية)، وقد أدى هذا الأمر إلى صراع ديني طويل الأمد في المغرب بين الكاثوليك و الدوناتيين كبد الإمبراطورية الرومانية خسائر مادية و بشرية كبيرة كان لها انعكاسات وخيمة على المغرب و المقاطعات الرومانية الأخرى التي ستعكس على الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية بشكل كبير².

وقد عاشت الإمبراطورية الرومانية فوضى كبيرة بسبب الصراع الديني خاصة ما بين 320 و 370 م سالت بسببها أودية من الدماء³ وتكررت نفس المشاهد في بلاد المغرب، حيث تم اغتيال الكثير من رجال الدين ونُفي الكثير منهم وتم مصادرة أملاك الدوناتيين والمتعاطفين معهم ونفيهم إلى الجنوب أو قتلهم⁴.

وعلى اثر الصراعات الدينية الداخلية التي عرفتها بلاد المغرب مع مطلع القرن الخامس ميلادي بدأت موجات وحملات القبائل الجرمانية تسعى للوصول إلى المغرب القديم وذلك لما اشتهر به من ازدهار ورخاء اقتصادي⁵، تأتي في مقدمة هاته الحملات حملة ألاريك⁶ (Alaric) ملك القوط سنة 410م، لكنها باءت بالفشل بسبب العاصفة البحرية التي حطمت أسطوله وشتته في البحر، لتكون بذلك حملة ألاريك أولى الحملات

¹ - Mandouze André, les donatistes entre ville et compagne ,C.T.H.S ,110^e congrès nationale de société savantes ,Montpellier,1985,3^e colloque sur l'histoire de l'archéologie d'Afrique du nord ,193-217.

² - Martroy F Genséric, librairie hachette, paris, 1907, p08.

³ - Serge L, Actes de la conférence de Carthage en 411, éd Turnhout, Paris, 1974, p1216-1218.

⁴ - Duval. Y, Chrétiens d'Afrique à l'aube de la paix constantinienne, paris, 2000, p488

⁵ - Gibbon E ,op-cit, p987.

⁶ - نظم ألاريك Alaric ملك القوط حملة إلى بلاد المغرب، انطلق فيها من صقلية بجيش كبير كان الهدف من وراءها القضاء على روما و احتلال بلاد المغرب، مغتتما في ذلك الأوضاع التي آلت إليها المنطقة و كثرة الصراعات فيها...انظر :

- Martroye F, Op-cit, p02

التي تهدف إلى احتلال بلاد المغرب من قبل القبائل الجرمانية مهدت لحملات أخرى كانت ناجحة بقيادة جنسريق ملك الوندال سنة 429م¹ .

بالإضافة إلى الصراعات السابقة استغلت القبائل المورية الصراع الديني أواخر القرن الرابع للوصول إلى استقلالها، من هاته الثورات "ثورة فيرموس وجيلدون"² كما سبق الذكر³ حيث تحالفت مختلف القبائل مع القادة الثائرين، وانضمت مخنف شرائح المجتمع المغاربي القديم إلى الحركة الدوناتية التي انضم لها أيضا ما يعرف بحركة الدوارون (les circoncellions)⁴ الذين نعتهم القديس أوغسطين بعساكر الدوناتية⁵ .

وكانت أولى شرارات المقاومة سنة 370م و التي بدأت من جبال منطقة القبائل حاليا حيث أدت ثورة فيرموس⁶ إلى زرع الرعب في روما، وقد قابلتها روما بسياسة القتل و التتكيل الذي مس أعيان و أشرف القبائل الثائرة أو القبائل التي تساند ثورة فيرموس .

وللقضاء على هذه الثورة أرسلت روما وعينت سنة 373م قائدا عسكريا هو فلافيوس تيودوسيوس (Flavius Thédosius) بجيش كبير من الجنود قصد القضاء على الثورة لكن كل محاولاته باءت بالفشل بسبب قوة الثورة ومهارة قائدها فيرموس ، لم تجد روما طريقا للقضاء على فيرموس سوى باللجوء سياسة الترغيب و التهيب، وهي السياسة التي تتقنها، وقد مارستها طيلة الاحتلال، فعملت على استمالة أخيه وقائده العسكري جيلدون مقابل مكاسب مادية و إدارية، فكانت نهاية الثورة بمؤامرة مع هذا الأخير ضد أخيه ، لكن

¹ - Martroye.F, ,Op-cit, p02

² - جيلدون **Gildon** : قائد عسكري في الجيش الروماني مع نهاية القرن الرابع ميلادي، وشقيق فيرموس، قام بثورة كبيرة ضد الرومان في عهد الإمبراطور هونوريوس سنة 393م ، جمع ما يزيد عن 70 ألف جندي، انهزم في الأخير على اثر خديعة من أخيه مغزيل سنة 368مانظر:

- Dictionnaire Univers d'histoire et géographie, p623

³ - Serge .L, l'antiquité tardive et le christianisme, Op-cit, p236

⁴ - الدوارون **Cerconcilion** : حسب اويطا الميلبي عصابات متمردة يتشكلون من مجموعة من الشباب يطوفون حول المزارع ومخازن الحبوب الرومانية ويمارسون عملية السلب والنهب ، وهم صعاليك قطاع طرق، يقول فيهم القديس أوغسطين هم الجناح العسكري للحركة الدوناتيةانظر :

- محمد الصغير غانم، ثورة الريفيين الاوراسية ضد الاستعمار الروماني، مجلة التراث، العدد13، 2005، ص.ص15-19.

⁵ - خليفة الشاطر و آخرون ، المرجع السابق، ص211-212.

⁶ - Serge .L, l'antiquité tardive et le christianisme, Op-cit, p236

جيلدون لم يستمر في التحالف مع الرومان واكتشف خطأه ونوايا الرومان، وبمجرد اكتشافه لخططهم التوسعية قام بإعلان الثورة هو الآخر ضد روما انتهت بالفشل بعد عدة هزائم ألحقها بالجيش الروماني .

وما يمكن قوله في آخر هذا المدخل أن الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية في جميع الميادين السياسية والعسكرية ، انعكست على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية مع أواخر القرن الرابع ميلادي خاصة في بلاد المغرب القديم، الأمر الذي فتح الباب أمام مجموعة من القبائل الموربة في الاوراس و القبائل و الصحراء إلى السعي للاستقلال ومحاربة السلطة الرومانية والتخلص من الضرائب المفروضة عليهم .

كما أدى ضعف الإمبراطورية الرومانية بعد انقسامها إلى طمع مجموعة من القبائل الجرمانية إلى السيطرة على المقاطعات الرومانية المزدهرة، بما فيها بلاد المغرب القديم، من هذه القبائل قبائل القوط والقبائل الوندالية هذه الأخير هي محور بحثنا خاصة فيما يتعلق بانتقال الوندال من القسم الأوروبي إلى القسم الإفريقي واستغلال الظروف التي تمر بها روما والسعي للوصول إلى العاصمة قرطاج.

الباب الأول:

القبائل المورية و دولة الوندال

الفصل الأول: أهم مصادر تاريخ المغرب القديم في الفترتين

الوندالية و البيزنطية

- I. بروكوب القيصري Procope
 - II. كوريب Corripe
 - III. فيكتور الفيتي Victore de vita
 - IV. ايزيدروس الاشبيلي Isidrose de Séville
 - V. تشريعات الإمبراطور جوستينيان Codex Justinien
 - VI. المصادر العربية
 - VII. المصادر المادية
- أ. ألواح البيرتيني les tablettes d'albertini
 - ب. نقيشة اريس inscription Ariss
 - ج. نقيشة التافا Inscription Altava
 - د. أضرحة الجدارات les Djidars

قلّة المصادر التاريخية المادية والكلاسيكية التي تتحدث عن تاريخ بلاد المغرب القديم في الفترتين الوندالية البيزنطية جعل الباحثين ينفرون من دراسة هذه الحقبة الزمنية التاريخية رغم أهميتها، وأدى ذلك إلى الاهتمام بتاريخ المنطقة في الفترة الرومانية دون غيرها من الفترات الأخرى، الأمر الذي يحتم على الباحث في هذه الفترة الاعتماد على المصادر المتوفرة رغم قلة المعلومات التاريخية فيها الخاصة بالمنطقة، ورغم ما تحويه من أحداث لا تتناسب و الحقيقة التاريخية .

ومن المصادر التاريخية التي لا يمكن الاستغناء عنها في الكتابة التاريخية لبلاد المغرب في الفترتين الوندالية والبيزنطية مؤلفات بروكوب القيصري وفكتور الفيتي وأشعار كوريب بالرغم من شح المادة الخبرية فيها التي تخص تاريخ المنطقة، إضافة إلى بعض البقايا المادية والنقوش التي تعود للحقبتين الوندالية والبيزنطية، الأمر الذي يحتم على الباحثين التحليل أكثر للوصول إلى الحقيقة التاريخية .

وسنحاول في هذا الفصل تسليط الضوء على أهم المصادر التاريخية التي تتحدث عن تاريخ بلاد المغرب في الفترتين الوندالية والبيزنطية بنوع من النقد والتحليل لما ورد فيها من معلومات وأحداث تتعارض والحقيقة التاريخية، وسنحاول إعطاء لمحة تاريخية عن أهم المصادر المادية و الكلاسيكية التي تخص الفترة المدروسة، والتي من شأنها التقليل من اللبس والإبهام الذي يشوب بعض الحقائق التاريخية .

1. بروكوب القيصري (Procopé de Césarée):

أ- حياته:

لم تصلنا معلومات وفيرة عن حياة بروكوب القيصري أو عن عائلته سوى ما نعرفه عنه من خلال مؤلفاته، وهو مؤرخ ببيزنطي ولد في قيصرية (فلسطين) نهاية القرن الخامس ميلادي أو في بداية القرن السادس ميلادي، لكن الظاهر أنه من عائلة ارسنقراطية غنية ذات نفوذ كبير في قيصرية بفلسطين، الأمر الذي ساعده على الترحال والتعلم والتكوين¹.

عمل موظفا في البلاط الإمبراطوري، درس الآداب القديمة و القانون، كما اشتغل بالمحاماة بادئ الأمر في القسطنطينية ثم عين أمينا سر خاصا للقائد بليزارايوس (Blésarius) عام 527م²، صاحب بليزارايوس في حملاته على بلاد فارس ضد الساسانيين ما بين 527-531م على كل من بلاد المغرب ضد الوندال ما بين 533-534م³ وإيطاليا ضد القوط الشرقيين ما بين 536-540م، كما شغل نفس المهمة في الكتابة الخاصة للقائد صولومون ما بين 534-536م في المغرب القديم⁴.

رجع إلى القسطنطينية سنة 540م⁵، ثم عين واليا فيها ما بين سنة 562م-563م وتوفي حوالي 565م⁶، وهناك من يقول انه توفي ما بين 560-560م وفي هذه الفترة ألف كتابه الأخير "البنائيات أو عمائر جوستينيان"

¹ - Procope de Césarée, Histoire secrète, trad. Pierre Maraval, éd les belles lettres, paris, 1990, p09

² - ألبير عياش، تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر عبد العزيز بل الفايذة، ط1، الرباط، 2008م، ص102.

³ - Géroudet N et Ménard H, op-cit, p76.

⁴ - بن حرييط ماجدة علي، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي (533-647م)، ط1، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس، 2012م، ص17.

⁵ - Procope, H S, trad. Roque D, op-cit, p10

⁶ - اسكندر فايز نجيب، الشمال الإفريقي في عهد الوندال في مصف المؤرخ المعاصر فيكتور دي فيتا، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، العدد05، 2006/2007م، مصر العربية للنشر، القاهرة، ص146

كما يسميه بعض المؤرخين¹، والمعروف عنه أيضا تعصبه للنصرانية الكاثوليكية وهو المذهب الذي كان يدين به الإمبراطور جوستينيان، ويظهر ذلك الأثر واضحا في الكثير من الروايات و الإحكام في النصوص التي كتبها².

ب- مؤلفاته : تصنف كتبه إلى ثلاث أقسام :

1- التواريخ أو تاريخ الحروب (Les Guerres):

وينقسم كتاب الحروب أو كما يسميه بعض المؤرخين حروب جوستينيان إلى عدة أجزاء منها الحروب ضد الفرس و الوندال و القوط وعددها ثمانية كتب، وهي في أربع مجلدات وقد نشرت الأجزاء السبعة الأولى في حدود سنة 551م-550م، أما الجزء الثامن فيرجح أنه نشر في حدود سنة 553 أو 554م³ :
وقد تم نشر الأجزاء السبعة الأولى في حدود سنة 551م، وهي كالتالي:

- المجلد الأول يضم جزأين (02) يتناول فيهما المؤلف تاريخ الحروب البيزنطية ضد الفرس (la guerre contre les Perse) ما بين 527-533م و 540-542م .
- المجلد الثاني يضم جزأين (02) يتناول فيهما المؤلف تاريخ الحروب البيزنطية ضد الوندال (la guerre contre les Vandales) في إفريقيا وضد الممالك المورية ما بين 534-548م⁴ وانتصارات القائد جون تروقيليتا على القبائل المورية.
- المجلد الثالث يضم ثلاثة أجزاء (03) يتناول فيها الكاتب تاريخ الحروب البيزنطية ضد القوط الشرقيين (la guerre contre les Goths) في ايطاليا وبعض الشعوب الباربارية في البلقان ما بين 544-550م⁵.

¹ - Procope de Césarée, construction de justinien 1^{er}, trad Denis Roques, éd dell'orso alessandria,2011,p01.

² - خشم علي فهمي، نصوص ليبية ، المؤسسة العامة للثقافة ، ليبيا،2009م ،ص 167

³ - Procope, construction de justinien 1^{er}, trad. dénis roques, op-cit, p6.

⁴ - Noëlle Gérardet et Hélène Ménard, l'Afrique du nord de l'atlantique à la tripolitaine 69-439, éd belin, paris, 2005, p76.

⁵ - Procope, H.S, trad. Pierre Maraval, op-cit, p10.

- المجلد الرابع يضم جزءا واحدا (01) ويعتبر تكملة للكتب السابقة¹ وقد ألفه سنة 552م، وهو عبارة عن تكملة لما سبق من الكتب، يتحدث فيه بروكوب عن الحروب ضد القوط والفرس والأوضاع في منطقة الدانوب .

2- عمائر جوستينيان (Construction de Justinien/ Les Edifices):

وتنقسم إلى ستة أجزاء، وتضم قائمة الأعمال والمنشآت العامة التي أنجزت في عهد الإمبراطور جوستينيان، وقد ألف "العمائر" برغبة إمبراطورية سيما أنها تحوي انطباعات شخصية كثيرة ، ويتميز كتاب العمائر أو البنايات بطابع رسمي وتملق الإمبراطور وتمجيد أعماله² .

كما يحتوي على لائحة بأسماء الحصون التي أقامها الإمبراطور جوستينيان في مختلف مناطق بلاد المغرب، هذا ولم يفصل الكاتب بين المنجزات التي تعود بشكل كامل للإمبراطور وبين البنايات التي تم ترميمها وإعادة بناءها³ ، والظاهر أن بروكوب ألف كتاب بنايات أو عمائر جوستينيان في حدود سنة 554م⁴ .

تحت بروكوب في هذا الجزء عن أهم البنايات و المنجزات العمرانية التي أقيمت في فترة حكم الإمبراطور جوستينيان والتي كان له الفضل الكبير في تشييدها وفي إعادة بعثها من جديد، غير أن هذا الكتاب لا يساعدنا كثيرا في فهم الأحداث التاريخية و مجرياتها، لكنه يفيدنا في إبراز الطابع والسياسة التي سار عليها الإمبراطور جوستينيان في بناء العمارة الدفاعية بالخصوص في بلاد المغرب القديم كإستراتيجية أمنية وعسكرية، والتي كان الهدف منها التصدي للهجمات الموريرية، وهو ما يهمننا كثيرا في دراسة الجانب

¹ - Procope, construction de justinien 1^{er}, trad.denis roques,opcit,p6

² - خشيم ع.ف، المرجع السابق،ص168

³ - بن حريبط ع.م، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق،ص25

⁴ - Procope, H.S, trad. Pierre Maraval, op-cit p10

العسكري والعمارة الدفاعية في عهد الإمبراطور جوستينيان¹ وهو ما سنتطرق إليه في آخر البحث من الدراسة .

الظاهر أن الدافع من وراء كتابة بروكوب للمؤلف هو كسب رضى وعطف الإمبراطور جوستينيان، يظهر من ذلك أن بروكوب كان ينتظر المكافأة من الإمبراطور أو كأنه كان يسعى إلى مناصب إدارية في البلاط الإمبراطوري، أو ربما هو محاولة إصلاح خطأ ما ارتكبه بروكوب في حق الإمبراطور جوستينيان²، وقد ذكر بروكوب في هذا المؤلف أن الإمبراطور جوستينيان استطاع أن يبني أو يرمم أو يعيد بناء عن ما يزيد عن 1128 وحدة أو بناية فيما بين 527-565م ، وهذا في كل المناطق التي أخضعها إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية في الشرق و الغرب وبلاد المغرب³.

3- التاريخ السري، الأشياء الدفينة أو الذكريات (L'Histoire Anecdote Secrète ou) :⁴

وهي مؤلفات لم تنشر في حياة المؤلف بروكوب لأنها تحتوي أشياء سرية عن الإمبراطور جوستينيان وقائده بليزار وعائلاتهم⁵، كتب المؤلف "التاريخ السري" (Histoire Secret) باللغة الإغريقية و المعنون ب" الأشياء الدفينة " ، وهناك من المؤرخين أمثال ايزمبير (Isambert) من اعتبروا أن مصطلح (Anecdote) يعني الكتاب السري، يحتوي المؤلف على مجموعة من الأحداث و الوقائع التي لا يجب تبليغها للعامة، وربما

¹ - اللبار محمد، إفريقيا الوندالية بين الحملات البيزنطية والثورات المورية (429-534م)، ط1، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، فاس، 2002م، ص15.

² - بن حريبط م.ع ، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص25.

³ - Procope, construction de justinien 1^{er}, trad.denis roques,op-cit,p9 .

⁴ - انظر :

- Ernest Renan, Anekdotia ou histoire secret de Procope, article Parudans le journales des debat,19 juillet 1857,pp.202-211 .

⁵ - خشيم ع ف، المرجع السابق، ص167-168.

سمي هذا الكتاب بهذا المصطلح لأن الطريقة التي روى بها الكاتب تشبه طريقة حكاية النوادر¹.

والتاريخ السري هو الكتاب التاسع ضمن مؤلفات بروكوب، يؤرخ بالسنة الثانية و الثلاثون من تاريخ حكم الإمبراطور جوستينيان أي أن المؤلف تم كتابته ما بين 558-559م لأنه لا يحتوي على أي أحداث تاريخية بعد سنة 559م يعود ذلك ربما إلى وفاة الكاتب، وهناك من يرى أن تاريخ كتابة بروكوب "التاريخ السري" كان سنة 550م²، و يهدف المؤلف من وراء تأليف هذا الكتاب إلى تغطية النقص الذي وجدته في تاريخ الحروب، حيث لم يبح بالحقيقة الكاملة التي كان يريد البوح بها لأسباب نجلها³.

كما تميز التاريخ السري بفضح مجموعة من الجرائم السياسية و الاجتماعية و الأخلاقية التي ارتكبتها الإمبراطور جوستينيان وزوجته تيودورا⁴ (Théodora) والقائد بليزاريوس وزوجته أنطونيا (Antonia)⁵، كما تناول فيه التاريخ الإداري و الاقتصادي للبيزنطيين بصفة خاصة و لم يتطرق إلى بلاد المغرب و تاريخه وعليه فهو لا يفيدنا كثيرا في البحث الخاص بنا ، لأنه لم يتطرق إلى الأحداث التي مست المنطقة و التي تهمنا في هذه الدراسة و بالخصوص تاريخ بلاد المغرب في الفترة المتأخرة من التاريخ القديم⁶، ورغم ذلك لا يمكن الاستغناء عنه فهو يعطينا صورة عامة عن الأوضاع التي كانت تعيشها الإمبراطورية البيزنطية في أواخر فترة حكم الإمبراطور جوستينيان والتي كانت لها انعكاسات على بلاد المغرب.

وحسب ماجدة بن حرييط أن سبب تأليف بروكوب للتاريخ السري مرتبط بانفعاله الشديد، حيث انتقد فيه السياسة البيزنطية وهي سياسة الإمبراطور جوستينيان، كما انتقد

¹ - Procope, construction de justinien 1^{er}, trad. Denis roques, op-cit,p6.

² - Procope, H.S, trad. Pierre Maraval, op-cit, p10

³ - بن حرييط م.ع ، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص24،23

⁴ - Procope, H.S, trad. Pierre Maraval, op-cit, p15-16.

⁵ -Ibid ,p19

⁶ - اللبار م إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص15.

زوجة الإمبراطور تيودورا وكذا بليزاريوس وزوجته انطونيا فكان المؤلف وكأنه تقرير عن جرائم وحشية قامت بها السلطة الإمبراطورية وإهمالهم للواجب اتجاه الشعب، وقد تكون جرأة بروكوب لكتابة هذا المؤلف كانت بعد وفاة الإمبراطورة تيودورا، وتقدم الإمبراطور في السن حيث بلغ آنذاك حوالي سبعين عاما، ولكن المؤلف لم ينشر في حياة بروكوب مما طرح مسألة الشك في كونه صاحب الكتاب ، لكن الأمر لا يعتمد على دليل ملموس لأن مومسن (Moumsen) الخبير بالمصادر التاريخية لهذه الفترة لم يشك إطلاقا في انتسابه لبروكوب وأنه صاحب الكتاب¹ .

هذا ورغم المعلومات المشكوك في صحتها و الواردة في الكتاب السري لا يمكن الاستغناء عن ها المؤلف لما يحتويه عن معلومات و أحداث تاريخية عن الإمبراطورية البيزنطية والسلطة الحاكمة وعن السياسة الإدارية و العسكرية التي كانت تنتهجها اتجاه المقاطعات التي تم التوسع فيها بما فيها بلاد المغرب القديم .

ج- أهمية كتب بروكوب في تاريخ بلاد المغرب القديم :

تتجلى أهمية مؤلفات بروكوب في المكانة التي كان يحتلها ووظيفته الإدارية ومنصبه السياسي ككاتب ومستشار للقائدين بليزاريوس وفيما بعد للقائد صولومون²، و هو الأمر الذي أهله للوقوف على العديد من الأسرار و الأحداث، وهذا بفضل إقامته في بلاد المغرب ومعايشته للأحداث فيها عن قرب، الأمر الذي يجعل بعض كتاباته مقبولة ، كما أن اطلاعه الكبير على كتابات المؤرخين الأقدمين يضعه في مكانة رفيعة ومرموقة بين المؤرخين القدماء، وقد اطمأن لكتاباته مجموعة من المؤرخين المعاصرين أمثال ماركوس (Marcus) و يانوسكي (Yanoski) و ديال (Diehl) ومارطروي (Martroye) وكورتوا (Courtois) ، و شكك في مصداقيته ومصداقية المعلومات التي ساقها لنا كل من

¹ - بن حريبط م.ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص25

² - Procope, H.S, trad. Pierre Maraval, op-cit, p15.

شميت (Chmidte) وستين (Stein) وكامرون (Cameron) خاصة ما تعلق الأمر بأحداث القرن الرابع ، التي جهل عنها الكثير من الوقائع التاريخية والتي ربما استقاها من كتابات معاصريه¹.

حيث عبر المؤرخ ستين (Stein) عن أهمية ما كتبه بركوب قائلاً: « إن ما رواه وكتبه بروكوب في تواريخه عن ثلثي عهد جوستينيان، أغنى بكثير مما روته المصادر عن عهد شيشرون وقيصر² ». .

ونهتم في بحثنا بشكل أساسي بكتاب الحروب ضد الوندال، وهو المجلد الثاني الذي يحتوي جزئين ، حيث يشتمل الجزء الأول على خمسة وعشرون فقرة، أما الجزء الثاني فيحتوي على ثمانية وعشرون فقرة، وهو الأهم بالنسبة لدراستنا خاصة الفقرات الأربعة عشر الأخيرة التي تحكي عن الحروب التي خاضها البيزنطيون ضد المور في بلاد المغرب ما بين 534-548م، وبالخصوص حروب القائد صولومون ضد القبائل المورية، كما يتضمن أحداث الصراع بين الملك الوندالي جلمير (Gelmir) والقائد البيزنطي بليزار، وأحداث معركة تريكاماروم (Tricamarum) وفرار جلمير إلى جبل كابوا (Caboua) وكيفية إلقاء القبض عليه وحاشيته و نهايته، ومصير الوندال في بلاد المغرب علي بعد سقوط دولتهم، ودور الإمبراطور جوستينيان في ذلك.

كما خصص بروكوب السبع فقرات الأولى من الجزء الأول للحديث عن تاريخ الإمبراطورية الرومانية في نهاية القرن الرابع و الخامس ميلادي وهو تاريخ انقسام أو بداية انقسام الإمبراطورية الرومانية، وتحدث فيه عن مختلف الأحداث الى غاية وفاة الملك الوندالي جنسريق سنة 477م، حيث أبرز فيه العلاقات الوندالية الرومانية البيزنطية و كيفية دخول الوندال شبه الجزيرة الأيبيرية وتحركاتهم في أوروبا وبلاد المغرب، و مراحل

¹ - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص14.

² - بن حريبط م ع ، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص15.

احتلالهم بلاد المغرب سنة 429م، كما تضمن حملة جنسريق على روما سنة 455م، وفشل حملة ماجوريان (Majorien) على الوندال سنة 460م، وانهزام القائد بازيلسكوس (Basiléscus) سنة 468م في عهد الإمبراطور البيزنطي ليون الأول (Lion1) في حملته على بلاد المغرب ضد الوندال .

وتضمنت باقي الفصول الصراع الوندالي الموري بعد وفاة الملك الوندالي جنسريق وكذا الصراع الموري ضد البيزنطيين خاصة في عهد جوستينيان، وحملة هذا الأخير على بلاد المغرب ، لينهي كتابه بسرد أحداث الحملة البيزنطية على المنطقة والتحضيرات التي قام بها بليزار والمعارك التي خاضها للقضاء على الوندال سنة 533م ، ونهاية الاحتلال الوندالي وبداية السيطرة والتوسع البيزنطي في المنطقة.

1. كوريب (corippe):

أ- حياته:

الاسم الكامل لكوريب هو فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس (Flavius Cresconius Corripus) لا نعلم الكثير عنه¹، وعرف بأنه أحد أساقفة بلاد المغرب، عاش خلال فترة حكم الإمبراطور جوستينيان و جوستان الثاني، نجد اسمه في مواضع أخرى باسم كوريبوس النحوي الإفريقي (Corripus Africanus Grammaticus) ويظهر من ذلك أنه ربما شغل منصب مدرس للنحو في العاصمة قرطاج² .

كتب كوريب مؤلفا عن الإمبراطور جوستان الثاني (Justin II) ما بين سنتي 566-567م وكان في تلك الفترة طاعنا في السن كما يذكر في مقدمة عمله³، الأمر الذي يدفع

¹ - Corripe , Eloge de l'Empereur Justin II, trad. Serce Antès, les belles lettres, paris, 2002, p12.

² - Zarini Vincent, mauri romani afri. Le regard de Corippe sur l'Afrique byzantine et l'identité de ses populations, ouvrage identités et cultures dans l'Algérie antique, publication des universités de Rouen et de havre, 2005, p408.

³ - اللبار م ، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص18.

إلى الاعتقاد أنه ولد في بداية القرن السادس ميلادي¹، وهناك من يقر أنه ولد ببلاد المغرب أواخر القرن الخامس و بداية القرن السادس².

أما أصوله فالمرجح أن يكون إفريقي الأصل و المولد، لذلك سمي بالإفريقي (Africanus) ووصف بالنحوي كناية عن عمله وعلمه الكبير و الواسع بالمغرب وقبائله، ويظهر ذلك في ملحمة الحرب الليبية الرومانية حيث كانت جل أعماله مقصورة على المناطق الريفية من بلاد المغرب³.

تلقى تعليمه في المدارس الرسمية آنذاك، حيث درس اللاتينية وربما امتهن مهنة التدريس فيما بعد في ضواحي مقاطعة قرطاج لذلك أطلق عليه اسم أو لقب كوريب النحوي (Corripus Gramaticus) اللقب الوارد في مخطوط مدريد⁴.

وهناك من المؤرخين من يرى أنه اشتغل بالشعر الذي كان مورد رزق بالنسبة له، ولم يشتغل بالتدريس حسب ما يظن البعض، ذلك انه كان يصف نفسه بالجاهل، والظاهر أن وصفه لنفسه بالجاهل هو الرغبة في إظهار التواضع لا غير ذلك لما تركه من شعر رائع وهو ما يظهر تميزه وعلمه بالأدب و الشعر في نفس الوقت⁵.

و هناك من يقر أنه التقى مع قائد الحملة التي أرسلها الإمبراطور جوستينيان، القائد يوحنا تروقيليطا (Jean Troukilita) وكانت لهما علاقات صداقة هذا الأخير الذي لعب الدور الكبير في إخماد الثورات المورية التي انتشرت في كامل بلاد المغرب ما بين 546-548م، الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد في تاريخ كتابة "اليوحانية" حيث يمكن القول انه

¹ - Géroutet N et Ménard H, op-cit, p76.

² - Corripe ,éloge de l'Empereur Justin. II, op-cit, p12.

³ - فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية، تر.محمد الطاهر الجراي، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، ليبيا، 1988، ص15

⁴ - Corripe ,éloge de l'Empereur Justin. II, op-cit, p12

⁵ - كوريبوس ف.ب.ك، المرجع السابق، ص16.

ألفها في حدود 550م¹ ، واستغرق تقريبا سنة أو سنتين لكتابتها وكان ذلك بعد الانتصار الذي حققه القائد البيزنطي جون تروقيليطا على القبائل المورية المتحالفة² أو بما يعرف بالحرب المورية الكبرى 544-545م.

والظاهر أن الشاعر كوريب قد رافق القائد يوحنا في كثير من حملاته ومعاركه ضد الممالك المورية مابين 546-548م ، حيث كتب في ذلك أشعارا كثيرة عن قائد الحملة جون تروقيليطا ومساعديه، لتتقطع أخبار الشاعر بعد ذلك لمدة عشرون سنة تقريبا، ليظهر من جديد سنة 565م وهو يلقي قصيدته الشعرية في حفل تتويج الإمبراطور جوستان الثاني إمبراطورا على بيزنطا بعد وفاة جوستينيان³ .

انتقل الشاعر بعد ذلك إلى بيزنطة ربما كمكافئة له على المدح والإطراء الذي ذكره في شعره عن القائد يوحنا وعن الإمبراطورية البيزنطية⁴ ، حيث حظي بمكانة مرموقة في القصر الإمبراطوري في عهد جوستان الثاني، ويشير في قصيدته الثانية الأبيات 42-48 إلى إنعامات الإمبراطورية البيزنطية عليه⁵، ولا نعرف تاريخ وفاته والمرجح أنه أكمل حياته في بيزنطا وتوفي بها ولم يرجع إلى بلاد المغرب .

ب- مؤلفاته :

نجهل أشياء كثيرة عن كتابات ومؤلفات الشاعر، وما وصلنا عنه يتلخص في عملين شعريين :

1. ملحمة الحرب الليبية الرومانية (Johannide): أو كما تعرف ب "اليوحانية"

نسبة إلى بطلها جون تروقيليطا وهي الموسومة أيضا بإسم "يوحانية الحروب الليبية"، وهي

¹ - Moderan Yves, les premiers raids des tribus sahariennes en Afrique et la johannide de corippus, 113^e congres nationales des société sanantes ,strasbourgue ,1988,IV colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du nord ,t II, ed CTHS, paris,1991, p480.

² - Corripe ,éloge de l'Empereur Justin II, op-cit, p13.

³ - Ibid, p14.

⁴ - Ibid, p14.

⁵ - كوريبوس ف.ك، المرجع السابق، ص17-16.

ملحمة شعرية لاتينية تحمل موضوع تاريخي، وعملية مدح في ثمان أجزاء¹، أو ما يقارب 4700 بيت شعري².

تتألف ملحمة كوريب من ثمانية فصول أو أجزاء³ وهي ناقصة، تمحور نسيجها الأدبي حول وقائع تاريخية ثابتة وهي الحملة البيزنطية لإعادة احتلال بلاد المغرب القديم ما بين 546-548م، وهي أهم مصدر يؤرخ لأوضاع بلاد المغرب القديم أواخر النصف الأول من القرن السادس ميلادي⁴.

ولقد تم العثور على ثلاثة مخطوطات لملحمة كوريب في العصور الوسطى وهي :

1. مخطوط مونت كاسان (Mont Cassin) وقد حمل اسم (Cresconius)
(Debellis Libicis) والذي يؤرخ ما بين 1058 و1085م .
2. مخطوط بودا (Buda) حفظ في خزانة خاصة أنشأها ماتياس (Mathias) وقد فقد المخطوط بسبب الحملة التي قادها سليمان العثماني على هنغاريا و الاستيلاء على بودا حيث تعرضت المكتبة للنهب⁵ .
3. مخطوط تريفلوتيانوس (Trivoltianus) الذي سماه مازوشيلي (Mazzucheli) بمخطوط ميلان (Milan) ولم يحمل هذا المخطوط اسما للملحمة، وانفردت أجزاء عثر عليها في فيرون (Vérone) بذكر الاسم الحقيقي للملحمة وهو " اليوحانية " ويسميتها البعض ب "يوحانية الحرب الليبية" كما سبق الذكر .

¹ - Zarini V, op-cit ,p407.

² - Moderan Yves, les premiers raids des tribus sahariennes en Afrique et la johannide de corippus, Op-cit, p480.

³ - Géroutet N et Ménard H, op-cit, p76.

⁴ - كوريبوس ف.ك، المرجع السابق، ص18

⁵ - Corripe , éloge de l'Empereur Justin. II,op-cit,p11.

وتعتبر الترجمة التي قام بها الفرنسي أليكس (Alix) من بين أحسن الترجمات - إلى حد الآن - إلى اللغة الفرنسية، والتي نجدها منشورة في المجلة التونسية (R.T Revue Tunisienne)¹.

تتضمن اليوحانية مقدمة وجزئين:

- المقدمة من البيت الأول إلى البيت الأربعون، حيث عبر فيها الشاعر عن رغبته في التغني ببطولات يوحنا القائد العسكري البيزنطي .

- الجزء الأول: يشمل الأناشيد الأول و الثاني و الثالث و الرابع حيث إهتم في النشيد الأول بالعودة إلى الماضي وذلك بالتذكير بالدور البطولي للجنرال البيزنطي تروقيليتا في الحملة التي قادها بليزاريوس وتقديم فهرس للقبايل المورية، وفي النشيد الثاني ذكر بعض الجوانب التاريخية، ونلمس في النشيد الثالث و الرابع محاولة إعطاء لمحة عن تاريخ إفريقيا في النصف الأول من القرن السادس ميلادي من خلال التعرض لحياة القائد الموري انتالاس (Antala) .

- الجزء الثاني: يشمل الأناشيد الخامس السادس و السابع وصور فيه كوريب مختلف مراحل الحرب الليبية مركزا في ذلك على مختلف الانتصارات التي حققها البيزنطيون و فرار الموريين، خاصة المعارك التي قادها جون تروقيليتا وذلك لإبراز قوة وحنكة هذا الأخير في التخطيط والانتصار خاصة المعارك التي كانت ما بين 546-548م².

لا يمكن الوثوق في كل ما ذكره الشاعر كوريب لأنه أراد بذلك التقرب إلى السلطة الحاكمة، و بالخصوص إلى القائد البيزنطي جون تروقيليطا، الأمر الذي يضعف من حقيقة الأحداث والمعلومات التي يتغنى بها، لأنه بذلك يسعى إلى ذكر محاسن القائد والجيش البيزنطي والإمبراطورية البيزنطية للوصول إلى رضاهم وتحقيقا لأهدافه والوصول

¹ - بن حرييط م.ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص30-31
² - نفسه، ص32-33

إلى ما كان يسعى إليه، حتى وان تطلب الأمر الكذب التقييح والسخرية من العدو وهي القبائل المورية التي ينتمي إليها .

كما لا يمكن الاستغناء عن مؤلفات كوريب لأنها تضم أسماء قبائل وزعمائها ومناطق استقرارها وانتشارها، ونظام حياتها...الخ، فهو بذلك يصور لنا الحياة الاقتصادية والاجتماعية وكذا السياسية والعسكرية لبلاد المغرب في النصف الثاني من القرن السادس ، كما يجب الحذر من الأحداث المسرودة وعدم الأخذ بها إلا بعد تحليل وتمحيص للوصول الى الحقيقة التاريخية .

2. **قصيدة طويلة في مدح الإمبراطور جوستان الثاني (Justin II) :** وتكتسي هي الأخرى أهمية تاريخية كبيرة كونها تعتبر مصدرا هاما بالنسبة للأحداث التي تلت نهاية فترة حكم جوستينيان، وهي معنونة ب(In / éloge de l'empereur Justin II laudem Iustini) ، وقد كتب هذه القصيدة بعد سنة 565م أي بعد وفاة الإمبراطور جوستينيان و بداية حكم الإمبراطور جوستان الثاني¹.

3. **قصيدة مدح لأثناس (Athanas) :** كان أثناس يشغل منصب محاسب في القصر الإمبراطوري في القسطنطينية²، وهناك من المؤرخين من يذكر أنه كان حاكما على مقاطعة إدارية في بيزنطا³.

ج- أهمية كتابات كوريب في معرفة تاريخ بلاد المغرب القديم :

تفيدنا أشعار كوريب في أشياء كثيرة أبرزها معرفة طبيعة بلاد المغرب وأهم القبائل و الممالك المنتشرة في القرن سادس ميلادي، والتي وقفت ضد السياسة التوسعية البيزنطية، كما تساعدنا في معرفة البيئة التاريخية و الاجتماعية للمنطقة وكذا معرفة

¹ - Corripe ,éloge de l'Empereur Justin. II, op-cit, p18.

² - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص18.

³ - Vincent Z,op-cit, p417.

سكان المنطقة وخصوصياتها و مواقعها خاصة القبائل الطرابلسية قبائل البيزاكينا وزغوان كما سبق الذكر.

حيث ألف كوريب ملحمة شعرية تمجد التوسع و الاحتلال الذي كانت السلطة البيزنطية تمارسه في بلاد المغرب، ولا نكاد نعثر في أشعار كوريب على سلبيات المحتل البيزنطي كالأضطهاد و الضرائب و التعسف المسلطة على السكان، الأمر الذي يؤكد استعمال الشاعر شعره لتحقيق أهداف ومكاسب مادية، وهو ما يضعف من الحقيقة التاريخية في الوقائع التي يسردها .

وقد أوجز لنا الكاتب في ملحمة أوضاع القبائل المورية و خصائصها عاداتها و تقاليدها و أماكن استقرارها وعتاد حربها وحياتها الاجتماعية و المعيشية، إلا أن هذا العمل لا يخلو من نقائص و تجاوزات تاريخية في بعض الأبيات وفي إضفاء الصبغة البطولية البيزنطية للقائد يوحنا، و ترسيخ الضعف و الجبن للمغاربة وزعماء المقاومة المورية¹ .

وما يعاب على أشعار كوريب أنها أبيات مدح، فيها الكثير من المبالغة و الإطراء² على بعض الأحداث و الانتصارات، فهي تحكي عن انتصارات عنصر أو قائد معين ضد قائد موري آخر، والهدف منها المدح للتقرب من السلطة لا الكتابة التاريخية، الأمر الذي يجعل مضامينها ضعيفة وليست حقيقية وفاقدة للموضوعية التاريخية³، فقد يمدح أي شخصية في السلطة للتقرب منها لتحقيق أهداف شخصية، وهو نفس الأمر كان مع القائد جون تروقيليتا والإمبراطور جويستان الثاني و الحاكم اتاناس⁴ .

¹ - كوريبوس ف.ك، المرجع السابق، ص17-18

² - Zarini V, op-cit, P417.

³ - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص18

⁴ - Zarini V, op-cit, p417.

إلا أنها تعتبر من المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها لدراسة تاريخ المغرب القديم في القرن السادس ميلادي، وقد تساعد كثيرا في دراسة تاريخ السكان المحليين وعلاقتهم بالسلطة البيزنطية، ولكن يجب استعمال هذا المصدر بحذر، ويجب التمهيد والتحليل للوصول إلى الحقيقة التاريخية كما هي لا كما أراد الكاتب أن يصورها، خاصة إذا علمنا هدف الكاتب من وراء الكتابة، فهو لا يكتب حبا للكتابة أو لإيصال أحداث معينة، فكوريب كتب لقائد ومدح آخر والهدف هو الوصول إلى مراتب ومكاسب معينة من خلال المدح، الأمر الذي تكون فيه الموضوعية غائبة تماما في كتاباته .

II. فيكتور دو فيتا (Victor de vita) :

أ-حياته :

حسب بول أوجي (Paul Hugé) فان فيكتور دي فيتا ولد سنة 455م، وهو أحد أساقفة مدينة فيتا (Vita)¹ والتي نجهل موقعها بالتحديد، وترجح الروايات التاريخية أنها تقع في مقاطعة البيزاكينا²، تم نفيه من طرف الملك الوندالي هنريك (Henric) فالتجأ إلى القسطنطينية وهناك ألف كتابه وعاد إلى بلاد المغرب واستقر في قرطاج في عهد الملك قونداموند (Ghoundamond) ، ليتم نفيه مرة أخرى في عهد الملك تراساموند (Trassamond) إلى جزيرة صقيلية و توفي هناك و يبقى تاريخ وفاته مجهول .

ويرى لونسال (Serge Lancel) أن فيكتور دي فيتا قد يكون ولد في النصف الأول من القرن الخامس ميلادي أي نحو 440-445م، حيث يكون قد بلغ سن الثلاثين سنة عندما أصبح أسقفا بقرطاج بداية من سنة 480م³.

¹ - Victor de Vita, histoire de la persécution vandale en Afrique, trad. serge Lancel, les belles lettres, paris, 2002, p04.

² - Ben Abbes M, la localisation de la patria vitensis , la cité de victore de Vita, actes de colloque international organisé à Tunis 29-30 novembre 2013,Tunis,2016,p51.

³ - Victor de Vita, HPV, trad. serge lancel, op-cit, p03.

وأما كورتوا (Courtois) فيرى أن فيكتور دو فيتا ولد ما بين 425 و 450م في مدينة فيتا، وشغل منصب الأسقفية في مدينة نجهل اسمها حيث لم توردها المصادر، كتب مؤلفه سنة 484م في قرطاج ثم أدخل عليه إضافات إلى حدود صدوره سنة 489م¹، عاش في قرطاج ولكن هذا لم يمنعه من معرفة أوضاع رجال الدين في المقاطعات الأخرى، خاصة التتكيل الذي عاشوه في مقاطعة البيزاكينا، وكانت تصله الأخبار عن طريق أصدقائه الأساقفة من المقاطعات الأخرى².

ويرى البعض الآخر من المؤرخين أن فيكتور دي فيتا ولد بين عامي 425 و 430م، ولا يعرف تاريخ وفاته، وأنه كتب مصنفة سنة 486م أو 489م حيث قضى بعض السنوات بقرطاج بصفة راهب لأكليروس قرطاج، الأمر الذي مكنه من الاطلاع على مظاهر الاضطهاد التي مست رجال الدين المسيحيين ببلاد المغرب في عهد الملك الوندالي هنريك، وقد أرخ لها بحوالي سنة 489م لما تم نفيه إلى إحدى القبائل المورية في المقاطعة الطرابلسية³.

هو صاحب كتاب الاضطهاد الوندالي للمسيحيين في إفريقيا (Historia Persécutionis Vandalicæ)⁴، عاش فيكتور دي فيتا في القرن الخامس ميلادي حيث عاصر فترة الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم، فهو بذلك أحد الشهود العيان الذين عايشوا السياسة الوندالية ضد المسيحيين ورجال الدين في بلاد المغرب القديم وكتبوا عنها كثيرا قصد لفت انتباه الإمبراطورية البيزنطية وكسب تعاطفها .

كتب مؤلفه (Historia Persécutionis Vandalicæ) ما بين 02 جويلية و 22 ديسمبر 480م، يحتوي هذا الكتاب على مشاهد من الاضطهاد والمعاملات الوندالية

¹ - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص09.

² - Victor de Vita, HPV, trad. serge Lancel, op-cit, p06.

³ - بن حريبط م.ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص40.

⁴ - Géroutet N et Ménard H, op-cit, p76.

الخشنة والوحشية حسب الكاتب ضد المسيحيين ومعتنقي الكاثوليكية في بلاد المغرب، والكتاب عبارة عن رسائل بعث بها فيكتور إلى القسطنطينية و الهدف منها إظهار الاوضاع الدينية وطلب التدخل و المساعدة وتخليص رجال الدين المسيحيين من الظلم الذي يعيشونه في المغرب القديم من طرف السلطة الوندالية وملوكها ، وهو الدافع الرئيسي من هذه الرسائل التي أراد الكاتب من خلالها أن يوصل الأوضاع التي يعيشها المسيحيين في المنطقة إلى الإمبراطور البيزنطي، حيث أراد إظهار ما يعانيه ويعيشه المسيحيين من إضطهاد وظلم¹، والتي ربما قد تجد تعاطفا من الإمبراطور، الأمر الذي قد يدفعه إلى التفكير في إنقاذ رجال الدين المسيحيين والمجتمع الروماني من السياسة التعسفية الوندالية المسلطة ضدهم، لهذا يمكن اعتبار هذا الكتاب عبارة عن رسائل استغاثة وطلب النجدة من أوضاع مزرية تعيشها بلاد المغرب ورجال الدين .

ب- مؤلفاته: تختلف الروايات التاريخية في عدد الكتب التي كتبها فيكتور دي فيتا غير انه لم يبقى بين أيدينا إلا كتاب واحد فقط وعنوانه:

- تاريخ الاضطهادات الوندالية (Historia Persécutionis Vandalicae) وينقسم هذا المؤلف إلى ثلاث أقسام أو أجزاء وهي:

● **الجزء الأول:** ويشمل أهم الأحداث التي جرت ما بين 429-477م تاريخ وفاة جنسريق²، ويضم إحدى وخمسون فقرة، ذكرت فيها أحداث عبور الوندال لجبل طارق واحتلالهم بلاد المغرب، وأهم أشكال الاضطهاد التي مارسها جنسريك على الكاثوليك ورجال الدين المسيحيين طيلة فترة حكمه.

● **الجزء الثاني:** يشمل الأحداث التي جرت ما بين 477-484م³ ويضم مائة وواحد فقرة، يسرد فيها الكاتب الأحداث التي عاصرت الملك هنريك، ويروي مدى تعصب هذا الأخير للمذهب الأريوسي، وطريقة اضطهاده للكاثوليك ونفي رجال الدين إلى الصحراء، كما

¹ -Charl Soumagne, Mélange d'archéologie et d'Histoire, Tunis,1968,p206.

² - Géroutet N et Ménard H, op-cit, p76.

³ - Ibid, p79.

يتحدث فيه عن وقائع المؤتمر الديني الذي عقد بقرطاج سنة 484م¹ والذي حضره أساقفة أريوسيين وكاثوليك، كما أدرج في هذا الجزء مبحثاً أطلق عليه اسم كتاب العقيدة الكاثوليكية (Liber Fidei Catholicae) وهو محاولة في علم اللاهوت .

● الجزء الثالث: يشمل إحدى وسبعين فقرة، يتحدث الكاتب فيه عن نهاية المؤتمر الديني المنعقد سنة 484م، كما ذكر فيه مختلف أساليب الاضطهاد الذي مورس على رجال الدين الكاثوليك في بلاد المغرب القديم في عهد الملك هنريك وما أصاب المنطقة من جفاف وقحط ومجاعة وطاعون، وأرفق كتابه بصرخة استنجد بالشرق البيزنطي وابتهاالا إلى الرب ليرفع غضبه عن بلاد المغرب وما تعانیه بسبب القبائل الجرمانية الوندالية، كما تحدث عن وفاة الملك و أظهر تشفيه لوفاته.

وبذلك يحتوي كتاب فيكتور دي فيتا (Historia Persecutionis Vandalicae) على جزئين ويؤرخ لفترتين، فترة حكم الملك جنسريق ويسرد أهم الأوضاع في عهد هذا الأخير أما الفترة الثانية نجدها في الجزئين الثاني و الثالث فيحتويان أحداثاً تاريخية تخص فترة حكم الملك هنريك² .

هناك تقسيماً آخر لكتاب فيكتور وهو تقسيم خماسي وليس تقسيماً ثلاثياً كما سبق الذكر، نجده في نشرة ل رينار تيودوريك تعود للقرن الثامن عشر ميلادي :

Historia Persécutionis Vandalicae ,(in duas partes distinca) Victor -
.Vitensis Episcopi ,par D.Theodoric Ruinart, Venetu, 1732

و نجد في هذا الكتاب قسمين :

¹ - Victor de Vita, HPV, trad. Serge Lancel, p13.

² - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص10-11.

- **القسم الأول** يحتوي على النص الأصلي لفكتور دي فيطا في خمسة أجزاء بعد مقدمة تناول فيها الوضع الديني لبلاد المغرب القديم في الفترة الوندالية وتحدث عن شخصية فيكتور، وترتب الأجزاء الخمسة على النحو التالي:

• الجزء الأول: تحدث فيه الكاتب عن تأسيس المملكة الوندالية ببلاد المغرب، وذكر أهم الأحداث التي عرفتها في عهد جنسريق ويضم سبعة عشر فقرة من الصفحة 03 إلى الصفحة 12 .

• الجزء الثاني: يتحدث عن بدايات الاضطهاد والى غاية عهد هنريك، ويضم ثمانية عشر فقرة من الصفحة 12 إلى الصفحة 22 .

• الجزء الثالث: يوضح فيه الكاتب تمسك الأساقفة بعقيدتهم وديانتهم و الاضطهاد الذي تعرضوا له في عهد هنريك، ويضم ثلاثة وعشرين فقرة، من الصفحة 23 إلى الصفحة 32 .

• الجزء الرابع: تم فيه الإعلان عن مجمع 484م في السنة السابعة من حكم هنريك ويضم خمس فقرات من الصفحة 33 إلى الصفحة 37 .

• الجزء الخامس: أظهر من خلاله فيكتور اتساع حركة الاضطهاد التي أصبحت تشمل كل الكاثوليك، ويضم واحد وعشرين فقرة، من الصفحة 38 إلى الصفحة 49 .

- أما **القسم الثاني** فهو تعليق ودراسة قدمها رينار Ruinar حول النص، إذ وقف عند بعض الأحداث التي لها دلالات خاصة وفصل الحديث فيها، مثل تعيين أوجين (Augine) في بداية عهد هنريك وحقيقة موقف الأسقف الاريوسي سيريلا (Cyrilla) في مجمع قرطاج سنة 484م¹ .

وقد وردت ترجمة بالفرنسية لمصدر فيكتور دو فيتا في كل من:

¹ - بن حرييط علي م، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص41-42.

- De bel Leforert (f), Histoire de Persécutions faites en Afrique par les ariens sur les catholiques du temps et règne de Genséric et Henric rois des vandales.

وترجمة للفرنسي لوكليرك Leclercq :

- Leclercq (h.dom), Histoire de la persécution des vandales, par Victor de Vita, les martyres, T3, 1921.

وفي الأخير يمكن القول أن كتاب فيكتور دي فيتا هو عبارة عن وثيقة تاريخية حسب كورتوا Courtois، تحمل دعوة استغاثة لإنقاذ الكاثوليك من بطش الوندال في بلاد المغرب القديم، الأمر الذي يدعونا إلى الشك فيما أورده فيكتور في كتابه وفي الوصف المبالغ فيه لمأساة الكاثوليك وفي أعمال الاضطهاد التي قام بها الملوك الوندال في المغرب القديم ضد رجال الدين المسيحيين، ورغم ذلك فلا يمكن الاستغناء عن كتاب فيكتور في دراسة تاريخ بلاد المغرب القديم خاصة القرن الخامس ميلادي لأنه يؤرخ للأوضاع الدينية -على الخصوص- وكذا الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمنطقة في الفترة الوندالية وعلاقة السكان بالسلطة الوندالية في عهد جنسريق وطيلة فترة حكم ابنه هنريك .

ج- أهمية كتابه في تاريخ المغرب القديم :

يعتبر كتاب فيكتور دي فيتا تاريخ الاضطهادات الوندالية (Historia Persecutionis Vandalicae) احد أبرز المصادر التاريخية لدراسة تاريخ المغرب القديم في العهد الوندالي، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه يحوي أهم الأحداث التاريخية التي جرت في بلاد المغرب في عهد الملكين الونداليين جنسريك وابنه هنريك أي مع بداية الاحتلال¹، فقد عاصر المؤلف الأحداث التي جرت في هذه الفترة فهو بذلك شاهد عيان مباشر² .

¹ - إسكندر ف.ن، المرجع السابق، ص146

² - Géroutet N et Ménard H, op-cit, p76.

كما تكمن أهمية الكتاب في اعتماد المؤلف على ما دونه القديس بوسيديوس (Possidius) في كتابه الذي خصه للحديث عن حياة القديس أوغسطين ذلك أن هذا الأخير عاصر تاريخ دخول الوندال إلى بلاد المغرب¹.

فهو بذلك من أهم المصادر التي عايشت الأحداث في المغرب في الفترة الوندالية، ولكن السؤال المطروح هو: ما مدى صحة المعلومات التي أوردها الكاتب في مؤلفه عن الوندال، خاصة إذا علمنا مدى حقه و كراهيته للوندال وللمذهب الأريوسي؟ ، وما مدى الثقة التي يمكننا أن نضعها في المعلومات التي ذكرها فيكتور - على حد تعبير كورتوا - خاصة وأن المعلومات التي ذكرت في المؤلف لا تتعارض مع ما ذكر في المصادر الأخرى؟ لكن ورغم ذلك يجب استعمال هذا المصدر بحذر وعدم قبول كل ما ورد فيه من أحداث عن الوندال إلا بعد تحليل وتمحيص .

وهناك من المؤرخين الذين اقرروا أن فيكتور بالغ كثيرا في نقل مشاهد التنكيل و الاضطهاد الذي تعرض له رجال الدين والكنيسة المسيحية في بلاد المغرب على يد الملوك الوندال في عهد جنسريك وابنه هنريك² .

ويطعن ماركوس (Marcus) في شهادة فيكتور قائلا: « أحذر القارئ، لأنني لا أكفل صحة الأحداث التي أرويها و المتعلقة باضطهاد الكاثوليك، لأنني لا أملك سوى ما رواه الحزب المعارض، هذا الحزب الذي كتب بتحيز و يحقد تحت ضغط عامل التعصب الديني » ، لكن شميت (Schmidt) نجده يأخذ المصدر والأحداث التاريخية التي يحتويها المؤلف، لكنه ينبه من حين لآخر إلى مبالغة الكاتب في بعض الجوانب .

¹ - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص 11-12.
² - مناقشي فاطمة، الدوافع العميقة للاضطهاد الوندالي لرجال الكنيسة بشمال إفريقيا القديم (429-533م)، ذاكرة التكامل، منشورات جامعة الرباط، الرباط، 2015م، ص 35.

ويصرح لوكليرك (Leclercq) في كتابه إفريقيا المسيحية قائلا : « ما كتبه هذا الأسقف هو لا شك مقالة نقد ورسالة هجاء فيجب الحذر في التعامل معها وأن ندرسها بدافع النقد حتى نقرب من الصحة »

ويقول مارطروي (Martroye) في ذلك: « زعموا كثيرا أن فيكتور بالغ في وصف قسوة الوندال » ويظهر في ذلك انه يأخذ بالمصدر وما ورد فيه حسب قوله¹.

ولهذا لا يمكن التخلي عن المصدر ولكن يجب التعامل معه بحذر شديد واستعماله في الأمور التي لا تنافي الحقيقة التاريخية والقيام بدراسة مقارنة وتحليل للأحداث التي يرويها فيكتور مع الأحداث التاريخية الواردة في المصادر الأخرى .

لم يشر الكتاب كثيرا للقبائل المورية سوى ذكره لها في ثلاث مواضع، وهي في عهد جنسريق لما ذكر مشاركتهم في عمليات النهب التي نضمها الملك الوندالي في البحر المتوسط، والمرة الثانية حينما أمر جنسريق بنفي أربعة أساقفة إلى قبيلة مورية كانت تحت قيادة ملك يدعى كابسوس (Capsus)، و المرة الثالثة على عهد هونريك لما تم نفي أعداد كبيرة من الكاثوليك إلى القبائل المورية

III. إيزيدوروس الإشبيلي (Isidorus (Isidore de Séville) :

أ-حياته:

المعلومات شحيحة جدا عن شخصية إيزيدوروس الإشبيلي ، سوى ما تذكره بعض المصادر في كونه من مواليد شبه الجزيرة الأيبيرية، ذو ثقافة لاتينية ولد سنة 560م بمدينة قرطاجنة جنوب شرق إسبانيا، كان أسقفا بمدينة إشبيلية سنة 601م، وقد كان له الدور الكبير في تنظيم الكنيسة بإشبيلية، يعرف عند المسيحيين بالقديس إيزيدوروس الإشبيلي، توفي بإشبيلية سنة 636م .

¹ - بن حرييط علي م، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص45-46

ب- مؤلفاته:

ترك مؤلفات عديدة في النحو ،اللاهوت،المصنفات،التاريخ، أهمها في التاريخ:

- الحوليات Chroniqua

- تاريخ القوط والوندال والسواف Historia Gothrum Wondalorum

Sueborum

وما يهمننا في بحثنا الجزء المخصص عن تاريخ الوندال فقط، حيث يوجد في الفقرات من واحد وسبعون إلى أربعة وثمانون وهي الفقرات التي خصصها المؤلف للحديث عن تاريخ الوندال وعن تحركاتهم في أوروبا وأيبيريا وموطنهم الأصلي وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية .

ج- أهمية كتاباته في تاريخ بلاد المغرب القديم:

تكمن أهمية كتابات ازيدوروس في كونه تكلم عن تاريخ الوندال، واعتمد في ذلك عن مجموعة من الكتاب السابقين له اللذين كتبوا عن تاريخ الوندال مثل الأيبيري هيداتيوس (Hydatius) 395-470م، و الاكيتاني بروسبيرتيرو (Prosperitiro) الذي عاش في القرن الخامس ميلادي، والإفريقي فيكتور تونونا (Victor tenonna) الذي عاش في القرن السادس ميلادي .

وقد سعى جاهدا في إبراز و إظهار تاريخ الوندال السياسي و الاجتماعي مع بدايات القرن الخامس ميلادي 406م إلى حدود نهاية دولة الوندال في بلاد المغرب سنة 533م، فهو بذلك يساعدنا في معرفة أسباب ومراحل الاحتلال الوندالي للمغرب القديم، وكذا معرفة التاريخ الحضاري للوندال .

و الملاحظ في كتابات ايزيدوروس ضبط التواريخ والإحداث على حسب تواريخ اليومية الاسبانية التي تزيد عن التاريخ الميلادي بثمان وثلاثين 38 سنة، وقد ترجمت

مختلف الأحداث إلى اللغة العربية من طرف الأستاذ محمد اللّبار بإشراف الأستاذ محمد التازي سعود، ويبقى المؤلف مهم لنا لأنه احتوى تاريخ الوندال حتى يسهل علينا عملية المقارنة بين الأحداث التي وردت في كتابات ايزيدروس والتي وردت في المصادر الأخرى للوصول إلى الحقيقة التاريخية¹.

IV. تشريعات الإمبراطور جوستينيان (Codex justinianus) :

هي عبارة عن مدونة رسمية قانونية صدرت سنة 529م تشمل كل التشريعات الإمبراطورية السارية المفعول و التي سنّها الأباطرة منذ عهد هادريان (Hadrian) 117-138م إلى عهد جوستينيان (Justinien) 527-565م وهي إثنا عشر كتابا .

جاءت هذه المجموعة مقسمة إلى أربع مجموعات متكاملة صدرت في عهد الإمبراطور جوستينيان، وما يهمنّا في هذه الدراسة ما يعرف باسم المراسيم المستحدثة (Novellae) والتي تضم المراسيم والتشريعات التي أصدرها الإمبراطور جوستينيان بنفسه ما بين 534-556م، حيث كانت تصدر كملاحق لتشريعات الإمبراطور جوستينيان.

أما المجموعة الثانية فقد عرفت باسم المتون (Institutions) وقد صدرت سنة 533م، و كانت بمثابة المبادئ الأساسية لعلم القانون وجاءت المجموعة الرابعة باسم الموسوعة (Digesta) أو الجامع (Pandecta) وهي عبارة عن شروحات فقهية في التشريع و القانون البيزنطي، وهي قوانين أصدرها الإمبراطور جوستينيان في فترة حكمه وبقي سارية المفعول من بعده².

V. المصادر العربية:

قلة المصادر التي تتناول تاريخ بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن السادس والسابع، حتم علينا البحث عن مصادر تكون قريبة للفترة التي نحن بصدد دراستها، حيث

¹ - اللّبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص16-17

² - نفسه، ص16.

لجاناً إلى المصادر العربية سواء تلك التي روت الفتح الإسلامي لإفريقيا أم التي تضمنت معلومات جغرافية عن الولايات الإفريقية، حيث تشير من حين لآخر إلى أقدمية المواقع الأثرية المنتشرة في المقاطعات الإفريقية .

وقد استعنا بها في تحليلنا لحدود السيطرة البيزنطية وخصوصاً في إطار بحثنا عن المراكز التي ظلت تحت سلطة بيزنطا إلى غاية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب القديم، وكذا معرفة بعض المدن البيزنطية التي ذكرتها المصادر العربية، ومن بين المصادر التي اعتمدنا عليها في ذلك والتي ساعدتنا في الموضوع نذكر :

- عبد الرحمان بن عبد الله ابن عبد الحكم وكتابه فتوح مصر و المغرب و الأندلس المتوفى سنة 871م.

- أبي عبد الله بن عبد العزيز البكري وكتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب المتوفى سنة 1094م، وهو جزء من كتابه المعروف ب المسالك و الممالك¹.

VII - المصادر المادية :

من أهم المصادر المادية التي تم العثور عليها والتي لها علاقة بتاريخ بلاد المغرب في القرن الخامس والسادس ميلادي نجد:

1- ألواح البيرتيني (Les Tablette Albertini) :

تم اكتشاف مجموعة من بقايا ألواح خشبية مكسورة في منطقة تبعد عن قفصة إلى الغرب مسافة خمسة وستين كلم وحوالي و 100 كلم جنوب تبسة، عثر عليها رعاة من السكان²، في جبل مراطة (Djebel Mrata) على بعد 100 كلم جنوب المدينة، مابين الحدود الجزائرية التونسية³، وجمعها مسؤول فرنسي مقيم في ولاية تبسة يدعى ترييو (A.Truillot) ، وقد جمع ما يقارب 56 لوحة خشبية مكسرة ومكتوبة بالحبر باللغة

¹ - بن حرييط علي .م،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي،المرجع السابق،ص47.

² - Carcopino Jérôme, profils de conquérant, éd Flammarion, paris, 1961, p384.

³ - Hédi Slim et autres, Histoire générale de la Tunisie, T.I, sud édition, Tunis, 2006, p361.

اللاتينية ، وقد تحصل عليها فيما بعد أوجان البرتيني (Eugèn Albertini) مدير الدراسات الجزائرية القديمة آنذاك والذي أشرف شخصيا على قراءتها وفك أسرارها، أخذت فيما بعد تسميته حيث سميت ب ألواح البيرتيني¹ (انظر الصورة رقم 02 ص58) .

بعد جمع بقايا الألواح تم تكوين خمسة وأربعين لوحة، مقاس كل واحدة تقريبا من 10 إلى 26 سم في الطول على 02 إلى 10 سم في العرض، وهي من خشب الأرز ، تتكون من أربعة وثلاثين وثيقة مختلفة وتحتوي معلومات ناقصة إلا ثلاثة عشر منها تحتوي على معلومات كاملة دون ضياع أجزاء منها²، وهي عبارة عن عقود بيع أراضي مؤرخة ما بين 493-496م أي ترجع لفترة حكم الملك الوندالي قونتاموند³ .

تكمن أهمية ألواح البيرتيني في كونها تضمنت إشارات عن الحياة الاقتصادية التي كانت عليها بلاد المغرب أواخر القرن الخامس ميلادي، وكذا طبيعة العلاقات التي كانت تربط بين مختلف شرائح المجتمع المغاربي القديم، من رومان وندال وقبائل مورية وكذا طبيعة النظام السياسي السائد، الذي يربط مصالح الفرد في المغرب في هذه الفترة والتي من خلالها يمكن فهم الحياة الحضارية في بلاد المغرب في العهد الوندالي وعلاقة السلطة بمختلف شرائح المجتمع .

¹ - Modéran Yves, Les Tablettes Albertini et les ostraca de bir trouch, Algérie antique, catalogue de l'exposition 26 avril au 17 aout, musée de l'arts de la province antique, 2003, p248-249.

² - Ibid, p250.

³ - Modéran Y, les vandales et l'empire romain, éd errance, Arles, 2014, p142.

صورة رقم: 01

ألواح ألبيرتيني Albertini

Modéran Y, les Maures et l'Afrique romaine, op-cit, p142.



2. - نقيشة أريس (Inscription Ariss) :

وهي نقيشة عثر عليها بمنطقة أريس¹ فأخذت اسمها وتم نشرها لأول مرة من طرف جيروم كاركوبينو (Jérôme Carcopino) سنة 1944م² ، حيث اعتبر كاركوبينو بعد قراءة وترجمة النقيشة أن اسم ماستيس (Masties) الذي أوردته النقيشة عين دوقا في المنطقة من طرف فالنتينيان الثالث، وهو الذي سيعلن نفسه إمبراطورا سنة 476م والذي يكون تاريخ وفاته بعد هذا التاريخ ب أربعين سنة أي في حدود 516م ، أما كورتوا فقد اعتبر ماستيس (Masties) دوقا عينه الكونت بونيفاس سنة 424م أي قبل سنوات قليلة من الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب والذي سيعلن نفسه إمبراطورا على بلاد المغرب بعد موت فالوننتيان الثالث سنة 455م، وكان تاريخ وفاته سنة 495م، كما أوردت النقيشة اسم فارتيا (Vartaia) والذي يعتقد انه نفسه الملك اورتياس (Ortaias) الذي ذكره بروكوب في كتابه الحروب ضد الوندال³ (انظر الصورة رقم 02 ص 60) .

¹ - Carcopino J,op-cit,p398.

² - Morizot P, romain et berbères face à face, éd errance, Arles, 2015, p128.

³ - Morizot P, romain et berbères face à faceOp-cit, p128.

صورة رقم: 02

نقيشة أريس Arris

Modéran Y, les Maures et l'Afrique romaine, op-cit, p380



3. - نقيشة ألتافا (Inscriptions Altava) :

وهي عبارة عن نقيشة مكتوبة باللغة اللاتينية مؤرخة ب 508م أي أنها تعود لبداية القرن الخامس ميلادي، تم العثور عليها بموقع ألتافا، حيث أخذت اسم الموقع الذي عثر عليها فيه بالغرب الجزائري وبالتحديد بأولاد ميمون¹ (تلمسان حاليا) ، وقد حملت اسم مازونة Masuna ملك المور والرومان : « rex gent(ium)maur(or)um et roman(or)um »²

والظاهر أن القائد مازونا كان يتحكم في إقليم واسع في موريطانيا القيصرية، وكانت عاصمته في المنطقة المسماة الونشريس ، حيث عثر على بقايا أثرية بمدينة مازونة (Masuna) يعتقد أنها العاصمة المركزية لمملكة مازونة الذي يصف نفسه ملكا للمور و الرومان³.

4. - الجدارات (Les Djédars) :

وهي عبارة عن بقايا أسوار أو جدران تؤرخ بنهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس، و يعتقد أنها قبور أو أضرحة لملوك قبيلة من القبائل المورية، موجودة حاليا في إقليم ولاية تيارت بفرندة⁴، ويعتقد أن من أشهر ملوكها نجد الملك ماستيغاس أو ماستيناس هذا الأخير ذكره بروكوب في كتابه الحروب ضد الوندال، الذي كان ملكا حسبه على كامل موريطانيا ماعدا مدينة قيصارية وذلك ما بين 533-539م⁵، وباستعمال كربون 14 تم تأريخ هذه الأضرحة والتي تعود إلى أواخر القرن الخامس ميلادي وبداية القرن السادس ميلادي⁶.

¹ - Ibid, p124

² - Modéran Yves, des maures aux berbères : identité et ethnicité en Afrique du nord dans l'antiquité tardive, tables rondes du CRAHM, 3,2008, p99.

³ - Morizot P, romain et berbères face à face, op-cit, p125.

⁴ - Modéran Yves, des maures aux berberes,op-cit,p99.

⁵ - Procope, GV, II, 13,19

⁶ - Morizot P, romain et berbères face à face, op-cit, p125.

أول من قام بدراسة هذه الأضرحة هو الدكتور روفو (Roffo) وذلك سنة 1938م، وأول ضريح تم دراسته هو الضريح الذي تم إعطائه تسمية جدار أ A حيث وجد بداخله ممر ومجموع من الغرف إضافة إلى مجموعة من النقوش و الرسومات على الجدران¹.

ما يمكن استخلاصه في الأخير أن كل المصادر التي بين أيدينا وهي قليلة جدا، كلها مصادر أجنبية كتبت لأهداف شخصية ولأطراف معينة، الأمر الذي يضعف من الموضوعية في الكتابة التاريخية، كما أنها دونت كل ما له علاقة بالإمبراطورية البيزنطية وأهملت القبائل المورية وعلاقاتها بالسلطة الحاكمة إلا في جوانب ضيقة وعلى هامش الحديث فيما يخص الحروب و الصراعات التي جمعت بين الطرفين، الأمر الذي يجعلنا نجهل الكثير عن الحقائق التاريخية لبلاد المغرب القديم وحقبة الجوانب الحضارية للقبائل المورية وعلاقتها بالسلطة الحاكمة في الفترتين الوندالية و البيزنطية .

وتاريخ بلاد المغرب يرتبط ارتباطا وثيقا بما ورد في هذه المصادر رغم شح المادة الخيرية التي احتوتها ورغم الشكوك الكبيرة في كثير من الأحداث التي وردت فيها، الأمر الذي يحتم على الباحث في هذه الحقبة التحليل أكثر والتدقيق في الحقائق المذكورة قبل الخوض فيها، لأنه لا بديل لدينا من استعمالها في غياب مصادر مادية وكلاسيكية يمكن الاعتماد عليها ومقارنتها بما ذكرته المصادر المتوفرة بين أيدينا .

حيث لا يمكن الاستغناء عن كتابات بروكوب، خاصة الأجزاء المتعلقة بتاريخ بلاد المغرب، وبالخصوص الجزئين الثالث و الرابع من تاريخ الحروب الخاصة بالحروب ضد الوندال، حيث ذكر فيها كل ما له علاقة بتاريخ بلاد المغرب من بداية التحضير للحملة البيزنطية على الوندال وعلى المنطقة إلى نهاية الوندال واحتلال بيزنطا للمنطقة وعلاقتهم بالسكان المحليين الذين وقفوا إلى جانبهم في البداية ضد الوندال .

¹ - Kadra F, note complémentaire sur les Djedars de la région de Frenda, bulletin d'archéologie algérienne, T7, 1977-1979, Alger, 1985, p227.

كما لا يمكن الاستغناء عن كتاب البنايات أو بما يعرف ب عمائر جوستينيان خاصة المنشآت الخاصة ببلاد المغرب القديم، للوصول إلى حقيقة الحملة البيزنطية على الوندال وعلى بلاد المغرب و معرفة حقيقة الاحتلال البيزنطي وأهدافه في المنطقة، كما يمكن من خلال المؤلف معرفة علاقة السكان المحليين بالسلطة البيزنطية وردود أفعالها من الإستراتيجية الإدارية و العسكرية البيزنطية .

كما لا يمكننا أيضا الاستغناء عن أشعار كوريب التي احتوت مواصفات عن القبائل المورية وطبيعة العلاقات البيزنطية مع مختلف القبائل، رغم ما يحويه المؤلف من حقائق لا تتوافق و الحقيقة التاريخية، وذلك لأسباب شخصية دفعت الكاتب للكتابة لطرف دون الأخر، الأمر الذي يقلل من أهمية المعلومات الواردة في كتاباته، ونفس الشيء بالنسبة لكتابات فيكتور الفيتي هذا الأخير كانت كتاباته على شكل رسائل استعطاف واستتكار لما كانت تقوم به السلطة الوندالية ضد المسيحيين وسكان المغرب القديم، حيث كتب انطلاقا من حقد كبير كان يكنه للوندال، الأمر الذي يدفعنا إلى استعمال كتاباته بحذر شديد و التشكيك في كل كتاباته، وهو ما يضعف من الحقيقة التاريخية وعدم الأخذ بكل ما هو وارد في الرسائل التي بعث بها إلى بيزنطا .

أما المصادر العربية والمادية فيكون دورها ضعيف مقارنة بما ورد في المصادر الكلاسيكية السابقة الذكر، لأنها قليلة وتحمل معلومات ناقصة وغير كاملة في كثير من الحقائق، وذلك لتأكيد أو نفي بعض الأحداث التي ذكرت في المصادر الأخرى، غير أنها تبقى مهمة بالنسبة لنا فهي تساعدنا كثيرا في معرفة طبيعة العلاقات بين القبائل المورية مع السلطة الوندالية وبعدها مع الإمبراطورية البيزنطية .

الفصل الثاني: القبائل المورية في المغرب القديم في الفترتين الوندالية و البيزنطية

- ا. ماهية مصطلح المور
- اا. المقصود بالمور في الفترتين الوندالية والبيزنطية
- ااا. أشهر القبائل المورية في الفترتين الوندالية والبيزنطية
 1. القبائل الطرابلسية Tripolis
 - أ. قبائل لواتة Louata/Lagwatan
 - ب. قبائل هواره Austoriani
 - ج. قبائل الايفوراس Ivuraces
 - د. قبائل الموكتونيانيون Muctuniani
 2. قبائل الفراكسيس Fraxces
 3. قبائل الاوراس Ourasien
 4. قبائل كوزينا Cusina
 5. قبائل الحضنة Orthias
 6. قبائل الونشريس Ouancharis
 7. قبائل الجدار Djedars
 8. قبائل ألتافا Altava

أدت سياسة الرومنة التي انتهجتها الإمبراطورية الرومانية في بلاد المغرب القديم طيلة فترة الاحتلال الروماني إلى انتشار مختلف القبائل النوميدية الراضة للاحتلال عبر كافة مناطق المغرب القديم، و استقر بها الحال في أعالي قمم الجبال أو في المناطق الصحراوية جنوب خط الليمس الروماني، وهي المناطق الخارجة عن السيطرة الرومانية، هروبا من السياسة التعسفية الرومانية وحفاظا على حياتها الحضارية القبلية بعيدا عن سياسة الرومنة التي باشرتها روما في بلاد المغرب مع بداية الاحتلال .

في حين بقيت مجموعة من القبائل الداخلية والتي كانت لها علاقات حسنة مع الاحتلال الروماني لكونها رضخت للسياسة الإدارية و العسكرية الرومانية، وقد أدى بها الأمر مع مرور الزمن إلى أن أصبحت قبائل مترومنة تخلت عن قيمها الحضارية وتلاشت في المجتمع الروماني اللاتيني وتخلت عن كل ما له علاقة بحياتها القبلية وأصولها الليبية، وقد عايشت مختلف أطوار الاحتلال الروماني وسياسته اتجاهها خاصة في الضرائب الكثير التي كانت مفروضة عليها مقابل استقرارها في الأراضي الممنوحة لها ومقابل استصلاحها واستغلالها .

ومع بداية ضعف الإمبراطورية البيزنطية وانهارها ظهرت في بلاد المغرب قبائل كثيرة في مناطق متعددة من بلاد المغرب لعبت الدور الكبير إلى جانب الوندال في القضاء على الاحتلال الروماني، والذي احتل المنطقة عما يزيد عن خمسة قرون من الزمن، حيث برزت كقبائل كبيرة متحالفة مع الوندال، وقد ذكرتها مصادر القرن الخامس والسادس باسم القبائل المورية، وانتشرت من السرت الكبرى شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وسنحاول في هذا الفصل معرفة هذه القبائل وموقعها وأشهر قادتها وحدود سيطرتها ودورها إلى جانب الوندال في القضاء على الاحتلال الروماني .

1. ماهية مصطلح المور :

ورد مصطلح المور (Maures) لأول مرة في المصادر الإغريقية وفي القرن الثالث قبل الميلاد وظهر في اللغة اللاتينية باسم موري (Mauri) في القرن الأول قبل الميلاد فقط¹، وقد أطلق مصطلح المور في البداية وفي الفترة الإمبراطورية على القبائل التي كانت تستوطن القسم الغربي من بلاد المغرب القديم المسماة مقاطعة موريطانيا²، وفيما بعد على القبائل النوميديّة الأصلية التي لم تترومن طيلة الفترة الرومانية وبقيت تحافظ على أصالتها³

بدأ مصطلح المور يتطور ويتوسع مدلوله بتطور التوسع الغربي نحو الشرق بداية من عهد بوخوس الأول، إلى أن أصبح مصطلح المور يطلق على كامل سكان بلاد المغرب القديم أواخر القرن الرابع ميلادي، والمقصود به السكان غير المترومنين المناهضين للسياسة الرومانية في المقاطعات الإفريقية كما سبق الذكر⁴.

وأطلق نفس المصطلح من قبل المسلمين على البربر عند الفتح الإسلامي لبلاد المغرب القديم، ليصبح بذلك مصطلح البربر يطلق على سكان بلاد المغرب القديم بدل مصطلح المور المتداول قبل الفتح الإسلامي وفي الفترة المتأخرة من التاريخ القديم⁵.

حيث ساعد التوسع السياسي لمملكة موريطانيا بعد حرب يوغرطة 104ق.م والتوسع بعد حرب يوبا الأول 46ق.م باتجاه الشرق بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على اتساع مدلول مصطلح المور في نفس الإتجاه، ليشمل كل القبائل و الممالك التي كانت تعيش داخل هذه المملكة بعد أن كان يطلق عليهم القبائل النوميديّة، ومع التوسع الروماني بعد بطليموس سنة 40م امتد معه مدلول المور حتى أصبح في القرن الرابع مرادفا للفظ

¹ - Gsel.St, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T.V, 2.éd, paris, 1929, p88.89

² - Modéran y, des maures aux berbères op-cit, pp.91-134.

³ - Géroutet N et Ménard H, op-cit, p45.

⁴ -Courtois c, les vandales et l'Afrique ,op-cit ,p325.

⁵ - Modéran Y, des maures aux berbères, op-cit, p93.

الأفارقة، ليصبح مع بداية القرن الخامس و السادس مرادفا لمصطلح الأفارقة غير المترومين و الخارجين عن النفوذ الروماني سياسيا وحضاريا¹ والتي ذكرتهم مصادر القرن الخامس والسادس باسم المور.

وأغلب نصوص ومصادر القرن الثالث و الرابع ميلادي لا تذكر سكان بلاد المغرب باسم النوميدي ولا الماسيل أو المازيسيل، وإنما تذكرهم باسم المور أو الموريون وتعني بهم سكان المغرب القديم²، وتذكر سكان الجنوب باسم الجيتول، ويبقى معنى الجيتول غامضا ونجهل معناه ، وهو الاسم الذي عرفت به القبائل الجنوبية طيلة الفترة النوميديّة والبونية³.

ونفهم من ذلك أن مصطلح المور انتشر مع بداية انهيار الإمبراطورية الرومانية في بلاد المغرب وتطور الاسم أكثر طيلة الفترة الوندالية و البيزنطية، حيث نجد أن أغلب النقوش الأثرية الرومانية في موريطانيا القيصرية لا يتجاوز عمرها نهاية القرن الرابع ميلادي، وهو ما يؤكد استقلالية قبائل موريطانيا القيصرية والتخلص من الهيمنة الرومانية على القبائل المستقرة فيها⁴.

وهناك من المؤرخين من يرى أن أصل مصطلح المور أمازيغي قديم أطلقتة السكان الأصليون على أنفسهم، وهو مشتق من جذر لغوي قديم " أور" (Aour) بمعنى الجبل أو المرتفع في اللّغة الليبية القديمة، فنجد حرف الميم في أول الكلمة بمعنى "مور" الجبلين أو أهل الجبل، وهناك من يقول أن أصل المصطلح فينيقي من مصطلح "ماحوريم" (Mahorum) بمعنى أهل الغرب أو الغربيين⁵.

¹ - اللبار محمد ، الموقف الموري من الزحف الوندالي سنة 429م،المصباحية،العدد 04،2000م ،ص30.

² - لحسن رابح،أضرحة الملوك المور و النوميدي، دار هومه، الجزائر، 2004،ص. 51 .

³ - Noëlle G et Hélène Mop-cit, p44.

⁴ - لحسن. ر، المرجع السابق، ص51.

⁵ - اللبار م، الموقف الموري من الزحف الوندالي، المرجع السابق ،ص27.

وأطلق مصطلح المور حسب بعض المؤرخين على سكان بلاد المغرب، ما بين ليبيا حاليا و المغرب الأقصى، وهم من أجناس ذات نشأة أسطورية يقال أن جدهم الأعلى هو تيدرارين (Tidrarine) ومعناه إنسان الجبل، ومعنى كلمة أذرار بالبربرية هو الجبل¹، وقد ورد مصطلح المور والرومان الإفريقيين في ملحمة كوريب كمقاومين للسياسة البيزنطية في بلاد المغرب دون تحديد الاختلاف بين الأسماء².

وحسب ساليست³ (Salluste) فإن المصطلح مشتق من الميديين اللذين كانوا مع هرقل إلى جانب الفرس و الأرمن في اسبانيا، وأنهم انتقلوا إلى بلاد المغرب بعد موت قائدهم هرقل، كما ورد المصطلح عند الإغريق حيث نطقوا الاسم محرفا وأصبح مصطلح موروسيين، ونعنوا بلاد هؤلاء الناس باسم "موروسيا"⁴.

كما استعمله ديودور الصقلي (Diodore de Sicile)⁵ في إشارة منه لحدث تاريخي يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، واستعمله سترابون (Strabone)⁶ نقلا عن اراتوستينيس (Aratostinus) وارتيميدور بوسيدونيوس (Artimidore Posidounus) ويقول: « الموريون كانوا شعبا كبيرا وغنيا و بلادهم كانت متاخمة للساحل الإفريقي لمضيق أعمدة هرقل في مقابل أبييريا »⁷.

و يذكر بوليب⁸ (Polybe) مصطلح المور أثناء حديثه عن الشعوب التي ساهمت في في دعم جيوش هانيبال (Hannibal)، كما نجد مصطلح موري (Mauri) عند الرومان

¹ - خشيم ع.ف، المرجع السابق، ص173

² - Vincent Z, op-cit, p412.

³ - التازي م.س، حرب يوغرطة و المؤرخ اللاتيني ساليست، ترجمة نص حرب يوغرطة، العدد 18، 1981، فاس، ص106-107.

⁴ - حارش محمد الهادي، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دارهومه، الجزائر، 2013، ص161.

⁵ - Diodorus, XIII, 80, 3, d'après Gsell, H.A.A.N, T8, op-cit, p81

⁶ - Strabon, XVII, 3, 2, d'après Roget, R, le Maroc chez les auteurs anciens, paris, 1924, p22.

⁷ - اللبارم، الموقف الموري من الزحف الوندالي سنة 429م، المرجع السابق، ص28.

⁸ - Polybius, Histoire, III, I, 33, trad. Devis Rossel, bibl. de la pléiade, Gallimard, 1970, p200.

نقلا عن الإغريق الذين أطلقوه على سكان موريطانيا، ويؤكد بلين¹ (Pline) أن لفظ موريطانيا مشتق من اسم سكانها وهم الموريين .

وأغلب الظن أن المصطلح كان يطلق على إسم قبيلة استطاعت فيما بعد أن تفرض سيطرتها على القبائل المجاورة لها، وهو ما نجده عند بوليب (Polybe) الذي يذكر بأن الموريين سكنوا بالقرب من المحيط²، حيث تطور مدلول المصطلح بتطور الزمن، وأصبح وأصبح مدلوله يشمل كل السكان القاطنين في المنطقة الممتدة من السرت الكبير وبرقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا وهذا خلال القرنين الخامس و السادس ميلادي³ .

ويقصد بالموريين السكان غير المتروميين و الخارجين عن النفوذ الروماني سياسيا وحضاريا⁴ وعلى وجه العموم في الأرياف وكذلك الثوار وهو ما نستشفه من كتابات المؤرخين وما ذكرته المصادر المعاصرة للقرنين الخامس و السادس أمثال فيكتور دي فيطا (Vitor de Vita) بروكوب (Procopé) وكوريب (Corripe)⁵ .

ويطلق بروكوب (Procopé)⁶ مصطلح المور على السكان الأصليين لبلاد المغرب ، ، دون أن يعطي أي تفاصيل عن المقصود بمصطلح المور، فهو إذا يطلق المصطلح على كامل سكان بلاد المغرب دون تحديد المنطقة الشرقية أو الغربية أو سكان الوسط أو الشمال أو الجنوب.

¹ - Plinus, Histoire naturelle, V, 17, d'après Roget.R, le maroc chez l'auteur ancien, paris, 1924, p22.

² - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص46.

³ - بن حريبط علي ماجدة، المقاومة المورية للاحتلال البيزنطي 533-548م سلسلة الندوات و المناظرات ، العدد 08 ، 2005م ، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط، ص98.

⁴ - Gean-Louis voisin, Laila Najjar, l'Afrique romaine 69-439, éd Atland, paris, 2006. p286.

⁵ - Procope de César, la guerre contre les vandales, II, 10, traduit et commenté par Denis roques, les belles lettres ,1990

⁶ - Procope, GV, II, 12.

وورد مصطلح المور عند كوريب (Corripe)¹ بعدة تسميات فقد سماهم في بعض المواضع بالمور وفي مواضع أخرى بالماسيل (Massile) الماسيليان (Massiliane) الجيتول (Gétule) ويقصد في عموم اللفظ السكان اللذين كانوا يقاتلون إلى جانب أو ضد القائد العسكري البيزنطي جون تروجيليتا (Jean Trogilita) في حربه مع القبائل المورية ما بين 546-548م.

كما ذكر سكان بلاد المغرب القديم في المصادر العربية بأسماء مختلفة حيث ذكرهم ابن عبد الحكم بعدة تسميات منها: البتر، البرانس، قبائل زناتة ، لواتة، هواره ، ماغيلة، وهم في العموم البربر².

وقد يقصد بالقبائل المورية في الكتابات التاريخية القديمة مجموع سكان المغرب القديم المستقرين في المنطقة الممتدة من خليج السرت شرقا إلى المحيط الأطلسي غرب باستثناء العناصر الرومانية أو المترومنة³، وهو المعنى الذي انتهى إليه المصطلح الموري في القرنين الخامس و السادس ميلادي، أي جميع العناصر غير المترومنة سواء كانت تنتمي أو لا إلى القبائل المستقرة داخل التراب الخاضع لسلطة الاحتلال، والشيء الفاصل بين العناصر المترومنة و الموريين قائم بالأساس على اختلاف نمط الحياة لدى كل منهما فالموري هو من ظل متمسكا مخلصا لتقاليد القبلية وحافظا على أعرافه المحلية الليبية⁴، والمترومن هو من تأثر واندمج في الحياة الحضارية الرومانية وتخلّى عن قيمه الحضارية مقابل مكاسب مادية أو معنوية .

¹ - Vincent Z, op-cit, p409-410.

²- Dahmani Said , Monuments funéraire institution autochtones,6eme colloque international, 1993,éd. CTHC, 1995, p320.

³ - Géroutet N et Ménard H, op-cit, p45.

⁴ - جميل حمداوي، المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ، منشورات المعارف، الرباط، 2013م، ص260-270

II. المقصود بالمور في الفترتين الوندالية والبيزنطية :

أطلق مصطلح المور في القرن الرابع ميلادي على جميع الأهالي المستقلين عن السلطة الرومانية سواء أكان ذلك في المدن أو المقاطعات، كما دل مصطلح المور على الأقوام المتمردة عن السلطة الرومانية و بعدها الوندالية و فيما بعد البيزنطية¹، و قد ورد مصطلح المور في كتابات الأساقفة الكاثوليك في الفترة الوندالية أمثال فيكتور الفيتي (Victor de Vita) ، وبعده ظهر عند بروكوب (Procopé) في الفترة البيزنطية حيث أطلقه هذا الأخير للدلالة على حلفاء الوندال.

و المقصود بالمور عند بروكوب (Procopé) هم سكان الأوراس، الحضنة، السهوب و مرتفعات موريطانيا الوسطى و الغربية²، و قد أطلق بروكوب مصطلح الأفارقة على سكان المدن و المزارعون الموالون و المتحالفون مع السلطة البيزنطية، بينما أطلق مصطلح المور على جميع الأهالي الذين كانوا ضد السلطة البيزنطية، و نجد هذا المصطلح أيضا في كتابات و أشعار الشاعر الإفريقي كوريبوس (Corippus)³.

والفرق بين المور و الأفارقة يتلخص في مدى القابلية و الخضوع للسلطة المركزية و تقبل الحضارة الرومانية و الخضوع لهيمنة الكنيسة الرسمية، فالمور هم تلك الأقوام التي لم تقبل الاندماج و الانصهار في الحضارة الرومانية و قاومتها ماديا و معنويا و هم الذين حافظوا على حضارتهم و شخصيتهم و لم يتأثروا بحضارة المستعمر و لا بثقافته، و الأفارقة هم المندمجين في الحضارة الرومانية.

وقد لاحظ المؤرخون العرب خلال الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، أن سكان المغرب طانفتان هما: "البربر و الأفارقة" من خلال كيفية التنظيم الإداري أو العشائري الذي وضعه

¹ - Géroutet N et Ménard H, op-cit, p45-46

² - Procope, GV, II, 12.

³ - شنييتي م.ب، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) و مقاومة المور، ج2، الجزائر، 1999، ص443 .

الرومان في المنطقة من أجل السيطرة و التسهيل في التعامل مع الواقع السياسي العسكري والاجتماعي .

حيث سيطرت القبائل المورية على حيز جغرافي كبير خلال الفترة الوندالية و بعدها البيزنطية، ومارسوا فيه تنظيمهم السياسي و الاجتماعي والحضاري بصفة عامة، هذا الحيز الجغرافي يتجاوز حدود السيطرة الرومانية و الوندالية و البيزنطية حسب الفترة، أي أن المور سيطروا على كل ما تبقى خارج سيطرة المحتل، و يمكن القول أن كل البلاد الممتدة من وراء تلمسان غربا إلى الأوراس شرقا و من مرتفعات الأطلس التلي من موريطانيا إلى الصحراء كلها تدخل في الحدود الجغرافية التي سيطرت عليها الإمارات المورية في الفترة المتأخرة من التاريخ القديم لبلاد المغرب¹.

ويرى العربي عقون أن مصطلح المور أضحى يحمل دلالة إدارية خلال الفترة الرومانية وعم استعماله خلال الفترة البيزنطية وأصبح يطلق على كل القبائل النوميديية في بلاد المغرب التي حافظت على أعرافها و نظمها الاجتماعية و السياسية من خليج السرت شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا².

نجد رأيا آخر يقول أن أصل مصطلح المور يعود إلى الفترة الرومانية و بالتحديد إلى القرن الثاني قبل الميلاد أي في فترة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، و استمر هذا المصطلح حتى الفترة الوندالية ثم البيزنطية وإلى الفترة الإسلامية³.

أطلق الرومان مصطلح المور (Maure) على الشعوب التي تقطن بلاد المغرب القديم⁴ ، ليعمم هذا الاسم على موريطانيا التي قسمت إلى ثلاث مقاطعات موريطانيا الطنجية و عاصمتها طنجة، موريطانيا القيصرية وعاصمتها قيصرية و موريطانيا

¹ - شنييتي م.ب، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص444.

² - عقون م.ع، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر، 2008، ص156.

³ -Atgier P, Les Maures d'Afrique, T4, paris, 1903, p619.

⁴ - Géroutet N et Ménard H, op-cit, p46.

السطايفية وعاصمتها سطيف، ومصطلح موريطانيا في هذا المعنى يضم كل المنطقة الواقعة من البحر الأبيض المتوسط شمالا و بلاد الجيتول جنوبا و البحر الأطلسي غربا إلى نوميديا وطرابلس شرقا، ليصبح بذلك مصطلح المور في الفترة الرومانية المتأخرة يضم كل سكان المغرب القديم من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ليتطور مدلول المصطلح في الفترتين الوندالية والبيزنطية ويصبح المقصود به سكان بلاد المغرب القديم بصفة عامة دون تحديد منطقة معينة.

III. أشهر القبائل المورية في الفترتين الوندالية والبيزنطية:

عرفت القبائل المورية تطورا كبيرا طيلة فترة الاحتلال الروماني، وتعايشت مع الرومان كحلفاء أو أعداء، وقد حافظت هذه القبائل على تاريخها وموروثها الحضاري ولم تتأثر بالسياسة الرومانية القائمة على رومنة بلاد المغرب وسكانه، غير أن هذه القبائل ظهرت بأسماء وفي مواقع مختلفة غير التي كانت عليها في الفترة النوميديّة والبنونية، ربما يعود ذلك لكثرة الترحال بسبب التضييق الممارس عليها من طرف الإدارة الرومانية، وقد تشتتت هذه القبائل واتحدت مع أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس ووجدت في الانقلابات الداخلية على الإمبراطورية الرومانية خاصة الهجمات البربرية (الجرمانية) القادمة من شمال أوروبا طريقا إلى التحرر والاستقلال عن السلطة الرومانية.

ظهر هذا الهدف جليا مع بداية الحملة الوندالية على بلاد المغرب القديم والذي نظرت إليه القبائل المورية الحليف الذي تحقق من خلاله الانتصار والتحرر من الاستغلال الذي تمارسه روما على السكان، وهو نفس الأمر الذي انتهجته القبائل المورية بالتحالف مع البيزنطيين لطرده الوندال وتحقيق الاستقلال (انظر مخطوط رقم 02 ص 98).

ذكرت مصادر القرن الخامس والسادس ميلادي القبائل المورية لبلاد المغرب، وربما هي القبائل المشهورة فقط، فقد تكون هناك قبائل أخرى لم تذكرها المصادر الكلاسيكية

المعاصرة للفترة، فقد تكشف التنقيبات الأثرية مستقبلا عن مصادر مادية لقبائل مورية أخرى ، ولعل من أهم هذه القبائل (انظر الخريطة رقم 01ص100) التي ذكرتها المصادر ما يلي:

1. القبائل الطرابلسية :

اشتهرت في القرن الرابع ميلادي باسم قبائل لواتة و هوارة، حيث ورد اسم لواتة في بعض المصادر والمراجع بمصطلح لقواطن (Laguatan)¹ ، أما قبائل هوارة فقد وردت بمصطلح (Austurii) عند كوريب (Corripe) والتي يذكرها باسم قبائل الجمالة والتي تعيش في السرت الكبرى².

يلقب ملك القبائل الطرابلسية ب إيرنا (Ierna) كاهن الإله غرزيل (Gurzil) ، وكانت هذه القبائل وثنية تعبد الإله أمون (Amone)³، وقد ذكر كوريبوس حسب موديرون (Moderan) أن قبائل لقواطن القاطنة في المقاطعة الطرابلسية كانت من أكبر القبائل عداءا للإمبراطورية البيزنطية وذكر ذلك في نهاية قصيدته بعد الانتصار النهائي للقائد يوحنا تروجيليتا (Jean Trogilita) على القبائل الطرابلسية .

يقول موديران حسب كوريبوس أنه حتى و إن لم يكن هناك تعاون بين الملك انتالاس (Antalas) ملك الفراكسيس في البيزاكينا و القبائل الطرابلسية (Laguatan) إلا أن هذه الأخيرة ثارت و قاومت البيزنطيين في نهاية الفترة الوندالية⁴.

و الموطن الأول لهذه القبائل كان في الجزء الشرقي من المقاطعة الطرابلسية وذلك في حدود نهاية القرن الرابع ميلادي، حيث سيطرت على المنطقة قبيلتان قويتان هما قبائل الاوسترياني (Austiriani) ولواتة (Lauata)، هذه القبائل التي نزحت شيئا فشيئا باتجاه الغرب إلى أن استقرت في الجزء الجنوبي من تونس حاليا وتمكنت سنة 523م احتلال

¹ - عيبش يوسف ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007م ، ص211.

² - Corippe, Johan, II, 89

³ - Corippe, La Johannide, II,10, trad. J.Alix, Rev.tun, T7, Tunis, 1900.

⁴ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine (4ème -7ème siècle), Paris, 2003, p105-106.

إقليم قفصة، ولا ندري عن توغل هذه القبائل إلى مقاطعة البيزاكينا قبل الاحتلال البيزنطي للمغرب القديم¹.

أما أصول قبائل لواتة و هواره فقد كانت موجودة في المقاطعة الطرابلسية قبل القرن الرابع ميلادي، حيث استطاعت بعد ذلك التنقل عبر الصحراء وتحررت من المراقبة الرومانية باتجاه الشمال الغربي لطرابلس، وكان استقرارهم دائم في المناطق الصحراوية البعيدة عن السيطرة الرومانية في هذه الفترة.

وقد ظهرت منتصف القرن الرابع كقبائل جمالة، أي تعتمد على الجمل بشكل كبير في حياتها اليومية وفي ترحالها من مكان لآخر، ولم تعرف هذه القبائل لا بإسم لواتة و لا بإسم هواره في المصادر التاريخية.

ويذكر مديران أن استقرار القبائل الطرابلسية في المنطقة كان قبل القرن الرابع، ويرجح أنها لم تكن معروفة باسم لواتة ولا هواره و كانت تعرف باسم آخر²، و كل هذه الآراء افتراضات لأننا نفتقر إلى الأدلة والشواهد الكافية في أصل القبائل الطرابلسية و ظروف استقرارها في المقاطعة الطرابلسية.

أما عن استقرار القبائل الطرابلسية (لواتة، هواره) في المنطقة الطرابلسية فيؤكد بروكوب³ أنه منذ احتلال البيزنطيين لبلاد المغرب القديم كانت هذه القبائل موجودة في المنطقة الطرابلسية - أي منذ الفترة الرومانية - و ما يؤكد ذلك، الرواية التي ذكرها بروكوب في أصول الحرب المورية الكبرى و أسبابها ضد الاحتلال البيزنطي ما بين 544-548م ، حيث يذكر أنه وفي سنة 543م قام الإمبراطور جوستيان بتتصيب سرجيوس (Sergius) دوقا جديدا للمقاطعة الطرابلسية، وبعدها بوقت قليل من استقرار سرجيوس في منصبه استقبل هذا الأخير نائب أو رسول ملك المور، و قد أعطاه هذا

¹ - Courtois C, les vandales et l'Afrique, op-cit, p349

² - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p209-210

³ - Procope, GV, II, 15.

الأخير رسالة، يؤكد فيها هذا الملك الموري السيطرة التامة للقبائل الطرابلسية على إقليم طرابلس، و أنهم أصحاب المنطقة الطرابلسية و ليسوا ناهيين أو قطاع طرق يجوبون الصحراء على حد زعم البيزنطيين¹.

وجاء في الرسالة مايلي: « استقبل سرجيوس في المدينة مجموعة من البربر قدر عددهم ب ثمانون بربري من الشخصيات المهمة و وعدهم بقبول كل طلباتهم »²، و يتضح من الرسالة أن القبائل المورية قد حددت واجبات السلطة البيزنطية التي يتوجب عليها إرسالها إلى القبائل المورية، لأنها ملزمة بالحفاظ على بنود الاتفاق منذ بداية الاحتلال البيزنطي في المنطقة، و هو ما يؤكد سيطرة القبائل الطرابلسية على المقاطعة الطرابلسية، و الهدايا طبعاً تكون من أجل السلام وتجنب الصراع بين القبائل الطرابلسية و البيزنطيين، والظاهر أن غيرزة (Ghirza) واحدة من أهم عواصم قبائل لقواطن (لواتة) و هو ما يؤكد سيطرة هذه القبائل على الجزء الشرقي من المقاطعة الطرابلسية، وذكر بروكوب انه وبعد الانتصار الذي حققه الإمبراطور جوستينيان على القبائل الطرابلسية أمر بتهديم الأوثان التي كانت تعبدها القبائل الطرابلسية³.

وحسب ما ورد في قصيدة الجوهانيد (Johannide) حسب موديران نقلاً عن كوريبوس و التي يفترض أنها تعود إلى منتصف القرن السادس ميلادي و إلى فترة الحرب المورية الكبرى نجد فيها قائمة القبائل الثائرة سنة 546م و نجد ثلاث مجموعات، أنتالاس (Antalas) قائد القبائل الفراكسيس (frexes) و كانت هذه القبيلة مستقرة في الجزء الغربي من طرابلس (مدينة رمادة حالياً)، و المجموعة الثانية تدعى ب (Laguas) و (Austur)

¹ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p289.

² - Ibid, p289.

³ - Ibid , p292.

وهي قبائل هواره، أما المجموعة الثالثة التي نجدها في قصائد كوريبوس هي القبائل التي كانت تحت سلطة الملك أوداس (Iaudas) وهي القبائل الأوراسية¹.

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن دلالة قبائل لواتة أو لقواطن لا تعني قبيلة واحدة في منطقة ما من الولاية الطرابلسية، و لكن نقصد بها كل القبائل الموجودة في الولاية الطرابلسية سواء أكانت هذه القبائل متمركزة في الشرق أو الوسط أو الغرب من المقاطعة الطرابلسية، ويرجح ان تكون قبيلة واحدة متحدة انقسمت إلى قبيلتين في وقت ما لظروف نجهلها لسكوت المصادر، ويمكن تخصيص دراسة مستقلة لكل منهما:

أ - قبيلة لواتة (Levathae / Laguatan):

ورد اسم لواتة في أشعار كوريب على أنهم قبائل متمردة² وهي مجموعة قبائل كانت مستقلة تسيطر على أراضي لبدة وقد اشتكوا كثيرا للحاكم صولومون من السياسة التوسعية و التعسفية التي طالتهم من حاكم طرابلس سرجيوس (Sergius) هذا الأخير الذي أقدم على قتل وفد استقبله في قصره -لدراسة الأوضاع-، فغدر بهم وقتلهم³، الأمر الذي زاد من عزيمة القبائل اللواتية في الثورة ضد البيزنطيين والتحالف مع انتالاس قائد الفراكسيس، وهو من القادة الذين وقفوا في وجه السياسة التوسعية البيزنطية خاصة بعد إقدام القائد صولومون على قتل أخيه⁴

يقول ديل (Diehl) أن موقع القبائل اللواتية كان في الإقليم الممتد من خليج السرت شرقا إلى حدود البيزاكينا غربا حيث كانت تعتبر من أقوى الممالك الطرابلسية التي قاومت المحتل الأجنبي⁵.

وأوردت المصادر التاريخية أن قبائل لواتة هاجمت مدينة لبدة (Liptis) أواخر الفترة الوندالية وخربتها، كما سيطرت القبائل اللواتية على مدينة صبراتة، ويوردها بروكوب على

¹ -Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p292-293

² - كوريبوس ف.ك، المرجع السابق، ص28.

³ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p320 .

⁴ - جميل ح المرجع السابق ، ص243.

⁵ - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص199.

أنها شاركت في الحروب المورية البيزنطية في البيزاكينا ما بين 534-535م وانسحبت بعدها إلى حدود نوميديا وطلبت المساعدة من ملك الاوراس ابداس (Ibdas)¹.

ورد أيضا في المصادر التاريخية أن مجموعة من القادة اللواتيين حاولوا التفاوض مع القائد البيزنطي سرجيوس سنة 544م وكان عددهم ثمانون فردا، وقد أقدم هذا القائد - الذي كان مقره في لبدة- على استدراجهم ودعوتهم للتفاوض، وقام بقتلهم جميعا، وقد كان هذا الحدث سببا في اندلاع الثورة ضد البيزنطيين والتي انضم إليها انتالاس قائد قبائل البيزاكينا .

وقد ذكرت المصادر التاريخية قبائل اللواتيين وفي أشعار كوريبوس بصيغ مختلفة :

" Hilaguas, Iaguas, ilaguaten, ilasguas, laguanta, laguantan, languantan, languatan, languantan, leucada "

وذكر كوريب القبائل اللواتية حينما تحدث عن ثورة القبائل الرحل في الولاية الطرابلسية حوالي 546م، وأورد أن زعيم هاته القبائل يدعى ايرنا (Irna)، ومن خلال الملامح و الإشارات التي أوردتها المصادر يظهر لنا جليا مقاومة القبائل اللواتية للمحتل الأجنبي طيلة الفترة الرومانية والوندالية والبيزنطية، فقد قامت بعدة ثورات منذ نهاية القرن الثالث ميلادي إلى أواسط القرن السادس ميلادي، كما لعبت دورا كبيرا في ثورة القائد كباون (Cabaon) ضد الوندال في عهد تراساموند² .

وقد اتسمت علاقة القبائل اللواتية مع القائد الوندالي جنسريق بالتعاون المتبادل ولم تعرف أي حروب أو ثورات بين الطرفين، عكس خلفائه الذين حاولوا التوسع على حساب القبائل اللواتية وهو سبب الصراع بين القبائل الناصامونية (والتي من بينها القبائل اللواتية

¹ -Procopé, GV, II, 13.

² - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص197-198.

و قبائل الاوسترياني و قبائل الايفوراكس) و خلفاء جنسريق، الأمر الذي عكّر العلاقات وأندّر ببداية حروب كثيرة انتهت بالقضاء على الوندال.

ب - قبائل هواره (Austoriani) :

أوردها بروكوب بضيغتين (Austur/ Austoriani) ، وتحدث عن ثوراتهم ضد الوندال وضد البيزنطيين ويقول عنهم أنهم قبائل جمالة رحل، ويقول ديزانج¹ (Désange) أنهم كانوا يستقرون في الإقليم الواقع بين برقة و طرابلس، ويقول ديل² (Diehl) أنهم جزء منفصل من القبائل الناصامونية الكبرى (لواتة-هواره-الايفوراس)² كما ورد اسم قبائل الاوسترياني (austurii) عرضا في أشعار كوريب أثناء الحملة التي قادها الإمبراطور ماكسيميانوس (Maximie) في أواخر القرن الثالث ميلادي ضد اللواتيين و الاستريانيين³ كذلك ذكرهم أميان مرسولان (Ammien Marcellin) حيث أورد أن قبائل الاوسترياني⁴ قامت بعدة هجومات على المدن الطرابلسية الثلاث لبددة (Liptis) أوبا (Oea) صبراتة (Sabrata) في عهد الكونت رومانوس (Romanus) 363-372م .

في حين جمع كورتوا (Courtois) مجموعة من الدلائل تشير إلى الاوسترياني والذين كانوا يهاجمون المدن الرومانية في كل من طرابلس و برقة، حيث كانت القبائل تائرة دائما منذ عهد خلفاء جنسريق وطيلة الفترة البيزنطية وربما أنها كانت من المساهمين الفاعلين في الثورة التي قادها كباوون (Cabaon) ضد الوندال أواخر عهد الملك الوندالي تراساموند 496-523م⁵ .

¹ - Désange.J, Catalogues des tribus berbères à l'ouest de Nile, p82

² - Diehl ch, l'Afrique byzantine. Histoire de la domination byzantine en Afrique 533-709, paris, 1896, p223.

³ - Courtois.ch, les vandales et l'Afrique, op-cit, p348.

⁴ - Ammien Marcellin, XXVI, 4.5, XXVII, 9.11, XXVIII, 6.2.

⁵ - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص199.

كما وردت إشارات في نقيشة عثر عليها بلبدة تعدد الانتصارات التي حققها فلافيوس اورتيجيوس (Flavius Ortygius) دوق مقاطعة طرابلس ضد قبائل الاوسترياني مابين 408-423م ، وكانت قبائل الاوسترياني تنتقل بكل حرية في المقاطعة الطرابلسية وكانت تربطها علاقات تجارية مع القبائل الطرابلسية الأخرى¹، الأمر الذي يؤكد قدم استقرار هذه القبائل في مقاطعة طرابلس.

ج - قبائل الايفوراس (Ifuraces) :

لم تصلنا معلومات كثيرة عن هاته القبائل وعن موطنها إلا في إشارات قليلة، وقد ذكرها كوريب في أشعاره، ويظهر أن هذه القبائل قاومت البيزنطيين في توسعاتهم في المقاطعة الطرابلسية وهي قبائل جبلية في المقاطعة الطرابلسية².

وحسب كورتوا وديزانج فإن قبائل الايفوراس قبائل جبلية نزلت من الجبال و المناطق المرتفعة إلى المناطق السهلية الطرابلسية، وما نعرفه عنهم أنهم حاربوا البيزنطيين وكانوا مشاة يعتمدون في حروبهم على دروعهم وحرابهم وسيوفهم، و الراجح أنهم كانوا حلفاء للقبائل اللواتية في حروبهم ضد الوندال، وربما كانوا احد حشود الجيوش الطرابلسية التي تزعمها كباوون ضد الوندال³.

د - الموكتونيانيون (Muctuniani) :

نجهل تاريخ هذه القبائل وموقعها وقائدها بسبب سكوت المصادر ولم نعثر لها سوى على بعض الإشارات التي وردت في أشعار كوريب⁴ على أنها من القبائل الطرابلسية التي تستقر في صحراء طرابلس، وربما تكون حليفة لقبائل الاوسترياني و اللواتيين، ومن

¹ - Ben Abbes M, l'insécurité et la situation militaire à la veille de la conquête vandale, Op-cit, p51-52.

² - Courtois.ch, les vandales et l'afrique, op-cit, p348 après Corippus ,Johan, II, 113

³ - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص200.

⁴ - Corippe, Joh,II,116.

الممكن أنها كانت هي الأخرى ضمن الجيوش التي قادها كباوون في حملته ضد الوندال في عهد تراساموند¹.

2. قبائل الفراكسيس (Frexes) :

نجد في قائمة الجوهانيد (Johanide) للشاعر كوريبوس مجموعة من أسماء ملوك وزعماء القبائل المورية في بلاد المغرب القديم خلال فترة حكم الإمبراطور جوستتيان، و قد ذكر أحد ملوك مقاطعة البيزاكينا وقادتها الملك انتالاس (Antalas) ، حيث يعرفه كوريب على انه قائد قبائل الفراكس (frexes) وابن غفان² (Guenafan) ، وكان هذا الأخير ملكا على هذه القبائل قبل ابنه أنتالاس الذي ورث الملك عن أبيه وقد حذا حذو أبيه في عبادة الإله أمون (Ammon)³.

بدأ أنتالاس التوسع في السهول و ذلك تقريبا بعد مئة سنة من الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب أي تقريبا في سنة 529 م⁴، وتؤكد هذا التاريخ كتابات المؤرخ بروكوب، حيث يورد أن انتالاس ثار ضد الوندال في فترة حكم الملك الوندالي هلدريك وحاربهم ما بين 523-530م⁵، و يؤكد كوريبوس (Corippe) في ذلك أن بلاد المغرب كانت مزدهرة طيلة الثلاثين سنة من حكم انتالاس⁶ و هو ما يمكن من خلاله اعتبار سنة 499م هي تاريخ مولد أنتالاس، كما يمكن اعتبار هذا التاريخ بداية ظهور قبائل الفراكسيس (Fraxices) حيث أصبحت سلطتها أكبر من ذي قبل⁷.

كان انتالاس (Antalas) ملكا على قبائل الفراكسيس وبالتحديد على قبائل جبال الظهرة التونسية حاليا⁸ ، عاش في بداية القرن السادس ميلادي وعاش مختلف الأحداث الوندالية

¹ - البار م، إفريقيا الوندالية بين الحملات البيزنطية و الثورات المورية، المرجع السابق، ص200

² - Corippe, Joh, II, 4

³ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p232.

⁴ - Ibid, p315.

⁵ - Procope,G.V,I,9.3

⁶ - Corippe, joh, III, 73-74.

⁷ - Tissot.ch, géographie comparée de la province romaine d'Afrique, T1, paris, 1888, p470.

⁸ - Modéran .Y, les Maures et l'Afrique romaine, op-cit, p315

و البيزنطية في المنطقة، حيث واصل صراعه الطويل ضد البيزنطيين إلى أن انتهى به الأمر في معركة ضد القائد البيزنطي جون تروقيليتا سنة 548م¹، وهو أحد أبرز ممثلي المقاومة الموربة ضد الاحتلال الوندالي و البيزنطي في بلاد المغرب القديم حيث تصدى هذا الأخير للسياسة التوسعية البيزنطية بعد القضاء على الوندال سنة 534م².

أما محل استقرار هذه القبائل في بلاد المغرب حسب كل من بارتش (Partche)، دييل (Diehl) وكورتوا (Courtois) فإنها تقع بين تالة (Thala) و تلابت، ليكون بذلك موقع هذه القبائل (قبائل الفراكسيس) في مقاطعة البيزاكينا القديمة (تلابت)، وتم اعتبار تالة (Thala) مركز أو عاصمة قبائل الفراكسيس، وما يؤكد استقرار الفراكسس في هذه المناطق هو تركيز السلطة البيزنطية على إقامة حصون وقلاع في المنطقة الممتدة ما بين مدن تبسة (Theveste) حيدرة (Ammaedra) وتلابت (Thelepte)³ و ذلك بهدف السيطرة على المنطقة عسكريا و التصدي للهجمات التي قد يقوم بها الملك أنتلاس، و تجنب خطر قبائل الفراكسيس والقبائل الأخرى، هذا ويعتبر كومس (Camps) حسب موديرون أن قبائل الفراكسس استقرت في الجهة الجنوبية من بلاد المغرب و تقريبا في الجنوب الغربي من مقاطعة البيزاكينا⁴.

واستطاع أنتلاس أن يسيطر مدة طويلة من الزمن على الإقليم الواقع في البيزاكينا حيث كانت مملكته المعروفة باسم مملكة الفراكسيس (Frexes) التي تقع بين تالة (Thala) وتيلبت (Thelepte)⁵ (المدينة القديمة)، فهي بذلك تشمل جزء من أراضي البيزاكينا وتمتد حتى جنوب غرب البيزاكينا⁶ حسب التقسيم الروماني القديم، وقد قاومت مملكة الفراكسيس الوندال كثيرا خاصة ما بين 522-523م و حققت انتصارات كبيرة ضد

¹ - جميل ح، المرجع السابق، ص236.

² - Diehl ch, l'Afrique byzantine,op-cit,p303.

³ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p.316

⁴ - Ibid, p318.

⁵ - Ibid, p316

⁶ - Camps G, Antalas , dans l'encyclopédie berbère.5,Aix,1988,p706-708.

الوندال، وهو ما يؤكد لنا استقلالية قبائل الفراكسيس عن السلطة الوندالية قبل الحملة البيزنطية على بلاد المغرب .

تحالف قائد الفراكسيس انتالاس مع الإمبراطور جوستينيان في الحملة التي أرسلها على بلاد المغرب وضد الوندال، حيث اتسمت العلاقات بين الفراكسيس و بيزنطا بعلاقات سلمية قائمة على التعاون لمدة تزيد عن عشر سنوات¹، مع بداية الاحتلال البيزنطي أي ما بين 534-544م² .

لكن التوتر في العلاقات بين الطرفين فيما بعد، يطرح مجموعة من التساؤلات عن أسباب ذلك ، وحسب اعتقادنا أن السبب هو تغيير بيزنطا لسياستها مع القبائل المورية في بلاد المغرب، حيث انتهجت سياسة التوسع الداخلي على حساب الممالك المورية بما فيها قبائل الفراكسيس، الأمر الذي أدى إلى الاصطدام هذه القبائل، خاصة إذا علمنا أن سياسة القبائل المورية وحياتهم قائمة على الفلاحة والرعي، و أنّ الأرض بالنسبة لهم هي ضمان وجودهم واستقرارهم لذا يجب الدفاع عنها بكل الوسائل.

كما يمكن أن يكون سبب الصراع وتوتر العلاقات بين الطرفين هو إقدام القائد البيزنطي سرجيوس (Sergius) على قتل مجموعة من أفراد زعماء قبائل لواتة ، وقتل أخ انتالاس ، أو ربما يكون سبب الصراع وتوتر العلاقات هو انقطاع الراتب السنوي والهدايا والأموال التي كانت ترسلها بيزنطا لمملكة الفراكسيس كعربون صداقة وتعاون وتحالف بين الطرفين والتي كان يحصل عليها انتالاس سنويا .

و لقد أصبحت إمارة أنتالاس أقوى بكثير في أواخر الفترة الوندالية مما كانت عليه في بداية القرن الخامس ميلادي خاصة بعد الانتصار الكبير الذي حققه ملكها على

¹ - جميل حمداوي، المرجع السابق، ص237.

² - Corippe, Joh, II, 34-35.

الملك الوندالي هلدريك¹، و أصبح بذلك انتالاس يملك نفوذا و سلطة واسعة في مقاطعة البيزاكينا، و من الممكن أن يكون البيزنطيون قد اعترفوا بسلطة الملك انتالاس على المقاطعة التي يسيطر عليها، هذا في بداية الحملة البيزنطية على الوندال سنة 533م و إلى غاية 544م تاريخ تحالف أنتالاس مع القبائل الطرابلسية، وإلى جانب القائد البيزنطي المتمرد على السلطة ستوزاس² (Stozace)، وهو ما أدى إلى قطع العلاقة مع الإدارة البيزنطية³ والدخول معها في صراع دام أربع سنوات وانتهي بقتل القائد أنتالاس في الحرب المورية الكبرى التي انتهت سنة 548م.

وقد وصف كوريبوس في أشعاره الملك انتالاس بأبشع الصفات وأقبحها⁴، في حين أثنى على الانتصارات التي حققها القائد البيزنطي جون تروقليتا واعتبره من كان وراء استرجاع أمجاد وعزة الإمبراطورية البيزنطية⁵، وهو شيء طبيعي بالنسبة لنا، خاصة إذا علمنا أهداف كتابة كوريب لليوحانية، حيث لم يكتب الوقائع التاريخية كما جرت، وإنما كتب لأشخاص، و الهدف هو تعظيم قوة الإمبراطورية البيزنطية، و استصغار القبائل المورية وزعمائها أعداء الإمبراطورية البيزنطية بهدف الوصول إلى أهداف ومكاسب شخصية تقره من السلطة الحاكمة⁶.

¹ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit ,p315

²- ستوتزاس (stotzas): وهو الحارس الشخصي للقائد مارتينيوس (Martinus) وهذا الأخير هو احد قادة المقاطعات في بيزنطا، جاء القائد بليزاريو ب ستوزاس من القسطنطينية وهو لا يعرف كثيرا إفريقيا، وقد أصبح مع مرور الوقت قائدا ثورا أو تمرد ضد السلطة البيزنطية سنة 536م، حقق عدة انتصارات مع سنة 537م وانسحب إلى موريطانيا، حيث تزوج بابنة احد الملوك الموريطانيين ثم رجع إلى البيزاكينا في شتاء ما بين 544-545م وهذا بدعوة من انتالاس لمساعدته في حربه ضد بيزنطا.... انظر:

-Procopé, GV, I, 11.30 et II ,15.17.35

³ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit ,p317

⁴ - Corippe, joh, III, 186-188.

⁵ - Corippe, Joh, III, 5.

⁶ -انظر :

- Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p326-327.

3. قبائل الأوراس (Ourasis):

ورد مصطلح برانسييس (Princeps) في أشعار كوريب وهو إشارة إلى استقلال القبائل المورية، وهو مصطلح أطلق على قائد أو زعيم القبائل، ومعناه "الأول بين أقرانه" أو "الأمير" ، ومن هؤلاء القادة يوداس (laudas) ملك القبائل الاوراسية¹، وهو أحد أقوى القادة الموريين في القرن السادس ميلادي، حيث ولد ونشأ في جبال الاوراس، و وقف ضد توسع الاحتلال البيزنطي، كما تكلم عنه كوريب في عدة مواضع مع بداية الحملة البيزنطية على بلاد المغرب وفي الحرب المورية الكبرى ضد التوسع البيزنطياً وتكلم عنه كحليف سنة 548م للسلطة البيزنطية في الحرب المورية الكبرى².

كما تكلم بروكوب كثيرا عن الملك يوداس (laudas) وفي مواضع عدة من كتابه الحروب ضد الوندال³، وقد اعتبره من بين أقوى الملوك المور في القرن السادس ميلادي وعلى القبائل الاوراسية، وقد تحالف مع الملك انتالاس و زعماء القبائل الطرابلسية في الحرب المورية الكبرى على البروقنصلية مابين 544-548م⁴.

يمكن أن تكون مملكة الاوراس قد استقلت عن السلطة الرومانية أواخر الاحتلال الروماني، حيث تطورت وازدادت قوة في الفترتين الوندالية و البيزنطية حتى أصبح زعيمها يوداس ملكا لكل القبائل الاوراسية في جبال الاوراس، و كانت مملكة مستقلة طيلة الفترة الوندالية و البيزنطية، وقد خاضت عدة حروب ضد المحتل الأجنبي خاصة في الفترتين الوندالية و البيزنطية لتثبت استقلالها وحريتها، ويذكر بروكوب أن يوداس كان تحت سلطته ما يزيد عن ثلاثون ألف محارب، الأمر الذي يؤكد قوة المملكة وتماسكها في جبال الاوراس .

¹ - تكلم بروكوب في كتابه الحروب الوندالية على أن الملك يوداس كان ملكا على القبائل الاوراسية بصفة عامة ولم يعطي بالتحديد المناطق التي كان يسيطر عليها في الاوراس، وهي بصفة عامة منطقة الجنوب الشرقي من الجزائر حاليا.... انظر :

- Procope, GV,II,12.19.

² - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p351.

³ - Procope, G.V, II, 13

⁴ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p351.

عرفت القبائل الاوراسية حروبا طاحنة ضد التوسع الوندالي خاصة بعد وفاة الملك هنريك سنة 484م، كما عرفت حروبا طويلة ضد السياسة التوسعية البيزنطية في منطقة الاوراس ما بين 534-539م ، ويذكر بروكوب ان القبائل الاوراسية خربت عدد من المدن الرومانية المتواجدة في سفوح الجبال الاوراسية، كانت بالنسبة لهم تشكل خطرا عليهم كمدينة تمقاد ولومبيز إذا سيطرت عليها الجيوش البيزنطية¹، وهذا الأمر يحتاج إلى تحليل و دراسة معمقة للتأكد في من كان وراء تهديم بقايا المنشآت الرومانية كتمقاد، لومبار لتأكيد أو نفي ما يذكره بروكوب واتهامه في ذلك للقبائل الاوراسية، ويمكن حسبا أن الوندال أو البيزنطيين هم من كان وراء تهديم المنشآت الرومانية ومنها مدينة تيمقاد حتى لا تسيطر عليها القبائل المورية وتشكل من خلالها خطرا على المدن و المقاطعات التي تم احتلالها .

يعطي بروكوب وصفا لجبال الاوراس فيقول: « يوجد جبل بنوميديا يدعى الاوراس لا يوجد له مثل على الأرض يطاول هذا الجبل عنان السماء، يبلغ محيطه مسيرة ثلاثة أيام² ، يبدو جبلا صعبا لكل من يقترب منه، لا يمنح الراغب في تسلقه سوى بعض الجوانب العمودية، لكن إذا بلغت القمة تجد حقولا خصبة وأراضي منبسطة وممرات سهلة ومراعي صالحة للرعي، وضيعات مغروسة بالأشجار في كل مكان ترى الحقول و الآبار و العيون تغور من بين الصخور التي توجد في هذا المكان، لكن الغريب في الأمر أن حقول القمح و الأشجار في هذا الجبل تنتج فواكه وسنابل حجمها مضاعف لما يوجد في باقي ليبيا هذا هو جبل الاوراس »³.

ويعرفها أيضا فيقول: « هذا الجبل من أكبر الجبال التي نعرفها، يقع على مسافة مسيرة ثلاثة عشر يوما من قرطاج، ويقدر محيطه مسيرة ثلاثة أيام سيرا على الأقدام

¹ - جميل حمداوي، المرجع السابق، ص271-272

² - Procope, GV, II, 13-23.

³ -Procope, les édifices, VI,6-7 ,éd haury,p183-184.

بالنسبة للمسافر العادي، ولا يمكن تسلقه إلا عبر ممرات وعرة ومنعزلة، وحين تصل إلى القمة تجد هضبة واسعة تسقيها أبار وعيون تساعد على ارتفاع مستوى الأودية، فضلا عن الحقول و البساتين الرائعة، ثم إن السنابل والفواكه التي تنتج بالجبل حجمها مضاعف مقارنة بما ينتج في باقي إفريقيا، والجبل يحتوي على مجموعة من الحصون تركها سكان الجبل بحجة عدم حاجتهم لها، فالمنطقة تحمي نفسها بنفسها ¹.

يتكلم ديزونج (Desanges) على المقصود بالاوراس فيضعها في القسم الجنوبي الغربي من خنشلة حاليا، وهي منطقة بغاي أي جبل الاوراس حاليا²، وحسب موريزو (Morizot) أن بروكوب يقصد بالاوراس، المنطقة التي كان يقطن بها يوداس في حدود 530م، وهي المناطق الشرقية فقط من الاوراس حاليا³، والظاهر أن بروكوب استعمل مصطلح الاوراس بالمفهوم الواسع ولم يقصد الجزء الشرقي فقط على حد تعبير موريزو، يظهر ذلك في التعداد الكبير للجيش التي يستطيع يوداس تعبئتها والتي قد تصل إلى ثلاثين ألف ، وقد تكلم بروكوب على القبائل الاوراسية التي كانت تسيطر على المنطقة منذ فترة الاحتلال الوندالي، ويذكر أنها لم تتعرض لأي توسع من قبل أعداء خارجين وبقيت الاوراس وملوكها يحكمونها إلى غاية الاحتلال البيزنطي، ويذكر بروكوب أيضا مدينة تيمقاد التي كانت في السهول الشرقية من الاوراس والتي فيها قبائل كبيرة ⁴.

كما تذكر المصادر العربية قرب جبل الاوراس من مدينة بغاي (Baghai)، حيث يقول ابن حوقل : « وجبل الاوراس منها (من بغاي) على أميال.... وطوله نحو اثنا عشر يوما ⁵ ، وهو ما أكد أيضا الشريف الإدريسي قائلا : « وجبل الاوراس قطعة

¹ - Procope, G V, II.13, 22-26,

² - Desanges.J, « un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandale et byzantine » dans byzantion, t.33, 1963, p47.

³ - Morizot.P, « Aurès .époque vandale et byzantine », encyclopédie berbère, t.VIII, Aix, 1990, p1103-1013.

⁴ - Procope, G.V, II, 13,26.

⁵- ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1967م، ص84.

يقال أنها متصلة من جبل دون المغرب وهو كاللام منحني الأطراف وطوله نحوى اثنا عشر يوما ومياهه كثيرة وعماراته متصلة»¹.

من أشهر ملوك مملكة الأوراس الملك ايوداس (Iudas)، وقد حكم هذا الأخير في بداية القرن السادس ميلادي و قد ذكره كوريبوس في مواضع عدة من أشعاره فقد ذكره ما بين 534م - 535م و سنة 548 م، كما ذكره بروكوب أكثر من عشرون مرة في مؤلفاته في كتاب الحرب ضد الوندال²، و كذلك في الحرب ضد القوط و كتاب العمائر (Les Edifices)، و يعتبر يوداس الملك الموري الوحيد الذي ذكره كوريبوس في قصائده كحليف للبيزنطيين³، يمكن القول في ذلك أن الملك ايوداس كان مجبرا على التحالف مع البيزنطيين ضد القبائل الطرابلسية في نهاية الحرب الموربة الكبرى حتى يضمن الأمن و الاستقرار في مقاطعته.

وفيما يخص الإقليم الذي كانت فيه المملكة الأوراسية، فقد ظهر الملك أيوداس في حدود 535م، و ذلك بعد الهزائم المتتالية التي ألحقها بالقائد كوزينا (Cusina) حليف البيزنطيين، حيث ثار أيوداس ضد الاحتلال البيزنطي منذ ربيع 534م، وصادف الانتصار البيزنطي في قرطاج أن فر العديد من الناجين إلى جنوب نوميديا و توسلوا إلى ايوداس (Iudas) الذي كان قائد المور في الأوراس أن يحميهم من الإضطهادات البيزنطية⁴، وهي إشارة إلى المنطقة التي كانت تستقر فيها القبائل التي كانت تحت حكم الملك ايوداس (Iudas) أي منطقة الأوراس، حيث كان مصطلح الأوراس منذ وقت طويل يطلق على المنطقة الواقعة جنوب شرق الجزائر حاليا.

¹ - الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق و تقديم اسماعيل العربي " القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص66.

² - Procope, G V, II, 13

³ - Modéran Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p351-352.

⁴ - Procope, G V, II, 12.

ولقد وجد مجموعة من المؤرخين إشكالا في المقصود بمصطلح الأوراس (Aurasis) والذي ورد عند بروكوب، حيث اعتبر البعض أن المصطلح لا يشمل فقط جبل الأوراس بل يشمل مناطق واسعة بالقرب من هذا الجبل، هذا الجبل الذي يقع في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة خنشلة (Mascula)¹، حيث يقول موريزو (Morizot): « لا يمكن أن نعتبر أبداً أو أن نعتقد أن ايوداس قد سيطر على كامل منطقة الأوراس لأنه في الحقيقة لم يسيطر إلا على الجزء الشرقي فقط من منطقة الأوراس » .

والمقصود بمصطلح الاوراس (Aurasis) عند بروكوب فهو يشمل كل المناطق الأوراسية الحالية ويمتد حتى الأقاليم السطافية² ، وحسب موديرون (Moderan) فإن المقصود بالاوراس هو جبل الاوراس، وهو ما يؤكد أن الملك ايوداس قبل 535م كان يراقب و يسيطر على كل الأراضي التي تقع في الجهة الغربية من الأوراس الواسعة و الخصبة، ويكون بذلك بروكوب قد أعطى لمصطلح الاوراس (Aurasion) مفهوماً واسعاً يضم أقاليم واسعة جداً³.

4. قبائل كوزينا (Cusina) :

يمكن دراسة مملكة كوتزينا وشخصية هذا الملك من خلال ما أورده كل من بروكوب وكوريب حيث ذكر هذا الأخير أنه من أب موري و أم رومانية، وهو من القادة الأقوياء الذي يحكمون في البيزاكينا⁴ خاصة في الفترة ما بين 533-563م، وقد نجد المصطلح أحيانا على شكل (Cusina) أو (Cosina) عند كوريب⁵

وقد ظهر اسم كوزينا لأول مرة عند بروكوب في حدود سنة 534م، عندما ذكر الصراع الذي كان بين القبائل المورية وبيزنطا ، حيث كان الملك كوتزينا إلى جانب

¹ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p353.

² - Courtois C, les vandales et l'afrique,op-cit,p341.

³ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p254.

⁴ - Procope, GV, I, trad.Donis Roques, p252

⁵ - Modéran.Y, Corippe et l'occupation byzantine de l'Afrique, A.A, t.22, 1986, p202.

القادة المور في الحملة التي قادوها من طرابلس إلى البروقنصلية¹، وتذكر المصادر أن القائد كوتزينا قائد لإحدى القبائل الرحل الجمالة الذين قدموا من المقاطعة الطرابلسية نحو الغرب واستقر بهم الحال شرق الاوراس² .

وتذكر مصادر القرن السادس استعمال القبائل المورية الجمال في حروبهم ضد التوسع البيزنطي، والتي كانت تستعمل الجمال كجدار يتم الاحتماء به قبل بداية القتال³، ومن الممكن أن يكون كوتزينا استعمل هذه الإستراتيجية لامتلاكه عدد كبير من الجمال، وهي طريقة القبائل الطرابلسية في القتال مع بداية التوسع البيزنطي سنة 534م والطريقة المستعملة في الحرب المورية الكبرى .

تقع مملكة كوتزينا بجوار الاوراس وكان أفرادها يستقرون في مقاطعة البيزاكينا وبعد الهزيمة التي لحقت بهم أمام القائد البيزنطي صولومون (Solomone)، انسحبت واستقرت بالقرب من مملكة ايوداس وأتباعه شرق الاوراس، أي كانت تستقر على الحدود الفاصلة بين البيزاكينا ونوميديا⁴ .

يقر كثير من المؤرخين أن مملكة كوزينا تقع في القسم الجنوبي للبيزاكينا، حيث ذكر بروكوب أن القائد صولومون مع وصوله إلى بلاد المغرب، دعا قادة القبائل المورية في رسالة إلى التحالف مع الامبراطورية البيزنطية وكان ذلك سنة 533م، ويرجح أن تكون قبيلة كوتزينا من بين هذه القبائل التي كانت تستقر في البيزاكينا والتي تم التحالف معها⁵ .

وتشير بعض المصادر التاريخية أن أصل مملكة كوتزينا يعود إلى إقليم طرابلس⁶، وهو من أقوى قادة القبائل الرحل الجمالة، حيث تنقل ومعه الإبل التي كان يملكها و التي

¹ - Procoppe, GV, II, 10-11.

² - Courtois C, les vandales et l'Afrique, p349-350.

³ -Procoppe, GV, II, 11,14-19

⁴ - جميل حمداوي، المرجع السابق، ص273.

⁵ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p339-340

⁶ - Courtois Ch, les vandales et l'afrique, op-cit, p349-350.

كانت بأعداد كبيرة، وقد استقر به المطاف في البيزاكينا، أصبح فيما بعد يشكل خطرا يهدد المصالح البيزنطية في مقاطعة البيزاكينا، الأمر الذي أدى إلى مقاومته وانسحابه إلى الجنوب¹.

ولكن بعد مدة من الصراع بين الملك كوتزينا وبيزنطا نجد هذا الأخير -حسب كوريب- قد أصبح ملكا على القبائل في نوميديا وجليفا للبيزنطيين ابتداء من سنة 544م لظروف وأسباب نجهلها²، حيث أصبح من هذا التاريخ يقود القبائل في نوميديا وجنوب البيزاكينا ويحارب إلى جانب القادة البيزنطيين ضد القبائل المورية الأخرى المناهضة للاحتلال البيزنطي والى غاية وفاته سنة 563م³.

5. قبائل الحضنة (Ortaias) :

يرجح كاركوبينو حسب نقيشة أريس⁴ (Arris) التي تؤرخ بنهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس⁵، أن الملك أورتياس (Ortaias) كان عدو الملك ايوداس في سنة 535م، لأن هذا الأخير أراد التوسع على حساب أراضي الملك أورتياس، حيث كان أورتياس ملك قبائل الاوراس في الجزء الغربي من الاوراس، و قد تحالف يوداس مع ماستيناس (Mastinas) الذي كان ملكا على موريطانيا السطايفية و الحضنة ضد أورتياس، ومن الممكن أن مملكة أورتياس تجاور مملكة ماستيناس، كما أن مملكة أورتياس تتوسط مملكة يوداس وماستيناس⁶.

¹ - مفتاح م، المرجع السابق، ص144.

² - Corippe, Joh, III, 405-408

³ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p348

⁴ - نقيشة اريس (Arris) : نقيشة مشهورة تم اكتشافها في جانفي 1941م من طرف موريوزو (Morizot) بمنطقة اريس (Arris)، نشرت لأول مرة من طرف كاركوبينو (Carcopino) والتي ورد فيها اسم ماستيس (Masties) على انه دوقا منذ 67 سنة وإمبراطور منذ 10 سنوات، ويقول انه ليس خائنا لا في السلم ولا في الحرب...كما ذكرت النقيشة اسم (Vartaia)، أرخت هذه النقيشة أواخر الفترة التاريخية القديمة وحسب كاركوبينو أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس ميلادي...انظر :

- Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit , p400-399

⁵ - Carcopino, un empereur maure inconnu d'après une inscription latine récemment découverte dans l'Aurès dans revue de l'étude ancienne, T.XLVI, 1944, pp94-120.

⁶ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit , p376.

و يقر موديران أنه لا يمكن تقبل فكرة وجود ملك في الجهة الجنوبية الغربية من مملكة الأوراس، أو تقبل أن ملكها كان أورتياس لأن منطقة الأوراس بمفهومها الواسع كلها كانت تحت الملك ايوداس منذ القدم، ولا يمكن تقبل فكرة وقوع مملكة أورتياس إلى الغرب من الأوراس لأن يوداس سيطر على الأوراس بشقيها الشرقي و الغربي حسب ما ورد في مصادر القرن السادس¹.

6. قبائل الونشريس (ouarsenis) / ماستيناس / ماستيغاس :

ورد اسم ماستيناس (Mastinas) عند بروكوب مرتين، مرة باعتباره حليفا لايوداس ملك الأوراس سنة 535م وضد الأمير أورتياس²، ومرة في موضع آخر على أنه يبسط نفوذه على كامل موريطانيا القيصرية ما عدا مدينة قيصرية التي احتلتها الجيوش البيزنطية³، وقد كانت علاقة هذا الملك مع الاحتلال البيزنطي محدودة جدا ولم تتحدث عنه مصادر القرن السادس كثيرا⁴.

كما ذكر المؤرخ بروكوب ملكا اسمه ماستيغاس (Mastigas) كان سنة 535م يحكم موريطانيا القيصرية باستثناء مدينة قيصرية⁵، ويذكر شخصية ماستيناس (Mastinas) كملك على موريطانيا القيصرية⁶، ويرى محمد التازي سعود في ذلك أن اسم الملكين متشابه، والظاهر أنه ملك واحد وليس اثنان فقط ورد خطأ في كتابة اسم الملك للتشابه بين الحرفين " G " و " N " ⁷.

وهو ما يذهب إليه كورتوا (Courtois) في أنه لا يوجد فرق بين اسم ماستيناس (Mastinus) و ماستيغاس (Mastigas) و أنّ الشخص واحد، فقط كان هناك خطأ

¹ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit, p377.

² - Procope, G.V, II, 13

³ - Procope, G.V, II.20.31

⁴ - Courtois.Ch, les vandales et l'Afrique, op-cit, p336

⁵ - Procope, G.V. op-cit ,II,20.31

⁶ - Dahmani S,op-cit,p322.

⁷ - محمد التازي سعود، الإمام بخلصة تاريخ أرض المغرب قبل الإسلام، المعارف الجديدة، الرباط، 2003، ص199.198.

إملائي في الكتابة¹ ، وهو الرأي الذي نميل إليه باعتبار أن منطقة الونشريس من مناطق موريطانيا القيصرية التي ذكر بروكوب أن ملكها ماستيغاس .

واقترح كورتوا (Courtois) تسمية إمارة أو مملكة ماستيناس بمملكة الونشريس أو الجدار ذلك لوجود أضرحة الجدار بالمنطقة² ، وكانت هذه المملكة شاسعة وهي محاذية لمملكة الحضنة في جزئها الغربي

بينما يرى كل من موريزو (Morizo) و كاركوبينو (Carcopino) أن هناك اختلاف بين الاسمين و ذلك في أن يكون أحد الاسمين يطلق على ملك البربر والاسم الآخر يطلق على ملك المور³.

وحسب موديران (Moderan) فإنه لا يمكن أن نضع اختلاف بين المور و البربر لأن الاسم واحد والشعب واحد في هذه الفترة، ومن غير الممكن أن نقول أن هناك اختلاف بين مصطلح البربر و مصطلح المور لأن البربري هو الموري و العكس، حيث نجد عند بروكوب مصطلح البربر نفسه مصطلح المور و ذلك لما ذكره: « البربر المور أصدقاء و حلفاء جلمير يسكنون ... » أو عندما يذكرهم كأعداء للإمبراطورية « البربر و المور هؤلاء الذين نسميهم لقواطن (Levathai) ... »⁴.

7. قبائل الجدار (Djidars) :

من الممالك المورية التي كانت في بلاد المغرب خلال القرنين السادس و السابع ميلادي قبائل الجدارات، التي كانت تستوطن في منطقة تيارت حاليا وضواحيها، وهي مملكة بربرية أصلية في المنطقة، سميت بمملكة الجدارات لوجود مجموعة من الأسوار أو الجدارات بالمنطقة والتي يعتقد أنها بقايا لبنايات على أضرحة ملوك .

¹ - Courtois Ch, les vandales et l'Afrique, op-cit, p336

² - عيش بي، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص239.

³ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit , p377-378.

⁴ - Ibid, p379.

هذه النصب أو الأسوار البالغ عددها ثلاثة عشر ضريح¹ ، تنقسم إلى قسمين ثلاثة منها يوجد في جبل الأخضر (Djebel Lakhdar) و عشرة توجد في مرتفعات جبل عروي (Aroui)، وتؤرخ حسب المختصين على أنها متأخرة عن القرن الخامس ميلادي، و من الممكن أنها شيدت في سبيل عائلات كبيرة و غنية في المنطقة وذلك بسبب تراجع السيطرة الرومانية في موريطانيا القيصرية².

أورد قسال (Gsell) وصفا مفصلا عن هذه الجدارات خاصة جدارات "A". "C". "F"، و هناك من المؤرخين من يقر بأن مملكة الجدار ظهرت بقوة في القرن السادس ميلادي واستمرت إلى القرن السابع، وكانت تسيطر على منطقة شاسعة تمتد من ملوية غربا إلى أعماق لأوراس شرقا³.

وأشهر قادة مملكة الجدارات وربما مؤسسها الأول هو مازوناس (Masonas) حيث ورد اسم هذا الأخير في نقيشة وجدت في المنطقة أرخت ب سنة 508م⁴، حيث يذكر ويصف نفسه فيها قائلا: « أنه ملك القبائل المورية والرومانية Rex Gentium Maurorum et Romanorum »⁵.

ويؤكد كامبس (Camps) وجود مملكة تتطابق مع موريطانيا القيصرية القديمة ويدعى قائدها مازونة والذي حكم سنة 508م وخلفه فيما بعد ماستيغاس (Mastigas) ثم غرمول (Ghermul)⁶، الأمر الذي يدفعنا إلى الاعتقاد أن مملكة الجدارات كانت تابعة تابعة لمملكة موريطانيا التي كانت تحت حكم ماستيغاس .

¹ - Laporte Jean-Pierre, les Djedars. Monument funéraire berbère de la région de Frenda et de Tiaret, ouvrage identités et cultures dans l'Algérie antique, publication des universités de Rouen et de havre, 2005, p326.

² - قداش.م ، ، الجزائر في العصور القديمة، تر صالح عباد، الجزائر، 1993، ص263.

³ - Ayache A, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Paris, 1964, p78.

⁴ - Ibid, p78.

⁵ - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique, Op-cit, p334.

⁶ - قبريال كامب، الذاكرة و الهوية ، تر. جاد الله عزوز الطلحي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2005م، ص214.

أما إلى الغرب من موريطانيا القيصرية فالنقوش قليلة جدا، وقد اكتشفت واحدة في ويليي (Volubilis) ، أشارت إلى وجود جاليات لاتينية ومسيحية في حدود سنة 655م كانت لها علاقات مع جاليات كانت تعيش في موريطانيا القيصرية، وفي ألتافا (Altava) الأمر الذي يوحي بوجود قبائل كبيرة ومتعددة في الجزء الغربي من بلاد المغرب القديم¹.

تبعد أضرحة الجدارات عن التافا (Altava) مسافة 200 كلم إلى الشرق²، وهي أضرحة كبيرة يمكن أن تكون قبورا ملكية لعائلة مالكة ، مربعة الشكل تعلوها أهرامات مدرجة عددها ثلاثة عشر قبرا، مقسمة إلى مجموعتين بينهما مسافة ستة كيلومترات، احدهما مكونة من ثلاثة أضرحة³ توجد في الجبل الأخضر و المجموعة الأخرى فيها عشر جدارات في ترناتن (Ternaten)، والمجموعتان معا تقعان على نحو خمسة وثلاثون كيلومتر إلى الجنوب الغربي من مدينة تيارت⁴ كما سبق الذكر .

وقع التنقيب في ثلاثة منهما إثنان من المجموعة الأولى هما جدار "A" و "B" ، وواحد من المجموعة الثانية هو جدار "C"⁵ ، وقد تبين أن الجدار "A" يؤرخ بسنة 466م، و الجدار "C" يؤرخ بسنة 480م، ذلك لوجود أحجار تحمل التاريخين المذكورين، غير أننا نجهل تاريخ بناء هذه الأضرحة، ولكن يعتقد حسب كورتوا أنها تزامنت مع فترة الاحتلال البيزنطي للمغرب القديم⁶.

وتعقب فاطمة خضرة على ذلك وحسب دراستها للمعطيات الأثرية أن مملكة الجدارات تعاقب على حكمها شخصيتان بارزتان في النصف الأول من القرن السادس ميلادي، هما الملك الموري مازوناس سنة 508م⁷ المذكور في نقيشة التافا (Altava) و

¹ - البير.ع، المرجع السابق، ص105.

² - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique, Op-cit, p335.

³ - Laporte JP, les Djedars, op-cit, p326.

⁴ - Courtois ch, les vandales et l'Afrique, op-cit p335.

⁵ - Gsell St, Monument Antique de l'Algérie, t.II, Paris, 1901, p418.

⁶ - Courtois ch, les vandales et l'Afrique, Op-cit ,p336.

⁷ - Gilbert Magnier, l'Algérie d'origine, op-cit, p179

الملك ماستيغاس الذي أشار إليه بروكوب مرتين على انه زعيم قبائل المور حوالي سنة 535م.¹

الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد أن مازونا و ماستيغاس هما الشخصيتان الوحيدتان اللتان من الممكن أنهما تنتميان إلى السلالة الحاكمة لمملكة الجدار خلال النصف الأول من القرن السادس ميلادي، وما يجب التنبيه إليه أن حدود مملكة الجدار لم تصل إلى حدود الاوراس، كما يقره بعض المؤرخين ذلك لوجود مملكة بين الاوراس و الجدارات هي مملكة الحضنة، أو مملكة اورتياس في موريطانيا القيصرية وبذلك تكون حدود مملكة الجدارات هي تيارت حاليا.

أما تسميتها بالجدارات أو السور²، فيعود ربما إلى البقايا الأثرية التي بقيت عليها هذه المقابر وهي مجرد بقايا المقابر على شكل جدارات لهذا أطلق عليها تسمية الجدار أو الجدارات³ وتقول عنها فاطمة خضرة التي قامت بدراسة أثرية معمقة للجدارات على أنها معالم جنائزية شيدت من قبل أمراء موريطانيين كانوا على رأس إمارات مستقلة ما بين القرنين الخامس و السابع ميلادي⁴.

ما يميز الجدارات في بلاد المغرب هو أن قاعدتها مربعة أو مستطيلة الشكل يعلوها تاج هرمي مدرج فيه أربع زوايا بنيت كلها بالحجر المنحوت⁵، وهي على شكل أهرامات ذات قاعدة مربعة الشكل محاطة بسور في كل الجهات الأربع، وهذه الأسوار ربما تحيط بأربع أضرحة على الأقل وهي ضريح "A". "F". "G". "J" وهي فرضيات حسب جون بيار لابورت⁶ لان الأسوار تهدمت وبقيت في أجزاء فقط من الأهرام⁷.

¹ - راجع ل. المرجع السابق، ص54-53.

² - Laporte Jean-Pierre, op-cit, p324

³ - راجع ل. المرجع السابق، ص147-148

⁴ - Dahmani.S, op-cit, p323

⁵ -Lancel S, l'Algérie Antique, op-cit ,p238.

⁶ - Laporte Jean-Pierre, op-cit, p330.

⁷ -انظر بالتفصيل عن شكل وأبعاد الأضرحة الموربة :

ه - قبائل ألتافا (altava) (مملكة مازونا) :

كان الملك مازونا (Masonas) خلال حملة صولومون على القبائل الأوراسية في سنة 535 م ضد ملك الأوراس ايوداس، لأن هذا الأخير (ايوداس) قام بقتل والده ميفانياس (Méphanias)¹، الأمر الذي دفع بمازونا (Masuna) إلى التحالف مع القائد البيزنطي صولومون ضد ايوداس ملك الأوراس²، ومن الممكن أن يكون ميفانياس أب ايوداس أيضا حسب بروكوب.

ولقد وجد مجموعة من المؤرخين إشكالية كبيرة في اسم الملك مازونة، فقد ورد بمصطلحين (mas(s)onas/masuna) الأمر الذي دفع بالبعض إلى اعتباره ملكا واحدا، وهناك من أقر أن المصطلح مختلف وكل مصطلح يقصد به ملك مستقل عن الآخر وهما ملكان وليس واحد .

وحسب جيروم كاركبينو (Jérôme Corcopino) فإن المقصود بالمصطلحين واحد، حيث كان الملك ماسونا يتربع على مملكة واسعة جدا من موريطانيا، و قد عمل جاهدا من أجل التآمر لمقتل والده كما سبق الذكر³.

في حين لم يقبل كورتوا (Courtois) هذه الفكرة، وذلك للبعد الجغرافي الموجود بين التافا (Altava) و منطقة الأوراس⁴، -وهو من المؤرخين للفترة الوندالية- ويقر بالاختلاف بين الملكين وأن مملكة ماسوناس (mas(s)onas) كانت مجاورة لمملكة يوداس (laudas) وتقع مملكته في منطقة النمامشة⁵ (Némencha).

- Laporte Jean-Pierre, les Djedars Monument funéraire berbère de la région de Frenda et de Tiaret, ouvrage identités et cultures dans l'Algérie antique, publication des universités de Rouen et de havre, 2005, p321-406.

¹ - Procope, G V,II,13

² - Procope, G.V, II, 13.20

³ - Carcopino, « un empereur maure inconnu d'après une inscriptions latine récemment découvert dans l'Aurès », dans R.E.A, t.46, 1944, pp94-120

⁴ - Courtois C, les vandales et l'Afrique, p336

⁵ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, op-cit, p375-376.

و في الوقت الذي يعتبر فيه كركوبينوا مملكة مازوناس (Masonas) هي نفسها ماسوناس (Mas(s)ônas)، يقر مجموعة من المؤرخين أن هناك فرق بين المصطلحين (Masonas) و (Mas(s)ônas) و يكون بذلك ماسوناس (Mas(s)ônas) هو الملك الذي مملكته تقع إلى جانب مملكة ايوداس وتقع بالضبط في إقليم النمامشة¹، (Nememcha) ، و مازونا (Masuna) هو الملك الذي أظهرته نقيشة التافا المؤرخة ببداية القرن السادس ميلادي، والذي تقع مملكته في البروقنصلية والى أقصى الغرب من الجزائر حالياً²، وهي نقيشة أولاد ميمون (Altava) التي عثر عليها في موريطانيا القيصرية، وهي حجر تذكاري لحصن تم إنشاؤه من طرف الملك ماسونا (Masuna) مؤرخ ببداية القرن السادس ميلادي أي سنة 508م تذكر اسم مازونا ملك المور والرومان³، و قد أعتبر كورتوا مازونا (Masuna) مجرد أمير في المقاطعة الوهرانية.

يؤكد فيفري (Février) نفس الفكرة ويذهب إلى أن مازونا (Masuna) لم يكن سوى أحد أحفاد رؤساء القبائل التي تحالفت في السابق ضد الإمبراطورية الرومانية أي خارج الليمس الموريطاني، و اعتبره كامبس (Camps) ملكا لشعوب المور و الرومان عوض ملك القبائل المورية، و لا يمكن اعتبار مازونا مجرد ملك قبيلة مورية فقط، بل اعتبره ملك كل المور⁴، وهو ما تبينه نقيشة التافا المؤرخة ب 508م⁵ والذي يقول فيها مازوناس عن نفسه نفسه انه ملك المور والرومان⁶ « masuna, rex gent(ium)maurorum et romanorum⁷ »، ورغم تباين الآراء بين المؤرخين في شخصية مازونا، إلا أن الأمر لم يصل إلى نتيجة حاسمة، الأمر الذي يوجب البحث أكثر خاصة في المجال الأثري والذي

¹ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, op-cit, p376.

² - Morizot P, romain et berbères face à face, op-cit, p125.

³ - Ibid, p374.

⁴ - عبيش .ي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص235-236.

⁵ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, op-cit, p375

⁶ - Laporte JP, Les Djedars, op-cit, p388

⁷ - Marcillet – Jaubert.J, les inscriptions d'Altava, Aix, 1968, p399.

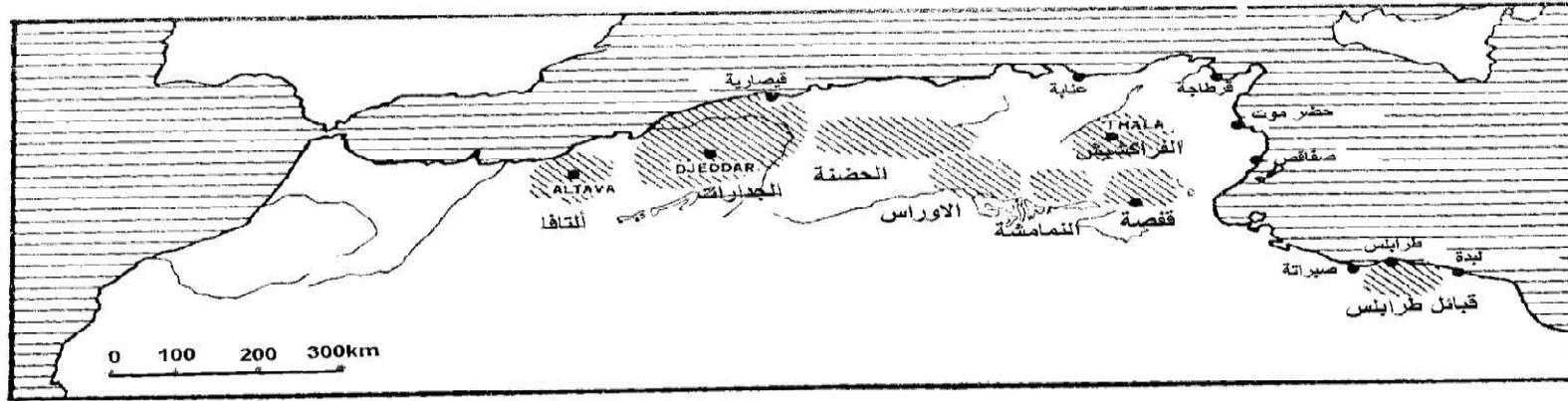
قد يفضي باكتشافات أثرية جديدة تبين حقيقة مملكة مازونا وموطنها الحقيقي في بلاد المغرب القديم. انظر للمخطط التوضيحي التالي:

رأي المؤرخين	موريطانيا القيصرية	موريطانيا السطيفية الحضنة	نوميديا الأوراس الغرب الشرق النامشة
كاركوبينو Carcopino	مازونة /مازوناس Masuna/masonas ↓ ماستيغاس Mastigas	ماستيناس Mastinas	ماستييس Mastis ↓ اورتيايس Ortaias ايوداس ؟
كورتوا Courtois	مازوناس Masunas ↓ ماستيغاس/ماستيناس Mastigas/Mastinas	ماستييس Mastis ↓ اورتيايس Ortaias	أوداس Iaudas ماسوناس Massonas
موريزو Morizot	مازونة Masuna ↓ ماستيناس Mastinas	ماستيغاس/ماستيناس Mastigas/Mastis ↓ اورتيايس Ortaias	ايوداس Iaudas ؟
موديرون Moderan	مازونة Masuna ↓ ماستييس Masties	اورتيايس Ortaias	ماستييس Masties ↓ ايوداس Iaudas ؟

مخطط رقم: 01

فرضيات عن مناطق استقرار القادة المور في نوميديا وموريطانيا خلال القرن السادس ميلادي (بتصرف)

Modéran y, les Maures et l'Afrique romaine, op-cit, p379.



خريطة رقم: 01

الممالك المورية في القرنين الخامس والسادس (بتصرف)

Courtois Ch, les vandales et l'Afrique, op-cit, p334.

وما يمكن استخلاصه في هذا الجانب، أن سكان بلاد المغرب القديم انتشروا في كامل مناطق المغرب القديم مع بداية الاحتلال الروماني للمنطقة ولم يعد ذكر للمالك النوميديّة ، حيث أدت سياسة الرومنة التي قامت بها السلطة الرومانية إلى إدماج عدد كبير من سكان بلاد المغرب في المجتمع و الحضارة الرومانية، وأصبحت الكثير من القبائل النوميديّة قبائل مترومنة ذابت مع مرور الزمن في المجتمع الروماني.

في حين بقيت القبائل النوميديّة الأخرى تحافظ على نظامها الحضاري القديم وعلى حياتها القبلية القائمة على نظام القبيلة، التي تعود إلى سلطة الملك أو قائد القبيلة والتي تنطوي تحت سلطته، هذه القبائل لم تتأثر بالحضارة الرومانية وسياستها في محاولة رومنة سكان المنطقة، ذلك أنها قاومت هذا الاحتلال وسياسته الرامية إلى إدماج السكان في المجتمع الروماني، حيث هاجرت هذه القبائل بعيدا عن المدن و القاطعات الرومانية التي تم إخضاعها و لجأت إلى الجبال وإلى جنوب خط الليمس حتى لا تتجرد من هويتها و موروثها الحضاري الذي اتسمت به وبعيدا عن تعسف الرومان .

لتظهر القبائل المورية وبقوة مع بداية انهيار الإمبراطورية الرومانية في بلاد المغرب ومع الحملة الوندالية على المنطقة، وكانت تعرف في هذه المرحلة التاريخية بالقبائل المورية، ذلك أن مصطلح المور إتسع مدلوله و أصبح يطلق على كامل سكان بلاد المغرب القديم من السرت الكبير شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، مع أواخر الاحتلال الروماني وطيلة فترة الاحتلال الوندالي و البيزنطي .

وقد كانت القبائل المورية كثيرة وقوية انتزعت استقلالها مع ضعف الإمبراطورية الرومانية ومع الحملة الوندالية على بلاد المغرب، حيث ظهرت هذه القبائل على شكل أحلاف وممالك كان هدفها واحد وهو القضاء على الاحتلال الروماني واسترجاع أراضيها التي انتزعت منها و التخلص من الضرائب الكثيرة التي فرضتها روما على السكان .

ومن أشهر القبائل المورية التي لعبت الدور الكبير في القضاء على الاحتلال الروماني إلى جانب الوندال، نجد القبائل الطرابلسية والاوراسية و قبائل الفراكسيس و قبائل أخرى لم تذكرها المصادر التاريخية الكلاسيكية ولم تكشف عنها التنقيبات والحفريات الأثرية بعد، هذه

القبائل لم تتوانى في التحالف مع أي طرف خارجي للقضاء على الرومان، بعد أن عانت الكثير من الاستعباد والتعسف وتيقنت من أهدافه وسياسته في المنطقة .

كما أن بروز القبائل المورية ككيانات سياسية مستقلة تحت لواء زعمائها بداية القرن الخامس ومع بداية الحملة الوندالية وفي مناطق كثيرة من بلاد المغرب ، ما هو إلا دليل على التماسك القبلي، وعلى الرفض التام لسياسة المحتل الروماني، ودليل أيضا على تواصل المقاومة المورية طيلة فترة الاحتلال الروماني، كما إن تحالف قبائل المور مع قبائل الوندال ما هو إلا إستراتيجية سياسية وعسكرية مورية تهدف للقضاء على الرومان ثم التفرغ للقضاء على القبائل الجرمانية الدخيلة للمنطقة .

أما القبائل المنتشرة في بلاد المغرب والتي ذكرتها المصادر، يمكن القول أنها ليست كل القبائل الموجودة في المنطقة، حيث ذكرت المصادر أشهر القبائل المورية فقط وليست كل القبائل، فقد تكشف لنا حفريات وتنقيبات أثرية جديدة عن أسماء ومواقع قبائل أخرى لم تذكرها المصادر لأسباب نجهلها، الأمر الذي يجعل الباحث في تاريخ بلاد المغرب القديم في الفترتين الوندالية البيزنطية في بحث وتحليل مستمر للوصول إلى حقيقة هذه القبائل علاقاتها فيما بينها وبين المحتل الأجنبي .

الفصل الثالث : الوندال واحتلال بلاد المغرب القديم

ا. التعريف بالوندال

1. أصل الوندال

2. تحركات الوندال في القسم الأوروبي

II. أسباب الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم

III. حملة الوندال على بلاد المغرب

IV. تحركات الوندال في بلاد المغرب

V. المعاهدات الوندالية الرومانية

1. معاهدة سنة 432م

2. معاهدة سنة 435م

3. معاهدة سنة 439م

4. معاهدة سنة 442م

VI. حدود السيطرة الوندالية في بلاد المغرب

VII. مملكة الوندال في عهد جنسريق

VIII. مملكة الوندال في عهد خلفاء جنسريق

IX. العوامل التي ساعدت روما على إسقاط الوندال في بلاد المغرب القديم

X. استمرار الحضارة الرومانية في المغرب القديم بعد سقوط روما

XI. المحاولات الرومانية البيزنطية لاسترجاع بلاد المغرب من الوندال

1. محاولة الإمبراطور أفيتوس Avitus سنة 456م

2. محاولة الإمبراطور ماجريانوس Majorianus سنة 460م

3. محاولة الإمبراطور ليون الأول Lion سنة 468م

من الدراسات الحديثة والمواضيع المثيرة للبحث التي كانت محط اهتمام المؤرخين والتي دفعتهم إلى البحث في تاريخ بلاد المغرب القديم، دراسة التاريخ الحضاري للمنطقة في عهد الاحتلال الوندالي، ذلك ربما للتساؤلات الكثيرة عن هذه الشعوب الجرمانية التي اكتسحت الإمبراطورية الرومانية في أوروبا وقضت عليها، وسيطرت على أغلب أقاليمها ووصلت في توسعاتها إلى بلاد المغرب القديم مثل ما حدث مع القبائل الوندالية .

حيث عرفت بلاد المغرب أوضاعا صعبة أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس نتيجة ضعف وتقهقر الإمبراطورية الرومانية ، وهو ما أدى إلى قيام ثورات كبيرة من طرف القبائل المورية والسكان المناوئين للسلطة الرومانية ، كما أدى هذا الضعف الذي أصاب الإمبراطورية الرومانية إلى توافد شعوب جديدة على المنطقة قصد احتلالها واستنزاف ثرواتها، من هذه القبائل نجد القبائل الوندالية، التي لم تجد مكانا آمنا تستقر وتكون فيه مملكتها في قارة أوروبا، فبحثت عن موطن أكثر استقرارا ، حيث واستقر بها الحال في الأخير في بلاد المغرب القديم وذلك لما كانت تزخر به من إمكانيات مادية وثورات طبيعية .

كما أن البحث في الموضوع يستلزم معرفة الأسباب والظروف الحقيقية التي استطاعت من خلالها القبائل الوندالية الوصول إلى بلاد المغرب القديم وتأسيس مملكة مستقلة فيه، بعد عدة محاولات وحروب خاضتها هاتئ القبائل دون الوصول إلى السيطرة على إقليم مستقل في القسم الأوربي ، وهو الأمر الذي وجه أنظار الوندال وقائدهم جنسريق إلى بلاد المغرب القديم مستغلا في ذلك الانقسام الذي شهدته الإمبراطورية الرومانية والأوضاع المتردية التي تمر بها روما في بلاد المغرب .

1. التعريف بالوندال:

لم تحظ الفترة الوندالية من تاريخ بلاد المغرب القديم في الكتابات التاريخية طيلة القرن التاسع عشر والعشرين باهتمام كبير وبنفس العناية التي حظيت بها الفترة الرومانية،

وذلك لنفور العديد من الباحثين من دراسة هذه الفترة بالذات¹، بسبب ارتباطها الوثيق بالفترة المتأخرة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ولما تمثله هذه الفترة في نظرهم من تراجع للامتداد الروماني سياسيا وحضاريا في البحر المتوسط²، ولكون الوندال السبب المباشر -في نظرهم- وراء تراجع وسقوط روما في بلاد المغرب القديم، غير أنه قد ظهرت بعد ذلك دراسات حديثة أعطت صورة جديدة للوندال ولدولة الوندالية في بلاد المغرب، عكس ما ذكرته المصادر التاريخية في حق الوندال وعلاقتهم بالقبائل المورية، وهو ما سنحاول التطرق إليه في هذا الفصل من الدراسة .

1. أصل الوندال :

تتعلق دراسة قبائل الوندال وتاريخهم من دراسة المصادر التي كتبها الأعداء التاريخيون للوندال، أمثال فيكتور أسقف فيتا³ (Victor de Vita) و بوسيديوس أسقف قالمة⁴ (Possidius de Calama) وفراندوس أسقف قرطاج (Ferrandus de Carthage)⁵ و بروكوبيوس (Procopius⁶) سكريتير القائد البيزنطي بليزارسوس الذي الذي صاحبه في حملته على بلاد المغرب ضد الوندال، الأمر الذي حتم على هؤلاء المؤرخين عدم الإنصاف والحياد أو الموضوعية في المعلومات التي ساقوها لنا عن الوندال و تاريخهم، الأمر الذي حتم علينا استعمال هذه الكتابات بحذر وتمحيص دون قبول كل الأحداث والوقائع المذكورة عن الوندال بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية .

¹ - Philip Von Rummel, hordes sauvages et vandales vertueux, trad julia walter, grand exposition du land de bade-wurtemberg, 2009,du 24 octobre 2009 au 21 février 2010,éd baden-wurttembreg,p14.

² - Courtois ch., De Rome à l'islam, R.Afr, T.86, 1942, p48

³ - Victor de Vita, historia persécutions africae temporibus geisrici et henerici regum wandalorum, dans les monumenta germanaie, auctores antiquissimi, T III, 1, Berlin, 1879.

⁴ - Possidius de Calama, vita augustini, éd.werskotten, londres, 1919.

⁵ - Ferrandus de Carthage, vita st.fulgentii, éd.g.g lapyre, paris, 1929.

⁶ - Procope de Césarée, bellum vandalorum, éd.haury, dans bibl.tenb.3 vols, munich, 1906-1913.

فمثلا لا يمكن الاستغناء عن كتابات فيكتور دو فيتا (Victor de Vita) لمعرفة مختلف الأحداث التي جرت في بلاد المغرب في الفترة الوندالية وفي القرن الخامس للميلاد، لأنه المصدر الوحيد الذي لا يمكن الاستغناء عنه والذي تطرق لتاريخ المنطقة في هذه الفترة ، خاصة فترة حكم الملك الوندالي جنسريق وابنه هنريق¹ ، رغم ما ورد فيه من معلومات مشكوك في صحتها، وقد تكون غير صحيحة، حيث كتب عن الوندال بدافع الكره والحق الذي كان يكنه لهم، لأنهم اكتسحوا بلاده، فقد ذكر أن الوندال دمروا كل مظاهر الحضارة الرومانية والعمران، وأقاموا المذابح للسكان المحليين ورجال الدين وأشعلوا النيران في كافة ربوع بلاد المغرب .

الوندال شعب جرمانى من أصول نرويجية²، ويدعى الوندال كغيرهم من الشعوب الجرمانية الأخرى انتسابهم إلى أصول مقدسة، وجددهم هو الإله هرمينو (Hermino) ابن الإله مانوس (Manous) ابن الإله تويستو (Twisto)، هاجروا من موطنهم الأصلي على بحر أزوف (Azouf) عبر ألمانيا وفرنسا ثم إسبانيا، واعتنقوا خلال هجرتهم النصرانية الأريانية، وكانوا أعداء للكاثوليك، كما يذكر أنهم دمروا كل شيء وجدوه في طريقهم، خاصة المشآت العسكرية وقلاع المدن في بلاد المغرب، و حيث دمروا أسوار لبدة (Liptis) وصبراتة (Sabrata) وربما أوبا (Oea) ، وما يوحي بذلك قطع النقود التي وجدت في لبدة، وهي دليل على رغبة الوندال في احتلال مقاطعة طرابلس³.

وهناك من المؤرخين من يرى أن موطنهم الأول كان في إقليم اسكندنافيا، وذلك قبل القرن الثاني قبل للميلاد⁴، ثم استقروا بعدها في إقليم جنوب نهر الأودر (Oder)⁵، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الساحل الشمالي لجرمانيا الشرقية على حدود بحر البلطيق وأقاموا

¹ - Serge .L, l'antiquité tardive et le christianisme, Op-cit, p247

² - Gean-L voisin, Najar L, op-cit, p280.

³ - خشيم ع.ف، المرجع السابق، ص185

⁴ - Bergasa I, op-cit, 38

⁵ - Claude Briand-Ponsart.Christophe Hugoniot, l'Afrique romaine de l'atlantique à la tripolitaine 146 av.j-c – 533 ap.j-c, éd Armand Colin, paris, 2006, p477.

هناك إلى غاية منتصف القرن الثاني ميلادي، ومنها انتقلوا إلى إقليم هنغاريا ثم إلى بلاد الغال مع بداية القرن الرابع ميلادي¹، ثم إلى شبه الجزيرة الأيبيرية سنة 409م، ومكثوا فيها إلى غاية سنة 429م تاريخ انتقالهم إلى بلاد المغرب القديم².

ذكر مصطلح الوندال (Vandale) كل من بلين³ (Pline) وتاسيت⁴ (Tacite)، ويعني حسبهما مجموعة من الشعوب التي كانت تستوطن شمال شرق أوروبا وليس شعبا واحدا، والسؤال المطروح ما علاقة الوندال الذين ذكروهم كل من بلين وتاسيت بالوندال الذين اجتاحوا بلاد المغرب مع بداية القرن الخامس ميلادي؟

و يمكن القول بأنهما شعبان وهما الهاسدينك (Hasdingue) و السيلنك (Silingae) ، حيث ينتمي الجد الأول للوندال إلى الفصيلة الأولى أي إلى الهاسدينك (Hasdingue) ، وهي أسرة حاكمة انبثقت منها الشعوب التي ستكون مملكة الوندال فيما بعد⁵.

يكتب اسم الوندال باللاتينية بأشكال مختلفة (Vandilu, Vanduli, Vandili,) ويكتب بالإنجليزية (Vandali, Bandiloi, Bandeloi,)، و كلمة الوندال مشتقة أصلا من الفعل الألماني (Wendeln) بمعنى يتجول أو يرتحل⁶، وهو ما يوحي إلينا نمط حياة الوندال، القائم على الترحال من مكان لآخر حسب الظروف، وأنهم شعوب لا تعرف ولم تعرف الاستقرار كما عرفته في بلاد المغرب، بعد أن استطاع جنسريق توحيدهم في مملكة واحدة عاشت مدة زمنية طويلة، وانتهت على يد البيزنطيين في النصف الأول من القرن السادس ميلادي.

¹ - Bergasa I, op-cit, p38.

² - اللبار محمد، الوندال بين التاريخ والوندالية، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، العدد الثالث، 2002م، ص171.

³ - Pline, Histoire naturelle, IV, 99.

⁴ - Tacite, Germanie, 2,4.

⁵ - التازي س. م.، الإمام بخلصة تاريخ ارض المغارب المرجع السابق، ص165

⁶ - نصحي إبراهيم، شمال إفريقيا والوندال (439-534م)، المجلة التاريخية المصرية، العدد 11، 1963م، ص90.91.

2. تحركات الوندال في القسم الأوروبي:

عاش الوندال في بداية عهدهم حلفاء للقوط الذين دفعوهم من موطنهم الأصلي نحو البحر البلطقي¹، وبدأت تنقلاتهم نحو الجنوب في القرن الثاني للميلاد، حيث وصلوا بسبب صراعات القبائل الجرمانية في المنطقة إلى حدود بوهيميا، أين وجد اسمهم منقوشاً في جبال هذه المنطقة²، وكانوا قد بلغوا قبل ذلك سهول الأودر (Oder) و الفيستول الأعلى (Vistule Supérieure)³ حوالي القرن الأول قبل الميلاد، وكانوا في تنقلاتهم هاته تحت قيادة زعيمين هما أمبري (Ambri) وأسي (Assi)، وقد دخلوا في صراع ضد اللومبارديين وخرجوا منه مهزومين، حيث عاشوا التشتت بسبب هجرة القوط⁴، وقد اجتمعوا في فئتين رئيسيتين يعرفان باسم السيلنج (Silingues) و الهاسدينغ (Hasingues) و توغلوا بعد ذلك جنوباً في أراضي الإمبراطورية الرومانية نتيجة الضعف الذي دبّ في الإمبراطورية الرومانية، واستقروا في إقليم داسيا (Dacia) شمال الدانوب⁵، حيث حظي الوندال في هذه الفترة بقسط من الأمن و الاستقرار في فترة حكم الإمبراطور كومودوس (Comodos) 180-192م، وأصبحوا بذلك في حماية روما وتحت سلطتها.

كانت العلاقة بين الوندال وروما علاقات ودية طيلة القرنين الثاني و الثالث ميلادي، حيث أقامت خلالها روما عدة معاهدات سلمية تمنع أي تجاوز وندالي ضد الأراضي التابعة لروما، وأضحت الجيوش الوندالية في صفوف الجيوش الرومانية، ومع بداية القرن الرابع وفي فترة حكم الإمبراطور قسطنطين 313-337م حدث صراع بين القوط الشرقيين و قبائل الوندال انتهى الصراع بإبادة الوندال، حيث لجئوا إلى الإمبراطور قسطنطين الذي

¹ - Courtois ch, les vandales et l'Afrique, op-cit, p18

² - Ibid, p21

³ - Bergasa I, op-cit,p38

⁴ - Courtois ch, les vandales et l'Afrique, op-cit, p18-19

⁵ - Carcopino Jérôme, profils de conquérant, éd Flammarion, paris, 1961, p362-363.

أعطاهم أراضي أخرى مقابل اعترافهم بسلطة روما، ومنحهم إقليمًا في بانونيا (Panonia) في واد الدانوب (المجر حاليًا)¹.

ومع نهاية القرن الرابع ميلادي غزا الهون (Huns) التتار إقليم الوندال، الأمر الذي حتم على القبائل الوندالية النزوح سنة 406م²، وتحالفوا في هذه المرة مع السيليينغ (Silingae)³، وانضم إليهم قبائل السويف (Saeves) الجرمان و قبائل الآلان (Alains)، حيث نزحوا نحو الشمال الغربي من إقليم الراين يريدون بلاد الغال⁴، وقد وصلوا إليها واستقروا فيها وكانوا تحت قيادة جونريك (Gunderic) أخ جنسريق، وتحركوا نحو الجنوب حتى وصلوا إلى جبال البرانس، وبدأوا يحضرون لدخول شبه الجزيرة الايبيرية سنة 409م⁵، حيث أبرموا معاهدة صلح مع الإمبراطور الروماني هونوريوس (Honorius)⁶، شريطة عدم القيام بأي عملية نهب تخريب أو اعتداء في المنطقة⁷، وفي هذه الفترة أدركت القبائل الجرمانية التي استقرت في شبه الجزيرة الايبيرية (الوندال الآلان والسويف) أن الصراع فيما بينها يخدم مصالح روما، فقاموا باقتسام المنطقة التي استقروا فيها وأرسلوا رسالة إلى الإمبراطور هونوريوس سنة 411م⁸ يعلنون فيها استقلالهم استقلالهم عن السلطة الرومانية⁹.

¹ - نصحي ابراهيم، المرجع السابق، ص96

² - Claude B-P. Hugonio Ch, Op-cit, p478

³ - Courtois Ch, les vandales et l'afrique, op-cit, p31.

⁴ - Oussedik Tahar, la berbèrie, II, éd entreprise national livre, alger, p87.

⁵ - Baratte F, op-cit, p131

⁶ - هونوريوس (Honorius) : أول أباطرة الإمبراطورية الرومانية الغربية بعد انقسامها، حيث تولى الحكم بعد وفاة والده تيودوسيوس الأول Théodosus سنة 395م، في الوقت الذي تولى فيه أخوه اركاديوس Arcadus شؤون الإمبراطورية الشرقية، دام حكمه إلى وفاته سنة 423م وقد كان حازما في مواجهة القبائل الجرمانية ومحاولة القضاء عليها بإذكاء نار الفتنة والحروب بينها. انظر:

- المنصور ع، لطفى ب، التاريخ القيم، المرجع السابق، ص199.

⁷ - نصحي ابراهيم، المرجع السابق، ص92-97.

⁸ - عثمان المنصور، لطفى بوشنتوف، التاريخ القديم قضايا وأبحاث، ط1، كلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء، 2005، ص199.

⁹ - للمزيد عن تحركات الوندال في القسم الاوروبي والى غاية الانتقال إلى بلاد المغرب القديم انظر:

- Carcopino Jérôme, profils de conquérant, op-cit, pp359-370.

تعرض الوندال في هذه الفترة لكثير من الضغوطات من طرف القوط الغربيين، وقد استطاع ملك الوندال جوندريك (Gondéric) لم شمل القبائل الوندالية و قبائل الآلان واتجهوا إلى جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية¹، حيث استطاعوا السيطرة على جزر الباليار أين بدأت سفنهم تنهب سواحل موريطانيا الطنجية منذ سنة 425م .

وبعد الاستقرار الذي عرفه الوندال في شبه الجزيرة الأيبيرية والمعاهدات السلمية التي أبرموها مع روما لمدة عشرين سنة، حدث أن قامت علاقات تحالف بين الكونت الروماني بونيفاس (Bonifas) حاكم بلاد المغرب وقائد الوندال جنسريك، الذي حكم بعد موت أخيه جوندريك سنة 428م²، وتم التحالف بين الطرفين سنة 428م، من أجل القضاء على سلطة الرومان بلاد المغرب واقتسام المنطقة، وكانت حملة الوندال على بلاد المغرب سنة 429م وهو تاريخ انتقال قبائل الوندال وحلفائهم من القسم الأوروبي إلى القسم الإفريقي³.

II. أسباب الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم:

تعددت وجهات نظر المؤرخين في أسباب ودوافع الاحتلال الوندالي للمغرب القديم، فمنهم من رأى أن الأسباب اقتصادية وأخرى سياسية متعلقة بالوندال في حد ذاتهم، وهناك من ربط أسباب الاحتلال بالظروف التي تمر بها الإمبراطورية الرومانية وكثرة والانقلابات العسكرية وحروبها مع القبائل المورية في بلاد المغرب، وفيما يلي أسباب الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم :

يرى كثير من المؤرخين أن من أهم الأهداف التي دفعت الوندال إلى احتلال بلاد المغرب هو الهدف الاقتصادي⁴، وأهم شيء حفز الوندال في الانتقال من جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية إلى بلاد المغرب هو الثراء و التنوع الاقتصادي الذي تزخر به المنطقة

¹ - Ayache Albert, op-cit, p75.

² - Bergasa I, op-cit, p39.

³ - نصحي إبراهيم، المرجع السابق، ص 100-101.

⁴ - Briand-Ponsart C. Hugoniot Ch, op-cit, p480.

وعرف ذلك من خلال الاحتكاك الأول بالمنطقة وسكانها فيما بين 425-426¹، وذلك لما كانت عليه من أهمية اقتصادية خاصة في إنتاج الحبوب و الزيتون و الكروم².

وما يؤكد ذلك الطريق الذي سلكه جنسريق بالوندال وصولا إلى الهدف الذي كان احتلال مقاطعة قرطاج واتخاذها عاصمة و الاستقرار فيها³، الأمر الذي يوحي لنا بأن الهدف كان مسطرا منذ البداية، وهو الوصول إلى أغنى المناطق الاقتصادية والحضارية في بلاد المغرب وهي مقاطعة البروقنصلية، لما كانت معروفة به المنطقة من ثراء اقتصادي كبير مقارنة بالمقاطعات الأخرى كموريطانيا الطنجية والقيصرية⁴، أي أن الملك جنسريق منذ البداية كان يبحث عن المناطق الآمنة والغنية اقتصاديا التي يمكن أن توفر الاكتفاء الاقتصادي لشعبه، لأن الاستقرار في أي منطقة مرتبط بما توفره من ثراء اقتصادي، لهذا سعى جنسريق بكل ما أوتي من قوة للوصول إلى أخصب الأراضي في بلاد المغرب وهي أقاليم قرطاج⁵.

و ما زاد من رغبة الوندال في احتلال بلاد المغرب انقلاب الكونت بونيفاس على السلطة الرومانية وربط علاقات تحالف مع الوندال⁶ واستدعائهم لاحتلال واقتسام أقاليم المغرب القديم⁷، حيث كان يهدف للانفصال و الاستقلال بالمنطقة عن سلطة روما، وقد قبل جنسريق عرض الكونت بونيفاس وبدأ يحضر للحملة⁸، حيث مكنه هذا التحالف من دخول المنطقة بكل أريحية، وحفز الوندال كثيرا تعاون الكونت بونيفاس ودفعهم أكثر

¹ - Modéran Y, les vandales et l'empire romain, éd Errance, Arles, 2014, p97.

² - Courtois Ch , les vandales et l'afrique,Op-cit,p157

³ - Moderan y, les vandales et la chute de Carthage, textes rassembler par Claude Briand-Ponsard et Sylvie crogiez, publication de l'université de Rouen, 2002, p100.

⁴ - Boulares H, histoire de la Tunisie (les grands de la préhistoire à la révolution), op-cit, p179.

⁵ - Hédi S et Autres, op-cit, p350.

⁶ - Ibid, p350

⁷ - Briand-Ponsart C. hugoniot Ch,op-cit,p480

⁸ - Courtois Ch, les vandales et l'Afrique, Op-cit, p156.

للإسراع في الحملة، واغتنام فرصة الضعف والمشاكل التي تتخبط فيها الإمبراطورية الرومانية¹.

وقد نص الاتفاق على تقسيم المغرب القديم بين الطرفين، بحيث تكون المنطقة الغربية من موريطانيا للملك جنسريك، والمنطقة الواقعة شرق واد لومبساقة إلى قرطاج تكون لصالح الكونت بونيفاس²، وكان هذا الاتفاق من أهم الأسباب التي دفعت الوندال أكثر إلى الانتقال إلى بلاد المغرب³.

اعتقد جنسريك أنه وبمجرد وصول قواته بلاد المغرب ستجد استقبالا كبيرا من قبل القبائل المورية المناهضة للسياسة الرومانية في المنطقة، وستهب إلى مساعدة الجيش الوندالي، بحيث ستكون تحت سلطته والسند القوي الذي يمكن الاعتماد عليه ضد الجيوش الرومانية، لأن القبائل المورية على علم بنقاط قوة و ضعف الرومان وعلى علم أيضا بطبيعة المنطقة الجغرافية ومسالكها الصعبة⁴.

ومن أسباب الحملة أيضا خوف الملك جنسريك من هجمات القبائل الجرمانية الأخرى على بلاد المغرب وضياع فرصة الاستيلاء عليها⁵، خاصة بعد التعرف على خيراتهما وما كانت تزخر به، فكان يرى فيها المكان الأمثل للاستقرار وتكوين دولة مستقلة، بعيدا عن الحروب و الصراعات التي عرفتها القبائل الوندالية في شبه الجزيرة الأيبيرية ضد القوط⁶، الأمر الذي لم يسمح بتكوين كيان سياسي مستقل فيها في ظل تزايد قوة القبائل القوطية الغربية التي حالت دون ذلك⁷.

¹ - Oussedik T, op-cit, p88.

² - التاجوري مفتاح محمد، التاريخ السياسي و الاقتصادي لشمال إفريقيا أثناء حكم الإمبراطور جوستينيان 527-565م، ط1، منشورات المركز الوطني للمحفوظات و الدراسات التاريخية، ليبيا، 2009م، ص53.

³ - Modéran Y, les vandales et l'empire romain, op-cit, p98.

⁴ - Oussedik T, op-cit, p88.89

⁵ - Hédi S et Autres, op-cit, p350

⁶ - Courtois Ch, Op-cit, p157.

⁷ - نجيب ف.إ، المرجع السابق، ص144.

كذلك من الأسباب الضغط الكبير الذي مارسه القوط الغربيون على القبائل الوندالية في شبه الجزيرة الأيبيرية، وكثرة الحروب مع قبائل السّويف¹ ، أي أن الأوضاع في شبه الجزيرة والاستقرار فيها بات مستحيلا، فأوجب ذلك على الوندال البحث عن مناطق أخرى، فكانت منطقة بلاد المغرب من بين إحدى الاختيارات الوندالية للاستقرار وتكوين دولة مستقلة² .

كما أن هجمات القبائل المورية المتتالية على المدن والمقاطعات الرومانية زاد من رغبة جنسريق في احتلال بلاد المغرب واغتنام الضعف الذي دبّ في الإمبراطورية الرومانية بسبب كثرة التمردات عليها، واغتنام فرصة الثورات المورية ضد السياسة الرومانية والتي أضعفت كثيرا الجيوش الرومانية وهو ما سيسهل عملية الاحتلال³ .

من خلال ما سبق يمكن القول أن الأسباب التي دفعت بالوندال إلى احتلال بلاد المغرب ارتكزت على ثلاث ظروف، منها ما هو خاص بالوندال في حد ذاتهم ، وظروف خاصة بالإمبراطورية الرومانية وأخرى خاصة ببلاد المغرب القديم، فكانت كلها دوافع زادت من رغبة الوندال في الانتقال من شبه الجزيرة الأيبيرية إلى بلاد المغرب واحتلال المنطقة، يأتي في مقدمة هذه الدوافع، المعاهدة التي أبرمها الوندال مع الكونت بونيفاس و الحروب الوندالية في شبه الجزيرة الأيبيرية مع قبائل القوط والسّويف، والثراء الاقتصادي لبلاد المغرب القديم، والأوضاع المزرية التي تمر بها الإمبراطورية في أوروبا وإفريقيا، خاصة بعد وفاة الإمبراطور هونوريوس سنة 423م، وما آلت إليه أوضاع روما الغربية وعدم قدرتها في السيطرة على المناطق التابعة لها، خاصة مناطق بلاد المغرب بسبب كثرة ثورات القبائل المورية ، فكلها أسبابا ودوافع كانت وراء الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم .

¹ - Modéran Y, les vandales et l'empire romain,op-cit,p98.

² - Hédi S et Autres, op-cit, p350.

³ - اسكندر.ف.ن،المرجع السابق،ص144.

III. حملة الوندال على بلاد المغرب :

استطاع القائد الوندالي جنسريق من الوصول إلى بلاد المغرب ومعه عدد كبير من الوندال وقبائل القوط¹، وكانت المحطة الأولى موريطانيا الطنجية²، حيث تم التحالف مع الكونت بونيفاس في البداية، وبدأت الجيوش الوندالية تتجه نحو الشرق، إلى أن وصلت في حدود سنة 530م إلى هيپوريجيوس³ .

ويظهر من ذلك سرعة تنقل الوندال من الشرق إلى الغرب، الأمر الذي يدل على أنها لم تتعرض لأي مقاومة عنيفة ضدها⁴، لا من الجيوش الرومانية ولا من القبائل المورية، الأمر الذي يبعثنا إلى الاعتقاد أن جنسريق أبرم عدة اتفاقيات وعلاقات مع بعض زعماء القبائل المورية المناهضة للرومان قبل أن يباشر حملته، ونفس الأمر فعله مع الكونت بونيفاس قبل ذلك.

وتذكر المصادر أن الحملة الوندالية على بلاد المغرب انطلقت في ماي 429م⁵، حيث غادرت الجيوش الوندالية مدينة قادس باتجاه موريطانيا الطنجية، وعند وصول الجيوش الوندالية إلى موريطانيا الطنجية لم تتعرض لأي هجوم أو رد فعل من القبائل المورية ولا من طرف الجيوش الرومانية، الأمر الذي يؤكد العلاقات الحسنة والتحالفات التي قام بها جنسريق مع الكونت بونيفاس قبل الحملة⁶، أو ربما أن هذا الأخير أخلى المنطقة من الجنود الرومان لكي يتفرغ لمواجهة الجيش الإمبراطوري⁷ .

وقد انضم للملك جنسريق الدوناتيون الذين تعرضوا للاضطهاد الروماني، وكانوا مطاردين من طرف الإمبراطورية الرومانية الأمر الذي دفعهم للانضمام إلى الوندال،

¹ - Oussedik T, op-cit, p89.

² - George Hardy, vue générale de l'histoire d'Afrique, librairie Arnould colin, paris, 1922, p201.

³ -Hayzoune L, op-cit, p210

⁴ - Bergasa I, op-cit, 39

⁵ - Courtois Ch., Op-cit, p155.

⁶ - Ibid, p156.

⁷ -Louis j-v, Op-cit, p280.

لأنهم وجدوا فيهم المخلص و الملجأ من التعسف و الاضطهاد الذي أصابهم من طرف رجال الدين الكاثوليك¹.

وقد أقر مجموعة من المؤرخين في عدم إمكانية تحديد المنطقة أو المكان الذي نزلت فيه الجيوش الوندالية ببلاد المغرب، الراجح حسب كورتوا أنهم انتقلوا من اسبانيا ونزلوا في طنجة أو سبتة، وأنهم نزلوا في مكان ما بين طنجة وسبتة، حيث كانت بذلك محطة الانطلاق باتجاه الشرق، وهناك من يقول أنهم نزلوا في طنجة².

كان عدد الوندال الذين انتقلوا والى بلاد المغرب ثمانون ألف وندالي³، من بينهم رجال و نساء أطفال وشيوخ⁴، وكان تعدادهم مابين خمسة عشر ألف إلى عشرين ألف فرد، حيث نجد هذا العدد عند فيكتور دي فيتا والذي يقول:

«ilico statuit omnem multitudnem numerari,quam huic luci ad illam usque diem ulterus profuderaventris ,qui reperti sunt senes,juvenes,parvuli ,servi vel domini octoginta millia numerati. »

« تقرر مباشرة آنذاك إحصاء كل الحضور وكل من أنجبتهم البطون لحد ذلك اليوم، فكان عدد من أحصي من العجز والشباب و الأطفال و العبيد و الأسياد ثمانون ألفا » .

هناك تضارب في الآراء حول عدد الجيش الوندالي مع بداية الحملة على بلاد المغرب والذي عبر بهم جنسريق جبل طارق، حيث قدرهم بعض المؤرخين ب خمسين ألف مقاتل⁵، وهناك من يذكر ستين ألف⁶، وهناك من يذكر ثمانون ألفا⁷، و الظاهر أن

¹ - Oussedik T, op-cit, p89.

² - Courtois Ch, Op-cit,p159.

³ - Christophe Hugoniot, Rome en Afrique de la chute de Carthage au début de la conquête arabe, éd.flammarion, 2000, p209.

⁴ - قبريال كامب، الذاكرة و الهوية ،ترجماد الله عزوز الطلحي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،ليبيا،2005،ص213.

⁵ - Procope, GV, I, 5,18-19.

⁶ - اللبارم،إفريقيا الوندالية،المرجع السابق،ص39.

⁷ - تكلم فيكتور الفيتي2,H.P,I,victore de vita, عن 80 ألف والعدد الإجمالي بما في ذلك الأطفال النساء الشيوخ....الخ، أما بروكوب6,18,H.S, Procope, فذكر أن العدد 80 ألف فقط من الجنود دون النساء و الأطفال و الشيوخ...الخ.

بعض المؤرخين يخلط بين جيش جنسريق بعد سنة 455م، وبين الشعب الوندالي سنة 429م، وذلك بسبب اعتمادهم على ما أورده بروكوب فقط، في حين لم يتجاوز عدد الجيش الروماني ثلاثين ألف جندي في بلاد المغرب في هذه الفترة، الأمر الذي صعب من مهمة التصدي للحملة الوندالية وتحالف الكونت بونيفاس مع الوندال¹.

وحسب محمد اللبار أن بروكوب لم يميز في مؤلفه بين مفهوم قائد الألف عند الإغريق الذين كانوا يدونون بلغتهم ومفاهيمهم، وبين مفهوم قائد الألف عند الوندال، حيث أن قائد الألف عند الوندال كان يرأس وحدة سياسية واجتماعية قوامها ألف نسمة، بمن فيهم رجال، نساء، شيوخ، أطفال، أسياء، عبيد، مدنيين، عسكريين.....الخ، وكانت عادة الوندال عموماً تعتمد على تكوين جيش من الرجال الأحرار القادرين على العمل العسكري، يختارون من بين كل وحدة سياسية واجتماعية، حيث لا تتعدى نسبتهم في الواقع بعد الاختبار ربع تعداد العدد الحقيقي من الألف²، الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد أن عدد الجيش الذي كان تحت سلطة قائد الألف لم يكن يتعدى مئتين أو مئتين وخمسين مقاتل وكأقصى حد ثلاث مائة مقاتل.

حيث استعمل الملك جنسريق هذه الرتبة العسكرية فقط بهدف خداع الرأي العام للزيادة من عدد الجيوش الوندالية، لزرع الخوف و الذعر في صفوف الجيوش الرومانية، ويقول بروكوب في ذلك : « عمد هذا الملك (جنسريك) إلى تنظيم الوندال و الألان في فرق وجعل عليها ثمانون قائداً سماهم قادة الألف ليشيع بين الناس أن تحت رايته ثمانون ألف مقاتل، في حين يقال أن عدد الوندال و الألان لم يتعدى الخمسين ألف »³.

و على إثر الإحصاء الذي قام به جنسريق والذي يقول أن عددهم كان ثمانون ألفاً سنة 429م، نستنتج مما سبق أن عدد الجنود من بين كامل القبائل الوندالية لم يتجاوز

¹ - Pierre Cosme, les empereur romains, éd licence, paris, 2011, p221.

² - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص41-42.

³ - Procope, GV, I, 5.18-19.

العشرين ألف مقاتل على أكثر تقدير، وهذا العدد لم يختلف كثيرا عن ما اقترحه بعض الباحثين مثل ما اقره كل من مورتروي (Martroye) شارل أندري جوليان (Charle André Julien) وكورتوا (Courtois) ¹ .

وقد سارت الجيوش الوندالية بعد ذلك نحو الشرق، انطلاقا من طنجة حيث وصلت بعد أربعة أشهر من السير إلى ألتافا، قاطعة بذلك مسافة 700 كلم، وهو ما يعادل قطع مسافة ثمانية كلميترات في اليوم ² .

و قد وصلت إلى موريطانيا السطايفية ثم إلى نوميديا سنة 430م، في الوقت الذي قام به الكونت بونيفاس بحملة انقلابية ضد الجيوش الرومانية في هيبون ريجيوس سنة 430م، في الوقت لم ترسل فيه الإمبراطورية الرومانية الغربية أي إمدادات تذكر لإيقاف الزحف الوندالي على الأقاليم الرومانية في بلاد المغرب، ولم تنظم أي حملة على الوندال لإنقاذ المنطقة من السيطرة الوندالية، غير الإمدادات التي أرسلها تيودوس الثاني ³ (Theodosell) إمبراطور روما الشرقية، ولكنها لم تف بالغرض حيث لم تمنع الجيوش الوندالية من السيطرة على أقاليم نوميديا والوصول إلى هيبوريجيوس في حدود سنة 531م ⁴ التي حاصرها جنسريق لمدة 14 شهرا إلى أن أسقطها واتخذها عاصمة له ⁵، وهو التاريخ الذي توفي فيه القديس أوغسطين ⁶ .

وأمام هذا الوضع المتأزم غيرت روما من سياستها الدفاعية، وقامت بإبرام معاهدة صلح مع القائد الوندالي جنسريق سنة 535م، اعترفت له وللقبائل الوندالية فيها بالمناطق

¹ - Courtois ch, les vandales et l'afriquen, op-cit, p230.

² - Carcopino Jérôme, profils de conquérant, op-cit, p371

³ - تيودوس الثاني Théodose II : هو ثاني أباطرة الإمبراطورية الشرقية، تولى الحكم بعد وفاة والده اركاديوس سنة 408م، وهو في سن السابعة من عمره تحت وصاية القائد انتميموس إلى سنة 414م، وبعدها تولت شؤون الوصاية عليه أخته بولشيريا Polcheria ثم وصاية زوجته عليه أليا اودوكيا إلى وفاته سنة 450م... انظر: - المنصور ع، المرجع السابق، ص204.

⁴ - Jean LV, Op-cit, p281.

⁵ - عثمان المنصور لطفي بوشنتوف، المرجع السابق، ص201.

⁶ - Carcopino Jérôme, profils de conquérant, op-cit, p373

التي سيطروا عليها¹، وذلك بعد فشل محاولات القائد أسبار (Aspare) في القضاء على الوندال².

حيث وجد الملك جنسريق في هذه المعاهدة الفرصة لتهيئة الجيوش، وتعبئة القبائل المورية المناهضين لسياسة الرومان للقيام بالحملة الكبرى، وتحقيق الهدف الأكبر وهو الوصول إلى احتلال العاصمة قرطاج والقضاء على سلطة روما في بلاد المغرب، وهو ما تم فعلا سنة 439م³.

حيث استطاع جنسريق أن يسيطر على قرطاج ويجبر روما على توقيع معاهدة استسلام مع الإمبراطور فالونتينيان الثالث⁴ (Valentinien III)، و الاعتراف بالسلطة الوندالية على بلاد المغرب سنة 442م⁵، حيث غادرت فلول الوندال بعد هذا التاريخ المنطقة الغربية والوسطى من بلاد المغرب، وانتهى بها الأمر إلى الاستقرار في المنطقة الشرقية التي كانت أراضيها أكثر خصوبة وازدهارا كما تحتوي على مختلف المرافق الحضارية و العمرانية التي ورثتها عن الرومان⁶.

IV. تحركات الوندال في بلاد المغرب:

يرى الكثير من المؤرخين أن تنقل الوندال من الغرب إلى الشرق كان برّيا⁷، انطلاقا من طنجة إلى ألتافا ثم موريطانيا السطايفية ومن سيرتا إلى عنابة⁸، وكانت

¹ - Serge Lancel, l'Algérie antique de Massinissa à saint augustin ,éd mengès, paris,2003,p235.

² - Carcopino Jérôme, profils de conquérant, op-cit,p374

³ - Wells C.M, l'Afrique à la veille des invasions arabes, les éditions de l'université d'ottawa, canada, 1982, p87

⁴ - فالونتينيان الثالث **Valentinian III** : هو ابن أخت الإمبراطور هونوريوس، الأميرة كلا بلاسيديا من زوجها القائد قسطنطين المتوفي سنة 421م، تولى الحكم بعد وفاة خاله سنة 423م وهو صبي صغير لا يتعدى عمره الأربع سنوات، حيث نصبت أمه نفسها وصية عليه إلى أن توفيت سنة 450م ومات بعد ذلك سنة 455م....انظر: - منصور ع، المرجع السابق، ص201.

⁵ - Jean LV,Op-cit,p282

⁶ - Gostynski T, l'Afrique du nord dans l'antiquité, éd librairie chater Ahmad, marrakeche, p222.

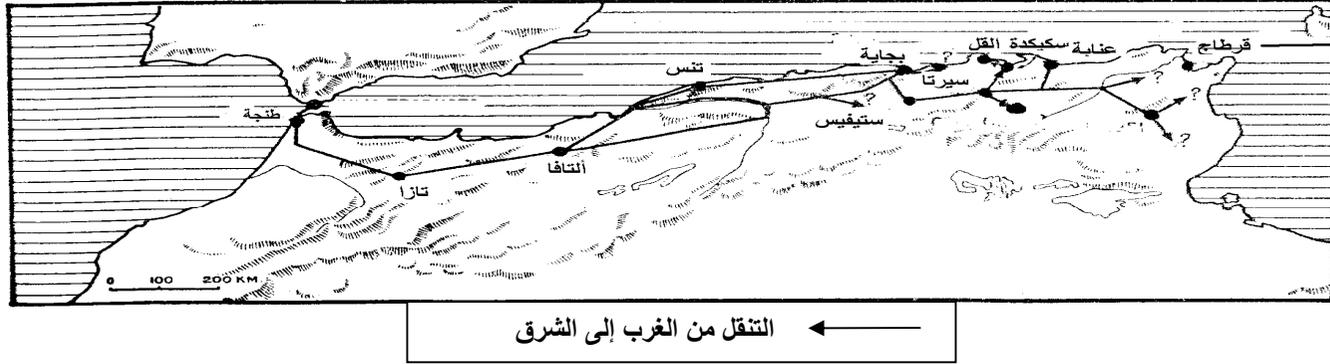
⁷ - Carcopino Jérôme, profils de conquérant,op-cit,p370 .

⁸ - Hédi S et autres, op-cit, p352.

المحطة الأخيرة قرطاج، وهو الرأي الذي يميل إليه كريستيان كورتوا ويضيف أن التنقل لم يكن عن طريق الساحل بل كان داخليا¹.
وهناك من يرى أن الحملة الوندالية على بلاد المغرب القديم بدأت من جهة الغرب عبر مضيق جبل طارق والتنقل كان ساحليا، حيث انتقل جنسريق ومعه ثمانون ألف من القبائل الجرمانية²، تنقلوا بعدها عبر مناطق كثيرة، انطلقا من تنس ثم قيصارية فتنبازة إلى ايكوزيوم وشولو(القل) وصولا إلى عنابة ثم قرطاج (انظر الخريطة رقم 02. ص120) .

¹ - Courtois Ch ,Op-cit,p159

² - Baratte F, Op-cit, p131



خريطة رقم: 02

تحركات الوندال من الغرب إلى الشرق ببلاد المغرب (بتصرف)

Courtois ch, les vandales et l'Afrique, op-cit, p161.

وحسب المصادر أن الملك جنسريق كان يدمر كل ما كان يعترض طريقه، ويحرق المزروعات ويهدم البنايات و الكنائس، ويقتل الشرفاء من الرومان ورجال الدين¹، إلى أن وصل في حدود 430م حدود عنابة واحتلها بعد حصار دام أربعة عشر شهرا²، غير أننا نجهل المدة الحقيقية التي قضاها الوندال في السير، ومختلف الأحداث والصعوبات التي واجهتهم في التنقل إلى غاية الوصول إلى عنابة والاستقرار فيها، سوى ما ذكرته المصادر أنهم بلغوا حدود عنابة في شهر ماي أو جوان من سنة 430م، وبمساعدة الدوناتيين لهم ضد الرومان³.

والسؤال الذي طرحه نظرحه، لماذا لم يواصل الملك الوندالي جنسريك سيره باتجاه قرطاج بمجرد وصوله واحتلاله لعنابة؟ حسب كورتوا أنه ربما كان متخوفا من إرسال الإمبراطورية الرومانية أو البيزنطية الإمدادات و الجيوش إلى بلاد المغرب، الأمر الذي لم يكن قادرا على تحمله وجيوشه وخوض المعارك، حيث اقتضت الضرورة وإستراتيجية جنسريق على الهدنة و الصلح مع روما لإعادة بناء وتجهيز صفوف الجيش قبل الدخول في المعركة الفاصلة والسير باتجاه قرطاج⁴.

وقع جنسريق سنة 435م معاهدة سلام مع تريجتيوس (Trigitius) خليفة بونيفاس في حكم قرطاج، تعترف روما فيها بسلطة جنسريق على كل من موريطانيا وجزء من نوميديا إلى غاية تبسة، واتخذ عنابة عاصمة مؤقتة له⁵، إلى غاية 439م تاريخ الحملة على قرطاج التي احتلها في أكتوبر من نفس السنة، وبدأ يحضر لإقامة مملكته في بلاد المغرب عاصمتها قرطاج⁶.

¹ - اسكندر فن، المرجع السابق، ص23

² - Procope, GV, I, 3,3-4

³ - Courtois Ch, Op-cit, p162.

⁴ - Courtois ch, les vandales et l'afrique,p164.

⁵ - Jean pierre duclos-aprico, de la berbérie à l'Algérie, éd dualpha, paris, 2012, p58.59

⁶ - Yves modérant, les vandale et la chute de Carthage, actes des journée d'étude organisé par G.R.H.I.S.,université de Rouen,28 janvier 1998,publiation de l'université de Rouen,2002,p100.

وقد ترك لنا بروكوب وصفا دقيقا لأحوال بلاد المغرب، أثناء الانتصار الذي حققه جنسريق فيقول: « اختار ملك الوندال من بين سكان إفريقيا أكثرهم غنى وأعظمهم شأنا، فانتزع أملاكهم وأثاثهم، وسخر الرقاب بعد أن كبلها بسلاسل العبودية ثم جرد الأفارقة من أخصب أراضيهم وأوسعها ووزعها على الوندال، وقد سميت هذه الأراضي بأراضي الوندال ولم تنزل محتفظة بهذا الاسم إلى اليوم- أي إلى فترة كتابة بروكوب لمصنفه- ، ولم يلبث الملاك القدامى أن نزلوا إلى أدنى درجات البؤس، ولكنهم احتفظوا بحريتهم وأمكنهم أن يستقروا حيثما شاءوا، وأعفى جنسريق الوندال وابنيه من الضرائب وأبقى لأهل البلاد جميع الأراضي التي اعتبرها ضعيفة الإنتاج ولكن أثقل كاهلهم بالضرائب فكانت تأتي على محاصيلهم »¹.

ولم يتوقف جنسريق عند هذا الحد بعد احتلال الجزء الشرقي من تونس حاليا، بل واصل سلسلة انتصاراته باحتلال كل من جزيرتي صقلية وسردينيا، وهاجم روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية سنة 455م، وغنم منها الكثير، حيث توفي تاركا وراءه إرثا كبيرا لخلفائه ودولة قوية لابنه هنريك الذي سيواصل مسيرة والده في السلب و النهب².

V. المعاهدات الوندالية الرومانية:

هناك اختلاف بين المؤرخين في عدد المعاهدات التي أبرمت بين الوندال والرومان، سواء مع روما الشرقية أو الغربية، إلا أن العديد من المؤرخين يقر بوجود ثلاث معاهدات جمعت الطرفين مابين بداية الحملة الوندالية سنة 429م والى غاية احتلال العاصمة قرطاج وفيما يلي بنود هذه المعاهدات:

1. معاهدة سنة 432م:

وردت نصوص المعاهدة عند بروكوب، حيث كانت بين ملك الوندال جنسريق والإمبراطور فالوننتيان الثالث ويذكر أنها نصت على أن يدفع جنسريق للإمبراطور

¹ - اسكندر ف ن، المرجع السابق، ص27.

² - Oussedik.T, op-cit, p93.

فالونتينيان الثالث جزية سنوية معتبرة كرمز للمعاهدة التي تجمعهما، وان يقوم جنسريق بإرسال ابنه هنريق كرهينة إلى رافانا (Ravanna) كضمان للمعاهدة ولتحقيق شروطها مع احتفاظ الوندال بالمناطق التي سيطروا عليها، وعدم التعرض للمناطق الأخرى التي هي تحت سلطة الرومان¹.

وحسب بروكوب أن سبب قبول الملك جنسريق للمعاهدة وشروطها هو الخوف من إرسال القسطنطينية جيوشا أخرى ضده، الأمر الذي قد يهدم مخططاته في احتلال بلاد المغرب، إضافة إلى عدم تمكنه فعليا من تنظيم الشؤون الداخلية لمملكته، واستغلال الهدنة في استراحة جيوشه من الحروب التي خاضتها وتعب السفر وتحضيرها لحروب أخرى، كما فكر في الاستعانة بالجيوش المورية التي أبرم معها معاهدات تعاون ضد روما²، حيث نجده ينقض المعاهدة بمجرد تمكنه من تنظيم شؤونه الداخلية و عودة ابنه إليه سنة 435م الذي كان رهينة عند الرومان، أما سبب إبرام روما هذه المعاهدة يعود إلى المشاكل الداخلية والخارجية الكبيرة التي كانت تتخبط فيها، الأمر الذي صعب عليها مقاومة الجيوش الوندالية في بلاد المغرب³.

2. معاهدة سنة 435م:

تجدد التفاوض بين الوندال والرومان بعد نقض الوندال للمعاهدة الأولى، حيث تقرر بين الطرفين اللجوء إلى السلام وتم وضع معاهدة جديدة في 11 فيفري 435م⁴، تجدد فيها اعتراف الإمبراطورية الرومانية بحق الوندال في الإقامة في بلاد المغرب⁵، حيث جاءت هذه المعاهدة لتأكيد ما جاء في المعاهدة الأولى المبرمة سنة 432م⁶، حيث لم تنص على أي بند جديد ما عدا اعتراف روما رسميا بسيطرة جنسريق على إقليم نوميديا

¹ - Procope, GV, I, 4.13.

² - Procope, G. V, I, 4

⁴ - Baratte F, op-cit, p131.

³ - المنصور ع المرجع السابق، ص201

⁵ - نصحي ا، المرجع السابق، ص 116.

⁶ - المنصور ع، المرجع السابق، ص202.

والى غاية عناية¹، حيث تمت المعاهدة بين جنسريق وممثل الإمبراطور الروماني تريكييتيوس (Trigetius)².

وكان سبب رضوخ روما لمطالب وتوسعات الوندال هو المشاكل التي كانت تعاني منها في السلطة، وكذا التوسعات والهجمات المتوالية عليها من القبائل الجرمانية خاصة القوط الشرقيين الذين زادوا من ضعف و تلاشي الإمبراطورية³، الأمر الذي ساعد الوندال في التوسع وعدم التعرض لمقاومة تذكر من طرف الرومان وكذا الدخول في معاهدات أخرى ستنتهي الاحتلال الروماني لبلاد المغرب وتثبيت الاحتلال الوندالي.

3. معاهدة سنة 439م:

اغتم الملك جنسريق الفوضى التي كانت تتخبط فيها الامبراطورية الرومانية، حيث منى الجيش الروماني بانهزام كبير في اقليم غاليا أمام ملك القوط الغربيين تيودوريك (Théodoric) ما بين 420-451م، وعجز القائد الروماني ايتيوس (Aetius) عن إيقاف زحف قبائل القوط نحو نهر الرون، كما كانت روما تتخبط في انهزام الجيش الروماني في اسبانيا أمام قبائل السويف، الذين استطاعوا توسيع مناطق نفوذهم في كاليسيا (Calicia)، كما اغتم جنسريق فرصة الصراع البيزنطي مع الهون (les Huns) بقيادة أتिला (Attila) وأخيه بليدا⁴ (Bléda)، فقام جنسريق في هذه الظروف بالهجوم على قرطاج والسيطرة عليها سنة 439م، وأجبر الرومان على إبرام معاهدة سلام مع الوندال⁵، اعترفت فيها روما بالسيطرة الوندالية على بلاد المغرب وبالأخص أراضي البروقنصلية وطرابلس⁶.

¹ - Modéran Yves, les frontières mouvantes du royaume vandales, frontière et limites géographique de l'Afrique du nord antique hommage à pierre salama ,publications de la Sorbonne, paris,1999,p244.

² - اللبار م ،إفريقيا الوندالية،المرجع السابق،ص64

³ - Delaplace ch., op-cit, p201.

⁴ - المنصور ع، المرجع السابق، ص202-203.

⁵ - Modéran Y, les frontières mouvantes du royaume vandales,op-cit,p244.

⁶ - Baratte F, op-cit, p131.

ما يؤكد إبرام المعاهدة بين الطرفين عدم وجود أي صراع أو رد فعل روماني ولا بيزنطي بعد الاحتلال الوندالي لقرطاج سنة 539م وطيلة ثلاث سنوات من السيطرة الوندالية عليها أي إلى غاية سنة 441م، تاريخ تجهيز إمبراطور روما الشرقية تيودوسيوس الثاني (Théodosus II) لحملة ضد الوندال في بلاد المغرب حالت دون القضاء على الوندال، وانتهت بمعاهد أخيرة بين الطرفين تعترف فيها روما الشرقية والغربية بسلطة الوندال على مقاطعة بلاد المغرب القديم.

4. معاهدة سنة 442 م:

أبرمت هذه المعاهدة بعد فشل الحملة التي جهزها تيودوسيوس الثاني على الوندال، وتم على اثرها توقيع معاهدة صلح بين الطرفين الوندالي والبيزنطي سنة 442م، وهي بمثابة اعتراف بيزنطي بسلطة الوندال على بلاد المغرب، وهي اعتراف رسمي من بيزنطا بدولة الوندال¹، و قد استغل جنسريق المشاكل التي كانت تتخبط فيها بيزنطة وصراعها مع الفرس و الهون في حدودها الشرقية حيث اجبرها على سحب كافة جيوشها من جزيرة صقلية².

وأبرم معاهدة أخرى في نفس السنة مع إمبراطور روما الغربية فالونتتيان الثالث وتم فيها اقتسام بلاد المغرب بين هذا الأخير و جنسريق، حيث احتفظ جنسريك بمقاطعة زغوان (البروقنصلية) والبيزاكينا وطرابلس ونوميديا الشرقية، وتسلم الإمبراطور الروماني مبدئياً نوميديا الغربية و الموريطانيات الثلاث³، وقد جاء في المعاهدة ما يلي :

<< cum giserico ab augusto valentiniano pax confirmata et certus spatii africa inter utrosque divisa est >>

نصت على: >> بعد قبول الأغسطس فالونتتيان السلم مع جنسريق قسمت إفريقيا بين الطرفين إلى أجزاء معينة <<

¹ - Courtois Ch, les vandales et l'Afrique, Op-cit,p173.

² - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص78.

³ - Modéran Y, les vandales et l'empire roman,op-cit,p1443-144.

ونفهم كيفية اقتسام إفريقيا بالرجوع إلى ما ورد عند فيكتور دي فيتا، الذي تكلم عن دخول جنسريق إلى قرطاج واحتلالها حيث جاء:

« (geisericas)sibi byzacenam, abritanam atque getuliam et partem numidiaie ,exercitui vero zeugitanam vel proconsularem ,funicula hereditatis divisit, valentiniano adhuc imperator reliquas licet iam exterminatas provincias defend est »

« إن الملك جنسريق احتفظ لنفسه بالبيزاكينا وباريتان وجيتوليا وجزء من نوميديا ووزع أراضي زغوان والبروقنصلية على جيشه، وعادت الولايات الباقية المنهكة إلى حماية الإمبراطور فالوننتيان»¹ .

والسؤال الذي يمكن طرحه هل بقيت روما تسيطر على المقاطعات التي نصت عليها المعاهدة أم أنها فقط بنود على ورق لم تتجسد على أرض الواقع ؟ وإن تجسد ذلك، فما هي المناطق التي سيطرت عليها القبائل المورية نتيجة تحالفها مع الوندال ضد روما ؟

الأمر الذي يدفعنا إلى عدم قبول فكرة سلطة الرومان في بلاد المغرب بعد سنة 439م، تاريخ سقوط قرطاج أو قبل ذلك أي في سنة 435م تاريخ وصول الوندال إلى هيبون رجيوس وتأسيس عاصمة مؤقتة لهم، و يمكن القول والتأكيد على أن المناطق التي كانت خارج سلطة الوندال تم استرجاعها وأصبحت مناطق مورية تابعة للقبائل المورية، والدليل على ذلك بروز عدة ممالك مورية مستقلة غرب نوميديا وإلى المحيط الأطلسي .

كما يمكن اعتبار المعاهدة الموقعة بين جنسريك و فالننتيان الثالث بمثابة الاعتراف الرسمي لروما بسلطة الوندال على بلاد المغرب وتاريخ ميلاد مملكة أو دولة وندالية مستقلة عن روما تربطها علاقات تعاون² ، حيث استمر هذا التعاون فترة طويلة سواء مع الرومان أو مع البيزنطيين، وهو ما نجده في العلاقات التي كانت تربط الملك الوندالي

¹ - Victor de Vita, H.P.V, I, 13.

² - Modérant Yves, l'établissement territorial des vandales en Afrique, an tard, 10, 2002, p88.

تراساموند وإمبراطور روما الشرقية أناستاز (Anastase) ما بين 496-523م¹ ، كذلك العلاقات التي ربطت الإمبراطور جوستينيان وهلدريك فيما بعد² .

VI. حدود السيطرة الوندالية في المغرب القديم :

أكدت نتائج الأبحاث و الحفريات التي قامت بها فطيمة خضرة أن كل المناطق من موريطانيا والى الحدود الوهرانية الغربية كانت تحوي ممالك مستقلة تسيطر على الإقليم، الأمر الذي ينفي السيطرة الوندالية في الجزء الغربي من بلاد المغرب لقديم³، حيث خضعت المناطق الداخلية لسيطرة السكان المحليين الذين كانوا مستقرين في الجبال وعلى حدود خط الليمس الروماني، وقد تحالفوا مع الوندال بهدف استرجاع أراضيهم التي سلبتها منهم الإدارة الرومانية⁴.

وبعد مرور سنوات قليلة من الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب، أصبحت الأراضي ما بين نوميديا والبيزاكينا أراضي مورية تسيطر عليها وعلى طرقها التجارية القبائل المورية ، وأصبحت مناطق الأوراس الشاسعة تحت سلطة المور وتحت مراقبة القادة المور، هذا ما بين 483-484م وهو ما أكده موديران في أطروحته (المور وإفريقيا الرومانية)، وما يؤكد السيطرة المورية على الأوراس نقيشة أريس التي تم العثور عليها والتي تذكر ملكا اسمه ماستياس والذي أعلن نفسه ملكا للمور و الرومان⁵ .

ويقر أغلب المؤرخين المحدثين بأن السيطرة الوندالية في بلاد المغرب لم تتجاوز مقاطعة البروقنصلية و البيزاكينا وجزء من الشريط الساحلي من طرابلس، وجزء من شرق

¹ - Procope, GV, I, 8-14.

² - Modérant Yves, l'établissement territorial des vandales en Afrique, op-cit, p94

³ - Gelbert M, op-cit, p179.

⁴ - François Decret et Mohamed Fantar, l'Afrique du nord dans l'antiquité, op-cit, p343.

⁵ - Serge L, l'Algérie antique, p236.

نوميديا وصولا إلى عنابة وما جاورها¹، أما باقي المناطق الأخرى فقد كانت تحت سلطة القبائل المورية التي سيطرت عليها مع بداية الحملة الوندالية² (انظر الخريطة رقم 03 ص 132).

ويمكن تأكيد حدود مملكة الوندال في شمال إفريقيا من خلال ما أورده فيكتور دي فيتا في مؤلفه، والذي ذكر فيه المناطق التي كانت خاضعة لروما إلى غاية معاهدة 442م، وهي المعاهدة التي أبرمت بين جنسريق و فالونتينيان الثالث حيث يقول:

« **geinsericus disponens quoque suigulas quasque povincias sibi byzacenam abaritanam atque getuliam et partem numidia reservavit,exercitui, vero zeugitanam vel proconsularum,funucula heriditatis divisit, valantiniano adhuc imperator reliquas licet iam exterminator provincias de fendent** »

حيث يذكر فيكتور دي فيتا³ أن الملك جنسريق احتفظ بولاية البيزاكينا وجيتوليا وأباريتانا⁴ مع جزء من نوميديا حيث منح لجيشه البروقنصلية التي كانت تسمى زغوان بينما ظلت الموريطانيات الثلاث السطايفية القيصرية و الطنجية مع نوميديا الغربية تحت سلطة الامبراطورية الرومانية⁵.

وما يدل على خضوع جزء من نوميديا للملك الوندالي جنسريق هو العثور على نقيشة تحمل اسم الملك الوندالي جلمير (Gelmir) في منطقة هنشير الكريبة (Henchir koreiba) (تقع على بعد حوالي 50 كلم جنوب سيرتا)⁶، الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد الاعتقاد أن حدود مملكة الوندال قد تصل إلى غاية الأراضي الشرقية المجاورة لسيرتا

¹ - Courtois Ch, Op-cit, p174.

² - فاضل لخضر ، مملكة الاوراس بين الاحتلال الوندالي وبداية الفتح الإسلامي ،مجلة عصور،العدد 17،2011م،الجزائر،ص200 .

³ - Victor de Vita, HPV ,I,13.

⁴ - وفيما يخص موقع جتوليا فهناك من يقر أنها تقع في منطقة من مناطق مقاطعة نوميديا أما اباريتان فتقع في جنوب نوميديا وهي بمحاذات الاوراس ...انظر:

- Claude Briand-Ponsart et Yves Modéran, provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine, éd C.R.A.H.M, France, 2009, p249.

⁵ - بن حرييط ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص66

⁶ - Courtois Ch, Op-cit, p180.

وهذا ربما مع بداية الاحتلال وفي عهد جنسريق، أما في عهد خلفائه فقد تقلصت حدود الوندال كثيرا عما كانت عليه ، حيث سيطرت عليها القبائل المورية .

وبالرجوع إلى نص فيكتور دي فيتا¹، نجده يذكر ولايتين هما "جيتوليا" و "أباريتان" الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن موقع هاتين الولايتين في مملكة الوندال، حيث أشار أفزاك (Afzac) إلى أن المقصود بجيتوليا هو البيزاكينا الجنوبية، ويقول قوتيي (Gautier) أنها تمتد في جنوب شرق البيزاكينا أي على الحدود الطرابلسية.

أما ما ورد في لائحة بوتنجر (Table de Peutinger) التي تعود للقرن الثالث ميلادي، فتضع منطقة جيتوليا في المنطقة الممتدة بين كالسيوم هركليس (ad calceum herculis) (القنطرة حاليا) وتيلبت (Thelepte) (المدينة القديمة) في الجنوب وكاديوفالا (Gadiaufala) (قصر الصبيحي) وتيفست (Theveste) في الشمال²، أما كورتوا (Courtis) وبدون دليل جازم فيضع جيتوليا في جنوب البيزاكينا³ وهو نفس الرأي الذي اقره شميد (Schmidt)⁴ .

ويذكر ديزانج⁵ (Desages) أن المقصود بجيتوليا، المنطقة الممتدة بين الشريط الساحلي لنوميديا وشمال سلسلة الأوراس⁶، ويستند في ذلك على ما أورده القديس أوغسطين (Saint Augustin) الذي يقصد بجيتوليا نفس المنطقة، حيث يقابلها بنوميديا التي تضم مقر أسقفية أي في هيبو ريجيوس، حيث نجده في موضع آخر يتحدث عن عدم وفرة الزيتون في أسقفية أي في نوميديا، وبهذا فان أوغسطين يقصد بجيتوليا المنطقة

¹ - Victor de Vita, Historia persicutionis africanae, I, 13, éd .C.Halm .MGH, a.a, t.III, p4.

² - بن حريبط ع.م، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص68-69.

³ - Courtois, les vandales et l'Afrique, op-cit, p174.

⁴ - Modéran Y, les vandales et l'empire roman,op-cit,p144.

⁵ - Desanges J, un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandales et byzantine,op-cit,p49-55.

⁶ - Modéran Y, les vandales et l'empire roman, op-cit, p144.

الواقعة شمال سيرتا، ويمكن القول في ذلك أن جيتوليا تشكل جزءا من ولاية نوميديا بمفهومها الواسع¹.

أما ولاية أباريتان فيضعها أفزاك (Afzac) في طرابلس وأن اسمها تم تحريفه من اسم صبراتة (Sabratha) الواقعة غرب الولاية الطرابلسية، إذا لم تكن هي الطرابلسية نفسها، وهو رأي كورتوا أيضا²، أي أن هذه المقاطعة تقع غرب طرابلس وهي احد الممرات ما بين طرابلس و البيزاكينا.

في حين يقرب ديزانج (Desanges) بين جيتوليا وباريتان ويعتمد على ما أورده بروكوب عندما ثار المور بالاوراس وأعلنوا انفصالهم عن الوندال، في الوقت الذي لم يذكر فيه فيكتور دي فيتا شيئا عن الاوراس، وأورد اباريتانا مباشرة بعد جيتوليا، الأمر الذي يوحي بقرب المسافة بينهما، وإن صحّ توطين جيتوليا في جنوب الشريط الشمالي لنوميديا فربما يقصد ب أباريتانا منطقة الاوراس³.

ونفهم من ذلك أن الملك جنسريق احتفظ بكل من البروقنصلية، البيزاكينا، ونوميديا الشرقية، وأخضع بعض المدن الساحلية من طرابلس مثل: صبراتة و أويا⁴، ويظهر ذلك حينما أقدم جنسريق قبل سنة 455م على نفي كل من الأسقفين فانكينتيوس (Vincentius) أسقف صبراتة، و كريسكونيوس (Crisconius) أسقف أويا(طرابلس)⁵.

أويا(طرابلس)⁵.

كذلك ما ذكر بروكوب عن ثورة قام بها أحد قادة مدينة طرابلس وانفصاله عن سلطة الوندال سنة 533م، وبذلك تكون المنطقة الشرقية من بلاد المغرب هي حدود المملكة

¹ - بن حريبط ع.م، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص70.

² - Courtois, Victore de vita et son oeuvre, op-cit, p36.

³ - Desanges J, un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandales et byzantine, op-cit, p50-51.

⁴ - Courtois Ch, Op-cit, p174.

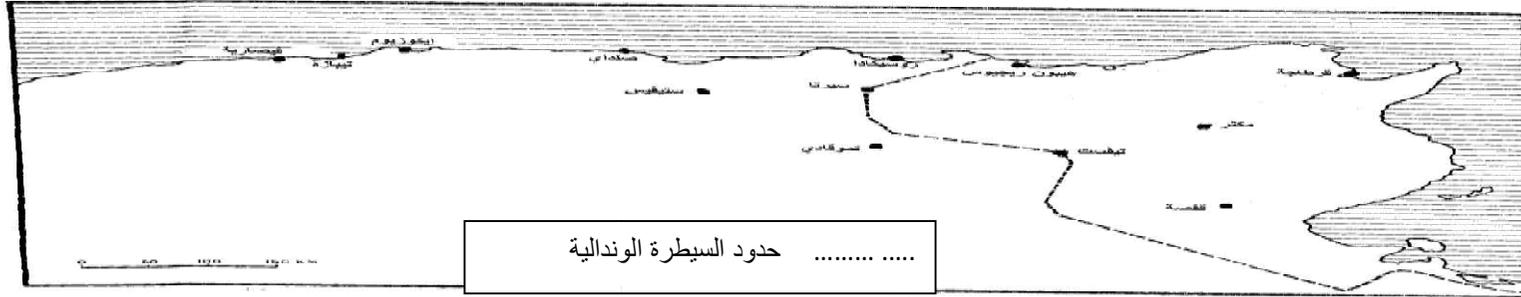
⁵ - Victore de vita, HPV, I, 23.

الوندالية وإلى غاية الاحتلال البيزنطي وهي المنطقة الأكثر ثراء والأكثر تمدنا وترومنا في كامل بلاد المغرب القديم¹ .

ويمكن القول أن نوميديا كانت مقسمة بعد سنة 455م إلى قسمين، جزء منها كان تابعا للوندال والجزء الآخر كان خارجا عن سيطرتهم، الأمر الذي يقودنا إلى القول أن الحدود الوندالية ربما وصلت إلى غاية شرق نوميديا ولم تتعدها إلى غاية سقوط الوندال سنة 534م، أما الأجزاء الأخرى فقد استرجعتها مختلف القبائل المورية².

¹ - بن حرييط ع.م، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص71.72.

² - Courtois Ch, Op-cit, p181.



خريطة رقم: 03

حدود السيطرة الوندالية ببلاد المغرب (بتصرف)

Courtois ch, les vandales et l'Afrique, op-cit, p179.

VII . مملكة الوندال في عهد جنسريق :

اتخذ القائد الوندالي جنسريق في بادئ الأمر هيبوريجيوس عاصمة له قبل سنة 439م¹، بعد توقيع المعاهدة مع الرومان سنة 435م إلى غاية الاستيلاء على قرطاج سنة 439م²، وأصبحت هذه الأخيرة عاصمة جديدة للوندال في بلاد المغرب وعاصمة خلفاء جنسريق من بعده³ .

نظم الملك جنسريق مملكته تنظيمًا إداريًا محكمًا حيث حافظ على مختلف الدواوين التي ورثها عن الإدارة الرومانية في بلاد الغرب⁴، هذه الدواوين (السياسية، الاقتصادية والعسكرية) التي انصب اهتمامها وقوتها وطاقتها في استخلاص الضرائب بصفة خاصة وفي استغلال اقتصاد المنطقة⁵ .

كما استولى على أخصب الأراضي وأغنى المناطق الفلاحية في قرطاج ووهبها لولديه بعد أن اقتطعها من الملاك الرومان الكبار في المنطقة⁶، أما الأراضي الفقيرة و التي ليس لها مردود فلاحى كبير فقد تركها لملاكها مقابل دفع الضرائب⁷، والجزء الآخر منحه لرجال الدين وللقبائل الوندالية و القادة العسكريين في المناطق التابعة لهم .

وقد أصدر جنسريق مجموعة من القوانين الرديعية التي كان يهدف من خلالها القضاء على طمع وجشع بعض الأطراف الإدارية و العسكرية⁸، وكذا تخفيف عبئ الضرائب على كافة شرائح المجتمع الوندالي بالمقارنة لما كانت تفرضه السلطة الرومانية⁹، الأمر الذي أدى إلى استتباب الأمن و الاستقرار طيلة فترة حكمه¹⁰، ما يؤكد

¹ - Hervé Ingleberf, op-cit, p45

² - اللبار محمد، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص89 .

³ - Procope, G.V, I, 20, 21

⁴ - Georges Tate, op-cit, p533

⁵ - Merce Pyronton, Histoire générale de Maghreb, éd Albin Michel, paris, 1966, p40.

⁶ - Georges Tate, Justinien l'épopée de l'empire d'orient (527-565), éd Fayard, paris, 2014, p532.

⁷ - Ingleberf H, op-cit, p45.

⁸ - Martroye, Genséric, op-cit, p399.

⁹ - Procope, G.V, II, 8, 24-25.

¹⁰ - Tate G, op-cit, p532.

ذلك عدم تسجيل المصادر لأي عداة أو صراع ضد الوندال من طرف المور أو الدواريين أو الدوناتيين.

كما أحدث الملك جنسريق ديوانا خاصا بالشرطة الأخلاقية مهمته محاربة كل مظاهر الفساد الأخلاقي في المملكة، يحث على آداب حضور الملاعب و المسارح ومعاقبة كل من يتجاوزها، كما حارب العنف وعاقب كل من له علاقة بأعمال الشغب¹، وقد انتعشت الحياة الاقتصادية و الحركة التجارية في الأسواق خاصة في قرطاج نتيجة الأمن الذي عرفته المملكة الوندالية طيلة فترة حك الملك جنسريق².

كانت علاقة القبائل المورية بصفة عامة مع الوندال في عهد جنسريق علاقة تحالف لم تعرف أي صراع³، حيث لم تورد المصادر أي ثورة طيلة فترة حكم الملك جنسريق وذلك وذلك ما بين 429-477م، وما يؤكد العلاقات السلمية بين المور و الوندال تحالف القبائل المورية مع جنسريق ومشاركتها في الحملات البحرية التي قادها على جزر المتوسط (سردينيا، كورسيكا، جزر الباليار، صقيلية، وبعض سواحل البولوبونيز)⁴، و ضد الإمبراطورية الرومانية سنة 455م والتي غنم فيها الكثير، وقد لعبت قبائل الجيتول و الغارمنت و القبائل المورية دورا كبيرا في هذه الحملات⁵.

وفيما يخص الحرية الدينية، فقد حافظ الملك جنسريق على المعاهدة التي أبرمها مع الرومان، التي تقضي بالسماح لكافة رجال الدين الكاثوليك المنفيين بالعودة إلى أسقفياتهم وفتح كنائسهم، وكانت هذه المعاهدة سنة 474م واستمرت إلى غاية وفاة الملك جنسريق لتتغير الأوضاع بعدها في عهد خلفائه .

¹ - اللبارم، إفريقيا الوندالية، ص90.

² - Martroye, Genséric, op-cit, op-cit, p378.

³ - Tate G, op-cit, p532.

⁴ - فايز نجيب اسكندر، الحياة الاقتصادية في الشمال الإفريقي في عهد الوندال 429-534م، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003م، ص10-11.

⁵ - Victor de Vita, H.P.V, I, 25.

استطاع الملك جنسريق بقوته وحنكته من تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة وندالية، وكان ذلك عاملا هاما في التطور الاقتصادي والاجتماعي للقبائل الجرمانية في أوروبا بفعل العلاقات التجارية التي كانت تجمعهم، وللقبائل المورية في بلاد المغرب القديم، حيث تطورت التجارة وأعمال القرصنة التي كثيرا ما شاركت فيها القبائل المورية¹، الأمر الذي يوحي بطبيعة العلاقات السلمية بين الطرفين، إذ لم تتعرض الممالك المورية لاضطهادات أو ثورات ضدها من طرف الوندال²، فقد اقتصرنا ربما على رجال الدين الكاثوليك فقط وذلك في إطار الصراع الديني بين الكاثوليكية و الأريوسية³.

وبالنظر إلى التطور الاقتصادي الذي بلغه الوندال في بلاد المغرب طيلة عهد جنسريق ابنه هنريق، لا يمكن قبول بالشائعات الكاذبة التي روج لها رجال الكنيسة الكاثوليكية ببلاد المغرب أمثال فكتور أسقف فيتا، وبوسيديوس أسقف قالمة، وفراندوس أسقف قرطاج، لما ألصقوا بالوندال من صفات الوحشية و التهديم والتخريب .

فقد عمل جنسريق على مصادرة أملاك الطبقة الارستقراطية الزراعية، سواء كانوا من العامة أو من رجال الدين الكاثوليك، غير أنه لم يمس الفلاح البسيط بسوء لأنه يدرك تماما أن الازدهار الاقتصادي يرتكز أساسا على عمل الفلاح اليومي وعلى ما يقدمه من ضرائب نتيجة لاستغلاله للأرض وخدمتها .

¹ - Tate G,op-cit,p531.

² - اسكندر ف ن، الحياة الاقتصادية في الشمال الإفريقي في عهد الوندال 429-534م، المرجع السابق، ص12.
³ - الأريوسية **Arianisme** : مذهب مسيحي ينفي صفة الألوهية عن السيد المسيح وروح القدس ، ولا يعرف بالربوبية إلا الله وحده، دعا إلى هذا المذهب أحد رجال الكنيسة في الإسكندرية بمصر مع مطلع القرن الرابع ميلادي ، وجوهر آراء اريوس أن الإله له وجود قديم دائم لا يقبل الانقسام، وان السيد المسيح -الابن- حديث له بداية وخلق من العدم ، وعليه فلا يمكن أن يكون الابن اله، وجد هذا المذهب معارضة شديدة من الكاثوليكية ونصّبوه العدا في السر و العلن لأنه يخالف عقيدتهم القائمة على أساس الإيمان بالتالوث المقدس...انظر :

- Jean-Marie Blas de roblès, Libye, Greque, Romaine et Byzantine, éd éd sud, France,1999,p17.

ما يؤكد التطور والازدهار الاقتصادي في بلاد المغرب في عهد جنسريق، ما ورد في ألواح البيرتيني (Tablette Albertini)¹، فهي أكبر دليل على وجود أطلال المؤسسات الاقتصادية، و ما أثار معاصر الزيتون، وبقايا الأسوار لصدم مجرى السيول، إلا دليل يظهر طبيعة الفرد المغاربي الفلاحية، كما أن الاستقرار الذي عرفته المنطقة في عهد جنسريق، دفع السكان إلى ممارسة الزراعة وأعمال الفلاحة، الأمر الذي سيشهد حركية اقتصادية كبيرة غابت عن المنطقة مدة زمنية طويلة².

كما بينت لنا الألواح نظام استغلال الأراضي في عهد الوندال، وهي أول عقود بيع تم العثور عليها في جنوب تبسة، حيث سلم منها ثلاثة عشر عقدا دون أن يمسه تلف في النصوص، وثمانية عشر عقد بيع ناقصة وتتعلق جميعها ببيع العقارات، فهي تفيدنا بمعلومات عن فترة حكم قونداموند 484-496م وعن نظام بيع العقارات آنذاك بين البائع و المشتري، كما تصف العقار المباع، واسم المشتري، ومبلغ البيع، وحقوق المشتري، وحماية العقار من الانتزاع و المصادرة، كما تبين مكان كتابة العقد وتاريخه، ونجد العقد أحيانا يحتوي توقيع البائع و المشتري، كما تثبت الألواح لنا استمرار التقاليد الرومانية القديمة في عملية البيع والشراء³، وربما استمرار القوانين الرومانية في تسيير شؤون العامة طيلة الفترة الوندالية .

VIII. مملكة الوندال في عهد خلفاء جنسريق :

ضعفت كثيرا مملكة الوندال بعد جنسريق بسبب تقاعس خلفائه من بعده، حيث مال أغلب الملوك و القادة إلى حياة الاسترخاء والترف، وعجزوا عن إخماد الثورات المورية

¹ - ألواح البيرتيني *Tablette d'albertini* : تم اكتشاف الألواح في شهر سبتمبر من عام 1928م، وعددها 45 لوح بجنوب تبسة، وقد سلمت هذه الألواح من التلف بفضل عناية ترويو A.Truillot الذي كان يشغل منصب كاتب، وقد قدمها الأستاذ البرتيني إلى مجمع الخطوط و الرسوم، مجموعة هذه الألواح بعد أن توصل إلى قراءة نصوصها المكتوبة بالحبر، حيث وجدها تتعلق بنظام الأراضي وعقود البيع، ويعود تاريخ هذه الألواح إلى سنوات 493-496م أي إلى فترة حكم الملك الوندالي قونداموند 484-496م.....انظر:

- Charles-André Julien, Histoire de l'Afrique du nord, paris, 1975, t1, p240.

² - Tate G, op-cit,p532.

³ - Saugman.Ch, Tablettes Albertini , Actes privés de l'époque vandales (fin de 5 siècle),paris,1952,p97 .

المتواصلة ضد المملكة الوندالية، حيث أصبحت غاية الملوك الوندال بعد جنسريك ليس التوسع وإنما المحافظة على المناطق التي كانوا يسيطرون عليها على عهد جنسريق، وما يفهم من ذلك أن قوة السلطة الوندالية وضعفها مرتبط أساسا بقوة وضعف ملكها، فهو أساس القوة و الضعف في الدولة الوندالية .

وقد أشار بروكوب إلى أسباب الضعف الوندالي، وذكر بأن الملوك الوندال مالوا إلى حياة الترف وأصبحوا يستعملون الحمامات بشكل يومي و الموائد الشهية، وما كانوا يتزينون به من ملابس الحرير و الحلي الذهبية، وسكنوا القصور ومالوا إلى اللهو في المسارح و الشرك والصيد ومجالس الطرب و المجون، كلها أسباب اجتمعت وأدت إلى انحطاط وضعف دولة الوندال وانهارها بسهولة فيما بعد ¹.

يذكر فيكتور دي فيتا أن أعداد الوندال أصبحت قليلة أواخر القرن الخامس ميلادي مقارنة بما كانت عليه في بداية الحملة خاصة الجند منهم²، وأصبح الجيش ضعيفا و الخزينة عاجزة تماما بعد جنسريك، حيث لم تستطع تغطية نفقات المؤسسة العسكرية للمملكة، وسبب هذا العجز يعود إلى الظروف الاقتصادية والسياسية المزرية، وسوء التسيير من طرف خلفاء جنسريق وتوقف الحملات العسكرية على روما بعد المعاهدات التي أبرمها هذا الأخير قبل وفاته أي ما بين 474-476م³ .

أما حدود مملكة الوندال فقد تقلصت كثيرا بعد جنسريق و تعرضت الكثير من المناطق التابعة للوندال إلى التوسع من طرف القبائل المورية الطرابلسية والأوراسية و قبائل البيزاكينا، الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد أن المور ساهموا كثيرا في إضعاف وزوال مملكة الوندال من بلاد الغرب قبل الحملة البيزنطية سنة 533م .

¹ - Procope, G.V ,II,6,5-9.

² - Victore de Vita, III, 1.

³ - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص160.

كما أوردت المصادر فيما يخص رجال الدين الكاثوليك أنهم لم يحصلوا على نفس المزايا التي حصلوا عليها في عهد جنسريق، فقد تعرضوا بعد هذا الأخير وفي عهد خلفائه إلى أشد أشكال التعذيب و الاضطهاد و التنكيل و النفي.

وقد تم إبرام معاهدة دينية بين هنريك ابن جنسريق وإمبراطور بيزنطا، تقضي بالتسامح الديني بين الطرفين، نصت على أن تسمح الإمبراطورية البيزنطية لمعتقي المذهب الأريوسي فوق أراضيها بممارسة شعائرهم الدينية بكامل حرية، على غرار ما يتمتع به الكاثوليك في بلاد المغرب¹، وكل تهاون بيزنطي في تنفيذ الشرط الأول سيقابله هنريك بنفي كل رجال الدين الكاثوليك الموجودين بمملكته في بلاد المغرب، وأمام تعنت الإمبراطور زينون (Zinon) في تعامله مع الأريوسيين وجد هنريك نفسه مضطرا بعد أن كانت معاملته للكاثوليك حسنة، لنهج نفس السياسة إزاء الكاثوليك حيث قام باضطهادات كثيرة ضدهم².

IX. العوامل التي ساعدت الوندال على إسقاط روما في بلاد المغرب القديم:

هناك من المؤرخين من يرجع أسباب نجاح حملة الوندال على بلاد المغرب إلى أواخر القرن الرابع ميلادي، يأتي في مقدمة هذه الأسباب أن روما لم تكن تحتل كامل المناطق الداخلية لبلاد المغرب القديم، حيث تركت البعض منها تابعا لها رسميا لكن تحت تسيير بعض القادة المحليين.

كما تعود أسباب الضعف إلى ظهور الحركة الدوناتية و الدوناتيين، والدور الكبير الذي لعبوه في إضعاف روما واقتصادها في المنطقة وإضعاف دين الإمبراطورية الرومانية الكاثوليكية والحد من انتشاره، حيث استطاع الدوناتيون كسب عدد كبير من السكان المحليين وتجنيدهم ضد الإمبراطورية الرومانية وسياستها القمعية القائمة على الضرائب الكثيرة التي أثقلت كاهلهم .

¹ -Procopé, G.V, I, 7,26.

² -Courtois.ch, les Vandales et l'Afrique, op-cit, p264.

ومن العوامل التي زادت من ضعف سلطة الرومان في بلاد المغرب، ظهور قادة وزعماء موريين أقوياء على رأس القبائل المورية، استطاعوا حشد الجيوش ضد السياسة الرومانية والقيام بثورات كبيرة مثل: ثورة الأخوين القائد فيرموس (Firmus) سنة 372م وجيلدون (Gildon) سنة 397م، والتي كان صداها كبيرا وتأثيرها عميقا في إضعاف روما¹، كذلك انتقال القبائل المورية الداخلية من الجنوب نحو الشمال والثورات التي كانوا يقومون بها خاصة ما بين 427-428م جنوب موريطانيا السطايفية²، مستغلين الضعف الذي دب في الإمبراطورية الرومانية، وانقلاب حاكمها عليها الكونت بونيفاس على السلطة في بلاد المغرب القديم .

لقد تعددت الأسباب و العوامل التي ساعدت على إضعاف روما في بلاد المغرب، و التي سهلت المهمة للوندال للدخول واحتلال المنطقة، حيث استطاع الملك الوندالي جنسريق تحقيق الانتصار على الجيوش الرومانية و الوصول إلى هيبو ريجيوس واحتلالها في حدود 535م والوصول إلى قرطاج واحتلالها سنة 539م³، وقد استفاد هذا الأخير كثيرا من المساعدات التي تلقاها من الدوناتيين والفلاحين الفقراء من المور الذين عانوا كثيرا من السياسة التعسفية الرومانية، فوجدوا في الوندال فرصة سانحة للتخلص من روما وسياستها و الثأر من رجال الدين الكاثوليك⁴.

ومن الأسباب أيضا ضعف الجيش الروماني في المغرب القديم مع مطلع القرن الخامس ميلادي⁵، بسبب كثرة التمردات و الانقلابات العسكرية داخل الجيش الروماني، فقد شهدت هذه الفترة ثلاث تمردات قام بها كونتات بلاد المغرب ضد السلطة الرومانية منها، تمرد القائد جيلدون ما بين 395-398م، وتمرد هرقل سنة 413م وتمرد الكونت

¹ - Scripta Varia , l' Afrique romaine, l' harmatan, paris, p151.152.

² - Hervé Ingleberf, Atlas de Rome et des barbares, éd autrement, paris, 2009, p44.

³ - Varia S , Op-cit, p152.

⁴ - بوكبوط محمد، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، ط1، مركز طارق ابن زياد، الرباط، 2002م، ص83.

⁵ - Ingleberf H, op-cit, p44.

بونيفاس سنة 423-429م¹، وتمرد هذا الأخير سرع من عملية السقوط وساعد في تنقل الوندال من اسبانيا إلى بلاد المغرب وكان السبب المباشر لسقوط روما في بلاد المغرب القديم²، أضف إلى ذلك كثرة الثورات المورية ضد السلطة الرومانية واستغلال فرصة الانقلابات العسكرية، كل هذه الأحداث أدت إلى ضعف الجيش الروماني ووحداته وهو ما سهل من عملية الاحتلال الوندالي و القضاء على روما.

ومن أسباب الضعف الذي دبّ في الجيوش الرومانية هو أن عدد كبير من الجنود في الجيوش غير رومانية والكثير من عناصرها جنود مرتزقة³، لا علاقة لهم بالحضارة الرومانية ومبادئها لا عرقا ولا ثقافة⁴، الأمر الذي أدى إلى انسحاب الكثير من العناصر خاصة منها المورية وانضمامهم إلى الثورات التي قامت ضد روما وبالخصوص مع الحملة الوندالية، وقد اكتسبوا وأتقنوا فنون القتال و الاستراتيجية الحربية الرومانية فهم بذلك على دراية تامة بنقاط قوة وضعف الجيش الروماني.

ومن العوامل التي ساعدت الوندال أيضا، عدم تعرض الجيوش الوندالية في موريطانيا الطنجية لأي رد فعل أو هجوم من طرف القبائل المورية، ويظهر ذلك من خلال التحالف بين جنسريق و بعض القادة المور في موريطانيا الطنجية، حيث سهلت هذه القبائل عملية السير والاتجاه شرقا ومهمة الانتقال من موريطانيا الطنجية إلى القيصرية، وما يؤكد ذلك سكوت المصادر عن ذكر أي صراع بين الطرفين الموري و الوندالي طيلة فترة حكم الملك جنسريق 429-477م⁵.

¹ - Francois Baratte, l'Afrique romaine tripolitaine et Tunisie, éd .J.Picard, paris, 2012, p131.

² - Delaplace Christine, la fin de l'empire romain d'occident. Rome et les wisigothe de 382 à 531, éd presses universitaires de rennes, 2015, p197.

³ - Lot , la fin du monde antique,op-cit,p270.

⁴ - Albertini E, l'Afrique romaine,op-cit,p65.

⁵ - اللبار محمد، الباكواط وتاريخ موريطانيا الطنجية، سلسلة الندوات و المناظرات، العدد الثامن، 2005م، مركز الدراسات التاريخية و البيئية، الرباط، ص89.

وما يؤكد التعاون الموري الوندالي هي تلك العلاقات التي كانت تربط قادة القبائل المورية مع جنسريق، حيث كانت الجيوش المورية في مقدمة الجيوش الوندالية وفي حملات جنسريق ضد روما وعلى جزر المتوسط، كما تم استقبال المور لعدد كبير من رجال الدين الكاثوليك الذين تم نفيهم من طرف الملوك الوندال¹.

هذا ويعتقد الكثير من المؤرخين أن الاستغلال الاقتصادي و الجبائي الذي كانت تفرضه الإدارة الرومانية على سكان بلاد المغرب القديم والفساد الإداري للحكام الرومان في بلاد المغرب، كان وراء ميل القبائل المورية إلى جانب الوندال، حيث وجدوا فيهم الخلاص من السياسة التعسفية الرومانية².

كما تذكر المصادر أن الجيوش الوندالية عند نزولها في بلاد المغرب وجدت مساعدات كبيرة، خاصة من أنصار الدوناتيون و الدوارون، حيث تم الانتصار على الرومان بمشاركة ومساعدة مختلف الفئات الاجتماعية في بلاد المغرب، حيث سهلت شعوب المنطقة خاصة الذين كانت علاقتهم بالسلطة الرومانية علاقة عدائية، فقد ناصر الجيوش الوندالية ولم تتعرض لها³.

X. استمرار الحضارة الرومانية بعد سقوط روما في بلاد المغرب :

يرى كثير من المؤرخين أن سقوط النظام السياسي الروماني في بلاد المغرب على يد الوندال، لا يعني سقوط النظم الحضارية الرومانية الأخرى كالنظام الإداري أو الديني⁴، فقد بقي عدد كبير من الرومان أو السكان المترومنين خاصة ملاك الأراضي الكبار ورجال الدين على النظم الحضارية الرومانية القديمة⁵.

¹ - عيش يوسف، مقاومة المور خلال القرن السادس ميلادي، ملتقى وطني(المقاومة الجزائرية عبر العصور) وزارة الثقافة،سطيف،2012م،ص113.

² - بلاو علي اسماعيل، الوندال عابرون في شمال إفريقيا، مجلة زمان،العدد الأول،نوفمبر 2013م،ص59.

³ - اللبار محمد، الموريون والمملكة الوندالية بإفريقيا الشمالية،مجلة المصباحية،العدد الخامس،2001م،فاس،ص39.

⁴ - Ingrid B,op-cit,p38

⁵ - Christophe H,op-cit,p219

حيث استمر التأثير الحضاري الروماني رغم سقوط النظام السياسي، وبقيت القيم الحضارية الرومانية مثل: اللغة اللاتينية التي بقيت منتشرة ويتكلم بها السكان¹ في بلاد المغرب من بقايا الرومان واللاتين و المترومانيين من السكان المحليين، وبقي الدين المسيحي الكاثوليكي الذي ظلوا يدينون به، بما فيهم القبائل المورية المحلية المترومنة²، رغم الاضطهاد الكبير الذي تعرض له الكاثوليك ورجال الدين في المنطقة .

حيث اهتم رجال السلطة والطبقة الارستقراطية الوندالية وكبار الملاك والأمراء بالصيد وحياة الترف والبذخ طيلة الفترة الوندالية، وأهملوا الجوانب الحضارية الأخرى التي تقوم على أساسها الدول، وما يؤكد ذلك ما ورد في ألواح البيرتيني التي تعود إلى أواخر القرن الخامس ميلادي، خاصة فيما يتعلق بكيفية كتابة العقود والمواثيق على نفس الطريقة الرومانية القديمة التي وجدوها منتشرة في بلاد المغرب³، إذ لم يحاولوا تغيير نمط الحياة الروماني القديم الذي كان سائدا، بل تعايشوا مع النظم الرومانية التي وجدوها⁴، وما يدل على ذلك أن كل الأراضي و الضيعات الكبيرة بقيت تسير من قبل ملاكها القدماء، وتمّ تسخير العبيد لخدمتها وإخضاع السلطة و التبعية للوندال .

حيث حافظت طبقة الملاك الكبار على حياتها القديمة ونظمها الحضارية الرومانية، فقد كانت تشكل نسبة كبيرة من مجتمع المغرب القديم، خاصة في مقاطعتي البروقنصلية والبيزاكينا⁵، و كانت علاقتهم بالسلطة الوندالية قائمة على الاستغلال، وبقيت الأراضي تحت سلطة أصحابها مقابل دفع ضرائب للسلطة الوندالية، وبقي جزء قليل يستغل من طرف الفلاحين الارستقراطيين من الوندال⁶.

¹ - Romy Heyner, hordes sauvages et vandales vertueux, grand exposition du land de bade-wurtemberg 2009, du 24 octobre 2009 au 21 février 2010, éd baden-wurtemberg, p15 .

² - Hédi S et Autres, op-cit, p377.

³ - Modéran Y, les tablettes Albertini et les ostraka de bir trouch, Op-cit, p250.

⁴ - Ingrid B, op-cit, p38.

⁵ - Modéran Yves, les tablettes Albertini et les ostraka de bir trouch, op-cit, p250.

⁶ - Christophe H, op-cit, p220.221.

و كما سبق ذكره فإن الشيء الوحيد الذي بقي يحافظ على الجوانب الحضارية الرومانية والثقافة الرومانية في بلاد المغرب القديم بعد سقوط السلطة السياسية الرومانية هم الملاك الكبار من الرومان أو المترومنين الذين بقوا يدافعون عن أراضيهم وأملاكهم و ثقافتهم الرومانية القديمة، حيث لم يتأثروا بالحضارة والثقافة الوندالية، ونجد أيضا رجال الدين الكاثوليك الذين تمسكوا بالديانة الكاثوليكية رغم الإضطهادات الكبيرة و تضيق السلطة ورجال الدين الأريوسيين عليهم¹ .

XI. المحاولات الرومانية والبيزنطية لاسترجاع المغرب القديم من الوندال:

منذ أن وطأت أقدام الوندال بلاد المغرب القديم والأباطرة الرومان الشرقيين منهم والغربيين في تحضير متواصل للقضاء على الاحتلال الوندالي الذي سيطر على المنطقة، فنجد أن المحاولات والحملات قد تكون منفردة أو مشتركة بين الطرفين الروماني والبيزنطي، وقد تعددت الحملات الرومانية على الوندال وعلى بلاد المغرب، منها من وصل إلى المنطقة ومنها من لم يصل حيث تم القضاء عليها في أوروبا، وذلك من خلال المؤامرات والدسائس التي كان يستعملها الملك جنسريق للحيلولة دون وصول هذه الحملات إلى بلاد المغرب نذكر منها :

(1) محاولة الإمبراطور أفيتوس² (Avitus) سنة 456م:

أدت وفاة الإمبراطورة الأم كلابلاسيديا (Calapladia) سنة 450م إلى فتح المجال أمام أطماع الحكم من الرومان الناقمين على السلطة، واغتنام فرصة ضعف الإمبراطور فالوننتيان الثالث (Valantinien III)، حيث تمت المؤامرة ضد هذا الأخير

¹ - Scripta Varia L'Afrique romaine, op-cit, p152.

² - أفيتوس Avitus : هو ماركوس ماركيليوس فلافيوس بارخيوس أفيتوس، ينتمي لأسرة غالية نبيلة حصل اللغة اللاتينية وعلوم زمانه وتمرن على حمل السلاح، سطع نجمه في غاليا الرومانية سنة 420م ، وكان رسولا إلى الإمبراطور هونوريوس بطلب تخفيف الضرائب، عين سنة 439م حاكما لمقاطعة غاليا، وعين من طرف الإمبراطور ماكسيموس قائدا على الجيش في نفس السنة، عندما اغتيل الإمبراطور ماكسيموس كان سفيرا لدى القوط الغربيين، ولما بلغه الخبر ودخول الوندال روما سنة 455م أعلن نفسه إمبراطورا ببيعاز من الملك القوطي تيودوريك الثاني ودخل على رأس جيش كبير من القوط إلى روما سنة 455م، بمباركة مجلس الشيوخ الروماني ...انظر:
- اللبارم، إفريقيا الوندالية ، المرجع السابق، ص107-108.

من طرف كل من السيناتور بترونيوس ماكسيموس (Pitronius Maximus) و إيتيوس (Aétius) القائد الذي أبعده الإمبراطور ، ربما لخوفه من طمعه في السلطة، خاصة بعدما رأى العلاقات الطيبة التي كانت تربطه بالشعب الروماني وبالقبائل الجرمانية¹ ، وقد كان هذا الأخير أكبر قادة عصره، وهو الذي تصدى للمد الهوني الذي اكتسح الإمبراطورية الرومانية² .

وفي غضون ذلك تم تصفية الإمبراطور فالونتنيان الثالث من طرف ماكسيموس ومسانديه في مارس 455م، خلال حفل رياضي رسمي وفي اليوم الموالي أعلن ماكسيموس نفسه إمبراطورا جديدا على روما وأرغم زوجة فالنتنيان الثالث على الزواج به وهي لكينيا أودوسيا (Licinia Audoxia) كما قام بتزويج ابنتها البكر الأميرة ادوكيا (Audocie) بابنه بلاديوس (Palladius)³ .

لم يدم ماكسيموس طويلا في الحكم (سوى 77 يوم) وتوفي في ماي 455م، وهي السنة التي قاد فيها جنسريق حملة ضد روما، حيث كان يرى هذا الأخير أنه وبعد اغتيال فالنتنيان الثالث انتهت العلاقات الوندالية مع الرومان، حيث لم يعترف تماما بسلطة الإمبراطور ماكسيموس، وكان يريد من وراء هذه الحملة غنم الأموال والثروات التي كانت في العاصمة روما حسب بروكوب، وهي بذلك حملة قرصنة والهدف من ورائها جمع الغنائم لا أكثر⁴، وحسب غوتيري (Gautier) فقد استطاع جنسريق دخول روما وقضى فيها أربعة عشر يوما ينهب و يسلب ويغنم ثم عاد إلى قرطاج⁵ .

¹ - Gibbon E, op-cit, p1045.

² - Pierre Maraval, justinien le rêve d'un empire chrétien universel, éd tallendier, op-cit, p 200.

³ - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص 99-100

⁴ - Martroye, Genséric, op-cit, p156.

⁵ - Goutier, G.R.V, op-cit, p232.

وقد ارتأينا إعطاء لمحة عن بعض الظروف التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية الغربية قبل أن نتكلم عن أولى الحملات التي أرسلتها روما على بلاد المغرب ضد الوندال.

حيث وبعد اغتيال ماكسيموس أعلن أفيتوس (Avitus) نفسه إمبراطورا في 10 جويلية 455م¹، بمساعدة القوط الغربيين أعداء الوندال، حيث شرع منذ توليه حكم الإمبراطورية الرومانية التحضير لحملة على بلاد المغرب يهدف من خلالها الى استرجاع المقاطعة من الاحتلال الوندالي².

حيث لم تتجح مساعيه في إرسال حملة على الوندال، بسبب الدسائس وكثرة الصراعات التي ساهم فيها جنسريق، وتحريضه لقبائل السويف (Suèves) لمهاجمة الإمبراطورية الرومانية، حيث أشعل نار الفتنة بين القوط الغربيين والرومان وقبائل السويف، حيث استطاع جنسريق بحنكته صرف القوط الغربيين عن مساعدة أفيتوس والانشغال بالحرب التي كانت تجمعهم ضد السويف في شبه الجزيرة الأيبيرية، وقد توفي أفيتوس في هذه الفترة، و خلفه في حكم الإمبراطورية الرومانية الغربية ماجريانوس (Majorianus) سنة 457م³.

(2) محاولة الإمبراطور ماجريانوس⁴ (Majorianus) سنة 460م:

بمجرد وصول الإمبراطور ماجريانوس إلى حكم الامبراطورية الرومانية الغربية بدأ يحضر لحملة على بلاد المغرب يستهدف بها الوندال⁵، حيث ربط عدّة علاقات مع القوط

¹ - Gibbon E, op-cit, p1044.

² - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق ص109.

³ - Martroye, Genséric, op-cit, p175.

⁴ - ماجريانوس Majorianus: هو فلافيوس يوليوس فاليريوس ماجريانوس، سليل أسرة رومانية كان جده قائدا للمشاة و الفرسان في إقليم بانونيا في عهد الإمبراطور تيودوسيوس الأول، وكان والده من خدام ايتيوس وأتباعه، شغل منصب ضابط مرافق للقائد ايتيوس في عهد الإمبراطور فالونتينيان الثالث، تم ترقيته بعد ذلك إلى رتبة كونت البلاط الإمبراطوري، وقد شارك في مؤامرة الإطاحة بالإمبراطور افيتوس....انظر:

- اللبار م ، إفريقيا الوندالية ، المرجع السابق، ص113

⁵ - Hédi S et Autres, op-cit, p368.

القوط والسوييف لكي لا يكون هناك أي صدام بين الطرفين، كما عمل على جمع الضرائب لدعم الحملة و زاد من عدد الجيش، حيث تذكر المصادر أنه في سنة 460م دخل الإمبراطور إلى شبه الجزيرة الأيبيرية ووصل إلى مدينة قرطاجنة واستقر فيها¹، و بدأ يحضّر للحملة على بلاد المغرب، وقد بلغ عدد السفن الحربية التي جمعها 300 سفينة راسية بقرطاجنة²، كان يهدف بذلك النزول في موريطانيا والتوجه شرقا باتجاه دولة الوندال³، وأراد بذلك مباغته الوندال من جهة الغرب، وأمر الكونت مارسولينوس (Marcellinus) بمهاجمة الوندال من الشرق، لكن بعض الخونة والمتحالفين مع الوندال حالوا دون نجاح الحملة وأفشلوا خطته، فعاد أدراجه إلى روما دون تحقيق غايته، وهناك من يذكر أن سبب فشل الحملة هو وفاة الإمبراطور في اسبانيا، كونه لم يقبل التفاوض مع الملك جنسريق إلى أن توفي بمرض الإسهال، ليتولى العرش من بعده سيفيروس⁴ (Séverus) .

وبالنظر إلى المحاولتين من أباطرة روما الغربية في إرسال حملات على بلاد المغرب، نجد أن جنسريق كان يقف دائما لها بالمرصاد ويقضي عليها قبل الوصول إلى المنطقة، وذلك يعود ربما إلى طبيعة العلاقات التي ربطها مع القبائل الجرمانية، أو لمعرفته الجيدة لنقاط ضعف الإمبراطورية الرومانية، و ربما لكونه في كثير من الحالات يقوم بشراء ذمم بعض القادة الرومان للحيلولة دون إرسال حملة ضده، الأمر الذي يظهر قوة وذكاء الملك جنسريق في التصدي للأطماع الرومانية التي تهدد مملكته في المغرب القديم والتي لم يؤسسها إلا بعد جهد كبير.

¹ -Courtois Ch, op-cit, p199.

² - Philippe Richardo, la fin de l'armée romaine 284-476, éd economica, paris, 2005, p234.

³ - Hédi S et autres,op-cit,p368.

⁴ - Courtois Ch, op-cit, p199

(3) محاولة الإمبراطور ليون الأول (Lion I) سنة 468م :

تكلم هيداتيوس عن الحملة التي أرسلها ليون الأول إمبراطور روما الشرقية إلى بلاد المغرب ضد الوندال¹ فقال: « أرسل الإمبراطور ليون جيشا جرارا ضد الوندال بقيادة ثلاثة من خيرة قادته، بمشاركة الإمبراطور أنتيموس (Antimus) إمبراطور روما الغربية بجيش كبير يقوده ماركيليانوس (Marculianus)».

وحسب بعض المؤرخين أن الإمبراطور ليون الأول جهز جيشا كبيرا في الشرق وصل عدد سفنه إلى 1100 سفينة حربية²، وضعها تحت قيادة القائد بازيليسكوس³ (Basiliscus) شقيق الإمبراطورة فيرينا⁴ (Verina)، وقد رست السفن الرومانية ببلاد المغرب وبالتحديد في الشمال الغربي لتونس حاليا لكن الحملة فشلت بسبب فساد قائدها الذي لم يلتزم بأوامر الإمبراطور⁵.

وفيما يخص عدد السفن فقد يكون مبالغ فيه حيث أن حملة الإمبراطور جوستينيان كانت بأقل عدد واستطاعت القضاء على الوندال في مدة وجيزة لم تتجاوز سنة واحدة، وهو تقريبا نفس العدد الذي ذكره بروكوب أي ما يعادل ألف سفينة حربية⁶.

كما أشار إلى هذه الحملة جوردانيوس حسب كورتوا فيقول: « أرسل ليون قريبه بازيليسكوس أخ الإمبراطورة فيرينا بجيش إلى إفريقيا فهاجم قرطاج بحرا عدة مرات ولكنه انهزم بسبب طمعه إذ تواطأ مع ملك الوندال مقابل المال «

¹ -Hydace, Chron, 247, dans la M.J.H, Txi, p35, d'après Courtois Ch, les vandales et l'afrigue, op-cit, p201.

² - Pierre Maraval, justinien le rêve d'un empire chrétien universel, éd tallendier, op-cit, p200.

³ - Hédi S et Autres, op-cit, p368.

⁴ - Procope, GV, I, 6.2.

⁵ - Courtois Ch, ,op-cit,p201

⁶ - Procope , GV,I,6.1 .

كما تحدث عن الحملة بروكوب في مؤلفه "الحروب الوندالية"، حيث ذكر أن سبب الحملة هو حب الانتقام من الوندال الذين عاثوا فسادا في الإمبراطورية و كانت الحملة مشتركة بين روما الشرقية و الغربية، وقد أدى هذا التحالف إلى إرسال ثلاث حملات على الوندال¹ وهي:

- حملة قادها ماركيليانوس (Marculianus) نحو سردينيا وقد استطاع من خلالها طرد الوندال من الجزيرة والاستيلاء عليها².
- حملة قادها القائد البيزنطي هراقل (Héraclé) نحو طرابلس فهزم الوندال واستولى على بعض المدن الساحلية في طرابلس³.
- وحملة قادها أخ زوجة ليون وهو بازيليسكوس (Basiliskos) إلى بلاد المغرب باتجاه قرطاج وقد مني بهزيمة نكراء ضد الوندال في موقعة لا تبعد كثيرا عن العاصمة قرطاج .

وبذلك يكون قادة الحملات الثلاث المشتركة بين روما الشرقية و الغربية، بيزنطيان وهما هرقل و بازيليسكوس وقائد روماني وهو ماركيلينوس، و كانت هذه الحملات في الفترة الممتدة ما بين 469 و 471م⁴، وهي الأخرى فشلت في القضاء على الوندال في بلاد المغرب واسترجاع الأراضي المسلوقة من روما .

ليبدأ بعد ذلك عهد السلام مع الوندال وذلك بإبرام الإمبراطور البيزنطي زينون (Zinon) معاهدة سلام مع الملك الوندالي جنسريق، تعترف فيها كل من روما الشرقية و الغربية مرة أخرى بسلطة الوندال على المغرب القديم وعلى قرطاج، الأمر الذي

¹ - Courtois Ch, les vandales et l'Afrique, op-cit, p201.

² - Procope, GV, I, 6.8.

³ - Procope, GV, I, 6.9.

⁴ - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص140.

سيجعل من الوندال وجنسريق في موضع أكثر قوة وراحة من التهديدات الرومانية، ويدفع به إلى بناء الدولة التي كان يطمح إلى بناءها¹.

وما يمكن استخلاصه في هذا الفصل ، أن القبائل الوندالية استطاعت بعد عدة محاولات فاشلة في القسم الأوربي من تأسيس مملكة وندالية مستقلة في بلاد المغرب القديم، وهذا يعود بشكل كبير للقائد جنسريق و لقوته وإستراتيجيته في كسب المعارك ضد العدو أو كسبه إلى صفه، وهو ما استطاع فعله مع الكونت بونيفاس و مع زعماء القبائل المورية، وهو ما يفسر سرعة تحرك الوندال في بلاد المغرب من الشرق إلى الغرب، ولم يكن ذلك إلا بمساعدة هذه القبائل وعدم تعرضها للوندال، وكذا تقديم يد المساعدة ضد الرومان.

و من أهم الدوافع والعوامل التي دفعت الوندال إلى احتلال بلاد المغرب القديم، ضعف الإمبراطورية الرومانية وتفككها بعد انقسامها إلى شرقية وغربية، والصراعات الداخلية و الخارجية ضدها، و التمردات التي قادها حكام المقاطعات، مثل: التحالف بين الملك جنسريق والكونت بونيفاس، وهو ما زاد من رغبة وإصرار الوندال في السيطرة على أقاليم بلاد المغرب الغنية اقتصاديا وتجاريا والقضاء على الإمبراطورية الرومانية العدو التقليدي للقبائل الجرمانية.

ومن العوامل الظاهرة جليا التي مكنت الوندال من القضاء على الرومان، ومكنت من الوصول إلى قرطاج بسرعة وسهولة تأسيس دولة مستقلة قائمة على أنقاض المخلفات الرومانية، هو عامل القبائل المورية التي كانت هي الأخرى تواقفة إلى الاستقلال و القضاء على النظام الروماني المستبد، والتخلص من الهيمنة والضرائب الرومانية التي أثقلت كاهل سكان بلاد المغرب الذي أصبح يعاني أكثر ويتحمل مخلفات الضعف الذي آلت إليه أوضاع الإمبراطورية الرومانية .

وهو ما نلاحظه في العلاقات السلمية التي جمعت بين الوندال و المور طيلة فترة حكم الملك الوندالي جنسريق، حيث استغل هذا الأخير القبائل المورية في توجيه وتحقيق أهدافه في المتوسط، وهي الأخرى وجدت بدورها في الوندال وفي جنسريق الطريق إلى الاستقلال و التخلص من الهيمنة

¹ - Hédi S et Autres, op-cit, p369.

الرومانية، وتأسيس ممالك مستقلة تكون مداخلها من المشاركة في الحملات التي خاضها جنسريق في المتوسط.

كما استطاع الملك الوندالي جنسريق من وضع أسس المملكة الوندالية التي أسسها، وذلك من خلال الإستراتيجية السياسية وتقسيم دولته وتنظيمها، والإستراتيجية العسكرية في إرساء الأمن و السلم، ويعود أيضا إلى سلسلة من المعاهدات مع روما والتي أكدت سيطرته على المناطق التي أخضعها واعترف روما بذلك، وكذلك الحروب التي خاضها في المتوسط زادت من مداخل الخزينة والتي نظمت شؤون الدولة .

كما إن سوء العلاقات بين الوندال والقبائل المورية بعد جنسريق يدل على تغيير الإستراتيجية الوندالية اتجاه القبائل المورية، ودليل أيضا على نهاية المصالح المشتركة بين الطرفين وهو القضاء على الرومان في بلاد المغرب، وهو ما أدى فيما بعد إلى الثورات والحروب بين الطرفين التي زادت من قوة القبائل المورية وتأكيد وجودها وسيطرتها في أقاليمها، واضعف الوندال وسرع من نهايتهم ونهاية دولتهم في بلاد المغرب القديم .

كما أن السيطرة الوندالية وبعثاد الكثير من المؤرخين والباحثين اقتضت على الجزء الشرقي لبلاد المغرب وبالتحديد تونس حاليا والجزء الشرقي من الجزائر دون غيرها من المناطق الأخرى التي سيطرت عليها القبائل المورية، وهو ما تؤكد التقسيمات الإدارية التي قام بها الملك جنسريق، هذه الحدود تقلصت بسبب الصراع الموري الوندالي في عهد خلفاء جنسريق ، وتوسع القبائل المورية في الأراضي التي كانت خاضعة وتابعة للوندال.

كما أن استمرار النظم الحضارية الرومانية في بلاد المغرب القديم بعد سقوط روما دليل على تبني الوندال لهذه النظم التي لم تنزل بزوال النظام الروماني، بل بقيت متمثلة ومتأصلة في الطبقة الرومانية والمترومنة التي كانت تسيطر على أكبر الأراضي الزراعية التي لم تغادرها بسقوط روما، فعملت الإدارة الوندالية على تنظيمها واستغلالها دون القضاء عليها

الفصل الرابع : السياسة الادارية والعسكرية الوندالية في المغرب القديم ورد فعل المور

ا. التنظيم الإداري

اا. التنظيم العسكري

ااا. الملوك الوندال في المغرب القديم

1. الملك جنسريق Géiseric 428-477م

2. الملك هنريك Hunéric 477-484م

3. الملك قونتاموند Gunthamund 484-496م

4. الملك تراساموند Thrasamund 496-523م

5. الملك هلدريك Héldiric 523-530م

6. الملك جلمير Gélimer 530-534م

ااا. الممالك المورية في الفترة الوندالية

اااا. طبيعة العلاقات الوندالية المورية في عهد جنسريق

ااااا. الصراع الموري الوندالي في عهد خلفاء جنسريق

1. ثورة القبائل الطرابلسية

2. ثورة القبائل الاوراسية

3. ثورة قبائل البيزاكينا -الفراكشيش-

4. ثورات القبائل الموريطانية

ااااا. سقوط الوندال في بلاد المغرب

اااااا. مصير الوندال بعد سقوط دولتهم

ااااااا. المخلفات الحضارية الوندالية في بلاد المغرب القديم

حظيت فترة أواخر التاريخ القديم باهتمام كبير من المؤرخين المعاصرين المهتمين بتاريخ بلاد المغرب، ومن المواضيع التي لقيت اهتماما كبيرا الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب، كون هذا الاحتلال كان السبب المباشر في القضاء على أكبر إمبراطوريات التاريخ القديم وهي الإمبراطورية الرومانية، التي كانت حكمت المنطقة عن ما يزيد عن خمس قرون من الزمن، الأمر الذي جعل الوندال محط اهتمام الكثير من المؤرخين عن قوة وإستراتيجية القبائل الوندالية السياسية والعسكرية، والتساؤل عن حكمة ملكها جنسريق الذي استطاع القضاء على السلطة الرومانية ببلاد المغرب .

حيث سنحاول في هذا الفصل التطرق إلى الإستراتيجية السياسية والعسكرية التي اعتمد عليها الملك جنسريق وخلفاؤه في تنظيم شؤون الدولة الوندالية ببلاد المغرب القديم، وكذا التطرق إلى السياسة العسكرية التي من خلالها تم إقرار السلم في المناطق التي احتلها الوندال عبر كل فترات حكم الملوك الوندال إلى جانب السكان المحليين للمنطقة .

وسنحاول أيضا إعطاء صورة عامة عن أهم القبائل المورية وأماكن استقرارها مع بداية الاحتلال الوندالي، والتي ظهرت وبرزت وأكدت وجودها، وذلك من خلال تأثيرها في السياسة الوندالية الداخلية والخارجية، ذلك للدور الذي لعبته في القضاء على النظام الروماني في المنطقة إلى جانب الوندال، إضافة إلى الدور الذي لعبته في البحر المتوسط وفي الحملات التي كان يقوم بها جنسريق على جزر المتوسط وحتى في العاصمة روما .

كما سنحاول دراسة أهم العلاقات التي ربطت الطرفين الوندالي والموري في فترة حكم الملك جنسريق وفي فترة حكم خلفاؤه، وكذا التطرق إلى أهم فترات السلم والحرب، وأهم الثورات التي حدثت في عهد خلفاء جنسريق، ومحاولة إبراز أسباب تغير العلاقات بين الطرفين من علاقات سلمية إلى علاقات عدائية أثرت على الطرفين وأدخلت المنطقة في سلسلة من الحروب الغير منتهية، والتي استمرت إلى غاية الحملة البيزنطية على الوندال في بلاد المغرب القديم .

1. - التنظيم الإداري الوندالي في بلاد المغرب القديم :

بعد الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب والقضاء على السلطة الرومانية بعد السيطرة على العاصمة قرطاج وطرد فلول الجنود الرومان، وتوقيع معاهدة الصلح مع الرومان التي تعترف بالسيطرة الوندالية على قرطاج سنة 442م¹، بدأ الملك جنسريق في تنظيم شؤون مملكته الجديدة التي أسسها في بلاد المغرب، حيث بدأ بتقسيم دولته أو بالأحرى تقسيم مملكته إلى عدة ولايات، وكانت كلها في الجزء الشرقي من بلاد المغرب²، وهو ما يدفعنا إلى التساؤل عن سبب تركيز الوندال على الاستقرار في المناطق الشرقية من بلاد المغرب دون غيرها من المناطق في الغرب؟ وعن مصير الأراضي الغربية الأخرى من نوميديا وموريطنيا السطايفية القيصرية والطنجية؟ هل بقيت تحت سلطة الحكام الرومان أم انتقلت وسيطرت عليها القبائل المورية وأصبحت ممالك مورية مستقلة فيما بعد؟

حسب فكتور دي فيتا فإن عدد الولايات الوندالية وصل إلى خمس ولايات حسب التقسيم الذي قام به الملك جنسريق بعد أن تمت عملية الاحتلال³، وكانت كلها تقع في تونس حاليا و الجزء الشرقي من الجزائر تقريبا، وهي مقاطعة البيزاكينا، مقاطعة أباريتان، مقاطعة جيتوليا، مقاطعة نوميديا (الجزء الشرقي من نوميديا)، ومقاطعة البروقنصلية⁴، أي أن الملك جنسريق لم يكن هدفه منذ البداية احتلال مناطق معينة من المغرب القديم وتأسيس مملكة مستقلة، ولكن الهدف كان القضاء على روما والاستيلاء على العاصمة قرطاج، ربما للثراء الاقتصادي والتطور الحضاري لها دون غيرها من المقاطعات الأخرى في بلاد المغرب⁵.

¹ - Carcopino Jérôme, profils de conquérant, op-cit, 375.

² - Yanoski M J, op-cit, p240.

³ - انظر : حول التنظيم الإداري للمقاطعات الوندالية في إفريقيا :

- Modéran Yves , les provinces d'Afrique à l'époque vandale, publication du CRAHM,2011,p241-270.

⁴ - Victor de Vita, H P V, I, 13.

⁵ - Yanoski M J, op-cit, p240 .

وحسب ما ذكر بروكوب فقد قام جنسريق بعد الاحتلال بتوزيع الأراضي الصالحة للزراعة على أولاده وأمر بإعفائها من الضرائب¹، مع الأراضي التي وزعها على الشعب الوندالي وأعفاها جميعها من الضرائب، وتقع هذه الأراضي تقريبا في المقاطعة البروقنصلية وهي من أخصب وأغنى المناطق الاقتصادية في بلاد المغرب².

قسَم جنسريق مملكته إلى خمسة ولايات كما ذكرنا سابقا وهي البروقنصلية أو زغوان كما تذكرها المصادر، و نوميديا الجزء الشرقي منها، ولاية البيزاكينا (المزاق) وولاية أباريتان³ وولاية جيتوليا، وضعت هذه الولايات تحت سلطة حكام مدنيين⁴.

أما الأراضي الأخرى التي تقع غرب مملكة الوندال فقد أصبحت أراضي مورية مستقلة تحت سلطة القادة المور، الأمر الذي يدل على التعاون والتحالف والاتفاق على تقسيم بلاد المغرب بين الوندال والمور، وما يؤكد ذلك عدم وجود صراعات وحروب بين الطرفين طيلة فترة حكم الملك جنسريق، حيث لم يفكر هذا الأخير تماما في التوسع خارج المنطقة التي أسس فيها مملكته في بلاد المغرب، غير أن العلاقات بين الطرفين ستتغير وتساء بين المور والوندال بعد موت جنسريق، ربما يكون سبب ذلك هو محاولة التوسع الوندالي على حساب أراضي المور ، الأمر الذي وضع الوندال في صراع مع أقوى

¹ - Modéran Y, les vandales et l'empire roman, op-cit, p144.

² - Procope, V, I, 5, 11-17.

³ - وقد أورد المؤرخين إشكالية موقع كل من جيتوليا وباريتان، وهل هي مقاطعتان جديدتان تم استحداثهما من طرف جنسريق، وأول من أثار هذه الإشكالية كاستانول. Castagnol انظر:

- Castagnol A, les gouverneurs de byzacs et tripolitaine in antiquité africaines, t.I, 1967, p131-132.

- والظاهر أنه تقسيم جديد في المقاطعة البروقنصلية دون ضم أجزاء جديدة إليها، وربما كانت مملكة جنسريق على حسب التقسيم الذي قام به الإمبراطور دقلديانوس في أواخر القرن الثالث للميلاد انظر:

- Benabbès Mohamed, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, thèse pour le doctorat en histoire, sous Claude Lepelley, Tunis, 2004, p25.

⁴ - Hugoniot Ch ,op-cit,p217.

الممالك المورية، مثل مملكة طرابلس التي كانت تحت سلطة الملك الموري كباوون، ومملكة أنتالاس في البيزاكينا، ومملكة الاوراس¹ .

أسس جنسريق نظاما سياسيا يرتكز على شخص الملك، فهو الحاكم المطلق والقائد الأعلى للجيش، وله السلطة العليا، حيث ضرب العملة باسمه و سنّ قوانين إدارية لتسيير مملكته بما فيها قوانين انتقال الملك بعد وفاة الملك ومن ينوب عنه بعد وفاته²، وربما تم اعتماد نظام مشاركة الأفراد في الحكم وفي تسيير شؤون المملكة، إلى جانب الملك وتكون تحتها سلطة سياسية أقل حكما، كما أنه تم اعتماد سلطة عسكرية ودينية تحت القادة العسكريين ورجال الدين، فقد كان نظام تسيير المملكة الوندالية عموما يعتمد أساسا على مجموعة من القادة العسكريين والحكام المدنيين ينطوون تحت سلطة الملك³.

كما اعتمد جنسريق على الموظفين الإداريين من الرومان الذين استقروا في بلاد المغرب بعد سقوط روما -سواء كانوا رومانيين أو سكانا محليين مترومانيين- وذلك لخبرة الوندال في الحكم و الإدارة⁴ ، غير أن سلطة الملك تفوق كل السلطات مهما كانت، فقد كان الملك يتدخل في كل الأمور والشؤون التي تخص المملكة، حيث عمل كبار النبلاء وجميع الموظفين كل في اختصاصه في حدود الطاعة و الخضوع مهما كانت الأوامر الملكية على الموظفين⁵ .

وقد اوجد جنسريق منصب حاكم قرطاج يحمل اسم نائب قنصل (Proconsul)، وكذلك منصب حاكم الإقليم يحمل لقب (Primarius Provinciae)، ومنصب رئيس الحجاب أو رئيس الديوان الملكي (Praepositus) (Sacricubiculi)، واختصاصاتهم

¹ - Yanoski M J, op-cit, p242.

² - الشاطر خليفة وآخرون، المرجع السابق، ص215.

³ - سعود م ت، المرجع السابق، ص185.

⁴ - Briand C - P et Hugniot Ch, op-cit, p484.

⁵ - نصحي ا ، المرجع السابق، ص 129.

غير واضحة ولم توردها المصادر¹، ويمكن القول أنها لم تطبق نفس صلاحيات المناصب التي كانت في الفترة الرومانية، أي أن الوندال لم يأخذوا بكل القوانين والنظم الرومانية ولم يتشبعوا بالحضارة الرومانية كثيرا، كما لم يعملوا بها لدرجة إلغاء القوانين الخاصة بهم، وهو ما يظهر في طريقة انتقال الملك وقوانين التي تنظم المجتمع الوندالي في بلاد المغرب القديم².

والراجح أن نظام الحكم لم يكن انتخابي بل كان ملكيا وراثيا يخص الملك نفسه بإصدار القوانين، وربما بالرجوع إلى استشارة مجلس الحكام ويظهر ذلك من خلال الوصية التي تركها جنسريق لأبنائه وهو على فراش الموت³، حيث جمع أبنائه وعبر لهم عن إرادته في أن لا تصير المملكة ألعوبة مطامعهم المتنافسة، فهي تؤول إليهم بالتتابع حسب نظام محدد، وهو أن الملكية ترجع بعد وفاة الملك إلى الأكبر سنا في العائلة المالكة، وهي بمثابة قانون أو -دستور الحكم- الذي سنه الملك جنسريق قبل موته وهو على فراش الموت، وهو ما يؤكد النظام الملكي الوراثي للوندال حسب كل من بروكوب وفيكتور دي فيتا.

ربما كان هدف الملك من وراء هذا القانون الوراثي، تكوين مملكة متحدة بعيدا عن الصراعات و الصدامات من أجل الملك، إذ لم يكن من الضروري أن يكون ابن الملك هو الوارث من بعد الملك، أي انتقال الملك من الأب إلى الابن، فقد ينتقل إلى العم أو ابن العم إذا كان أكبر سنا من ابن الملك نفسه.

و قد أدى هذا القانون إلى مشاكل كبيرة في وراثة العرش بعد جنسريق، إذ حدث أن حاول الملك هنريك أكبر أبناء جنسريق وخليفته في الحكم من بعده أن يولي لابنه من

¹- نصحي ١، المرجع السابق، ص 129.

²- سعود م ت، المرجع السابق، ص 185.

³ - Ingleberf H, op-cit, p59.

بعده، ومن أجل ذلك قام بقتل إخوته وأبنائهم، باستثناء اثنين هما أبناء أخيه جنزو (Genzo) اللذان تمكنا من الفرار خارج المملكة¹ .

كان مقرّ الملك في العاصمة قرطاج² أي في البروقنصلية، وكان الملك يمضي مجمل وقته في إقامة المآدب الفاخرة وحياة الترف، ويرجع هذا الثراء إلى ما ورثه الوندال من نهب وسلب ، وإلى كثرة المصادرات التي قام بها الملك جنسريق وخلفاؤه وكذا حملات القرصنة في المتوسط التي كانوا يقومون بها، و كسب أعداد كبيرة من العبيد كانت تستغل في خدمة الفلاحة و الصناعة³ .

كما اعتمد الملوك الوندال بشكل كبير على الضرائب كمدخيل للخرينة العمومية بدل الإنتاج الاقتصادي والتجاري الذي كان معمولاً به في الفترة الرومانية⁴، واعتمدوا على مصادرة أراضي الملاك الكبار من الرومان ورجال الدين الكاثوليك، وتوزيعها على السكان الوندال والمور المتحالفين مقابل دفع الضرائب للسلطة الوندالية نتيجة الاستفادة منها، خاصة في مقاطعة البروقنصلية⁵ .

II. التنظيم العسكري الوندالي في بلاد المغرب :

الظاهر أن الجيش الوندالي بقي يحافظ على تركيبته القديمة وعلى دوره في استتباب الأمن و الاستقرار في المدن و القرى التي كانت تابعة له، وهذا طيلة فترة حكم جنسريق، إلا أن دوره بدأ يتراجع ويضعف بعد ذلك بسبب انحراف القادة العسكريين عن دورهم العسكري إلى الاهتمام بالحياة المدنية والاجتماعية⁶ .

وما يمكن أن نستشفه من المصادر أن قيادة الجيوش في عهد جنسريق كانت تحت سلطة وقيادة الملك مباشرة، فقد كان الملك يشن الحروب ويخوض المعارك بنفسه دون أن

¹ - نصحي ا ، المرجع السابق، ص 127.

² - Ingleberf H, op-cit, p59.

³ - سعود م ت، المرجع السابق، ص187.

⁴ - Ingleberf H, op-cit, p59.

⁵ - Briand C - P et Hugniot Ch, op-cit, p484.

⁶ - Ibid, p485.

ينوب عنه القائد الأعلى للجيش أو غير ذلك كما هي سياسة روما ، الأمر الذي لم يكن في عهد خلفائه، حيث تغيرت الأمور وأصبحت الجيوش الوندالية تسيّر تحت قادة عسكريين، واستراح الملوك من عبئ المنصب و قيادة الجيوش، الأمر الذي سيؤدي إلى ضعفه و تفهقره بمرور الوقت .

والأمر الذي يؤكد قيادة الملك جنسريق للجيوش هو الحملة العسكرية التي أشرف عليها بنفسه على بلاد المغرب¹، حيث كان القائد الأعلى للجيش والمسؤول الأول في المعارك والمواجهات حسب الأعراف الجرمانية، وربما كان المسؤول عن الجيوش الوندالية منذ فترة حكم أخيه جندريك (Géndaric) في شبه الجزيرة الأيبيرية، الأمر الذي كان شائعا عند الرومان، والراجح حسب كورتوا أن جنسريق لم يفوض مهمة تسيير الجيش إلى أي قائد من قادته العسكريين قبل دخوله لقرطاج أي قبل سنة 439م².

والظاهر حسب الرواية التي ذكرها بروكوب أن الجيوش الوندالية كانت بشكل كبير من فئة الفرسان، وهم من أحسن المقاتلين في هيئة راكبين للفرس عكس المشاة³، أي إن الجندي الوندالي لا يحسن القتال بدون امتطاء الخيول، التي كانت محمية بدرع واقية، وكان الفارس يحمل الرمح أو يستعمل بشكل كبير السيف الطويل⁴.

هذا ولم يختلف الجيش الوندالي في بلاد المغرب عن الجيش ووحداته في شبه الجزيرة الأيبيرية، الأمر الذي يقتضي وجود قادة عسكريين برتبة كونت الذي يقود بضعة آلاف من الجنود، وتحت سلطتهم مجموعة من القادة أو ما يعرفون بإسم قادة الألف والذين يستعينون بدورهم بقادة المائة، وقادة العشرة، كما يمكن القول أن القادة العسكريين إلى

¹ - Hédi S et Autres, op-cit, p364

² - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p233

³ - Ibid, p231.

⁴ - Procope, G.V, I, 8,27.

جانب صلاحياتهم العسكرية فهم أيضا المسؤولون عن الخلية الاجتماعية، فلا تقتصر مهمتهم في الجانب العسكري فقط بل تشمل الجانب الاجتماعي أيضا كما سبق الذكر¹.

وأما الأسلحة التي استعملها الوندال في حروبهم فتذكر المصادر وتصف الجندي الوندالي وهو يمتطي حصانه² (انظر الصورة رقم 3 ص 160) ، ويلبس الدرع، ويستعمل السيف الطويلة، حيث يقتحمون الصفوف بالرماح والحراب³، مسترشدين بألويتهم الحربية والتي رُسم فيها صور الحيوانات، وبمجرد الرجوع إلى معسكراتهم تستقبلهم النساء والأطفال ببهجة وهتافات⁴.

¹ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p232.

² - Procope, GV, I, 8,27.

³ - Hédi S et Autres, op-cit, p364.

⁴ -Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p230.

صورة رقم: 03

فارس وندالي وبجانبه قصر، فسيفساء وجدت بقرطاج تعود للقرن الخامس ميلادي
الحبيب بولعراس ، تاريخ تونس ، المرجع السابق، ص182.



ويتكون الجيش الوندالي من الأفراد الوندال ومن حلفاءهم من قبائل الآلان¹ و الهيروليين، وأغلبهم قبائل وحشية عنيفة جدا في الحروب، كما انضم إليهم أيضا القوط و السوييف، وعدد كبير من القبائل المورية الذين لعبوا الدور الكبير إلى جانب جنسريق في حملاته على إيطاليا وصقلية، ومن الممكن أن تكون أساليب الجيش الوندالي القتالية مقتبسة من أساليب الجيوش الرومانية من حيث التنظيم، مثلا: فقد قسم جنسريق جيشه على الأساس العشري وهو النظام الذي عرف في الشرق و الغرب، ويكون على رأس كل فرقة مكونة من ألف محارب قائد برتبة ضابط يلقب ب الدوق (Dux) أو قائد الألف (Millenarii ,Chiliarch)².

كما كان للوندال أسطول بحري ضخم و قوي، حيث أكسبتهم بحارتهم والقرصنة في المتوسط خبرة بحرية كبيرة ساعدتهم في بث الرعب و الهلع في شعوب المتوسط، وقد استطاعوا بذلك شن عدة حروب بحرية نجحوا فيها بما فيها الحملة التي قادها الملك جنسريق علىالعاصمة روما سنة 455م، الأمر الذي يدل على قوة الأسطول البحري وتطور السفن الوندالية في المواجهات البحرية³.

III. الملوك الوندال في بلاد المغرب القديم :

تعاقب على حكم دولة الوندال في بلاد المغرب القديم ستة ملوك(انظر اللوحة رقم 01 ص172) من العائلة الحاكمة التي تعود إلى مؤسس الدولة الوندالية في المنطقة جنسريق(انظر المخطط رقم 02 ص162) ، وهم على التوالي :

¹- قبائل الآلان **les alains**: شعب من أصل سرماتي، أقام إمبراطورية امتدت ما بين جبال القوقاز وجبال الاورال قبل انهيارها على يد قبائل الهون les hunns سنة 370م ، وبعدها ساحوا في وسط أوروبا مع الهون و القبائل الجرمانية حيث استقرت بعض فروعهم في بانونيا بجوار الوندال الهاسدينغانظر:

-الليبار م ، إفريقيا الوندالية ، المرجع السابق،ص149.

²- نصحي ا، المرجع السابق، ص 132. انظر أيضا :

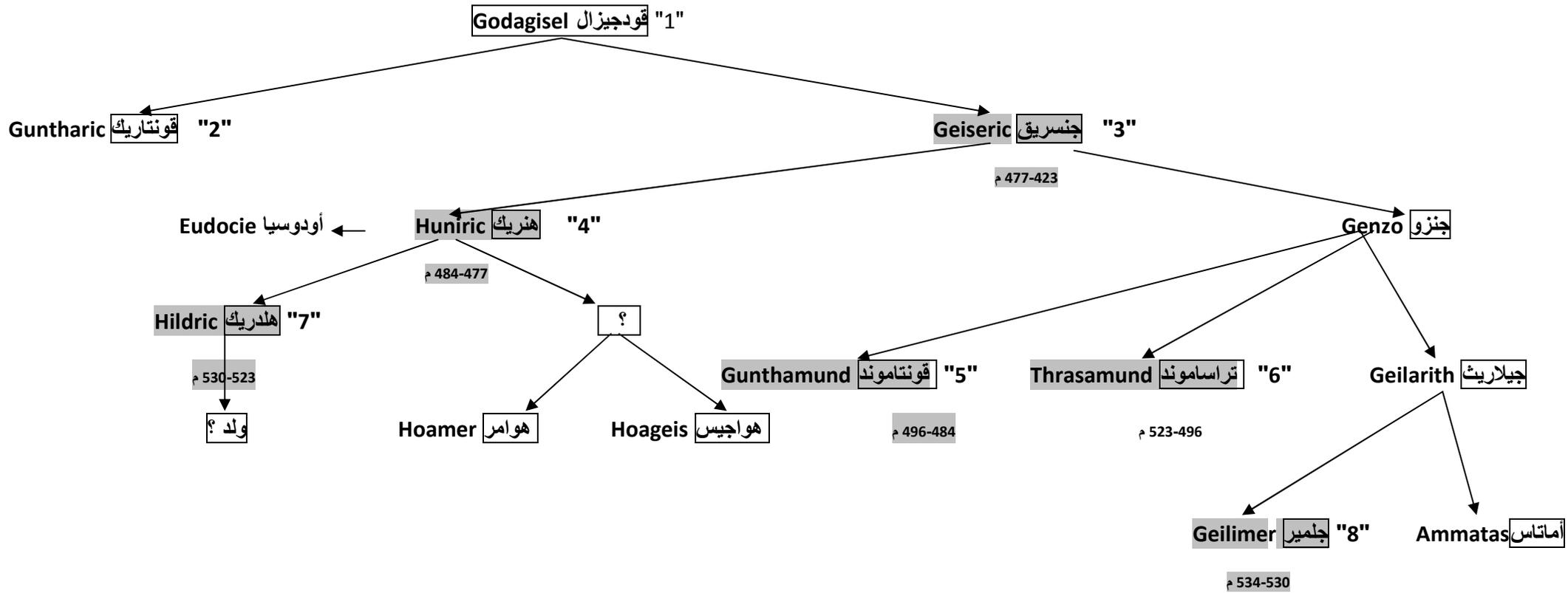
-Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p260.

³ -Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p230.

مخطط رقم : 02

مخطط يوضح الملوك الوندال في بلاد المغرب (بتصرف)

Procopé, GV, trad Denis Roque, Op-cit, p25.



1. الملك جنسريق (428-477م) :

ذُكر إسم جنسريق في المصادر التاريخية بصيغ مختلفة فقد كتبه : ايداتيوس (Idatus) و بروسبر (Prosper) بصيغة (Gaiseric) ، وكتبه كل من جوردان (Jordanes) وبروكوب (Procopé) بصيغة (Gazerichus) ، وكتب عند مؤرخين آخرين بصيغة (Genseric) و (Gesricus) ، وكلمة جنسريق حسب المؤرخ الألماني فريندلر (Friedlander) مقسمة إلى قسمين قري (Gais) وتعني رمح و ريق (Reiks) وتعني ملك ومجمل الكلمة هي رمح الملك¹.

والراجح أن جنسريق ولد سنة 389م أو 390م ، وهناك من المؤرخين من يذكر أن سنّ جنسريق عندما احتل قرطاج سنة 439م كان على مشارف الخمسين سنة من عمره، وهو من عائلة غير حاكمة أي لا شيء كان يهيئه للسلطة²، وهو ابن قودجيزال (Godigisel) وأخ قونتريك (Gounthéric)، برز منذ شبابه كفارس قوي، الأمر الذي أهله لاعتلاء السلطة بعد وفاة أبيه³.

وكان جنسريق رجلا قصير القامة، صغير الجسم، وكان أعرجا بسبب سقوطه من الفرس⁴، وصل إلى الحكم وهو في سن أو على مشارف الأربعين 40 سنة، لم يعرف في صغره بذخ وترف القصور، ومن صفاته أنه كان كثير الصمت جشعا متقلبا متلونا في غضبه⁵، كان مسيحيا ويكره المذهب الكاثوليكي مذهب روما الإمبراطورية⁶، وهو من

¹ - نصحي ا، المرجع السابق، ص107.

² - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p261.

³ - Procope, G.V, I, 3, 23.

⁴ - Gibbon E, op-cit, p984.

⁵ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p261.

⁶ - Victor de Vita, H P V, I, 18.

معتنقي المذهب الأريوسي¹، و لعب دورا كبيرا في نشر المذهب الأريوسي والقضاء على المذهب الكاثوليكي في بلاد المغرب².

كان جنسريق يعتبر نفسه كل شيء في صفوف الجيش الوندالي في بلاد المغرب، الأمر الذي دفعه إلى احتلال كل المناصب الحساسة في الدولة الوندالية التي أسسها، فقد كان قائد الكونفيدرالية العليا ورئيس مجلس الشيوخ الجرمانى الذي يتزأسه دون سابق انتخاب، أسس جنسريق مملكة وندالية فريدة من نوعها مستبدة كما يصفها بعض المؤرخين المعاصرين، وهو القائد المدني و الدبلوماسى السياسى و العسكرى و الدينى، حيث تسلّم كل السلطات واعتمد على عدد قليل من الوزراء و المساعدين في تسيير شؤون المملكة³.

كان قائدا عسكريا قويا لم يعرف الضعف طيلة حياته، حتى أنه في سنة السبعين قاد عدة حملات ضد روما الى غاية 468م بقي يشارك في المعارك إلى جانب أبنائه، الأمر الذي يؤكد القوة الجسمية والفكرية التي كان يتحلّى بها الملك جنسريق والخبرة العسكرية في قيادة الجيوش وتحقيق الانتصارات⁴.

هو أحد أشهر الملوك الوندال الأقوياء، إستطاع أن يؤسس مملكة مستقلة في بلاد المغرب، وأن يزيد من نفوذ الوندال إلى كل من جزيرة صقيلية سردينيا وكورسيكا، كان طموحه هو احتلال روما ذاتها، وقد سيطر على الحوض المتوسط ومارس القرصنة فيه، حيث قاد حملة على العاصمة روما، نهب وغنم الكثير سنة 455م، كما أنه لم يهتم بما هو موجود في موريطانيا ونوميديا، و اكتفى بإنشاء بعض القلاع فيها فقط لأن هدفه

¹ - سعود م ت، المرجع السابق، ص170

² - المذهب الأريوسي: هو مذهب مسيحي يعود لرجل الدين أريوس، وهو من الهراطقة وقد وقع تكفيره في مجمع نيقيا nicées سنة 325م، ويقر المذهب الأريوسي بعدم تأليه المسيح عيسى عليه السلام، وهو بشر تم بعث بالرسالة إليه، وهو ليس ابنا للإله، مات أريوس في القسطنطينية سنة 336م لينتشر مذهبه فيما بعد في أوروبا وقد تبنته القبائل الجرمانية بما فيها الوندال وعملت على نشره في بلاد المغرب القديم. انظر: - سعود م ت، المرجع السابق، ص170.

³ - Pyronton M, op-cit,p41.

⁴ - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique,op-cit,p261.

الأكبر في البداية والذي كان يطمح إليه هو الوصول إلى روما، لذلك ركز فقط على البروقنصلية، كما اعتمد على القبائل المورية التي كانت في مقدمة الجيوش التي قادها في حملاته في المتوسط¹.

يعتبر جنسريق المؤسس الحقيقي للمملكة الوندالية في بلاد المغرب والتي اتخذ البروقنصلية عاصمتا لها ، وقد ترك إرثا كبيرا لأبنائه وخلفائه من بعده وترك دولة قوية بأموالها ومواردها المالية وهيكلها المدنية، الأمر الذي سهل عملية مواصلة التطور من بعده² ، استطاع بقوته ودهائه من إنشاء أول دولة للقبائل الوندالية في المغرب القديم، وضع تخطيطا مذهلا للتنظيم الاقتصادي والسياسي والعسكري الأمر الذي زاد وأطال من عمر الدولة التي أنشأها بعد وفاته، رغم الضعف الذي دبّ فيها بسبب ابتعاد خلفائه عن شؤون التسيير عكس ما كان يقوم به³ ، وحسب بروكوب فقد توفي جنسريق وهو طاعن في السن دون تحديد سن هذا الأخير عند وفاته⁴ ، وهناك من يذكر أنه توفي في 25/24 جانفي من سنة 477م⁵.

2. الملك هنريك (477-484م) :

أحد أبناء جنسريق، سار في طريق والده في مواصلة تشييد الدولة الوندالية ببلاد المغرب، تقلد الحكم وهو في سن الخمسين⁶، لا يُعرف بالتحديد تاريخ ولادته⁷، والمعروف والمعروف عنه أن فترة حكمه تميزت بالاضطراب والوحشية، حيث مارس عملية القرصنة بشكل كبير في حوض المتوسط، وأصبح يراقب كل تحركات السفن البحرية في البحر التي كانت تدفع الضرائب مقابل العبور فيه، كما استغل الأراضي الصالحة للزراعة و

¹ - بوكبوطم، المرجع السابق، ص83

² -Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p262

³ - Hédi S et Autres, op-cit, p355.

⁴ - Procope ,G V,I,7.29

⁵ - Procope, G V, trad. Roque Denis, p235

⁶ -Courtois ch., les vandales et l'afrique,op-cit,p262

⁷ - Procope, G V, trad. Roque Denis, p235.

الغنية في قرطاج والتي كانت تستغل عن طريق عمال وفلاحين مقابل أجر معين، والمعروف عنه كذلك اضطراره لرجال الدين الكاثوليك ونفيهم ومطاردتهم وتهديم كنائسهم ومنعهم من ممارسة الشعائر الدينية المسيحية الكاثوليكية¹ .

لم يحاول هنريك التوسيع من مملكته ولا كسب أراضي جديدة وذلك بسبب الثورات المورية من جهة، و المشاكل المالية وإفلاس الخزينة بسبب الحروب التي تكبدها أثناء عملية الاضطهاد لرجال الدين من جهة أخرى، الأمر الذي أجبره على محاولة إبقاء السيطرة على الأراضي التي ورثها من والده والحفاظ عليها دون البحث عن توسعات جديدة تكسبه القوة و المهابة² .

وكان قد تجاوز سن الخمسين عاما عندما اعتلى عرش المملكة الوندالية كما سبق الذكر، إذ نشأ وترعرع في بلاد المغرب وفي أحضان قرطاج وحضارتها، الأمر الذي جعله مترومنا بعض الشيء³، تزوج بنت فالوننتيان الثالث المسماة أودوسيا⁴ (Eudocie) (Eudocie) وقد فرت منه إلى القدس، ونجهل سبب ذلك حيث ماتت هناك لأسباب نجهلها⁵، مات هنريك بالطاعون أو بمرض آخر نجهله، غير أنه مات على فراش المرض المرض سنة 484م⁶ .

لم يكن هنريك متعصبا كثيرا ضد المسيحية مثل أبيه، فقد تميز بنوع من المرونة والتسامح مع الكاثوليك ورجال الدين، حيث سمح بممارسة الطقوس الدينية المسيحية في البروقنصلية وانتخاب أسقف جديد لقرطاج⁷، لم تعرف مملكة الوندال في عهد هنريك أي أي حروب أو توسعات مثل التي قام بها والده جنسريق سوى بعض الحروب التي قام بها

¹ - Oussedik T, op-cit,p94

² - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p264

³ - Hédi S et Autres, op-cit, p371

⁴ - Bergasa Ingrid, op-cit, p40

⁵ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p262

⁶ - Procope, G V, I, 8,4-5

⁷ - Hédi S et Autres, op-cit, p372.

ضد القبائل المورية¹، غير أنه وبعد اعتلاءه العرش حاول القضاء على كل من له الحق في الملك من بعده من عائلته بما في ذلك إخوته وأبنائهم².

3. الملك قونتاموند (484-496م) :

غياب المصادر التاريخية التي تتكلم عن تاريخ الملك قونداموند وظروف اعتلاءه عرش المملكة الوندالية يجعل من الحقائق التاريخية القليلة لا تشفي غليل الباحث، ولا تحكي تاريخ الوندال في فترة هذا الملك سوى القليل من الإشارات التي وردت في المصادر³، فهو أحد أبناء جنزو (Genzo) ابن جنسريق ولا نعرف بالتحديد تاريخ مولده، ويمكن القول أنه ولد في النصف الثاني من القرن الخامس ميلادي⁴.

اعتلى عرش المملكة الوندالية بعد وفاة عمه هنريك، و أول عمل قام به هو إخماد الثورات المورية المتتالية على الوندال⁵، خاصة في نوميديا وبالخصوص في تبسة (Theveste)، وحسب المصادر أن قونتاموند أفضل من هنريك في تعامله مع رجال الدين الكاثوليك لأنه سمح لهم بإعادة فتح وبناء الكنائس⁶، وحرية ممارسة شعائرهم الدينية الدينية⁷، وقد توفي بعد إثني عشر سنة من الحكم بمرض أفقده حياته حسب بروكوب، أي أنه توفي في سنة 496م⁸.

4. الملك تراساموند (496-523م) :

بعد وفاة قونتاموند خلفه أخوه تراساموند الذي نجعل هو الآخر تاريخ ولادته⁹، غير غير أنه من أقوى الملوك الوندال بعد جنسريق حسب كورتوا¹⁰، حيث اهتم كثيرا

¹ - Procope, G V, I, 8, 1.

² - Ingrid B, op-cit, p41

³ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p266.

⁴ - Procope, G V, trad. Roque Denis, p235.

⁵ - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p266.

⁶ - Hédi S et Autres, op-cit, p374.

⁷ - Oussedik T, op-cit, p95.

⁸ - Procope, G V, I, 8, 7.

⁹ - Procope, G V, trad. Roque Denis, p235.

¹⁰ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p266

بالأراضي الفلاحية وقام باستصلاحها، كما كان متسامحا مع رجال الدين الكاثوليك ولم يمارس عليهم أي ضغط أو اضطهاد في طقوسهم وشعائهم الدينية، تزوج بأخت تيودوريك (Théodoric) الشيء الذي زاد من قوة الرباط بين الطرفين، كما قام بإخماد الثورات التي قامت في تبسة، تمقاد، لومباز، ضد الممالك المورية¹.

يذكره بروكوب² على أنه من أقوى الملوك الوندال، فقد عقد حلفا مع الأميرة أمالفريدا أمالفريدا (Amalfrida)، كما كانت له علاقات مع إمبراطور الشرق أناستاز (Anastase)، وكان جميل المظهر ومثقفا يهوى الفلسفة و اللاهوت بالخصوص، حيث دعى القديس فولجانس (S.Fulgence) أن يأتيه من سردينيا ليناقشه³ ، وكان ملكا أريوسيا متدينا، الأمر الذي دفع بالأسقف روسباي (Rospae) إلى مدحه لما رأى فيه من حب التعلّم والمعرفة⁴.

وما يمكن قوله أن ترساموند من الملوك الوندال الأكثر اعتدالا وتسامحا مع الكاثوليك وفي سياسته في تسيير المملكة، حيث لم يتعرض السكان ولا رجال الدين في فترة حكمه إلى الاضطهاد الذي كان ممارسا في عهد سابقه، ويعود ذلك ربما إلى علمه الكبير وبلاغته في معالجة مشاكل المملكة، بحيث لم يكن عدائيا ولا متسلطا في معالجة الأمور وفي تسيير المملكة الوندالية.

5. الملك هلدريك (Hidéric 523-530 م) :

ولد هلدريك حسب بعض المؤرخين سنة 457م⁵، وهو ابن هنريك ابن جنسريق وأمه هي الأميرة الرومانية أودوسيا (Eudocia) بنت الإمبراطور البيزنطي فالونتنيان الثالث، نشأ في قرطاج⁶ التي غادرها خوفا على نفسه من الاغتيال سنة 484م، إثر وفاة والده،

¹ - Oussedik T, op-cit, p97

² - Procope, G V, I, 8.13-14

³ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p266.

⁴ - سعود م ت، المرجع السابق، ص193.

⁵ - Schmidt, Histoire des vandales, op-cit, p144

⁶ - Hédi S et Autres, op-cit, p376.

واتجه إلى القسطنطينية حيث قضى هناك تسعة وثلاثين سنة¹ ، ربط فيها علاقات وطيدة مع الإمبراطور جوستينيان²، والذي سيتولى حكم الإمبراطورية البيزنطية بعد وفاة جوستان (Justinus) سنة 527م، وقد كان يكن عداوة وكره شديدين للأريوسيين المذهب الرسمي لدولة الوندال في بلاد المغرب.

و الظاهر أنه وصل إلى الحكم وهو يتجاوز الستين من عمره³، و لأن أمه كانت رومانية الأصل، فقد جعلت منه فردا رومانيا ذو ثقافة رومانية، وما ساعد على ذلك مكوثه الطويل في القسطنطينية، الأمر الذي جعل بعضا من المؤرخين يشك في اعتناقه للكاتوليكية وتخليه عن الأريوسية، حيث تميزت فترة حكمه بأكثر حرية للعبادة المسيحية و التسامح مع رجال الدين الكاثوليك⁴.

اعتلى عرش المملكة الوندالية بعد وفاة ابن عمه ترساموند سنة 523م، وهو خامس ملوك الوندال في بلاد المغرب القديم، عرفت فترة حكمه بالضعف، حيث تعرضت له حاشيته نظرا لسياسته التسامحية مع الكاثوليك، الأمر الذي دفع البعض إلى الشك في كاثوليكيته⁵، حيث اتهم بالخيانة و التواطؤ مع القسطنطينية، وما زاد من كره حاشيته له إقدامه على سك عملة تحمل صورة أباطرة بيزنطيين، أمثال جوستان الأول وجوستينيان، كذلك إقدامه على قتل الأميرة أملافريدا (Amlafrida) وذلك لطمعها حسبها في العرش⁶ ، وقد انتهى به الأمر إلى عزله وسجنه من طرف جلمير سنة 530م، وتنصيب هذا الأخير ملكا على الوندال، وقد أمر بقتله وحاشيته بعد وصوله خبر الحملة البيزنطية بقيادة بليزار بلاد المغرب القديم سنة 533م⁷.

¹ - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص179.

² - Procope, G.V, I, 9,10-13

³ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p268

⁴ - Ibid, p268.

⁵ - Hédi S et Autres, op-cit, p376.

⁶ - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص180.181.

⁷ - Procope, G V, trad. roque denis, p236

تميزت فترة حكم هلدريك بالتسامح مع رجال الدين الكاثوليك، حيث سمح بإقامة تجمعات دينية مسيحية في قرطاج¹ لدراسة بعض المسائل التعبدية دون خوف، كما دعا رجال الدين الكاثوليك إلى إقامة شعائرهم دون خوف، و سمح بإقامة أكبر تجمع ديني في قرطاج سنة 524م، وكان يطمح للوصول إلى تعاون ديني بين الكاثوليك والأريوسية دين المملكة الوندالية²، الأمر الذي لم تقبله الطبقة الأرستقراطية الوندالية ورجال الدين الأريوسيين، حيث عملوا على الانقلاب عليه وتحتيته من السلطة، حيث اتهم بالخيانة و تم الانقلاب عليه من طرف ابن عمه جلمير³.

6. الملك جلمير (530-534م) :

نجهل تماما تاريخ ولادة جلمير، غير كونه في عهد سابقه هلدريك كان أكبر أمراء البيت المالك سنا واليه كان سيؤول الملك، قام بالانقلاب على هلدريك وزج به وحاشيته في السجن، واستولى على العرش الذي هو وريثه⁴، ونكّل برجال الدين الكاثوليك كما تعاون مع الطبقة الارستقراطية الوندالية ورجال الدين الأريوسيين في الانقلاب على هلدريك الذي اتهمه بالخيانة مع القسطنطينية والتواطؤ مع رجال الدين الكاثوليك، وقد عرفت فترته صراعين، صراع ضد القبائل المورية، وصراع ضد الإمبراطورية البيزنطية والحملة البيزنطية التي أرسلها الإمبراطور جوستينيان⁵، وهي الحملة التي ستهي مملكة الوندال وتاريخهم في بلاد المغرب القديم .

أورد بروكوب⁶ أن الأمير جلمير هو ابن جلاريت (Geilarith) ابن الأمير جنزو (Genzo) ابن الملك جنسريق، ونظرا لأنه كان أكبر أمراء الأسرة المالكة ظن الكثير منهم أنه سيسعى إلى الحكم حسب قانون وراثة العرش الذي وضعه الملك

¹ - Hédi S et autres, op-cit, p376

² - Oussedik T, op-cit, p96

³ - Hédi S et Autres, op-cit, p376

⁴ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p269.

⁵ - Hédi S et Autres, op-cit, p376.

⁶ - Procope, G V, I, 9.

جنسريق، حيث تصفه المصادر بالماكر والمخادع والماهر في إثارة القلاقل و المشاكل و الاستحواذ على ممتلكات الغير مع غلظة طبعه ومهارته العسكرية في قيادة الجيوش¹ ، دخل في صراع مع بليزار على مرحلتين، وانتهى به الأمر إلى الفرار في المرة الأولى وتم القبض عليه في المرة الثانية واقتاده بليزار إلى القسطنطينية أين انتهى به الأمر، ولا يُعرف مكان ولا تاريخ وفاته² .

¹ - اللبار م، افريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص211.

² - Procope, G V, trad. roque denis, p236-237.



قطعة نقدية تظهر الملك الوندالي هنريك 477 - 488 م



قطعة نقدية تظهر الملك الوندالي جنسريق 428-477 م



قطعة نقدية تظهر الملك الوندالي قوانداموند 484-496م



قطعة نقدية تظهر الملك الوندالي جلمير 530-534م



قطعة نقدية تظهر الملك الوندالي تراساموند 496-523م



قطعة نقدية تظهر الملك الوندالي هلدريك 523-534م

لوحة رقم: 01

قطع نقدية للملوك الوندال في بلاد المغرب (بتصرف)

Modéran y , les tablettes albertini et les ostraka de bir trouch , op-cit, p254

IV. المملك المورية في الفترة الوندالية :

يذكر المؤرخون وعلى رأسهم كورتوا وجود عدة ممالك مورية مستقلة عن الوندال، ظهرت وبرزت بمجرد سقوط النظام الروماني في بلاد المغرب على يد جنسريق، والتي يحصيها كورتوا وعددها ثمان ممالك وهي :

مملكة ألتافا، مملكة الجدارات، مملكة الونشريس، مملكة الحضنة، مملكة الأوراس، مملكة النمامشة، مملكة تالة (الفاكسيس)، و مملكة كباوون في طرابلس¹ .

ويتحدث عن مملكة الأوراس التي يرجح أن تكون حدودها غربا تصل إلى الحضنة في جزئها الشرقي²، و التي كان قائدها يدعى اوداس (laudas) ، حيث يذكره المؤرخون بتسميات مختلفة، حيث يذكره كل من شارك ديل وكاركوبينوا باسم ابداس (Ibdas) ، وعند بروكوب وكوريب اسم يوداس (laudas) ، والظاهر أنه كان يسيطر على مساحات كبيرة في الأوراس، أي خنشلة حاليا والمناطق الجنوبية الغربية المحاذية لها حسب ما يذكر قزال، حيث يستطيع أوداس حسب بروكوب جمع وحشد ثلاثون ألف محارب بسهولة ، وقد استطاع أن يمدّ من حدود مملكته إلى الحضنة على حساب مملكة أورتياس ملك الحضنة، ونحو الشمال وقد وصل إلى نوميديا وبالتحديد إلى المناطق الجنوبية الشرقية لسيرتا، وقد استمرت هذه المملكة في قوتها إلى غاية الاحتلال البيزنطي، حيث سيدخل ابداس والاوراس في حروب جديدة ضد القائد البيزنطي صولومون، حيث كبّد هذا الأخير والجيوش البيزنطية خسائر كبيرة، الأمر الذي حتم على بيزنطا وقادتها أستمالته والتحالف معه نظرا للخطر الكبير الذي شكله على المدن البيزنطية في المقاطعات التي تم إخضاعها³ .

كما يذكر كورتوا ملكا آخر يدعى أنتالاس (Antalas) ملك البيزاكينا وابن غانفان (Guenfan) ، الذي كان يقود القبائل المورية جنوب تونس حاليا، وهي المملكة التي

¹ - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique, Op-cit, p334.

² - Decret F et Fantar M, l'Afrique du nord dans l'antiquité, op-cit, p344.

³ - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p341-342.

ظهرت مع بداية الحملة الوندالية وتطوّرت كثيرا في العهد البيزنطي، وقد امتدّ نفوذ الملك انتالاس إلى أن وصل إلى حدود حضر موت (سوسة حاليا) في حدود 545م .
و يذكر كوريب مملكة انتالاس بمملكة الفراكسيس (Frexes)، والظاهر حسب كورتوا أن مملكة انتالاس تأسست في حدود 510 م¹، وقد شكلت خطرا كبيرا على الوندال وذلك من خلال التوسعات المتكررة والحروب الكثيرة التي قادها انتالاس وأبوه ضد المدن الوندالية خاصة في عهد هلريك وجلمير².
كذلك من الممالك المورية التي تذكرها المصادر مملكة ألتافا في الغرب الجزائري، كما تشهد على ذلك نقيشة ألتافا التي تؤرخ ببداية القرن السادس ميلادي 508م، والتي كان قائدها مازونة الذي أطلق على نفسه ملك المور و الرومان³.
ومن القبائل الأكثر شراسة ضد الوندال القبائل الطارلسية ومنها قبائل الجمالة التي لعبت الدور الكبير في إضعاف وإسقاط المملكة الوندالية في بلاد المغرب والتي كان قائدها كاباوون قائد القبائل اللواتية، والذي واصل ثوراته وربما وصل إلى غاية البيزاكينيا في حدود 520م⁴.

V. طبيعة العلاقات الوندالية المورية في عهد جنسريق :

من خلال ما ورد في المصادر وبالأخص ما ذكره فيكتور دي فيتا في مؤلفه تاريخ الاضطهاد الوندالي ، نفهم أن العلاقات بين القبائل المورية و الوندال إنحصرت في المجال السياسي وذلك مع بداية الاحتلال، وكان أساس هذه العلاقات هو التحالف بما تقتضيه مصلحة الطرفين، وما يؤكد ذلك السياسة السلمية التي سار عليها الملك

¹ - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p343.

² - Hervé Ingleberf, op-cit, p59.

³ - Decret F et Fantar M, op-cit, p344.

⁴ - Ibid, p344

جنسريق¹ من بداية الحملة التي قادها الى بلاد المغرب وطول مدة إنتقال الوندال من الغرب إلى الشرق والى غاية تاريخ إحتلال قرطاج سنة 439م² .

حيث سار جنسريق في سياسة عدم الاصطدام بالقبائل المورية وعدم إثارتها بالتوسع على حساب الأقاليم التي كانت تسيطر عليها³، وما يؤكد العلاقات السلمية بين الطرفين ما ذكره كورتوا (Courtois) والذي أكد أن المور شاركوا بعد وفاة الإمبراطور فالوننتيان الثالث سنة 455م إلى جانب الملك جنسريق في مهاجمة سواحل ايطاليا وإقليم إيريا وأراضي البولوبونيز وبلاد الإغريق والجزر المجاورة لها، حيث غنموا الكثير من هذه الحملات وكان جنسريق يحرص على اقتسام الغنائم بالتساوي⁴، وأشهرها الحملة التي قادها جنسريق على روما سنة 455م⁵ .

كما تحدث سيدوان ابولينير (Sidoine Apolénair) عن حملة وندالية على سهل كمبانيا بوسط ايطاليا سنة 458م، حيث اعتمد جنسريق على سياسة التحالف واستمالة القبائل المور وإشراكهم في حملاته في المتوسط، وذلك يرجع ربما لقوة الجيوش المورية في خوض المعارك وتحقيق الانتصار، حيث يذكر فيكتور دي فيتا فيقول : « تكون السفن المهاجمة مشحونة بالوندال و الموريين فإذا بلغت قصدها نزل الموريون بخيلهم وهاجموا على حين غرة القرى والمدن وأشعلوا النيران في المنازل والأسواق ونهبوا وسبوا، في جو من الفوضى العارمة مستغلين ما أصاب الضحايا من الخوف و الهلع و الفتنة، حتى إذا انتهوا رجعوا غانمين إلى المرفأ، أين يجدون الوندال في انتظارهم فيشحنون غنائمهم وأسراهم قبل الإقلاع من جديد في اتجاه قصد جديد⁶ » .

كذلك الإشارة التي أوردها فيكتور دي فيتا والتي تظهر طبيعة العلاقات بين القبائل المورية وجنسريق، حيث ذكر ملك موري كانت مملكته في منطقة كابرا بيكتا (Capra-

¹ - Hédi S et Autres, op-cit, p378

² - Ingleberf H, op-cit, p59.

³ - مناقشي ف، الممرجع السابق، ص38

⁴ - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p340

⁵ - Modéran Y, les vandales et l'empire roman, op-cit,p147.

⁶ - اللبار م، قراءة في أسباب وظروف اليقظة المورية، الممرجع السابق، ص160.

(Picta) قد استقبلت مجموعة من الكاثوليك اللذين أمر جنسريق بنفيهم من قرطاج، الأمر الذي يؤكد سلمية وطبيعة العلاقات بين الطرفين في عهد هذا الأخير وكذا علاقة المور برجال الدين الكاثوليك وبقايا المجتمع الروماني في بلاد المغرب .

كذلك يذكر فيكتور دي فيتا مملكة مورية في كابسوس¹ (Capsus) ، التي كانت عبارة عن منفى ل مارتيانيانوس (Martinianus) وإخوته، ويعتقد كورتوا أن هذه المملكة تقع في الجزء الجنوبي الغربي من مقاطعة البيزاكينا²، وهناك من يرجح أن مملكة كابسوس قد تكون في أراضي الحضنة أو بين الأطلس الصحراوي و الحضنة وهو الرأي الذي نميل إليه .

كما تكلم بروكوب عن الحامية العسكرية المورية التي كانت في جزيرة سردينيا، و نرجح وجود حامية مورية أخرى في جزيرة كورسيكا على غرار ما فعل في جزر الباليار و سردينيا بعد سنة 455م³ .

كل الإشارات التي وردت في المصادر تؤكد طبيعة العلاقات السلمية بين المور و جنسريق وطبيعة الترابط والتعاون بينهما طيلة عهده، حيث اعتبرهم السند والممول الرئيسي الذي يمكن الاعتماد عليه في حملاته في المتوسط، وإحدى أقوى الأجنحة العسكرية المهمة التي يمكن الاعتماد عليها في جيوشه وفي تحقيق أهدافه و توسعته في المتوسط وجزره .

هذا ولا نكاد نجد في المصادر التي عاصرت الفترة الوندالية في بلاد المغرب القديم أي ذكر لصراعات وحروب بين الوندال والمور طيلة فترة حكم الملك الوندالي جنسريق، عكس العلاقات التي ستربط المور بالوندال بعد وفاته سنة 477م¹.

¹ - Victor de Vita, H P V, I, 25.

² - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p269.

³ - اللبارم، قراءة في أسباب وظروف اليقظة المورية، المرجع السابق، ص161.

كما لا نكاد نجد شيئاً في المصادر عن موقف المور من الصراع الوندالي-الروماني إلا الشيء القليل والذي من خلاله يمكن بناء فكرة وتصور عن موقف المور في ظل الصراع القائم بين الطرفين، يمكن أن نستشف ذلك مما ورد في الرسالة التي بعث بها القديس أوغسطين إلى الكونت بونيفاس سنة 429م بعد اجتياح الوندال لبلاد المغرب وقد جاء فيها :

<< quid autem dicam devastatione africae auam faciunt afri barbari resistente nulla >>

ما عساني(القديس أوغسطين) أن أقول بعد اجتياح إفريقيا، التي لم يظهر فيها الأفارقة الباربار أي مقاومة² .

ويمكن القول من خلال الرسالة أن الوندال لم يتعرضوا لأي مقاومة تذكر عند نزولهم بإفريقيا على عكس ما كانت تنتظره السلطة الرومانية منهم، الأمر الذي يوضح لنا العلاقات السيئة التي كانت تجمع المور والرومان، ربما بسبب تعسف روما وقوانينها الجائرة على السكان، كما إن عدم تعرض الوندال للمقاومة من طرف المور يؤكد ربط جنسريق لعلاقات تعاون مع المور قبل الحملة، حيث كان الهدف المشترك هو القضاء على روما في المغرب القديم هذا الأمر لم يسمح للمور ولا الوندال في الدخول في أي صراع بين الطرفين طيلة فترة حكم جنسريق 429-477م، والمساعدات التي قدمتها القبائل المورية للوندال في حملتهم على بلاد المغرب ما هي إلا دليل على فساد الإدارة الرومانية والتسيير الإداري، ومصادرة الأراضي وكثرة الضرائب التي أثقلت كاهل السكان، كلها أسباب اجتمعت وجعلت العلاقة بين روما والمور تكون سيئة، انتظرت فيها القبائل المورية فرصة الوندال لاسترجاع ما سلب منها وهو السبب الوجيه للتحالف الموري مع الوندال في أول حملة قادوها على المنطقة .

¹ - Modéran Y, les vandales et l'empire roman, op-cit, p153.

² - اللبار م، إفريقيا الوندالية، ص 48 .

وقد تعكّرت العلاقات بين القبائل المورية والوندال في عهد خلفاء جنسريق، وظهرت صراعات وحروب بين الطرفين، حيث شنت القبائل المورية عدّة حروب على المدن والمقاطعات الوندالية، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى تغيير طبيعة العلاقات بين القبائل المورية وخلفاء جنسريق، وهذا الأمر يتطلب وقفة تحليلية تأملية للسياسة التي سينتهجها خلفاء جنسريق اتجاه القبائل المورية لمعرفة أسباب الحرب؟

من خلال ما جاء في المصادر، يمكن القول أن العلاقات المورية الوندالية اتّسمت بنوع من التعاون والتحالف بين الطرفين لتقارب الأهداف بينهما و هو القضاء على الرومان¹، الأمر الذي حرص جنسريق على تجسيده حيث لم يدخل في أي صدام مع المور، وكذا التحالفات التي تخدم الطرفين خاصة، الحملات المشتركة في البحر المتوسط، وحاجة كل طرف للآخر للوصول إلى تحقيق أهدافه .

لكن بموت جنسريق تغيرت سياسة الملوك الوندال اتجاه الممالك المورية، وبدأ الملوك الوندال في مد حدود المملكة الوندالية والتوسع على حساب الأراضي الداخلية التابعة لقبائل المور، الأمر الذي أدى إلى تعكير صفو العلاقات²، لتبدأ بذلك سلسلة المعارك والثورات والتي ستستمر إلى غاية الحملة البيزنطية ونهاية الوندال في بلاد المغرب سنة 533م³، وما يظهر سوء العلاقات بين الطرفين الحملة البيزنطية على بلاد المغرب، حيث سعت مجموعة من القبائل المورية إلى مدّ يد المساعدة للبيزنطيين وربط علاقات تحالف مع القائد البيزنطي بليزاريوس ضد الملك الوندالي جلمير⁴.

¹ - Hervé Ingleberf, op-cit, p59

² - Hédi S et Autres, op-cit, p378.

³ - اللبار محمد، قراءة في أسباب وظروف اليقظة المورية في العهد الوندالي المتأخر، مجلة أمل، العدد 27، 2002م، ص159، الرباط .

⁴ - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p347.

ويذكر كورتوا أن العلاقات تغيرت بعد وفاة جنسريق، حيث عرف عهد هنريك صراعات كثيرة مع بعض القبائل المورية، ويذكر بروكوب أن مملكة الأوراس أعلنت استقلالها التام عن الوندال قبل وفاة هنريك بمدة زمنية قصيرة¹، وقطعت علاقاتها معهم بل ودخلت في صراع مع الوندال، الصراع الذي لم ينتهي إلا بنهاية الوندال في بلاد المغرب على يد البيزنطيين سنة 543م.

IV. الصراع الموري الوندالي في عهد خلفاء جنسريق :

1- ثورة القبائل الطرابلسية :

بعد أن توفي الملك جنسريك سنة 477م بدأت سلسلة الصراعات الوندالية مع القبائل الطرابلسية، حيث لم تكن هذه الصراعات موجودة طيلة فترة حكم جنسريك، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن أسباب الصراع مع خلفاء هذا الأخير، وعن سبب تغير العلاقات الوندالية المورية ؟ .

من أهم الثورات التي انطلقت من طرابلس والتي ذكرتها المصادر هي ثلاث ثورات: الأولى بقيادة زعيم قبيلة ليبية اسمه كباون² (Cabaoun) ، منها ما يذكره بروكوب عن الحملة التي باشرها الوندال ضد هذا الأخير³، فقد قام كباون بثورة كبيرة وعنيفة ضد الوندال ما بين 520-523م⁴ و ضد السياسة التوسعية للملك تراساموند على حساب الأراضي الطرابلسية⁵، وقد صدّهم كباون عن التوسع في المنطقة، الشيء الذي يبين قوة القادة المور العسكرية وحنكتهم في مواجهة الاحتلال الوندالي، غير أن بروكوب أتى على ذكر اسم القائد دون تحديد اسم القبيلة التي كانوا ينتمون إليها، وإن كان أغلب الظن هي

¹ - Courtois Ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p340-341.

² - Moderan Y, les premiers raids des tribus sahariennes en Afrique et la Johannide de corippus, op-cit, p480.

³ - Procope, G.V, I, 8,15-29.

⁴ - Moderan Y, les premiers raids des tribus sahariennes en afrique et la johannide de corippus, op-cit, p480.

⁵ - Procope, G V, I, 8,20-25.

قبيلة لواتة، التي كانت أقوى القبائل المسيطرة في هذه الفترة على الجزء الأكبر من الأراضي الطرابلسية¹.

ويذكر بروكوب القائد الموري كباوون حاكما قويا للقبائل الطرابلسية²، ويذكر ما له من الفطنة والذكاء ما يؤهله للحكم ولقيادة المعارك، فمنذ بداية التوسع الوندالي على الأراضي الطرابلسية قام كباوون بإصدار أوامر إلى أتباعه بأن يبتعدوا عن كل تعسف وأن يجتنبوا المتعة، ويمتنعوا خصوصا عن معاشرة النساء، وبعدها أقام سورين كبيرين دائريين عسكر فيهما والرجال جميعا، حيث وضع في أحدهما النساء وفي الآخر الرجال وتوعد بالموت لكل من يذهب إلى معسكر النساء، وأرسل جواسيس إلى قرطاج تراقب تحركات الوندال وتنقل أخبارهم³، وهي إستراتيجية الملك كباوون خصوصا والقبائل الطرابلسية عموما في ثوراتهم ضد الوندال .

ويظهر من ذلك الخطة العسكرية المحكمة للملك كباوون، حيث استطاع من خلالها دحر جيوش الوندال، والتغلب على تراساموند وألحق الهزيمة بجيوش هذا الأخير، فقد أسر الكثير منهم وفر عدد كبير إلى قرطاج، وبدأت بذلك سلسلة انتصارات القبائل الطرابلسية على الوندال، الأمر الذي دفع بالكثير من القبائل المورية الأخرى إلى الانضمام إلى هذه الحرب ضد الوندال⁴ .

تكلم بروكوب⁵ عن الملك كباوون وعن المعارك التي قادها ضد الوندال، كما تكلم عن المساعدات التي كان يقدمها لرجال الدين الكاثوليك ووصف لنا الخطط العسكرية و المعسكرات المورية الطرابلسية، الأمر الذي ساعدنا على فهم البيئة الجغرافية للقبائل

¹ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p345.

² - Procope, G V, I, 8-15.

³ - خشيم ع.ف، المرجع السابق، ص189.

⁴ - نفسه، ص190.

⁵ - Procope, GV, I, 8.

المورية والظروف التاريخية التي كانت تدفع بالسكان إلى الثورة والانفصال والاستقلال بالأراضي التي كانت تسيطر عليها¹.

حيث نلاحظ اختلافا كبيرا في السياسة العسكرية والحربية للقبائل الطرابلسية عن مثيلاتها من القبائل المورية في مقاطعات الأخرى، ربما يعود ذلك إلى طبيعة المنطقة الجغرافية وطبيعة سكانها، يذكر بروكوب الإستراتيجية العسكرية الخاصة بالقبائل الطرابلسية في الحروب، ويذكر إستراتيجية كباوون بالخصوص في حروبه ضد الوندال²، حيث يذكر استعمال أسلوب التجسس على العدو وذلك لمعرفة تاريخ الخروج ومدى قوة العدو للاستعداد للمعارك، كما كان يستقبل كل الناقلين على السلطة الوندالية بما فيهم رجال الدين الكاثوليك، كما اعتمد على سياسة عزل الجندي عن الحياة المدنية الاجتماعية ليصبح أكثر صلابة وقوة، ويظهر ذلك في منعه من زيارة المعسكر الذي وضعت فيه النساء والأطفال، الأمر الذي يجعل منه رجلا صلبا قادرا على المواجهة ضد الوندال.

حيث تعتمد هذه الإستراتيجية عموما على وضع النساء و الأطفال و الشيوخ في طرف، والمقاتلين في طرف آخر و إحاطة الأفراد والمقاتلين من جميع الجوانب بسياج دائري متعاقب من الإبل³، يتكون من إثنا عشر صفا ويكون الجنود تحت بطون الإبل تحميمهم الدروع حاملين الأقواس و النبال والسيوف و الرماح، وقد استطاع كباوون بهذه الإستراتيجية أن يلحق بالوندال عدة هزائم⁴ ، كما مارس خطة تقضي باستمالة القبائل الطرابلسية الأخرى وإشراكها في حروبه ضد الوندال⁵.

وقد برز دور كباوون والقبائل الطرابلسية كثيرا في فترة حكم الملك الوندالي تراساموند، حيث استطاعت هذه القبائل مع بداية 520م من الوصول في توسعاتها إلى

¹ - Courtois.ch, les vandales et l'Afrique, op-cit, p350.

² - Hédi slim et Autres, op-cit, p379.

³ - Ibid, p379.

⁴ - Procope, G V, I, 8.25.

⁵ - اللبارم، إفريقيا الوندالية المرجع السابق، ص197.196.

المناطق الشمالية الغربية والى البيزاكينا، حيث لعبت بذلك الدور الكبير في إضعاف الوندال والسيطرة على أقاليم شاسعة، وهو ما سهل القضاء عليهم فيما بعد من طرف البيزنطيين في مدة قصيرة وبحملة واحدة¹.

2- ثورة القبائل الأوراسية:

لا نكاد نجد مصادر تتكلم عن الصراع بين الوندال و القبائل الأوراسية إلا الشيء القليل، حيث وردت بعض الإشارات عند بروكوب عن الصراع الوندالي مع القبائل الأوراسية حيث ويقول : « هلك (هنريك) بمرض بعد أن حكم الوندال عدة أعوام في الوقت الذي انفصل فيه الموريون القاطنون بجمال الأوراس عن الوندال وأعلنوا استقلالهم»².

ومن خلال ما ذكره بروكوب نفهم أن العلاقات بين الوندال والقبائل المورية في الأوراس في عهد جنسريق كانت علاقات سلمية، و تغيرت حسب إعتقادنا بسبب تغيير الوندال لسياستهم اتجاه القبائل الأوراسية بعد وفاة جنسريق، حيث شرع الملك هنريك بعد أن اعتلى عرش المملكة الوندالية في التوسع داخل الأراضي المورية الداخلية والأراضي الأوراسية لتعويض المداخل المالية التي كانت تجنيها المملكة الوندالية من القرصنة في المتوسط إلى جانب المور.

خاصة بعد إبرام معاهدات بين الوندال والإمبراطورية البيزنطية ما بين 474-476م، تمنع الوندال من القرصنة والتوسع في المتوسط وفي المناطق التابعة للإمبراطورية البيزنطية³، وهي معاهدة حسب اعتقادنا أدت إلى فقر الخزينة المالية للوندال وإفلاسها، خاصة إذا علمنا أن الحملات الوندالية في المتوسط وما تغنمه كانت مصدر المداخل الهامة للخبزينة الوندالية، فتوقفت بذلك عمليات القرصنة التي كانت تدر الأرباح و الغنائم

¹ - Hédi S et Autres, op-cit, p379.

² - Procope, G.V, I, 8,5

³ - Hédi S et Autres,op-cit,p378.

على الوندال، ونتيجة لذلك فقد غيرت بذلك السلطة الوندالية سياستها الخارجية لتعويض ما خسرت في المتوسط، حيث لجأت إلى التوسع نحو الداخل حتى و إن تطلب الأمر التوسع على حساب أراضي حلفائها من القبائل المورية، الأمر الذي أدى إلى الصدام مع المور مثل بداية الصراع الموري الوندالي.

وجزاء ذلك فقد بادرت القبائل الأوراسية إلى الانفصال عن حلفائها الوندال وأعلنت الحرب بعد موت الملك الوندالي جنسريق، حيث بدأ الصراع بين الطرفين، وسعت القبائل المورية إلى القضاء على الوندال لأن الخطر الأكبر -وهو روما- قد تم القضاء عليه و المصلحة التي كانت تجمع الطرفين قد زالت، الأمر الذي يبين نية قبول القبائل المورية مساعدة الوندال في حملتهم على بلاد المغرب القديم ضد الإمبراطورية الرومانية، أي إن تحالف القبائل المورية مع الوندال كان مخططا له ، وكان لا بد منه للقضاء على الرومان ونظامهم في بلاد المغرب، فوجدت القبائل الأوراسية في الوندال الحليف والمساند والطريق للتخلص من هيمنة روما أولا، والتفرغ بعدها للتخلص من الوندال الأقل قوة من الرومان، وهو ما تؤكد طبيعة العلاقات بين المور و الوندال بعد جنسريق وطيلة عهد خلفائه حيث لم تعرف الهدوء والاستقرار .

بدأت القبائل الأوراسية في الاستعداد للحرب مستغلة في ذلك الظروف الطبيعية و التضاريس الصعبة التي كانت تزر بها جبال الأوراس¹، حيث اتخذتها منطلقا لحمالاتها وثوراتها المتكررة ضد الأقاليم والمدن الوندالية في الداخل، وقد ساعد الطابع الجغرافي للاوراس كثيرا على استعمال أسلوب الكر والفر الذي تحسنه القبائل المورية، وذلك في محاولة استدراج العدو إلى المناطق الصعبة المألوفة لدى المور والإجهاض عليهم².

¹ - Modéran Y, les vandales et l'empire roman, op-cit, p153.

² - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص186.

حيث استعمل المحارب الموري أسلحته التقليدية مثل: الرماح، النبال، ولبس الدروع من جلود الحيوانات، السيوف والخناجر، واتّصف ببنيته القوية وقدرته الكبيرة في ركوب الخيول دون سروج، واستعمال أسلوب الكر والفر المذكور سابقا، غير أننا لا نعرف إلا الشيء القليل عن القادة المور وعن الحروب التي خاضوها، ونتائج هذه الحروب و انعكاساتها على القبائل الاوراسية وعلى الوندال.

ويتبين من المصادر أن الصراع الاوراسي ضد الوندال استمر ولم يتوقف طيلة فترة حكم الملك الوندالي هنريك¹، و إلى غاية سقوط الوندال على يد البيزنطيين سنة 533م، وهو ما نستشفه مما يذكره بروكوب، فيقول : « ومنذ ذلك الحين لم يستطع الوندال إخضاع هؤلاء الموريون أبدا، لأن المنحدرات الوعرة لجبال الأوراس كانت تمنع الوندال من الوصول إليهم »² ، أي أن الوندال وجدوا صعوبة كبيرة في القضاء على القبائل الاوراسية وفي التوغل في منطقة الاوراس ذات التضاريس الصعبة التي حالت دون ذلك رغم الحملات الوندالية على الأوراس .

3- ثورة قبائل البيزاكينا - الفراكشيش - :

تحدث كل من كوريب³ وبروكوب⁴ عن الثورات التي قامت في البيزاكينا وعن قائدها أنتالاس (Antalas) وتكلما عن الهزائم التي ألحقها هذا لأخير بالجيوش الوندالية بقيادة هوامر (Hoamer) في عهد الملك هلدريك⁵ ، هناك من يرجح انتماء انتالاس إلى قبيلة الفراكسيس، هذه القبيلة التي كان مقرها شمال البيزاكينا⁶ .

¹ - Modéran Y, les vandales et l'empire roman, op-cit, p153

² - Procope, G.V, I, 8,5.

³ - Coripe, Joh, III ,73-74

⁴ - Procope,GV,I,9

⁵ - Coripe, Joh, III, 198-264.

⁶ - Moderan y, les premiers raids des tribus sahariennes en Afrique et la johannide de corippus, op-cit, p485.

كما تحدث كوريب عن الصراع الذي دار بين أنتالاس و القائد الوندالي هيلدمير (Hildmer) في عهد الملك هلدريك، والهزائم الكثيرة الذي كَبَدَهَا انتالاس الجيوش الوندالية¹، ويعود ذلك لقوة مملكة الفراكسيس وقوة قائدها الذي استطاع استمالة مجموعة من القبائل إلى صفه خاصة في إقليم الظهرة التونسي حالياً² ، منها قبيلتي الفراكسيس³ (Frexes) و قبيلة النافور (Naffur)⁴ .

نفهم من بعض الإشارات التي وردت في المصادر أن العلاقات بين أنتالاس و البيزنطيين مع بداية الحملة كانت علاقات حسنة سلمية، وهو ما يدل على سوء العلاقات مع الوندال واستمرارها إلى غاية الاحتلال البيزنطي، وإلا فكيف نفسر التحالف بين انتالاس و بيزنطا ضد الوندال، وهو ما يؤكد المقاومة المورية الطويلة ضد السياسة التوسعية الوندالية في البيزاكينا، حيث وجدت القبائل المورية عموماً و قبائل الفراكسيس خصوصاً في الحملة التي قادها البيزنطيين على بلاد المغرب طريقاً إلى التخلص من الاحتلال الوندالي والاستقلال بالأقاليم التي سيطر عليها الوندال .

و ربما يعود سبب الصراع بين انتالاس و الوندال إلى امتناع الوندال عن دفع الضريبة التي كانت مفروضة عليهم، و التي كانت تدفع إلى الملك غنfan (Ghenafan) ومن بعده إلى ابنه انتالاس، حيث عرفت فترة تراساموند عدة ثورات⁵، خاصة إذا علمنا أن أن المور في عهد جنسريق لعبوا دوراً كبيراً في الحملات التي كان يقودها هذا الأخير في المتوسط، حيث كان يعطي الهبات والغنائم كعربون اتفاق بين الطرفين، ثم توقفت هذه الهدايا في عهد خلفائه .

¹ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p343.

² - Hédi S et Autres, op-cit, p378

³ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p347.

⁴ - قبيلة النافور : يرى كثير من الباحثين أن مكان موقع القبيلة كان جنوب البيزاكينا، وأنها لعبت الدور الكبير إلى جانب قبيلة انتالاس في حروبها ضد الوندال ، وأنها من القبائل التي شاركت في الحرب المورية الكبرى ضد البيزنطيين سنة 544مانظر:

- اللبارم، إفريقيا الوندالية المرجع السابق، ص203.

⁵ - Schmidt, Histoire vandales, op-cit, p143.

لعبت قبائل الفراكسيس دورا كبيرا مع الوندال في حروبهم في المتوسط خاصة في عهد غونفان أب انتلاس في فترة الملك جنسريق، غير أنهم كبدوا الوندال خسائر كبيرة بعد أن ساءت العلاقات في فترة كل من هلدريك وتراساموند، خاصة أن انتلاس المعروف بحنكته وخبرته القتالية¹ استطاع استمالة مجموعة من القبائل المورية إلى صفه من القبائل الطرابلسية اللواتية والاوسترياني والايفوراكس....الخ، هذه التحالفات مع القبائل الطرابلسية والتي كانت أهدافهم مشتركة وهي القضاء على الخطر الوندالي الذي أصبح يهدد مكتسباتهم وأراضيهم².

اعتمد انتالاس في حروبه ضد الوندال سياسة واستراتيجية تختلف تماما عن السياسة التي انتهجتها القبائل الطرابلسية، حيث استعمل طريقة الكر والفر المعروفة لدى القبائل المورية، وعمل على إضعاف العد بالتدرج مستغلا الظروف البيئية والطبيعية التي يجهلها الخصم، ومما جاء في المصادر أنه قام باختطاف قطعان الماشية التابعة للوندال وقام بمباغطة الجيوش الوندالية في الممرات والمسالك الصعبة وفي الجبال، وشن غارات مفاجئة على المدن الآهلة بالوندال، والهدف من ذلك كله هو نشر الرعب والخوف في نفوس الوندال، الأمر الذي أجبر الملك الوندالي هلدريك على المواجهة والدخول في الحرب مع المور، رغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها مملكة الوندال .

وأمام التوسعات الكبيرة لانتالاس في البيزاكينا قرر الملك الوندالي هلدريك إرسال حملة ضد انتالاس لكن هذا الأخير قضى عليها تماما والحق هزائم كبيرة بالجيوش الوندالية وأرسى قواعد الحكم الموري في البيزاكينا³، وربما كانت بداية سقوط وضعف مملكة الوندال على يد الملك انتالاس.

¹ - Hédi S et Autres, op-cit, p379.

² - Procope, G.V, II, 21,2-15

³ - Courtois ch., les vandales et l'Afrique, op-cit, p347.

وقد باعت كل الحروب والثورات الوندالية ضد انتالاس بالفشل، ويعود سبب الانتصار التي حققها هذا الأخير على الوندال إلى التحالفات التي عرفتھا الممالك المورية ضد المحتل الأجنبي، مثل: التحالف الكبير الذي حدث في فترة الاحتلال البيزنطي أو بما يعرف عند المؤرخين بالحرب المورية الكبرى 544-548م¹.

4- ثورات القبائل الموريطانية :

يعتقد الكثير من المؤرخين أن العلاقات المورية الوندالية في الموريطانيات الثلاث اتسمت بنوع من التعاون و التحالف في فترة حكم جنسريق وإبنة هنريك، لكن هذه العلاقات لم تدم طويلا وتحولت فيما بعد إلى صراعات بسبب الأطماع الوندالية في السيطرة على بعض المدن في الموريطانيات².

ومن الممالك التي ظهرت في موريطانيا القيصرية، مملكة الحضنة التي ذكرتها المصادر تحت سلطة قائدها ماستيس (Mastis) والذي ورد اسمه في نقيشة أريس (Aris) وكانت حدود المملكة مابين جبال الاوراس شرقا وواد الشلف غربا، والظاهر أن هذه القبائل كانت تابعة لروما قبل الاحتلال الوندالي، حيث أعلنت استقلالها عن روما بعد نجاح حملة جنسريق على العاصمة روما سنة 455م³.

ولا نكاد نجد أي ذكر للعلاقات التي كانت تربط الوندال بالمور في الموريطانيات ولا للثورات التي جمعت الطرفين⁴، غير أنه يمكن القول أن العلاقات توترت بعد جنسريق، وعرفت عدة صراعات خاصة في فترة قونداموند 484-496م، والسبب يعود ربما إلى رغبة الوندال في السيطرة على بعض المدن في الموريطانيات، وكذا في التحالفات التي عرفتھا قبائل موريطانيا مع انتالاس و القبائل الطرابلسية، الأمر الذي أدى إلى التوتر بين الوندال و المور في موريطانيا .

¹ - Procope, G.V,I,9,2-3

² - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص188.

³ - Procope, G.V, I, 8,7

⁴ - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق ص 189.

وقد أوردت المصادر¹ إشارات عن الثورات والانتصارات التي حققتها القبائل المورية في كل من موريطانيا، واستيلائها على الجزء الغربي من نوميديا، وما يؤكد ذلك ما ذكر في المصادر عن التقسيمات الإدارية التي قام بها الملك الوندالي جنسريق بعد تأسيس مملكته ببلاد المغرب، حيث لم يسيطر على نوميديا إلا في جزئها الشرقي، و إلا كيف نفسر العلاقات التي ربطت البيزنطيين بالقبائل المورية مع بداية الحملة البيزنطية، حيث وقفت قبائل موريطانيا إلى جانب البيزنطيين ضد الوندال، وهو ما يؤكد سوء العلاقات بين الطرفين بسبب الحروب.

كذلك أوردت المصادر قائد موري يحمل اسم ماستيناس (Mastinas) كان يحكم موريطانيا القيصرية وكان ذلك مع بداية الحملة البيزنطية، والذي سيقف ضد التوسع البيزنطي سنة 535م²، كما نجد إشارات تؤكد استقلالية القبائل المورية في موريطانيا الطنجية في الفترة الوندالية ربما لكثرتها وقوتها الأمر الذي حال دون تفكير الوندال في السيطرة على المنطقة .

كما نجد ذكر ملك في موريطانيا القيصرية باسم مازونة (Masunas) على مملكة ألتافا (Altava) ذكرته نقيشة ألتافا التي تؤرخ لهذه المملكة ببداية القرن السادس ميلادي حيث جاء في نقيشة التافا : « سلاما وتوفيقا للقائد مازونة ملك الموريين والرومان شيد على يد ماسكيفينيوس عمدة صفر وأيدر حاكم كاسترا سفريانا الحصن الذي أمر مازونا ببنائه في ألتافا وأتمه ماكسيموس حاكم ألتافا الذي شيد سنة 496م »³.

وحسب يومية الحساب الإفريقي تقابلها سنة 508م حيث أوردت النقيشة اسم مازونا⁴، كما ذكرت ثلاث مدن وهي مدينة صفر ، كسترا سفريانا و ألتافا، وحسب ديل أن

¹ - Procope,G.V,I,8,14

² - Procope,G.V,II,13,19

³ - Carcopino, l'empereur maure inconnu, op-cit, p347

⁴ - وحسب اللبار أن التاريخ الميلادي يسبق اليومية الإفريقية بفارق 39 سنة لأن السنة الأولى في اليومية الإفريقية هي سنة 40 م .انظر : اللبار م، إفريقيا الوندالية المرجع السابق ص193.

مدينة صفر هي عين تيموشنت¹، وحسب كومب قبريال أنها مدينة تبيداي (Tebidae) الرومانية وهي مدينة عين الحمام أو حمام سيدي عبدلي التي تقع على بعد 34 كلم جنوب عين تيموشنت².

أما مدينة كاسترا سفيريانا يقول كومب أنها كابوتاساكورا (Caputasacura) الرومانية، ويرجح تأسيسها في عهد الأسرة السيفيرية 193-235م³ وهو ما نفهمه من اسمها وهي القلاع السيفيرية، وتعرف اليوم باسم شانزي (Chanzi) وتقع شرق تلمسان على بعد 70 كلم .

أما ألتافا فقد ذكرها بطليموس (Ptolemée) الجغرافي سنة 140م⁴، ويؤكد الأثريين أنها مدينة لاموريسير (Lamoricire) أولاد ميمون، وهي تبعد ثلاثة وثلاثين كلم شرق تلمسان وهي تعود أيضا إلى عهد الأسرة السيفيرية⁵.

وفيما يخص الملك مازونا، فلا نعرف عنه شيئا سوى أنه ملك الموريين والرومان كما لقب نفسه، وربما تكون مملكته امتدت على طول المدن الثلاث الواقعة غرب موريطانيا القيصرية، وبذلك يكون موقع مملكة ألتافا غرب مملكة ماستيس (Mastis) التي كانت تشمل معظم أراضي موريطانيا القيصرية .

هذا و يرى كاركوينو⁶ أن الملك مازونة المذكور في نقيشة ألتافا هو نفسه الملك مازوناس حليف البيزنطيين الذي ورد اسمه عند بروكوب كحليف للبيزنطيين في أحداث سنة 535م⁷، غير أن كورتوا وكومب رأيا عكس ذلك لاعتبارين اثنين، أولهما الفارق الزمني بين تاريخ النقيشة 508م، وتاريخ مساهمة مازوناس في الحروب المورية البيزنطية

¹ - Diehl ch., l'Afrique byzantine, op-cit, p264

² - Camps G, Rex..., Ant-afr, T20, op-cit, p196-197.

³ - Ibid, p197

⁴ - Ptolémée, IV, 1,7

⁵ - Claude L, les citée de l'Afrique romaine au bas empire, op-cit, p123.

⁶ - Carcopino, un empereur maure inconnu, op-cit, p346

⁷ - Procope, G.V, II, 8,19.

سنة 535م، وثانيا أن مملكة مازونا تقع حسب النقيشة غرب موريطانيا القيصرية ومملكة مازوناس حسب بروكوب تقع إلى الشرق من جبال الاوراس بمقاطعة نوميديا¹.

7. سقوط الوندال في بلاد المغرب:

تعددت أسباب سقوط ونهاية مملكة الوندال في بلاد المغرب القديم، فكانت منها اسباب داخلية وأسباب خارجية، يمكن إيجازها فيما يلي :

بداية انهيار مملكة الوندال كان مع موت الملك جنسريق سنة 477م بسبب الصراع بين الورثة على السلطة والذي أدى إلى التشتت والضعف، وفقدان خلفائه من بعده للعزيمة و القوة العسكرية، وميلهم إلى حياة الترف و البذخ².

كذلك الوضعية التي آلت إليها مملكة الوندال في عهد هيلدريك (Hildric)، هذا الأخير الذي كان تقريبا تابعا لإمبراطور الشرق³، والتسيير السيئ لمملكته، الأمر الذي أدى إلى الانقلاب عليه من طرف جلمير خاصة بعد قتله للأميرة القوطية أمالافريدا (Amlafrida)⁴.

نجد أيضا الحروب التي خاضها هلدريك ضد القبائل المورية، الذين اندفعوا من الجبال إلى الأراضي السهلية و التي باءت كلها بالفشل⁵، الأمر الذي أدى إلى ضعف و انهيار الجيش الوندالي، خاصة بعد الحملتين ضد الملك الموري انتالاس، حيث خسر فيها الوندال كل قوة الجيش⁶.

و في الوقت الذي استطاع فيه جلمير (Gilmer) قيادة حملة ضد القبائل اللواتية و حقق فيها انتصارا كبيرا، الأمر الذي رفع وعزز من مكانته داخل البلاط الوندالي وفي

¹ - Courtois, les vandales et l'afrique,op-cit,p334-335

² - بوكيوط.م،الممالك الامازيغية،المرجع السابق،ص84

³ - Procope, G.V,I,9,7

⁴ - اللبار محمد،إفريقيا الوندالية،المرجع السابق،ص212

⁵ - Courtois.Ch, op-cit, p353

⁶ - جميل حمداوي المرجع السابق ص239

صفوف الجيش، و ذلك ما سهل له من عملية الانقلاب و الإطاحة بالملك هلدريك، حيث نصب نفسه ملكا جديدا على المملكة الوندالية سنة 530م وألقى بالملك المخلوع هلدريك وأخويه هوامر (Hoamer) و (هواجيس Hoajis) وحاشيته في السجن¹، ويذكر بروكوب في ذلك أن جلمير خطط كثيرا مع أتباعه للإطاحة بهلدريك، خاصة بعد الانتصارات التي حققها ضد القبائل المورية حيث ازداد نفوذه وشهرته².

و أمام الوضع الذي آلت إليه المملكة الوندالية، ازدادت أطماع الإمبراطور جوستينيان في احتلال بلاد المغرب، وبدأ في البحث عن سبب لإرسال حملة على الوندال، فقام بإرسال رسالة إلى جلمير يطلب منه فيها إطلاق صراح هلدريك وحاشيته، وقد جاء فيها حسب بروكوب³ مايلي: « إنك لم تتصرف بطريقة نقيّة ولم تحترم وصية جنسريق، إذ وضعت في السجن رجلا مسنًا وأحد أقربائك، هو ملك الوندال، واغتصبت منه السلطة التي كانت ستؤول إليك بشكل قانوني في أحد الأيام، كان بإمكانك أن تصبح ملكا شرعيًا في المستقبل، ولكن تلهفك على السلطة لم يجعل منك إلا طاغية ومغتصبا، فهلا تركت لهذا الرجل أن يحمل اللقب الملكي واكتفيت أنت بما كان في يدك من مهام، وانتصرت حتى يحين الوقت المناسب لتنفيذ وصية جنسريق لكي تحمل اللقب الملكي بطريقة شرعية ؟ إنك إن فعلت ذلك فزت برضا العلي القدير واحتفظنا لك بما نكنّه لك من الصداقة »⁴.

هذا ولم يعر جلمير أي اهتمام لهذه الرسالة التي أرسلها إمبراطور روما الشرقية جوستينيان وواصل مشروعه، فقام الإمبراطور بإرسال رسالة ثانية لكن دون جدوى، فطلب الإمبراطور جوستينيان من جلمير إرسال الملك هلدريك وحاشيته إلى بيزنطا وإلا الحرب ستكون قائمة ضدك وضد مملكتك .

¹ - اللبار محمد، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص212

² - Procope, G. V, I, 9, 8

³ - Procope, G. V, I, 9, 10-13

⁴ - Procope, G. V, I, 9, 14-15

وكان جواب جلمير حسب بروكوب على الشكل التالي : « من الملك جلمير إلى الملك جوستينيان، ليكن في علمك أنني لم اغتصب السلطة وما ضيعت حق أحد من أقاربي وإن هلدريك بتأمره ضد آل جنسريق قد أثار سخط كافة الوندال عليه فعزلوه ونصبت عوضه بحكم أحقيتي في العرش طبقا لقانون ولاية العهد، هذا وما عليك ككل ملك حكيم إلا أن تتشغل بتسيير مملكتك وأن لا تحشر نفسك في شؤون غيرك ظلما وعدوانا، أما إن نقضت ما بيننا وأعلنت الحرب علي فاعلم أنك ستجديني في مواجهتك بكل ما أوتيت من قوة حتى تفيء إلى البرّ بالإيمان التي التزم بها زينون سلفك الذي ورثت عنه ملكك »¹ .

وقد نتساءل عن الأسباب التي دفعت الإمبراطور جوستينيان إلى محاولة إنقاذ هلدريك وحاشيته من سجن جلمار ؟ ربما يعود ذلك للصدقة التي جمعت الطرفين، خاصة إذا علمنا أن هلدريك عاش مايقارب أربعين سنة في القسطنطينية، ولكن السبب الحقيقي هو بحث جوستينيان عن سبب وجيه يدفعه إلى تحقيق هدفه وإرسال حملة وضم بلاد المغرب التي كان يرى أنه الوريث الشرعي لها ويحق له في ضمها إلى الإمبراطورية البيزنطية، وكذلك عن سبب يمكنه من خلاله إقناع السلطة والشعب البيزنطي بضرورة القضاء على الوندال، من خلال الظلم و الفساد الذي أصبحوا يقومون به في بلاد المغرب على حليفهم جيلمير أو على رجال الدين الكاثوليك أو حتى على الرعايا الرومان الذين بقوا في المنطقة بعد سقوط روما سنة 539 م .

8. مصير الوندال بعد سقوط دولتهم ببلاد المغرب:

الظاهر أن عموم الشعب الوندالي عومل معاملة حسنة من طرف القائد البيزنطي بليزاربوس أثناء الحرب مع الملك جلمير، أما بعد نهاية الصراع واحتلال المنطقة، فقد قام بليزاربوس بجمع بعضهم في الجيوش الإمبراطورية² وأكثرية الشعب الوندالي وكون

¹ - Procope,G.V,I,9,20-23

² - Hédi S et Autres, op-cit, p387

منهم خمس فرق أطلق عليها إسم الونداليين اليوستينيانيون¹ (Vandali Justiniani) وتم وضع إقامة لهم قرب بلاد فارس²، حيث تم الاعتماد عليهم في الحروب مع الفرس³، وأكثر الفئات الأخرى مكثت في بلاد المغرب ومنهم من صاروا عبيدا لسادتهم الجدد⁴، وأعطيت النساء و البنات للغالب والقادة البيزنطيين، واستعاد الملاك القدماء ما ضاع منهم بسبب الوندال، كما استعادت الكنيسة الكاثوليكية جميع ما ضاع منها⁵، وأعيدت لها كنائسها لمباشرة طقوسها و شعائرها الدينية في ظل السلطة البيزنطية⁶، وهناك من الوندال من التجأ إلى القبائل الموريطانية والأوراسية، ومنهم من اتجه نحو الأراضي الصحراوية في الجنوب⁷، ومنهم من انضم إلى حرب ستوزاس (Stozase) ضد بيزنطا وقاتل إلى جانب المور ضد البيزنطيين⁸.

9.المخلفات الحضارية الوندالية في بلاد المغرب :

يؤكد الكثير من المؤرخين والباحثين في تاريخ بلاد المغرب القديم أن الوندال لم يسيطروا على أجزاء كبيرة وانحصرت سيطرتهم في الجزء الشرقي من بلاد المغرب فقط، رغم جهودهم العسكرية في ضم أقاليم روما القديمة، حيث لم تبق لهم أي آثار ظاهرة تؤكد سيطرتهم، سوى قلاع قليلة مبنية بالحجر المقصور المأخوذ من المباني و المدن الرومانية المجاورة، حيث لم يبق من الآثار الوندالية شيء فقد هدمت واندثرت تماما بسبب الصراعات التي عرفتها المنطقة بعد ذلك⁹.

¹ - Procope, GV, II, 14,17-19

² - Modéran y, l'établissement territorial des vandales en afrique,op-cit,p121

³ - Pringle D, op-cit, p68

⁴ - Courtois.Ch, op-cit, p354

⁵ - Durliat Jean, la byzacène byzantine, du byzacium au sahel itinéraire historique d'une région tunisienne, textes réunis par Abdellatif mrabt, volum I, l'or du temp, 1999, tunisie, p53.

⁶ - نصحي ا، المرجع السابق، ص147.

⁷ - Procope, GV, II, 14,19.

⁸ - Hédi S et Autres, op-cit, p387.

⁹ - كامب غ، المرجع السابق، ص213.

هذا وبالرغم من طول فترة الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب - أي ما يقارب القرن من الزمن- فإن الآثار التي خلفها الوندال لا نكاد نجد لها أثرا، إذ لا تتجاوز أدوات الزينة و الأواني المنزلية وبعض رؤوس الدبابيس و المشابك والمجوهرات، حيث تم العثور قرب مدينة هيبون رجيوس في أحد قبور الوندال على بعض المجوهرات و أدوات الزينة، وتم العثور في قبر سيدة وندالية على عقد من العقيق و الزجاج الأحمر و الأخضر، كما وجد في قبر رجل وندالي مشبكان كبيران لتثبيت الثوب على الكتف، ووجدت مجموعة أخرى من الأدوات تحمل صور المحاربين ربما هي من أصول الزخرفة الوندالية خاصة استعمال الألوان وبالتحديد الأزرق الأحمر و الأخضر¹ .

لم يترك الوندال بعد سقوط مملكتهم في بلاد المغرب سنة 534م أي آثار مادية تخلد وجودهم فيها لا في المقاطعات و لا في المدن التي عاشوا فيها، سوى بعض النقوش في بعض أماكن العبادة التي تدل على العبادة و الدين الأريوسي² .

وما يمكن استخلاصه في آخر هذا الفصل، أن الملك جنسريق والوندال ركزوا جل اهتماماتهم على الوصول إلى قرطاج، ولم تكن نيته السيطرة على أي إقليم في بلاد المغرب القديم، وهو ما نلاحظه من خلال تحرك الوندال من الغرب باتجاه الشرق ثم الاستقرار بهيبون رجيوس ثم احتلال قرطاج و الاستقرار فيها .

كما أن التقسيم الإداري الوندالي لبلاد المغرب القديم فقد اقتصر فقط على أقاليم البروقنصلية والمزاق وجزء من نوميديا الشرقية، وهو دليل على رغبة الوندال في تأسيس دولة على المخلفات الرومانية، والسيطرة على أهم المقاطعات الحضارية والاقتصادية الرومانية في بلاد المغرب القديم، وهو سبب تركيز الوندال على هذه المنطقة لما تحتويه من مرافق ومنشآت حضارية .

و أما امتلاك الوندال لعتاد حربي متطور وكبير ونجاح الوندال في الحروب والثورات التي خاضوها ضد الرومان، فهو دليل على القوة العسكرية والإستراتيجية المحكمة، خاصة في عهد جنسريق، هذه

¹ - نصحي أ، المرجع السابق، ص159.

² - Gilbert Magnier, l'Algérie des origines de la préhistoire à l'événement de l'islam, éd la découverte, paris, 2007, p176 .

القوة العسكرية تم اكتسابها من خلال مجاورة الإمبراطورية الرومانية في القسم الأروبي والانخراط في جيوشها، الأمر الذي ساعدهم على انتهاج نفس الأسلوب العسكري الروماني بعد تأسيس دولتهم في بلاد المغرب القديم وهو سرّ استمرار الدولة الوندالية قرنا من الزمن.

كما إن ظهور الممالك المورية وتحالفها مع الملك جنسريق في الحملة التي قادها على بلاد المغرب يعكس مدى الاستبداد والظلم الذي عانت منه طويلا هذه القبائل في الفترة الرومانية، والتي وجدت في الوندال الفرصة السانحة للقضاء على الرومان والاستقلال بالأقاليم التي كانت تستقر فيها .

كما أن غياب الصراع والثورات بين الوندال والقبائل المورية طيلة فترة حكم الملك جنسرق، دليل على العلاقات الوطيدة بين الطرفين واحترام هذا الأخير للمعاهدات التي جمعته بالقبائل المورية ، الأمر الذي أدى إلى إشراك هذه القبائل في الكثير من الحملات التي قام بها جنسريق في المتوسط .

و في المقابل نجد توترا في العلاقات بين الوندال والقبائل المورية بعد جنسريق وطيلة فترة خلفائه، حيث يعود ذلك إلى نقض المعاهدات والتخلي عن الهبات والهدايا التي كانت تمنح للقبائل في عهد جنسريق كعربون صداقة وتحالف، وكذا في الإستراتيجية التوسعية التي أنتهجها خلفاؤه ضد الأراضي المورية، الأمر الذي أدى إلى حروب وثورات لم تنتهي إلا بانتهاء الوندال ودولتهم في بلاد المغرب على يد الإمبراطور جوستينيان والحملة البيزنطية التي قادها بليزاريوس سنة 533م .

وكذلك سوء العلاقات بعد جنسريق وكثرة الثورات المورية سرع من سقوط الوندال، و زاد من قوة القبائل المورية وجعل منها كيانات مورية قوية ومتحالفة فيما بينها، أصبحت ترى في الوندال العدو المشترك يجب القضاء عليه واسترجاع كل الأقاليم التي سيطر عليها، حيث وجدت القبائل المورية في البيزنطيين السند القوي الذي يمكن التحالف معه للقضاء على الوندال وتحقيق السيطرة والاستقلال .

وهو ما نستشفه في العلاقات التي ربطت القبائل المورية بالسلطة البيزنطية من خلال المساعدات التي وجدت الجيوش البيزنطية في بلاد المغرب في الحملة التي قام بها الإمبراطور جوستينيان على المنطقة ضد الوندال، حيث وجدت القبائل المورية مرة أخرى في البيزنطيين الحل و الطريق للقضاء على الوندال و الاستقلال بالأقاليم التي تستقر فيها وهو ما سنحاول التطرق إليه فيما يأتي .

كما أن سقوط الوندال ونهاية دولتهم في بلاد المغرب وعدم ترك أي مخلفات حضارية في المنطقة، دليل على استغلال مخلفات الحضارة الرومانية دون محاولة إحداث أي تغيير، فقد تم

استغلال كل المنشآت العمرانية المدنية العسكرية والدينية، ودليل أيضا على عدم اهتمام الملوك الوندال بتنظيم شؤون دولتهم، على غرار ما قام به جنسريق و الانصراف إلى حياة الترف و البذخ و إثارة العداوة مع القبائل المورية ، كلها أسباب أدت إلى زوالهم وزوال دولتهم ببلاد المغرب القديم.

وما بقاء المملكة الوندالية التي أسسها جنسريق ببلاد المغرب القديم واستمرارها لقرن أو أكثر من الزمن، إلا دليل على السياسة الإدارية والعسكرية المحكمة التي انتهجها هذا الأخير، وكذا سياسته اتجاه القبائل المورية التي استطاع بحنكته وخبرته من التعامل معها وعدم إثارتها والاستعانة بها في مخططاته في المنطقة وفي المتوسط، وهو ما سنحاول التطرق إليه في الفصل الموالي .

الباب الثاني :

القبائل المورية و الامبراطورية البيزنطية

الفصل الأول : الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم

- I. أسباب الاحتلال البيزنطي
 1. الاسباب السياسية
 2. الاسباب الدينية
 3. الاسباب الاقتصادية
- II. الظروف التي سبقت الحملة البيزنطية على بلاد المغرب
- III. الحملة البيزنطية
- IV. الصراع البيزنطي الوندالي في بلاد المغرب
- V. موقف الممالك المورية من الصراع البيزنطي الوندالي
- VI. العوامل التي ساعدت على نجاح الحملة البيزنطية
- VII. حدود السيطرة البيزنطية
- VIII. العوامل التي ساعدت على تجسيد الاحتلال البيزنطي في بلاد المغرب

قليلة هي المصادر التاريخية الكلاسيكية التي تتحدث عن الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم، سوى ما أورده "بروكوب" في كتابه الحروب ضد الوندال، الأمر الذي حتم على الكثير من الباحثين وعلينا الاعتماد عليه كمصدر أساسي وبشكل كبير في الموضوع، وقلة المصادر جعلنا نجعل الكثير من الحقائق التاريخية التي لم يذكرها بروكوب أو غفل عن ذكرها أو لم يذكرها عمدا بالنظر لكونه من كتّاب البلاط الإمبراطوري، حيث افتقر في كتاباته لصياغة الحقائق التاريخية و اتخاذ الموضوعية في سردها، الأمر الذي يحتم علينا التحليل قبل السرد .

إلا أن الحملة البيزنطية على الوندال وعلى بلاد المغرب كشفت عن الكثير من الحقائق التاريخية التي لم توردها المصادر، الأمر الذي يدفع بالباحثين إلى تحليل الوقائع والأحداث للوصول إلى الحقيقة التاريخية، ولمعرفة مجريات الحملة البيزنطية على بلاد المغرب القديم كان من الضروري الرجوع إلى الكتابات القديمة و المعاصرة لمعرفة مجريات أحداث الاحتلال البيزنطي على بلاد المغرب، وكيفية التخلص من الوندال وردود فعل القبائل المورية من الحملة البيزنطية على المنطقة .

1. أسباب الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب :

كان من بين أهداف الإمبراطور "جوستينيان" منذ اعتلائه عرش الإمبراطورية البيزنطية هو إقامة إمبراطورية مسيحية مترامية الأطراف¹ ، وكان يهدف إلى استرجاع كل الأقاليم التي سيطرت عليها القبائل الجرمانية في أوروبا وهي مناطق كانت تحت سيطرة روما القديمة، بما في ذلك أقاليم بلاد المغرب القديم التي سيطرت عليها القبائل المورية والوندال بداية القرن الخامس ميلادي²، غير أن أسباب الحملة البيزنطية على بلاد المغرب تعددت واختلفت، فمنها ما هو خاص بالإمبراطور جوستينيان والإمبراطورية

¹ - Maraval Pierre, Justinien. Le rêve d'un empire chrétien universel, éd Tallandier, paris, 2016, p202.

² - Ibid, p199.

البيزنطية، ومنها ما هو خاص بمملكة الوندال في حد ذاتها و الظروف التي تعيشها في بلاد المغرب إلى جانب القبائل المورية وبقايا الرومان من ملاك كبار ورجال دين كاثوليك، وفيما يلي إبراز أهم الأسباب التي زادت من رغبة الإمبراطور البيزنطي جوستينيان في إرسال حملة والقضاء على الوندال ببلاد المغرب القديم :

1- الأسباب السياسية :

سعي الإمبراطور جوستينيان منذ وصوله للحكم إلى إعادة تحقيق الوحدة بين الشرق و الغرب في إمبراطورية واحدة كما كانت عليه في الفترة الرومانية القديمة، حيث بدأ مشروعه باحتلال المغرب القديم الذي كان تحت سيطرة القبائل الوندال والمورية¹، وكان هدف الإمبراطور من ذلك استرجاع المناطق القديمة التي كانت تحت سيطرة روما، والوصول إلى الحدود السياسية التي كان يحتلها الرومان قبل سقوطهم على يد القبائل الوندالية سنة 429م².

ومن أكبر الدوافع التي حفزت الإمبراطور جوستينيان على احتلال المغرب القديم، هو الضعف الذي دبّ في المملكة الوندالية ، خاصة بعد تراجع حدود السيطرة الوندالية بسبب الحروب الكثيرة التي قامت بها القبائل المورية، والتي أدت إلى ضعف وتفكك الجيش الوندالي خاصة بعد وفاة الملك جنسريق³، وكثرة الصراعات والحروب بين القبائل المورية والوندال في عهد الملك هلدريك 523-530م، وهو زاد من ضعف الوندال كثيرا و سيسهل على بيزنطا احتلال المغرب القديم وتحقيق حلم الإمبراطور جوستينيان⁴ .

وكثرة الصراعات والانقسامات السياسية داخل البيت الملكي الوندالي⁵، خاصة بعد تولي القائد جلمير عرش المملكة الوندالية و تحالفه مع أبرز القادة الونداليين والانقلاب

¹ - Pyronton M, op-cit p42

² - دريسي سليم، السياسة العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا، المرجع السابق، ص188.

³ - Hédi S et Autres, op-cit, p384

⁴ - خشيم ع.ف، المرجع السابق، ص191.

⁵ - Georges T, op-cit, p536.

على الملك هلدريك سنة 530م¹، وهو ما دفع بالإمبراطور جوستينيان إلى إرسال حملة على بلاد المغرب، نظرا للعلاقات الودية التي كانت بين الإمبراطور جوستينيان والملك الوندالي المخلوع من العرش هلدريك².

وهذا بعد الرسائل الكثيرة بين الإمبراطور والملك جلمير، و التي طلب فيها الإمبراطور جوستينيان إطلاق سراح الملك المسجون هلدريك وحاشيته، حيث لم يتحقق ذلك وهو ما أوجع رغبة بيزنطا في دخول الحرب ضد الوندال³، و ذلك بعد فشل كل محاولات إقناع الملك الوندالي جلمير من إطلاق سراح هلدريك وحاشيته⁴.

2- الأسباب الدينية :

كثرة الاضطهادات الوندالية الأريوسية على رجال الدين المسيحيين الكاثوليك⁵ في المغرب القديم من أهم أسباب الاحتلال البيزنطي للمنطقة، حيث فرضت عليهم السلطة الوندالية قوانين مجحفة تمثلت في مصادرة أراضيهم ومنعهم من التجمعات الدينية⁶ و الثقافية وممارسة شعائرهم الكاثوليكية، ومصادرة أملاك الكنيسة الكاثوليكية ورجال الدين ونفيهم وحرق كتبهم الدينية، الأمر الذي دفع بالإمبراطور جوستينيان إلى التفكير في إرسال حملة لبلاد المغرب خاصة بعد توالي الاستجداد من رجال الدين والسكان الرومان والمترومنين من بلاد المغرب بالإمبراطور جوستينيان⁷ الذي اعتبر نفسه حاميا للديانة المسيحية ولمعتنقها في كامل أرجاء العالم القديم .

ومن مظاهر الاضطهاد أن الملك الوندالي هنريك ابن جنسريق قام بإصدار قرار ملكي سنة 483م يقضي بإغلاق أربع وخمسين كنيسة وديرا، ومصادرة أملاكها وأموالها وإلقاء

¹ - Hugoniot Ch,op-cit,p225

² - Maraval P, op-cit, p202.

³ - Ibid, p202.

⁴ - Georges T, op-cit, p537.

⁵ - Ibid, p533.

⁶ - Hédi S et Autres,op-cit,p380.

⁷ - دريسي س، السياسة العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا،المرجع السابق،ص188.

القبض على قساوستها الذين بلغوا قرابة خمسة آلاف قسيس وقام بنفيهم إلى الصحراء إلى بعض القبائل المورية¹.

وكان الدافع البيزنطي قويا حينما وصل عدد من المنفيين الأفارقة والكهنة من قرطاج إلى القسطنطينية يستتجدون بالسلطة وبالإمبراطور جوستينيان ليخلصهم من بطش الوندال، الأمر الذي زاد من رغبة الإمبراطور في القضاء على الوندال²، خاصة بعد أن أكد له رجال الدين تدمير القبائل المورية من السياسة الوندالية والحروب القائمة بين الطرفين وأبلغوه بان أكثر القبائل المورية على استعداد للتعاون والتحالف مع الإمبراطور في حملته على الوندال³.

كذلك نذكر الحلم أو الرؤيا التي رآها أحد رجال الدين وأحد قساوسة الشرق، حيث روى للإمبراطور أن المسيح يوبّخه في تماطله في تخليص رجال الدين في المغرب القديم من بطش الوندال، وأن المسيح من سيرعى الحملة وأنه من ينصّب حاكما عليها دون خوف ويطمئنه بنجاح الحملة⁴.

3- الأسباب الاقتصادية :

كان الإمبراطور جوستينيان ينظر إلى بلاد المغرب على أنها إرث روماني بيزنطي يجب إرجاعه إلى أصحابه، و أنّ لبيزنطة الحق في إرث روما القديم الضائع، وهو ما زاد من إصرار الامبراطور على احتلال بلاد المغرب⁵.

كما لا يمكن تجاهل أثر الرخاء الاقتصادي الكبير لبلاد المغرب على رغبة الإمبراطور جوستينيان في تعويض ما خسرت بيزنطا في حروبها في الشرق مع الفرس، ويظهر ذلك من السياسة الإدارية والعسكرية التي طبقتها بيزنطا في المنطقة بعد نجاح

¹ - التاجوري م م، المرجع السابق ص101-102.

² - Maraval P, justinien le rêve d'un empire chrétien universel ,op-cit, p203

³ - Oussedik T, op-cit, p98.

⁴ - التاجوري م م، المرجع السابق، 105-106.

⁵ - المنصوري محمد الطاهر، المغبيون في تاريخ تونس الاجتماعي، بيت الحكمة، تونس، ص18.

الحملة والقضاء الوندال، حيث تقرّر مباشرة احتلال كل المقاطعات الرومانية القديمة دون استثناء لخصوصية وتميز كل مقاطعة عن الأخرى¹.

II. الظروف التي سبقت الحملة البيزنطية على بلاد المغرب:

كانت الإمبراطورية الشرقية ترى في نفسها الوريث الشرعي للإمبراطورية الغربية بعد سقوطها في القرن الخامس الميلادي²، و ترى بأنّ لها الحق في ميراث روما الغربية و المقاطعات التي كانت تابعة لها قبل سقوطها، لذلك سعى أباطرة روما الشرقية بما فيهم الإمبراطور جوستينيان³ إلى محاولة الاستحواذ على المقاطعات الرومانية القديمة بما فيها بلاد المغرب التي احتلها الوندال، فسعى جوستينيان إلى احتلال بلاد المغرب وإرجاعها إلى حدود روما الشرقية الوريثة الشرعية لأملك روما الغربية، وبدأ يخطط لإرسال حملة للمغرب ويهيئ الظروف للقضاء على الوندال والسيطرة على الأقاليم التي كانت تحت سلطة الرومان قديما⁴.

وقد صاحب الحملة البيزنطية على بلاد المغرب عدة ظروف مرّت بها بيزنطا، في مقدمتها ما واجهته في الشرق من حروب مع الفرس، وفي الشمال الشرقي ضد القوط الشرقيين وعلى ضفاف نهر الدانوب، حيث قامت بيزنطا في حدود 527م بإنهاء حروبها في الشرق إمّا بانتصار أو هزيمة أو سلم قصد التفرغ لحروب جديدة في الغرب، حيث وقع الإمبراطور جوستينيان معاهدة سلم مع الفرس سنة 533م، مغتتما فرصة تولّي كسرى أنوشران 531-579م عرش الفرس وجنوح هذا الأخير للسلم، الأمر الذي حتمّ على بيزنطا دفع ضريبة كبيرة من المال للفرس مقابل السّلم لتتفرغ إلى الحرب ضد الوندال في بلاد المغرب القديم⁵.

¹ - Oussedik T, op-cit,p98.

² - Maraval P, justinien .le rêve d'un empire chrétien universel, op-cit, p204.

³ - Francois B, op-cit, p134.

⁴ - Maraval P, Justinien le rêve d'un empire chrétien universel, op-cit, p205.

⁵ - Ibid, p204-205.

و توافد الكثير من أنصار الملك هلدريك وأعداء جلمير من رجال الدين الكاثوليك ومن الرومان والمور المترومنين إلى الإمبراطور جوستينيان راجين المساعدة منه والتدخل لتخليصهم من الاضطهادات الوندالية، كما لجأ الكثير من كبار ملاك الأراضي في المغرب إلى بيزنطا مستنجدين بالإمبراطورية لاسترجاع أراضيهم المسلوقة منهم من طرف الوندال خاصة الأفارقة الرومان (Africani Romani)¹.

ومن بين الظروف أيضا نذكر كثرة الحركات الانفصالية والحروب ضد الوندال خاصة في المقاطعة الطرابلسية، وجزيرة سردينيا، وفي مقاطعة البيزاكينا واللّتين كان لهما صدى كبير في تغيير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ضد الوندال، ما أدى إلى خسائر مادية وبشرية كبيرة في السلطة الوندالية مما أدى إلى إضعافها وإفلاس خزينتها².

و إفلاس الخزينة الوندالية بعد جنسريق وطيلة فترة خلفائه كان بسبب توقف حملات القرصنة في المتوسط، خاصة وأن هذه الحملات كانت بمثابة المصدر الرئيسي لمداخيل الخزينة وهو ما أدى إلى فرض ضرائب جديدة على السكان، لم تتحملها الطبقة الاجتماعية تولّد عن ذلك فوضى عارمة في المملكة نشبت على إثرها ثورات اجتماعية كثيرة ضد السلطة الوندالية³.

ومن ذلك يظهر أن الظروف كانت مواتية ولصالح الإمبراطور جوستينيان وبيزنطا في إرسال حملة إلى بلاد المغرب تكون نسبة نجاحها كبيرة، وذلك للضعف الذي تمر به مملكة الوندال بسبب الصراعات السياسية الداخلية على الحكم، وتمرد القادة العسكريين وكثرة الانقلابات، وتوتر العلاقات المورية الوندالية وكثرة الحروب بينها مما أضعف الجيوش الوندالية، إضافة إلى الصراعات الدينية بين الكاثوليك والأريوسيين حمل الخزينة

¹ - Jones A.H.M, le déclin du monde antique 284-610, trad. de l'anglais par A. Servandoni -Duparc, éd.Sirey, Cambridge, 1970, p104

² - Hédi S et Autres,op-cit,p383.

³ - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص223.

الوندالية أموالا كثيرة ونفقات كبيرة حاولت السلطة تعويضها بفرض الضرائب واستغلال الطبقة الاجتماعية، وهو ما أدخل المجتمع الوندالي في فوضى عارمة زادت من تأزم الوضع في بلاد المغرب .

III. الحملة البيزنطية على بلاد المغرب :

تعددت آراء المؤرخين واختلفت حول تعداد الجيش البيزنطي، الذي استطاع في فترة قصيرة القضاء على الوندال في المغرب القديم يذكر بروكوب فيقول : « جهاز - جوستينيان - جيشا مكونا من عشرة آلاف رجل وخمسة آلاف فارس¹ وكان الأسطول مكونا من خمس مائة مركب للنقل² وأكثر من اثنين وتسعين مركبا طويلا ذا صف من المجاديف مجهزة للحرب³ وكلف لإدارة الحملة وتسيير القائد بليزاريوس⁴ القائد الأعلى لجيوش الشرق⁵ .

كما كان الجيش البيزنطي يضم أربع مائة جنديا هيروليا(Hérules)⁶، وحسب المصادر فإن الجيش ضم ستة مائة من الخيالة رماة السهام من الهون⁷ (Huns)، وكان في الجيش أيضا قرابة ألفين من الفرسان المدرعين وهم حراس القائد بليزاريوس قائد الحملة

¹ - Procope, G.V, I, 11.2

² - Laronde A, Op-cit p166

³ - Procope, G.V, I, 11.15.

⁴ - بليزار **Blésaire** : قائد الجيوش البيزنطية في الشرق وقائد الحملة البيزنطية على إفريقيا ضد الوندال سنة 533م، ولد في إقليم إيريا في حدود 505م وهو من القادة والحراس الشخصيين للإمبراطور جوستينيان قبل أن يصبح دوقا على بلاد ما بين النهرين سنة 526م، ويرتقي بعدها إلى قائد جيوش الشرق سنة 529م ، وكانت زوجته انطونيا Antonina ، تحدث عنه بروكوب كثيرا وذكر مسأله وزوجته في كتابه التاريخ السري انظر :

- Procope , H.S, trad..Maravale P,op-cit,p37-38

⁵ - بوكبوت م، المرجع السابق، ص87.

⁶ - هيرولي **Hérules** : هي عشائر جرمانية ظهرت في القرن الثالث ميلادي مع القوط على سواحل البحر الأسود، وبعد وفات أتيليا Atila كونوا في الشمال الشرقي لهنغاريا دولة على نهر الدانوب انطلقت منها إلى سويسرا وإيطاليا عدة حملات كانت إحداها بقيادة اوداكر Oudeacre وبها انتهت الإمبراطورية الرومانية سنة 476م ، قضى عليهم وعلى دولتهم تيودوريك Théodorik سنة 439م وقد انضموا إلى إمبراطورية الشرق بيزنطا و كانوا مخلصين جدا للإمبراطور جوستينيان....انظر:

- سعود م ت، المرجع السابق، ص206.

⁷ - الهون **les Huns** : هي إحدى شعوب الشرق الأقصى الرحل، يعتقد أن موطنهم الأصلي الصين ، خرجوا منها في منتصف القرن الأول قبل الميلاد واستقروا بسهول روسيا الجنوبية حوالي أربعة قرون، ثم زحفوا إلى الغرب مدمرين في طريقهم إمبراطوريتي الألان سنة 370م والقوط الشرقيين سنة 375م، واخضعوا العديد من الشعوب الجرمانية، من أقوى قادتهم عبر تاريخهم أتيليا Atila 431-453م....انظر

- عثمان م، المرجع السابق، ص203.

(Magister Militum Perorientem) ومساعدته القائد صولومون (Solomone)¹، كما صحب القائد بليزار زوجته معه أنطونيا² (Antonia) والتي كثيرا ما كانت ترافقه في الحملات التي يقوم بها³.

أبحر القائد بليزار يوس من بيزنطا باتجاه قرطاج و لم يلق أي صعوبة في البحر، دون أن يتعرض إلى هجوم بحري من طرف الوندال، وهو عكس ما كان يتوقعه ، حيث رست الجيوش البيزنطية على سواحل قرطاج⁴ ورست السفن البيزنطية بالتحديد في موقع رأس كبوديا (Caput Vada)⁵ في سبتمبر من عام 533م دون أي مقاومة من الوندال كما كان منتظرا، وكانت هذه المنطقة تبعد عن قرطاج مسافة 200 كلم⁶ ، وهي حسب تقدير بروكوب تبعد عن قرطاج مسيرة خمس أيام سيرا عاديا⁷.

وأول شيء قام به القائد بليزار قبل النزول على الساحل هو الاستماع مطولا لأراء القادة العسكريين الذين اصطحبهم معه بما فيهم القائد أرخيلايوس، كما أبدى رأيه في طريقة الحرب والإستراتيجية التي يجب اتباعها في الحرب ضد الوندال، وهي الخطة التي وجدت ترحيبا في نفوس القادة والجنود⁸.

بعد نزول قواته على اليابسة بالقرب من العاصمة قرطاج خطب على السكان المحليين قائلا ومطمئنا " إنه وجنوده جاءوا محررين لا مستعمرين، وإن الإمبراطور لم يحمل السلاح إلا لينقذ البلاد والسكان من بطش الوندال"، وأمر جنوده بمنع السلب و النهب، الأمر الذي أراح نفوس السكان خاصة رجال الدين الذين سارعوا إلى تقديم المساعدة، يقول بروكوب عن ذلك: « كان بليزار قد جد في استرضاء الأفارقة بليونته

¹ - Maraval P, Justinien le rêve d'un empire chrétien universel, op-cit, p205.

² - Hédi S et Autres, op-cit, p384

³ - نصحي ا، المرجع السابق، ص147.

⁴ - Francois B, op-cit, p134

⁵ - Procope, G.V, I.14.17

⁶ - Hédi S et Autres, op-cit, p384

⁷ - Procope, G.V, I.14.17

⁸ - Procope, G.V, I, 15.

واستقامته¹ وأمر مختلف الجنود والقادة بعدم التعرض أو نهب أراضي الليبيين بهدف استمالتهم إلى صفهم ضد الوندال²، حتى إنه طول الطريق كان يسير في أرض الأصدقاء الأصدقاء فلم يكن السكان يفرون عند اقتراب الجيوش البيزنطية ولم يخفوا ما يملكونه بل كانوا يقدمون الطعام ويزودون الجنود بكل ما يحتاجون إليه³ «

من خلال ما ذكر بروكوب يظهر أن القبائل المورية لم تتعرض للجيوش البيزنطية خلال انتقالها من الساحل باتجاه العاصمة قرطاج، ما يدل على العلاقات السلمية والتحالف الذي ربط الطرفين قبل الحملة بل وقامت بتقديم يد المساعدة للبيزنطيين، وهو ما يدل ويؤكد العلاقات العدائية للقبائل المورية ضد الوندال ويبين الأوضاع المزيفة للمجتمع المغاربي القديم في الفترة الوندالية وللدور الكبير الذي لعبته القبائل المورية إلى جانب البيزنطيين في القضاء على الوندال .

IV. الصراع البيزنطي الوندالي في بلاد المغرب :

يذكر بروكوب⁴ في مؤلفه الحروب ضد الوندال أن القائد بليزاريوس كان متخوفا كثيرا من الحملة التي سيقودها على بلاد المغرب ضد الوندال، حيث وضع احتمالات كثيرة في إمكانية الحرب مع الوندال في البحر قبل النزول إلى البر، وهو ما يظهر في كثرة الاستفسارات والتجسس على الوندال والجيوش التي كانت بحوزة الملك الوندالي جلمير قبل انطلاق الحملة⁵ .

وقد نزلت الجيوش البيزنطية في البداية بجزيرة مالطة، ولم يلبث بليزار كثيرا وأمر بالإبحار إلى قرطاج، حيث نزلت الجيوش البيزنطية بالقرب من كاب فادا (Caput Vada)⁶ (رأس كبوديا حاليا) وهي منطقة تقع بين منطقة السوس وصيفاقص، وعسكر

¹ - Hédi S et Autres, op-cit, p384.

² - Procope, G.V, I, 16.

³ - سعود م ت المرجع السابق ص207

⁴ - Procope,G.V,I,14

⁵ - Georges T,op-cit,p541

⁶ - Ibid,p541

وجنوده واخذ قسطا من الراحة فيها وبدأ يحضّر للحملة وللحرب ضد الوندال¹، وأمر جنوده بعدم التعرض للسكان أو معاملتهم بقسوة ودفع كل مستحقات الغذاء ومحاولة كسبهم إلى صف البيزنطيين، و إقناعهم أنهم أتوا إلى المغرب مخلصين لهم من بطش الوندال لا محتلين للمنطقة².

هذا وقد عرف الصراع الوندالي البيزنطي مرحلتين ومواجهتين مختلفتين من الصراع، يمكن إيجازهما فيما يلي:

❖ المواجهة الأولى : معركة أد ديكوم (Ad Dicum)

بعد التحضير العسكري الذي قام به القائد البيزنطي بليزار ودراسة الخطط العسكرية مع مساعديه، اختار ثلاث مائة رجل من أحسن الجنود يسيرون في الصفوف الأولى، وهم بمثابة فاتحي الطريق أمام تقدم الجيوش البيزنطية باتجاه قرطاج، وهم من يتحمل مسؤولية تأمين الطريق واقتفاء الأخبار قبل وصول الخطر الذي قد يكون من طرف الوندال أو القبائل المورية³، حيث سارت الجيوش البيزنطية باتجاه قرطاج مسيرة 15 كلم يوميا برا متخذة كل الحيلة والحذر من الهجمات الوندالية المرتقبة⁴.

ومع وصول خبر الحملة البيزنطية على بلاد المغرب انسحب القائد الوندالي جلمير باتجاه الجنوب إلى البيزاكينا وترك العاصمة قرطاج تحت قيادة أخيه أماتاس، واستقر في مكان يبعد عن الساحل وعن قرطاج مسيرة أربعة أيام⁵.

وأمام تقدم الجيوش البيزنطية إلى قرطاج أرسل جلمير إلى أخيه أماتاس (Ammatas) بقرطاج وأمره بقتل الملك هلدريك وكل من له علاقة به من الأهل و الأقارب، وقد فعل أماتاس ما أمره به جلمير وقتل هلدريك وأقاربه وكل من له علاقة بهذا الأخير من الوندال

¹ - Maraval P, Justinien le rêve d'un empire chrétien universel, op-cit, p206.

² - Ibid, p206.

³ - Procope, G.V, I.17

⁴ - Georges T, op-cit, p542.

⁵ - Procope, G.V, I.14.11.

أو المور¹ ، كما أمره بالاستعداد وإعداد الجيش الوندالي الذي تحت سيطرته لمواجهة الزحف البيزنطي على العاصمة قرطاج، والقضاء على الجيش البيزنطي في موقعة أد-ديكيمون Ad-Dékimon (تبعد عن قرطاج 70 stade)² .

وصلت الجيوش البيزنطية إلى ديكيمون³ بعد مسيرة ثلاثة أيام وقد التقت الجيوش البيزنطية بقيادة بليزار والجيوش الوندالية بقيادة جلمير في موقعة ديكيمون⁴ في سبتمبر 533م، وحسب بروكوب أن بليزار استطاع أن يقضي في هذه المعركة عما يزيد عن عشرون ألف وندالي⁵ ، وهو عدد حسب رأينا مبالغ فيه .

استطاعت الجيوش البيزنطية بقيادة بليزار بعد الانتصار الأول دخول العاصمة قرطاج واحتلالها وإخضاع سكانها، وشرع هذا الأخير في ترميم بعض الأسوار التي هدمت، وبدأ في تحصين المدينة والاستعداد لأي هجوم قد يكون من طرف الوندال خارج أسوار المدينة كما جمع الجيش وأشاد ببسالته وقوته وحثه على ضرورة الاستعداد لأي خطر خارجي محتمل، وأطال في تذكير الجيش بالبطولات والأشياء النبيلة التي يقوم بها للوصول إلى أرقى مراتب العز والرقى الحضاري الروماني الموروث عن الأجداد، وذكر بالأخطار التي قد تهدد المدينة التي تم السيطرة عليها، كما حث على الحفاظ على الانتصار الأول ضد الوندال وضرورة تحقيق انتصارات أخرى للقضاء الكامل على الوندال في بلاد المغرب⁶ .

¹ - Georges T, op-cit, p543.

² - rocope, G.V, I.17.11

³ - أدديكيمون Ad-dékimon : وهو مكان المعركة الأولى التي جمعت بليزار يوس بالوندال، والمكان بالتحديد غير معروف ولكن يمكن القول أنه يبعد على قرطاج مسافة 15 كلم ، وربما يقع في الطريق الرابط بين قرطاج ومدينة تبسة ...انظر :

- Maraval P, Justinien le rêve d'un empire chrétien universel, op-cit,p207

⁴ - Procope, G.V, I.17

⁵ - Procope, G.V, I.18.11

⁶ - Procope,GV,II,1

❖ المواجهة الثانية : معركة تريكاماروم¹ (Tricamarum)

تكلم بروكوب عن خروج القائد بليزاريوس من قرطاج رفقة عدد من الجنود والفرسان للمعركة الفاصلة والنهائية، حيث لم يترك سوى عدد قليل من الجنود لحماية العاصمة قرطاج التي قام بتحصينها وبناء أسوارها المحطمة وترميمها² من أي هجوم محتمل من طرف الملك جلمير³، الذي كان معسكرا في موقعة تريكاماروم (Tricamarum) وهي منطقة تبعد عن قرطاج قرابة مائة وأربعين ستاد (stades)⁴ .

كما قام جلمير بجمع النساء والأطفال بعيدا عن موقع المعركة، وجمع الجنود الوندال وبدأ يخاطبهم ويحمسهم ويذكرهم بسبب المقاومة والدفاع عن أمجاد أجدادهم وأملاكهم وأراضيهم المسلوبة من طرف القائد البيزنطي بليزار وجنوده ، و ذكرهم بما سيقوم به البيزنطيون بأولادهم ونسائهم في حالة عدم المقاومة وخسارة الحرب⁵ .

كما استدعى أخاه تراتزون (Tzatzon) وأمره باستدعاء كل الوندال المنتشرين في جزر المتوسط لتقديم المساعدة للملك جلمير⁶ ، ووعدهم مقابل ذلك بأموال وأراض في حالة القضاء على البيزنطيين، وذكرهم بأن نجاح الحرب يعتمد على مدى المساعدات والمقاومة التي يقومون بها ضد البيزنطيين، ونجاح الحرب هو نجاح الوندال في الجزر التي يسيطرون عليها⁷.

¹ - تريكاماروم Tricamarum : موقع يبعد عن قرطاج مسافة 25 كلم ... انظر:

- Georges T, op-cit,p550.

² - Georges T,op-cit,p548

³ - Procope, GV, II, 2.

⁴ - Stade ستاد : وحدة لقياس المسافات في التاريخ القديم، وهي مختلفة تماما بين المقصود بها في العهد الفنيقي- المصري و المسافة المقصودة بها عند بروكوب، فنجد الستاد stade عند الفينيقيين و المصريين يساوي 210 متر، بينما عند بروكوب ف الستاد أقل أو يساوي 180 متر، الأمر الذي وضع اختلافات بين المؤرخين في تحديد المسافات بدقة حسب ما أوردتها المصادر انظر

- Procope, GV,I, trad Donis Roques, p244 .

⁵ - Procope, GV, II, 2, 9-15

⁶ - Maraval P, Justinien le rêve d'un empire chrétien universel, p 209

⁷ - Procope, GV, II, 2, 3-24.

كما لجأ إلى حلفائه من القبائل المورية التي كانت تجمعهم معهم علاقات تحالف وحثهم على الدفاع والدخول معه في حروب ضد البيزنطيين مقابل مكاسب مالية ومادية في حالة الانتصار على العدو¹.

ويعد معركة كبيرة قام بها بليزاريوس وقادته استطاع هذا الأخير القضاء على جلمير وقواته في معركة تريكيماروم في ديسمبر 533م ، الأمر الذي أدى بهذا الأخير إلى الانسحاب والفرار إلى قبائل حليفة في مقاطعة نوميديا في جبل بابوا (papoua)² .

وتمكن بذلك بليزار من أسر الكثير من النساء والأطفال الوندال وكثير من الجنود وغنم الكثير من الأموال التي كانت بحوزة هؤلاء الوندال³، فسقطت بذلك دولة الوندال التي التي عمّرت ما يزيد عن قرن في البحر المتوسط⁴ عموما وبلاد المغرب القديم خصوصا .

أمر بليزار بعد ذلك أحد قادته الأرمينيين باقتفاء أثر الملك جلمير والقضاء عليه، وقد أرسل معه قرابة مئتين جندي، وكلفه بالقبض على جلمير حيا أو ميتا، وأرسل رسالة إلى القادة بقرطاج بحماية المدينة إلى حين العودة إليها، كما أعطى ضمانا لكل الوندال الذين سلموا أنفسهم بعدم قتلهم أو التنكيل بهم⁵.

لم يفلح القائد الأرميني في القضاء على جلمير بسبب وفاته بمدة زمنية قليلة، وبقي جلمير لاجئا عند القبائل التي كانت حليفته ولم يستطع بليزار القبض عليه وانتهت مقاومة الوندال، وتم أسر جيوشه والكثير من الوندال رجالا ونساء وأطفالا ثم عاد بليزار إلى العاصمة قرطاج وبدأ يحضّر للعودة إلى بيزنطا بعد الاحتفال الكبير الذي أقيم لأجله بقرطاج عند عودته، وقد جمع الكثير من الأموال بما فيها كرسي العرش الذهبي وكثيرا من

¹ - Georges T,op-cit,p547-548

² - جبل بابوا **Mont de papoua**: وهو جبل يقع بين عنابة وسكيكدة حاليا حسب كورتوا Courtois ويضعه دي زونج Désanges بين بولا ريجيا وطبرقة التونسية...انظر:

- Procope, GV,I, trad.Donis Roques,p249.

³ - Procope,GV,II,3

⁴ - Georges T,op-cit,p550

⁵ - Procope, GV, II, 4.

الأشياء الذهبية الثمينة، وترك من يخلفه في تسيير المغرب القديم وهو القائد العسكري صولومون (solomone)¹.

V. موقف الممالك المورية من الصراع البيزنطي الوندالي :

ما يمكن استنتاجه من مصدر بروكوب²، أن القادة المور وقفوا إلى جانب البيزنطيين ضد الوندال وأعطوا الطاعة الظاهرية للإمبراطور البيزنطي جوستينيلن ولقائد الحملة بليزاريوس، لكن هذه الطاعة كانت تخطيطية أكثر منها واقعية، ذلك أن الخوف و القلق وحب التحرر وانتظار الفرصة من بين مخططات الفرد الموري، وما يؤكد ذلك تغير العلاقات بعد القضاء على الوندال وبعد نهاية مصلحة الطرفين في القضاء على العدو المشترك وهو الاحتلال الروماني .

ف نجد أن أكبر الممالك المورية تحالفت مع البيزنطيين ضد الوندال، وهذا يعود إلى طبيعة العلاقات التي كانت بين الطرفين قبل الحملة البيزنطية إذ اتسمت بالعدائية بسبب السياسة الوندالية بعد موت جنسريق، حيث وجد الإمبراطور في هذه الممالك الدعم والسند الكبير³ في القضاء على الوندال، ومن هذه القبائل نذكر قبائل لواتة في طرابلس وقبائل الفراكسيس في البيزاكينا وقبائل الاوراس وقبائل الحضنة و قبائل ألتافا في الغرب⁴.

هذا وتذكر المصادر أن الجيوش البيزنطية لقيت ترحيبا كبيرا من السكان، ووجدت السلطة البيزنطية ولاء كبيرا من بعض القادة المور مقابل اعتراف الإمبراطور بسلطتهم على المناطق التابعة لهم وإهدائهم الصولجانات الفضية والذهبية والأحذية الموشاة بالذهب و الفضة والمال الكثير، وهذا الأمر مع بداية الحملة والتعاون للقضاء على الوندال⁵ .

و ربما يكون هذا الأمر عادة قديمة وطريقة من طرق تأكيد العلاقات بين الطرفين، فقد ذكر بروكوب نفس الأمر في العلاقات التي كانت تربط المور بالوندال حيث أشار

¹ - Procope, GV, II, 9

² - Procope, GV, I, 25

³ - Hédi et Autres, op-cit, p386.

⁴ - سعود م ت، المرجع السابق، ص210.
⁵ - التاجوري م م، المرجع السابق، ص144.

إلى ما كان يتحصل عليه الملوك والأمراء الموريون في المغرب القديم في الفترة الوندالية، حيث كانت السلطة الوندالية تمنح للقادة المور شارات الملك والاعتراف بالملك تتمثل في صولجان من الفضة مذهب، وتاج مزركش فضي، ومعطف وقميص أبيض وأحذية مطرزة بخيوط مذهبة وغيرها¹.

وهو الفعل نفسه الذي قام به القائد البيزنطي بليزاريوس مع القادة المور كما سبق الذكر، والهدف من ذلك هو استمالة المور وتأكيد العلاقات السلمية بين الطرفين، غير أن العلاقات لم تستمر على حالها بسبب الإستراتيجية التوسعية البيزنطية على حساب الممتلكات المورية².

و حسب بروكوب أن بعض القبائل المورية تحالفت مع الوندال ضد البيزنطيين ويظهر ذلك من خلال الخطة التي قام بها جلمير في معركة تريكاماروم، والتي اقتضت تقسيم الجيش إلى ثلاثة أجزاء، قسم تحت قيادة جلمير و جزء آخر تحت قيادة أخيه تراتزون وقسم ثالث بقيادة قادة من المور³.

و بقيت العلاقات سلمية بين الوندال وبعض القادة المور أساسها التعاون بين الطرفين أثناء وبعد الحملة البيزنطية على الوندال، حيث نجد انسحاب و فرار الملك الوندالي جلمير بعد انهزامة أمام بليزار إلى إقليم نوميديا وإلى بعض القبائل المورية التي استقبلته وساعدته بعد أن فشلت كل محاولاته في صد الحملة البيزنطية، وهي قبائل تستقر في جبل بابوا (papoua) وهذا بعد معركة تريكاماروم⁴، وهي قبائل كانت حليفة جلمير، الأمر الذي دفعه إلى الالتجاء إليها بعد الهزيمة⁵، وهو ما يؤكد لنا العلاقات الوندالية مع بعض القبائل المورية.

¹ - اللبار م، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق، ص249.

² - Jones A H M, op-cit, p104

³ - Procope, GV, II, 3, 8

⁴ - Procope, GV, II, 26.

⁵ - Procope, GV, II, 27

VI. العوامل التي ساعدت في نجاح الحملة البيزنطية على بلاد المغرب :

يعود الانتصار الساحق و السريع الذي حققه القائد بليزار ضد الوندال في بلاد المغرب لدهاء هذا الأخير في التخطيط و فطنته في قيادة الجيوش¹ ، كما توفرت ظروف أخرى للنجاح الباهر الذي حققته الجيوش البيزنطية في حملتها على الوندال نذكر منها :

الأوضاع المزرية لمملكة الوندال في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية خاصة الصراعات الدينية التي أدت إلى انفجار المجتمع الوندالي بسبب الخسائر التي تكلف الخزينة الوندالية في اضطهاد رجال الدين و السكان المسيحيين .

كذلك كثرة وقوة الثورات المورية ضد الوندال، أدى إلى إضعاف الجيش الوندالي وتكبيد الخزينة والدولة خسائر مادية وبشرية كبيرة، وهو ما أدى إلى صراعات وانقسامات سياسية وعسكرية زادت من تفكيك الروابط الوندالية .

توفّر الظروف لبيزنطا في بلاد المغرب، لكونها أرضا خصبة يمكن احتلالها بعد التحالفات التي تم إبرامها، وتهيئة نفوس السكان لقبول فكرة التحالف مع بيزنطا، وهو الدور الذي كلف به رجال الدين في المنطقة قبل وبعد الحملة².

التحالفات البيزنطية المورية، وهو ما يظهر من خلال تنقل الجيش البيزنطي من موقع النزول إلى العاصمة قرطاج بمسافة 200 كلم دون التعرض لأي هجوم من القبائل المورية، وهو ما يعكس العلاقات السلمية والتحالف بين الطرفين³.

الصراع الوندالي بين جلمير والقائد الموري انتلاس سهل عملية الاحتلال البيزنطي، للدور الذي لعبه هذا الأخير في إضعاف الجيش الوندالي، وبوصول الجيش البيزنطي لبلاد المغرب وجد القائد بليزار أن الوندال تقريبا بدون جيوش يمكن ذكرها، فقد تشتت و

¹ - Jones A H M, op-cit, p104

² - بوكبوط.م، المرجع السابق، ص87

³ - نفسه، ص87.

ضعف الجيش تماما بسبب كثرة الحروب مع القبائل المورية، ما يدل على ذلك أن الوندال لم يصمدوا طويلا أمام ضربات الجيش البيزنطي وتم القضاء عليهم بعد معركتين .

ومن العوامل المساعدة أيضا نذكر الظروف التي كانت تمر بها المملكة الوندالية، حيث إنها كانت تمر بفترة انهيار، فقد كانت في مواجهة ثورتين في جزيرة سردينيا، وفي مقاطعة طرابلس ضد المور و لم تكن الجيوش الوندالية تتعدى ثلاثين أو أربعين ألف جندي وهذا العدد لا يمكن التصدي به للحملة البيزنطية .

كذلك ضعف الملوك الوندال بعد جنسريق بسبب حياة الترف والبذخ والابتعاد عن تسيير شؤون المملكة التي بناها جنسريق، يذكر بروكوب في ذلك : « من بين جميع الأمم التي عرفت أمة الوندال أكثرها تأثرا، فمن اليوم الذي استولوا فيه على إفريقيا اتخذوا عادة الاستحمام اليومي وزودوا موائدهم بكل ما هو بديع مما تهبه الأرض و البحر، وقد تزينوا بالحلي الذهبية وملابس الحرير وأقبلوا على متع المسرح وميدان سباق الخيل وغير ذلك من الملذات المماثلة وخصوصا منها الصيد، ومالوا إلى الراقصين أهل الإيماء و الموسيقى وكل ما يسر الأعين و الآذان، وقد سكن أكثرهم منازل بيعة- القصور- محاطة بالأشجار والمياه الجارية وكانوا يقضون أوقاتهم في مآدب كبيرة »¹.

من خلال ما ذكره بروكوب يظهر ميل الطبقة الحاكمة و الارستقراطية إلى حياة الترف و الابتعاد عن كل ما يخدم السلطة و الشعب الوندالي في المغرب، الأمر الذي أدى إلى ضعف السلطة الحاكمة والجيش و عجل من سقوط الوندال وساعد بيزنطا على القضاء على الوندال بكل سهولة .

¹ - سعود م.ت، المرجع السابق، ص203-204.

VII. حدود السيطرة البيزنطية في بلاد المغرب :

كان هدف الإمبراطور جوستينيان منذ البداية هو التفكير في احتلال كل المناطق التي كانت تسيطر عليها روما قبل سقوطها على يد الوندال سنة 539م¹، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن المناطق التي كانت خاضعة للبيزنطيين في بلاد المغرب؟ عن مدى تجسيد الأهداف التي كان يطمح إليها الإمبراطور جوستينيان، و يظهر ذلك في التقسيمات التي تضمنها قرار 534م الذي أرسل إلى القائد أرخيلايوس بعد بلوغه خبر نجاح الحملة و القضاء على الوندال² لان الهدف هو السيطرة على كل مقاطعات بلاد المغرب، أم أن الحقيقة أنها كانت أهدافا على ورق ولم يصل إلى تجسيدها على أرض الواقع؟ الأمر الذي يطرح التساؤل عن المناطق وعن حدود السيطرة البيزنطية في بلاد المغرب القديم ؟

لمعرفة حدود السيطرة البيزنطية في بلاد المغرب القديم يجب تتبع الآثار المادية البيزنطية في المنطقة، وعدم الاكتفاء فقط بما ورد في المصادر الكلاسيكية وما احتوت عليه من كتابات وقرارات رسمية، لأنه وبالنظر إلى القرارين اللذين أرسلهما الإمبراطور جوستينيان إلى المغرب بعد وصول خبر نجاح الحملة، نجد أن القرار الإداري شمل في تقسيمه لبلاد المغرب كل الأقاليم من السرت شرقا إلى موريطانيا الطنجية غربا، الأمر الذي يوحي بالسيطرة البيزنطية الكاملة على بلاد المغرب، لكن هل كان ذلك الطموح حقيقيا تجسد على أمر الواقع، أم أنه حلم و تخطيط كان الإمبراطور يعمل على تحقيقه ؟ و تظهر الآثار البيزنطية في الخط الدفاعي البيزنطي من الشرق إلى الغرب، فنجد أن السيطرة البيزنطية في إقليم طرابلس اقتصرت على المدن الساحلية فقط، حيث ذكر بروكوب المدن الساحلية التي سيطر عليها البيزنطيون وهي مدينة أويا ، لبدة وصبراتة³ دون غيرها من المناطق، حيث عرفت قبائل طرابلس الاستقلال المبكر عن السيطرة

¹ - Laporte Jean-Pierre, zabi friki., note sur la Maurétanie et la Numidie de justinien, an tard,10,2002,p151-167.

² - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p34.

³ - Ibid., p38.

الرومانية وكان ذلك سنة 259م¹ ، وتخلّى عنها الرومان بسبب كثرة الحروب والحملات التي كانت تقوم بها القبائل المورية بالمنطقة، خاصة قبائل لواتة التي ذكرتها المصادر ووصفتها بأكبر القبائل التي تسيطر على أكبر جزء في المقاطعة الطرابلسية منذ القرن الثالث للميلاد وطيلة الفترة الوندالية والبيزنطية، الأمر الذي يؤكد عدم التوسع البيزنطي في الداخل واقتصار السيطرة البيزنطية على المدن الساحلية الطرابلسية دون غيرها² ، كما أننا نجهل حدود السيطرة البيزنطية في طرابلس لعدم وجود بقايا أثرية تدل على المناطق المسيطر عليها³.

ونجد الخط الدفاعي البيزنطي في البيزاكينا من خلال العديد من القلاع المهمة التي شكّلت ثلاث خطوط دفاعية إستراتيجية، حيث نجد مجموعة من القلاع على الشريط الساحلي بين قابس و قرطاج وأغلب مدنها محاطة بأسوار، كما نجد طريقا ثان بين قرطاج وتبسة تظهر فيه مجموعة من القلاع مثل: قلعة حيدرة وهنشير وعين تونقة ونجد الخط الدفاعي الثالث بقلعة سببية وممس وجلولا .

أما المنشآت الدفاعية البيزنطية في مقاطعة نوميديا، فقد بدأت بقلعة تبسة التي تحاذي الجزء الشمالي الشرقي لجبال الأوراس، وهي محل نقاش بين المؤرخين في كون السيطرة البيزنطية وصلت إلى حدود جنوب الأوراس أم اقتصرت على المناطق الشمالية السابقة الذكر فقط⁴ .

فقد طرأ تضارب كبير بين المؤرخين في المناطق التي أخضعها البيزنطيون في نوميديا والأوراس، في كون الاحتلال والسيطرة شملت كامل أراضي نوميديا بما فيها الأوراس؟ أم تم احتلال شمال الأوراس فقط دون جنوبه؟ وهو الرأي الذي يذهب إليه

¹ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p35.

² - Ibid, p40

³ - Troussset Pol, les limites sud de la réoccupation byzantine, an tard, 10, 2002, p143-150.

⁴ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit ,p42.

ديل (Diehl) في كون الجيوش البيزنطية لم تتوغل إلى داخل الأوراس واقتصرت السيطرة البيزنطية على الشمال فقط¹.

ونفس الرأي يذهب إليه ستيفان قسال (Stéphan Gsell) في الاعتقاد بسيطرة البيزنطيين على شمال الأوراس دون الجنوب، ويذكر في ذلك أنه من الممكن توغل القائد صولومون في الجنوب وبناء مجموعة من المنشآت العسكرية في بداية الاحتلال، إلا أن الاحتلال والسيطرة لم يدوما طويلا وقام البيزنطيون بالانسحاب نحو الشمال²، ربما بسبب الحروب الكثيرة من طرف القبائل الأوراسية وصعوبة تضاريس المنطقة.

فقد تم تشييد عدد كبير من المراكز العسكرية للتصدي للقبائل المورية، أهمها حصن قصر الكلب، و ماسكولا، والزاب، وتمقاد، ولومبيز ووصلت إلى سيرتا وقالمة، حيث لا يمكن التأكد من هذه الحدود إلا في فترة حكم صولومون حيث اتسعت السيطرة البيزنطية كثيرا ووصلت حتى غرب الزاب وربما وصلت حتى غرب منطقة المسيلة حاليا³.

الظاهر أن حدود السيطرة البيزنطية في الأوراس تراجعت بعد موت صولومون، الأمر الذي يوحي بالسيطرة البيزنطية على شمال الأوراس دون الأوراس كلها⁴ والشيء نفسه يذهب إليه جون لاسي (J.Lassus) في عدم إمكانية امتداد خط الليمس البيزنطي إلى جنوب الأوراس، وأن الحدود اقتصرت على المناطق الشمالية فقط دون غيرها من المناطق الداخلية والجنوبية⁵.

¹ - Diehl Ch., l'Afrique byzantine, p238.

² - Gsell St, monument antique de l'Algérie, II, p346-348.

³ - التاجوري م، المرجع السابق، ص274.

⁴ - Benabbès A, les premiers raids en Numidie byzantine. Questions toponymiques, ouvrage identités et cultures dans l'Algérie antique, publication des universités de Rouen et de havre, 2005, p461.

⁵ - Lassus J, la forteresse byzantine de thamugadi , fouille à Timgad 1938-1956, paris, p20.

وهناك من تبنى رأيا آخر يدعم فكرة الامتداد البيزنطي جنوب الأوراس منهم ديزونج¹ (J.Desanges) الذي يؤكد الفكرة من خلال المنشآت العسكرية البيزنطية في الأوراس والمنتشرة جنوب الأوراس لتأمين الطريق الرابط بين قفصة (Capsa) و طبنة (Tubunae) مرورا ببادس (Badias) ، والشئ نفسه يذهب إليه برينقل (Pringle) وذلك لوجود بعض آثار المنشآت الدفاعية البيزنطية التي تحتوي على جيوش مستقرة في الحدود، وهي الجيوش المستقرة جنوب الأوراس التي كانت تؤمن المنطقة من الهجمات المورية² ، والشئ نفسه يدعمه تروسي³ (P.Trousset) في إمكانية الاحتلال البيزنطي للأوراس في القسم الجنوبي .

أما السيطرة البيزنطية في موريطانيا السطايفية فإن الآثار تبرز الاحتلال البيزنطي الذي وصل إلى غاية سيتيفيس، حيث بدأت السيطرة مع تحصينات مدينة زابي جوستينيانا⁴ (Justiniana Zabi) ، وهي مدينة تمتد من المسيلة حاليا إلى الغرب إلى غاية باغاي (Bagai) إلى الشرق، وهي مناطق تابعة ربما إلى الحدود البيزنطية⁵ وتقع في الجنوب الغربي من المقاطعة السطايفية⁶ ، حيث تراقب مدينة زابي الطريق الرابط بين شط الحضنة وجبل بوطالب و هي تابعة إداريا لمقاطعة نوميديا⁷ وتمتد إلى غاية واد بوسلام الذي يدخل تحت حكم المركز العسكري بسطيف، وكان الهدف منها هو مراقبة الطريق الرابط بين شط الحضنة وجبل بوطالب، كما نجد آثارا بيزنطية في كل من ميلة وجميلة، وربما وصل صولومون إلى إقليم الزاب وقام ببناء قلعة بها سنة 540م سماها

¹ - Désanges .J, « un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandales », 1963, p56-59.

² - Pringle.D, defense of byzantine Africa, p104-106.

³ - Trousset.p, « les limites sud de la réoccupation byzantine » ,ant tard,10,2002,p143-150.

⁴ - Benabbès M, l' Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit ,op-cit, p45

⁵ - اليعقوبي ، كتاب البلدان،ص81

⁶ - Laporte jean-pierre, op-cit, p152.

⁷ - Benabbès M, l' Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p277.

زابي جوستينيانة وهو اسم مأخوذ من اسم الإمبراطور جوستينيان¹ ، والبقايا الأثرية الكثيرة للمنشآت العسكرية في المسيلة دليل على السيطرة البيزنطية على المنطقة، ولا نعتقد الامتداد أكثر إلى الغرب من الحضنة لانعدام الآثار البيزنطية التي تشهد على ذلك ، أما المناطق الساحلية فربما توقف الاحتلال في روسيكادا لوجود آثار موانئ بيزنطية في المنطقة ووجود حامية عسكرية بيزنطية² .

أما السيطرة البيزنطية في موريطانيا القيصرية فإن المراكز الدفاعية اقتصرت على الموانئ الساحلية في كل من تيبازة و الجزائر وتنس و قيصارية و ذكر بروكوب هذه الأخيرة كعاصمة تقليدية قديمة لمقاطعة موريطانيا القيصرية³ .

و اقتصرت السيطرة البيزنطية في موريطانيا الطنجية على مدينة أو قلعة سبتة (septem) دون غيرها والهدف منها استراتيجي وتجاري⁴ ، حيث كانت هذه المدينة تابعة إداريا إلى مقاطعة قيصارية في عهد الإمبراطور جوستينيان وكانت تحتوي على ميناء ضخم يتم من خلاله الاتصال التجاري بمقاطعة اسبانيا، وربما أصبحت مدينة سبتة فيما بعد عاصمة موريطانيا القيصرية⁵ .

ذلك ربما أقصى ما وصلت إليه السيطرة البيزنطية في عهد الإمبراطور جوستينيان وقائده صولومون لأنها ستتقلص تدريجيا بعد ذلك بسبب كثرة الثورات المورية على المدن و المراكز البيزنطية وفي فترة خلفاء جوستينيان⁶ ، حيث إن السيطرة البيزنطية في بلاد المغرب اقتصرت على تونس حاليا وأجزاء من نوميديا وصولا إلى موريطانيا السطايفية و

¹ - Abderrahmane khelifa, les Aurès au moment de la conquête musulmane,(Aurès antique) actes des journée d'étude sur l'Aurès antique ,juin 2005,centre universitaire Abbes l'aghrou, khanchla,2009,p201.

² - Duval.N, l'état actuel des recherches sur les fortifications de justinien en Afrique, 1983, p180.

³ - Ibid, p181.

⁴ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p46.

⁵ - Desanges et Autre, op-cit p55.

⁶ - - التاجوري م، المرجع السابق، ص275-276.

المدن الساحلية مثل قيصرية ومدينة سبتة، أما الأراضي الأخرى فقد استرجعتها القبائل المورية وسيطرت عليها¹ .

ما يمكن استنتاجه في هذا الجانب أن الاحتلال البيزنطي كان محدودا وجزئيا مع بداية الاحتلال وبعد القضاء على الوندال، إذ شمل في البداية الإقليم الساحلي من طرابلس وأجزاء من البيزاكينا و البروقنصلية وبعض المدن الساحلية من نوميديا وموريطانيا و الموانئ المهمة على طول الشريط الساحلي، مثل ميناء مدينة سبتة، و ماعدا ذلك فإن الاحتلال البيزنطي لم يتوغل في الداخل وكانت المناطق الأخرى تحت سلطة قادة المور، وبهذا فقد فشلت السياسة البيزنطية في التوسع نحو الداخل لا سيما في المناطق الداخلية لموريطانيا القيصرية والطنجية حيث أن سهولة القضاء على الوندال لا تعني سهولة التوسع والتوغل إلى الداخل و إخضاع القبائل المورية، حيث وجدت السلطة البيزنطية مقاومة عنيفة من طرف السكان المحليين أفشلت المخططات التوسعية البيزنطية في الداخل بعد كشف نوايا الاحتلال البيزنطي الذي كان يذكر ويقر أنه أتى لبلاد المغرب كمحرر للسكان من التعسف الوندالي وليس كمستعمر، ولكن ما حصل كان عكس ذلك إذ باشر القادة البيزنطيون سياستهم التوسعية ومصادرة الأراضي، الأمر الذي لم تتقبله القبائل المورية، حيث بدأت سلسلة صراعات لم تتوقف طيلة الاحتلال البيزنطي والى غاية سقوطهم على يد المسلمين أواخر النصف الأول من القرن السابع للميلاد .

VIII. العوامل التي ساعدت على تجسيد الاحتلال البيزنطي في بلاد المغرب:

لقي كل الغزاة الذين اجتاحوا بلاد المغرب القديم نفس العوائق في تجسيد الاحتلال الأمن والاستقرار، ذلك أن كل الفترات القديمة عرفت مجموعة من الثورات والتمردات من السكان الأصليين، فما أن تخمد ثورة حتى تظهر أخرى أكبر من سابقتها وأعنف .

¹ - Decret F et Fantar M, l'Afrique du nord dans l'antiquité, op-cit, p345.

و يعود ذلك إلى طبيعة الفرد المغاربي القديم الذي لا يقبل الاحتلال، وإلى الطابع الجغرافي الصعب الذي تتميز به منطقة المغرب، وهو الطابع الجبلي وصعوبة التضاريس والمناخ، وقد عملت السلطة البيزنطية منذ البداية على محاولة بسط نفوذها على المواقع الطبيعية الإستراتيجية وعلى المناطق الحساسة التي يمكن أن تسبب الإزعاج، إذ لم تستطع الإدارة البيزنطية بسط نفوذها عليها وإخضاع سكانها إلى سلطانها، فقد ساعد العامل الجغرافي السكان المحليين على الصمود طويلا في وجه الغزاة حسب كل فترة، فقد تعرض القائد البيزنطي صولومون في حملته على الأوراس إلى مقاومة عنيفة من السكان في تلك الفترة حيث استطاعت القبائل المورية في كثير من الحالات التغلب عليه و أوشكت في كثير من الحالات على القضاء على حملته.

وما يظهر في سياسة صولومون العسكرية أنه ومنذ البداية اعتمد على ما توفره الطبيعة من حواجز طبيعية تتشكل من سلاسل جبلية أو مجاري مائية أو شطوط، حيث أقام على حافة أو على رؤوس هذه الحواجز منشآت عسكرية بهدف صد الحملات المورية على المواقع التي سيطر عليها البيزنطيون في المنطقة ، ونهج في ذلك الأسلوب الروماني القديم، حيث استعمل الرومان في القرن الثالث ميلادي الحواجز الطبيعية لإقامة خط الليمس وذلك ما وجد في شط الجريد ، شط الغرسة و شط الحضنة و كانت هذه المواقع تمثل الحد الفاصل بين الممتلكات الرومانية وما هو خارج عن سلطانها وسيطرتها¹.

ومما ساعد الإمبراطور جوستينيان على ترسيخ الاحتلال البيزنطي في المنطقة هو قدرته على التحكم في المحيط الطبيعي، حيث كانت فكرة خطوط الليمس منذ الفترة الرومانية وبعدها الفترة البيزنطية عاملا من عوامل الاستغلال الاقتصادي في المنطقة حيث يضم خط الليمس المواقع المهمة اقتصاديا وإستراتيجيا، وما عدا ذلك فيكون جنوب هذا الخط، وتظهر هذه السياسة من خلال اتخاذ كل من البروقنصلية وبيزاكينا والطرابلسية

¹ - دريسي سليم ، البيزنطيون في شمال إفريقيا الاحتلال و العمارة الدفاعية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007-2008 م ، ص196.

ونوميديا وبعض مواقع موريطانيا كمواقع نفوذ بيزنطية ذلك للدور الجغرافي الذي يميزها سواء من الناحية الاقتصادية أو من الناحية الأمنية¹.

وقد بادرت الإدارة البيزنطية منذ البداية إلى بسط نفوذها على المواقع الجبلية والمناطق السهلية لتحقيق هدفين: هدف اقتصادي وهدف عسكري أمني، حيث إننا نجد أغلب الثورات التي كانت ضد السلطة البيزنطية في بلاد المغرب كانت شرارتها الأولى من الجبال لذا كان القادة البيزنطيون يدركون أنه لا يمكن تحقيق الاستقرار ما لم يتم إخضاع المناطق الجبلية إلى سلطانها، هذا وإننا نجد في كل مرة أمراء المور يلجؤون إلى مرتفعات الأوراس أو إلى جبال موريطانيا القيصرية كجبال جرجرة وجبال الونشريس كمراكز يحتمون بها في الظروف الصعبة من الحروب .

و ما يؤكد اعتماد السلطة البيزنطية على العامل الجغرافي في السيطرة على المنطقة ما ذكره سليم دريسي نقلا عن تروسي (Trousset) في أن خطوط الليمس في القرن الثالث ميلادي أخذت بعين الاعتبار المعطيات الجغرافية في وضع المراكز العسكرية للمراقبة، الأمر الذي دفع بالسلطة البيزنطية إلى اتخاذ نفس المواقع العسكرية الرومانية كمقرات دفاعية وهو تأثير روماني قديم في الإستراتيجية العسكرية البيزنطية².

هذا وقد عمل القائد صولومون منذ البداية على السيطرة على المواقع الإستراتيجية حتى يتمكن من إرساء الأمن و الاستقرار، وقصد التحكم في الأوراس ليوفر الأمن والاستقرار لكل من مقاطعة نوميديا وبيزاكينا³ ، وقد ذكر بروكوب في هذا الصدد أن الإمبراطور جوستينيان قد بنى مجموعة من المنشآت الدفاعية في مقاطعة بيزاكينا خاصة الحصون بغية السيطرة على المنطقة ولصد الهجمات المورية، كما نجد مدنا إستراتيجية هامة محاطة بأسوار سيطر

¹ - دريسي سليم ، البيزنطيون في شمال إفريقيا الاحتلال و العمارة الدفاعية، المرجع السابق ،ص197.

² - نفسه، ص198

³ - نفسه، ص203.

عليها البيزنطيون في كل من ماماس Mamas (حليا مدينة هنشير بتونس)، تليبت (Télepte) و كيلول (Culule)¹ .

لقد كانت السياسة البيزنطية منذ البداية مبنية على فكرة استغلال واستنزاف ثروات بلاد المغرب وما تتوفر عليه من ثراء اقتصادي بهدف سدّ ثغرة المتطلبات المادية للجنود البيزنطيين ولسكانها في المنطقة، حيث كان كبار المسؤولين والتجار والحرفيين البيزنطيين متمركزين في المدن وكانت مهمتهم تقتصر على التسيير الإداري والتجاري، في حين نجد فئة أخرى من البيزنطيين تتمركز في الأرياف وتسيطر على أخصب الأراضي ومهمتها بالدرجة الأولى اقتصادية زراعية من شأنها ضمان مداخيل خزينة الدولة².

وحتى لا ينهار النظام الاقتصادي البيزنطي في بلاد المغرب أولت السلطة البيزنطية عناية كبيرة بمسئوليها و كبار ملاك الأراضي في المنطقة، يظهر ذلك من خلال توفير الأمن والاستقرار لهم حتى يتمكنوا من أداء مهامهم على أكمل وجه، حيث أصدرت مجموعة من القوانين تثبت بها المعمرين في بلدهم الأصلي الذي ولدوا فيه، قصد ربطهم بالأرض وخدمتها، كما عملت على وضع منشآت عسكرية في المناطق الآهلة بالسكان سواء في المدن أو في الأرياف والهدف منها أمني اقتصادي بالدرجة الأولى .

ذكر بروكوب أن الإمبراطور جوستينيان بنى مجموعة من القلاع و الحصون في المناطق الحدودية لمقاطعة البيزاكينا حتى لا يتمكن المور من إتلاف المحاصيل الزراعية، وهو ما يدلّ على الاهتمام البيزنطي باقتصاد المغرب القديم ويظهر الدور الذي تلعبه المنطقة في تزويد بيزنطة بالمنتجات الفلاحية خاصة الحبوب³.

ولتغطية نفقات الحروب الكثيرة التي كانت تقوم بها الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور جوستينيان، عمل هذا الأخير على إثقال كاهل سكان المغرب بالضرائب كمورد

¹ -Procopé, Les Edifices, VI, 6, 2

² - دريسي س ،البيزنطيون في شمال إفريقيا،المرجع السابق ،ص205.

³ - Procopé, Les Edifices, VI, 6, 2.

مالي يسد ثغرة العجز المالي ، وفي حقيقة الأمر أن الأعمال الفلاحية التي قام بها الرومان في القرنين الثاني والثالث ميلادي أثناء احتلالهم للمنطقة جنى ثمارها البيزنطيون، خاصة ما تعلق بالزراعة الشجرية ونقصد بذلك الزيتون (الزيت) و الكروم (الخمير)¹ .

فالحالة الاقتصادية البيزنطية في بلاد المغرب مرهونة بضمان الأمن والاستقرار في المدن والأرياف، لذلك عملت السلطة البيزنطية على إرساء قواعد عسكرية في المدن وفي الأرياف لتؤدي المدن دورها وتسمح هذه القواعد العسكرية بحراسة السهول الواسعة والخصبة، وهذا ما نجده في مدينة تبسة الغنية بمواردها الفلاحية أو مدينة تيمقاد التي هي الأخرى ذات أهمية فلاحية بالغة².

ما يؤكد النوايا البيزنطية في اقتصاد بلاد المغرب هو التمرکز الكبير في الأقاليم الشرقية بسبب ما تحويه هذه الأقاليم من ثروة فلاحية ضخمة لمناخ ملائم للحياة الزراعية، بدليل تساقط الأمطار بكميات كبيرة في الجزء الشمالي الشرقي أكثر من الجزء الغربي.

من أجل ذلك عمل البيزنطيون على استغلال الموارد المائية لضمان الثروة الزراعية بإقامة منشآت الري سواء من ناحية التخزين أو النقل و التوزيع، ولإنجاح السياسة البيزنطية الاقتصادية في المنطقة كان على البيزنطيين الاعتماد على شبكة الطرق التي من شأنها تسهيل عملية التنقل والاستغلال، والملاحظ أنهم قد اعتمدوا على الطرق الرومانية القديمة في المنطقة التي بقيت صالحة في الفترة البيزنطية، ويفضل هذه الطرق يتم نقل البضائع وتصديرها إلى كافة الأقاليم البيزنطية و كانت هذه الطرق بمثابة خطوط دفاعية بيزنطية ذلك لما تحتوي عليه من قواعد عسكرية على حوافها لضمان الاستقرار والأمن، وما يؤكد بقاء الطرق الرومانية نفسها في الفترة البيزنطية هو أن المصادر الكلاسيكية لم تذكر أن الإمبراطور جوستينيان اتخذ تدابير في هذا المجال، وما نجده في

¹ - دريسي س ،البيزنطيون في شمال إفريقيا،المرجع السابق،ص205-206

² - نفسه،ص 207

كون الإمبراطور جوستينيان قد أعطى إعانات مالية بهدف صيانة الطرق ربما يكون ذلك يخص الأقاليم الشرقية وليس كامل أقاليم المغرب¹.

يمكن القول أن الحملة البيزنطية على بلاد المغرب اقترنت بالأوضاع التي كانت تعيشها مملكة الوندال وظروفها السياسية والعسكرية الصعبة وحروبها الكثيرة مع القبائل المورية، كلها أسباب حفزت بيزنطا عموما والإمبراطور جوستينيان خصوصا على التفكير في حملة على بلاد المغرب كان الهدف منها اقتصاديا بشكل كبير لما تزخر به المغرب من إمكانيات وثروات كبيرة، إضافة إلى الدافع الديني الذي حفز الإمبراطور الذي كان يعتبر نفسه حامي المسيحية ورجال الدين في كامل أرجاء العالم، وذلك بسعيه لتخليص رجال الدين المسيحيين في المغرب القديم من بطش الأريوسية الوندالية .

كما أن الانتصار البيزنطي السريع على الوندال يوحي بأشياء كثيرة أهمها: قوة الجيوش البيزنطية من خلال الحروب الكثيرة التي خاضتها في الشرق ضد الفرس، وللدور الكبير الذي لعبته القبائل المورية في إضعاف الجيش الوندالي من خلال الحروب المتكررة، الأمر الذي سهل المهمة على الجيش البيزنطي في القضاء على الوندال بهذه السهولة، كذلك يرجع هذا الانتصار إلى التحالف الموري-البيزنطي ضد الوندال بسبب العلاقات العدائية التي ميزت الطرفين الوندالي و الموري بعد وفاة الملك جنسريق .

كما إن أهداف الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم تظهر من خلال القرارات التي بعث بها الإمبراطور جوستينيان إلى الحكام الإداريين والعسكريين في كيفية التحكم في المنطقة وتقسيمها إداريا وعسكريا، حيث أراد بذلك الوصول في السيطرة إلى الحدود التي كانت تسيطر عليها روما قديما، لكن هذه الأهداف لم تتجسد على أرض الواقع فقد بقيت أهداف على ورق، لأن السيطرة البيزنطية لم تصل في هيمنتها الحدود الرومانية القديمة، واقتصرت على الساحل الشمالي لطرابلس وأجزاء من البروقنصلية والبيزاكينا وبعض المناطق الداخلية في نوميديا والجزء الشرقي لموريطانيا السطايفية وبعض المدن الساحلية مثل قيصارية وسبتة، أما المناطق الأخرى من الموريطانيات فقد استرجعتها القبائل المورية وهو ما تؤكد الشواهد الكلاسيكية والأثرية .

¹ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 208-209.

غير أن الإمبراطورية البيزنطية استطاعت تجسيد الاحتلال على المناطق التي سيطرت عليها لمدة طويلة من الزمن، يرجع ذلك لمجموعة من العوامل المساعدة ، في مقدمتها العامل الاقتصادي وطريقة استنزاف خيرات بلاد المغرب وكثرة الضرائب ، و العامل الجغرافي الذي لعب الدور الكبير في إحكام السيطرة على المنطقة من خلال السيطرة على المناطق الإستراتيجية وبناء منشآت عسكرية قادرة على التصدي للثورات المورية التي لم تتوقف طيلة فترة الاحتلال، كما كان للعامل الديني الدور الكبير في ذلك من خلال جهود الإمبراطور جوستينيان في نشر المسيحية والثقافة اللاتينية بين أوساط مجتمع المغرب القديم الذي بقي رغم ذلك بقي يحافظ على مقوماته وثقافته طيلة فترة الاحتلال البيزنطي للمنطقة وإلى الفتح الإسلامي .

الفصل الثاني : التحولات السياسية البيزنطية في بلاد المغرب القديم

I. الإدارة البيزنطية في بلاد المغرب في عهد الامبراطور جوستينيان

1. الإدارة المركزية

2. الإدارة الجهوية

II. التقسيم الإداري البيزنطي لبلاد المغرب في عهد الامبراطور جوستينيان

1. مقاطعة طرابلس

2. مقاطعة البيزاكينا

3. مقاطعة البروقنصلية/زغوان

4. مقاطعة نوميديا

5. مقاطعة موريطانيا

- موريطانيا السطايفية

- موريطانيا القيصرية

- موريطانيا الطنجية

III. الحاكم العام في بلاد المغرب و اختصاصاته

IV. حكام الولايات و مهامهم

V. التنظيم الإداري لبلاد المغرب في عهد خلفاء جوستينيان

لدراسة التاريخ الإداري والسياسي لبلاد المغرب في فترة الاحتلال البيزنطي، والتنظيم الذي مسها مع بداية الاحتلال، يستلزم الرجوع إلى المصادر التي عايشت الوضع وتكلمت عن التنظيمات البيزنطية في بلاد المغرب، من هذه المصادر نذكر، القوانين التي سنّها الإمبراطور جوستينيان سنة 534م، وكذا كتابات جورج القبرصي في حدود سنة 600م، وما أورده بروكوب في كتابه انجازات الإمبراطور جوستينيان الذي كتب حوالي 554م، هذه المصادر من شأنها توضيح الصورة عن النظام والتنظيم الإداري البيزنطي في بلاد المغرب القديم¹.

وبالنظر إلى طول مدة الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب التي تجاوزت القرن من الزمن سنحاول عرض السياسة الإدارية البيزنطية التي انتهجها الإمبراطور جوستينيان وخلفائه من بعده لمعرفة وفهم العوامل التي ساعدت البيزنطيين على احتلال المنطقة لمدة طويلة من الزمن.

1. الإدارة البيزنطية لبلاد المغرب في عهد الإمبراطور جوستينيان :

بعد تجسيد الاحتلال العسكري البيزنطي والقضاء على الاحتلال الوندالي في المغرب القديم وبسط النفوذ البيزنطي في المنطقة، سعى الإمبراطور جوستينيان إلى التوسع ومحاولة الوصول في ذلك إلى الحدود الرومانية القديمة²، ولتجسيد ذلك أصدر الإمبراطور جوستينيان مرسومين في أبريل 534م³، المرسوم الأول أرسله إلى أرخيلايوس⁴ (Archélaos) حيث وكلت إليه مهام التكفل بالأمور المدنية وتنظيم الإدارة في مقاطعة بلاد المغرب (Provincia Africa)، وتقسيمها إلى سبع ولايات.

¹ - Benabbese Mohamed, des provinces byzantines à l'ifriqiya. Continuités et changements dans les découpages administratifs, publication du CRAHM, 2011, p271-293.

² - Maraval P, justinien le rêve d'un empire chrétien universel, Op-cit, p202.

³ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p47.

⁴ - أرخيلايوس Archélaus : أحد اللذين رافقوا قائد الحملة بليزار في حملته على الوندال في بلاد المغرب، وهو الأمين العام للخزينة الإمبراطورية الممولة للحملة، وبعد نجاح الحملة عين في 13 أبريل 534م حاكماً عاماً لمقاطعة بلاد المغرب حسب ما ورد في مرسوم جوستينيان، وقد تخلى عن هذا المنصب لصولومون في 1 جانفي 535م لأسباب نجهلها....انظر :

- Procope, GV ,I ,trad.Donis Roques ,p240.

والمرسوم الثاني وجَّهه إلى القائد العسكري صولومون (Solomone) أمره فيه بالقيام بتنظيم الإدارة العسكرية في المنطقة¹ ، وذلك بإنشاء خمس دوقيات في كل من مقاطعات طرابلس، البيزاكينا، نوميديا وموريطانيا القيصرية وفي سردينيا، كما تضمن المرسوم المدن أو عواصم إقامة الدوق² .

وضعت مقاطعة بلاد المغرب تحت سلطة حاكم برتبة برايطور (Praeteur) كنائب للإمبراطور في كامل المقاطعة، حيث يمثل البرايطور بذلك السلطة المركزية و يخضع له كل حكام الولايات في بلاد المغرب الذين يمثلون السلطة الجهوية، وقد كانت فكرة منح السلطات العسكرية لحكام المقاطعات تدور في ذهن جوستينيان من قبل وذلك بعدما احتل بلاد المغرب، حيث عيّن عليها حاكما يجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية³ وهو ما كان في فترة القائد بليزاريوس وصولومون .

و أول شيء قام به الإمبراطور بعد القضاء على الوندال، أنه أمر بجمع عدد كبير من الوندال المهزومين ونقلهم إلى القسطنطينية وتجنيدهم في الجيوش البيزنطية في الشرق في حروبهم ضد الفرس⁴ ، و القليل منهم أبقاه في بلاد المغرب كعبيد، أما النساء الونداليات فقد أصبحن زوجات للجنود البيزنطيين⁵ .

1- الإدارة المركزية:

من بين المقاطعات في بلاد المغرب التي كانت تحت إشراف الإدارة المركزية نذكر مقاطعة البروقنصلية ، أو مقاطعة قرطاج الجوستينيانية (Cartago Justiniana) الاسم

¹ - حارث م ، المرجع السابق ، ص287.

² - رنسيمان س، الحضارة البيزنطية، تر جاويدت.ع، القاهرة، 1961م، ص97.

³ - Albertini E, L'Afrique du nord dans l'histoire, Paris, 1941, p122.

⁴ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p47.

⁵ - Maraval P, justinien le rêve d'un empire chrétien universel, Op-cit, p212.

⁶ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق ، ص104-105.

الذي أطلقه الإمبراطور جوستينيان بعد السيطرة عليها، وجعلها عاصمة الولايات الإفريقية وجزر المتوسط ومركز الحاكم العام¹ .

حيث تشمل قرطاج على المباني و المؤسسات المخصصة للحاكم العام وللقائد الأعلى للجيش وأعوانهم ، يظهر ذلك بعد تقسيم بلاد المغرب إلى سبع ولايات حسب مرسوم جوستينيان² .

حيث كانت بعض الولايات تحت حكم قناصل، وأقاليم أخرى تحت حكم رؤساء ، و تم ضم إقليم سردينيا إلى أقاليم المغرب ، و عوض أن تسند مهمة تسيير قرطاج إلى بروقنصل كما كان في فترة الإمبراطورية الرومانية، أوجد الإمبراطور جوستينيان منصب الحاكم العام، تكون كل المقاطعات الإدارية في المنطقة تحت سلطته³ ، ونفس الشيء بالنسبة للإدارة العسكرية فقد وضع الإمبراطور خمسة ادواق(DUC) في بلاد المغرب كلهم تابعين لسلطة القائد العسكري الأعلى أو القائد الأعلى للجيش البيزنطي في المغرب و مقره في العاصمة قرطاج⁴ .

يعين الحاكم العام (Préfet du prétoire) من طرف الإمبراطور، وله علاقة مباشرة مع الإمبراطور جوستينيان⁵ ، كانت له سلطه كبيرة وواسعة في تسيير مقاطعة بلاد المغرب القديم، يتحكم في كل أقاليم بلاد المغرب من المقاطعة الطرابلسية شرقا إلى موريطانيا القيصرية غربا⁶، كما له سلطة تعيين حكام الولايات وهذا بعد موافقة الإمبراطور ، كما كان للحاكم السامي سلطة نشر الأحكام وتطبيقها التي يصدرها الإمبراطور جوستينيان وتطبيقها فيما يخص المجال القانوني والتشريعي، وله مهمة نشر القوانين الصادرة وإيصالها إلى ولاء الأقاليم ، إضافة إلى سلطته القضائية فهو القاضي

¹ - Tate G, op-cit, p559.

² - Maraval P, justinien le rêve d'un empire chrétien universel ,Op-cit,p214.

³ - دريسي س،الجيش البيزنطي هيئاته ومكوناته،المرجع السابق،ص66.

⁴ - Procope, GV, II, 21.

⁵ - Hédi S et Autres, op-cit,p388.

⁶ - Tate G, op-cit, p559.

الأعلى للجهاز القضائي وله سلطة الفصل في القضايا المدنية والجنائية، كما كان يستقبل الشكاوى¹.

يساعد الحاكم العام في أداء مهامه² حوالي ثلاث مائة وستة وتسعون موظفا، وهو تقريبا ما كان موجودا في تسيير الإدارة في القرن الرابع، وفيما يخص المجال المالي، فقد كان على السلطة البيزنطية جمع الضرائب التي كانت على شكلين النقدي(العملة) أو الأنونة³، وكانت مهمة الحاكم تحديد نسبة الضريبة والمقادير المعتمدة في تحديدها، كما كانت هناك أربعة مكاتب متكونة من أربعين موظفا يكون المحاسب على رأسها، و قطاع المالية المتكون من خمسون موظفا⁴ فهم مكفون بجمع الضرائب ولهم مهمة متابعة العمليات الحسابية⁵.

إضافة إلى ذلك يكون من مهام الحاكم العام السهر على تسيير أمور الإدارة وممتلكات الإمبراطور وحفظ أموال الخزينة⁶، وله مهمة دفع رواتب الولاة المدنيين وذلك بإقامة مكتب متكون من عشرون موظفا لهم مهمة تسيير إدارة الخزينة والنفقات في المقاطعات، كما كان دوره يتمثل في دفع رواتب الجند ومستحقاتهم وتوفير المؤونة لهم، غير أنه لم يكن له صلاحية تعيين القادة والضباط ، كما كان له مهمة تمويل المشاريع التحصينية وبناء المنشآت العسكرية والدفاعية وهذا بواسطة مكتب متكون من عشرون موظفا لهم مهمة تسيير الأشغال العمومية⁷ .

¹ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، ص107 .

² - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p47.

³ - الأنونة : هي ضريبة تفرض على المنتجات الزراعية كانت هذه الضريبة معمولا بها في الفترة الرومانية، و من الممكن أن هذه الضريبة استمرت إلى غاية الفترة البيزنطية... انظر:

- دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص108 .

⁴ - Tate T, op-cit, p559.

⁵ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص108 .

⁶ - عيش ي، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص56.

⁷ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 109.

وقد أدرج الإمبراطور في السلك الإداري للإدارة المركزية هيئتين تقومان بالسهر على تسيير شؤون السكان واهتماماتهم ، تتشكل الهيئة الأولى من ستة موظفين تكون مهمتهم استقبال الشكاوى والاحتجاجات الموجهة للحاكم العام والمراسلات الصادرة من الحاكم، أما الهيئة الثانية فتتكون من عشرة موظفين مهمتها تنفيذ الأحكام التي تم الفصل فيها وكذا الرقابة على الممارسات الدينية وفرض الضرائب على الكنيسة¹ ، و كانت سلطة والي البرباطور تشمل الحكام السبعة في بلاد المغرب سواء كانوا قناصل أم رؤساء والذين يفتسمون فيما بينهم الإدارة المدنية لمقاطعة بلاد المغرب².

ونظرا لمكانة الحاكم العام الذي يمثل السلطة المركزية في بلاد المغرب فقد كان له حراس خاصون يسهرون على خدمته وأمنه نظرا لأهمية هذا المنصب الحساس في الامبراطورية البيزنطية، فهو مصدر كل القرارات الصادرة بعد سلطة الإمبراطور في المنطقة، وقد منحت له ألقاب شرفية كبيرة حيث اتصف بالامتيازات (Excellentissimus) والأمجاد (Gloriossimus) وكذلك بالسمو (Eminentissimus) هذه الامتيازات الموروثة من وظائف الإمبراطورية العليا.

أول من احتل منصب الحاكم العام ببلاد المغرب هو أركيلايوس (Archélaus)³ حسب المرسومين اللذين بعث بهما الإمبراطور جوستينيان إلى بلاد المغرب، فقد فصل فيهما بين السلطة المدنية والعسكرية واستقلال كل طرف عن الآخر في تسيير أمور المقاطعة التابعة له⁴.

غير أنه تم الجمع بين السلطتين في ظروف الحرب وعدم الاستقرار، خاصة أثناء ثورات الأهالي ضد السلطة البيزنطية، وقد استمرت الثورات ضد البيزنطيين مدة طويلة من الزمن ولم تعرف الاستقرار إلا في حالات قليلة، حيث تقلد بيلزارايوس هذه المكان

¹ - دريسي س ، البيزنطيون في شمال إفريقيا ، المرجع السابق، ص 109.

² - Diehl, Ch, L'Afrique byzantine, op-cit, p 10.

³ - Tate G, op-cit, p560.

⁴ - Durlia J, recherche sur l'histoire sociale de l'Afrique byzantine, op-cit, p134.

وتقلد السلطتين الإدارية و العسكرية كذلك تقلد هذا المنصب من بعده القائد صولومون فيما بين 534-536م و 539-544م هذا بسبب عدم الاستقرار والثورات، وقد كان في هذه الفترة كل من بيلزاريوس و صولومون يجمع بين سلطة الحاكم العام وسلطة قائد الأركان العسكرية (Magister mititum per Africae) ويبقى هذا الوضع على حاله حتى تستقر الأمور ويدب الأمن والاستقرار في المنطقة¹ .

¹ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص111

534-533	Archelaus	آركيلايوس
536-534	Solomon	صولومون
539-536	Symacchus	سيماكوس
544-539	Solomon	صولومون
545-544	Sergius	سارجيوس
؟548-545	Athanasius	أتانازيوس
؟552	Paul	بول
؟560-555	Boethius	بوويثيوس
؟558	John	جون
؟562	John rogathinus	جون روغاتينوس
؟563	Areobindus (?)	آريوبيندوس
565-564	Thomas	توماس

قائمة الحكام الساميين بشمال إفريقيا في عهد جوستينيان¹

¹ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق ، ص 141

2- الإدارة الجهوية :

كما سبق الذكر فإن الإمبراطور جوستينيان قد أرسل في سنة 534م مرسومين الى بلاد المغرب القديم¹ ، أمر فيهما بتقسيم بلاد المغرب إلى سبعة ولايات (أقاليم)²، يأتي في مقدمتها إقليم (Tingi) وهو إقليم البروقنصلية، ووضع على كل من الطرابلسية وبيزاكينا والبروقنصلية حكاما برتبة قناصل، أما نوميديا وموريطنيا القيصرية و السطايفية فوضعت تحت تسيير ولاية أو رؤساء .

وقد صُحح النص في المقصود ب طانجي من طرف مومسن (Mommsen) الذي اعتبر بأن الإمبراطور يقصد بمصطلح (Tingi) الاسم (Zeugi) في المرسوم الذي بعث به إلى أرخيلايوس³ وذلك حسب الفقرة التالية :

«... Zeugi et quae proconsularis antea vocatur carthago..... »

ومعناها (Zeugi) المكناات بالبروقنصلية وفق ذلك تسيير قرطاج (.....)، نفس الشيء نجده عند تيسو (Tissot) فهو يشير إلى أن الإمبراطور جوستينيان قسم بلاد المغرب إلى سبعة أقاليم ويذكر منها مقاطعة (Zeugitane) ويقصد بها مقاطعة البروقنصلية⁴ .

أما موريطنيا فيقصد بها موريطنيا السطايفية وموريطنيا القيصرية حسب ما ورد عند بروكوب، هذا وقد وضع الإمبراطور جوستينيان على رأس الطرابلسية⁵ حاكما برتبة قنصل أما في نوميديا فكان يسيرها حاكم عاد ربما يكون من رتبة الفرسان، هذا لما يذهب إليه بروكوب في أن كلا من البروقنصلية وبيزاكينا والطرابلسية كانت خاضعة تماما للنظام البيزنطي، أما المقاطعات الأخرى فهي خارج السيطرة البيزنطية ويعمل جوستينيان على

¹ - Tate G, op-cit, p560.

² - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p26

³ - Ibid, p26.

⁴ - Tissot, Ch., Géographié comparé de la province romaine d'Afrique, T1, Paris, 1888, p49.

⁵ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p26.

ضمها، وما خطط في الأوراق لا يتوافق مع الحقائق المادية بل هي ما كان يحلم به الإمبراطور جوستيان ويسعى لتحقيقه، حيث اقتصر الاحتلال البيزنطي تقريبا على سبتة بموريطانيا الطنجية ذلك لتأمين الطريق نحو إسبانيا، أما قيصارية فتكون كميناء كبير تتم الاستعانة به في المجال الاقتصادي، أما الأراضي الداخلية فقد كانت تحت سلطة السكان الأصليين منذ الفترة الوندالية¹.

كان حكام الولايات البيزنطيين السبعة في بلاد المغرب يسهرون على تسيير شؤون الأقاليم الموكلة لهم بتسييرها في مختلف المجالات المالية والقضائية والشرطية، كما كان يساعدهم مجموعة من المستشارين والمساعدين و كان هؤلاء الولاة تحت إشراف الحاكم العام (والي البرايطور)².

ويمكن القول إن تنظيم الإدارة الجهوية أو إدارة الولايات في بلاد المغرب هي من اختصاص ومسؤولية القناصل و الرؤساء ، وذلك من خلال الامتيازات التي كانت تمنح لهم والسلطة التي تكون في منصبهم لتسيير المقاطعة، فهم تابعون لسلطة الحاكم العام الذي يتولى مهمة تعيين القناصل والرؤساء على الأقاليم في المنطقة، وكانت مهمة هؤلاء الرؤساء والقناصل متعددة، فهم يسيرون إدارة يشتغل فيها خمسون موظفا، ويتدخلون في الأمور القضائية إذا اقتضى الأمر لفك النزاعات بين الأفراد ، كما لهم مهمة مراقبة تسيير الأمور المالية و الاقتصادية والضرائب، كما يساهمون في البناء والتشييد، ببناء معالم مدنية وبنائات عسكرية تكون للإمبراطور أو الحاكم العام في المقاطعات التابعة لهم³.

وقد اختص بهذا المنصب فئات محدودة، وحتى يكون فرد ما قنصلا أو واليا على إقليم في بلاد المغرب، وجب أن يكون من الطبقة الثرية والنبيلة أو من كبار التجار ورجال الدين أو من الطبقة المثقفة، وربما كان اعتلاء هذا المنصب يكون بالترشح بهدف

¹ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص112

² - حارش م، التاريخ المغربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، دار هومه، الجزائر، 1992، ص289.

³ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص115

استقرار الأوضاع في المنطقة وكذا مواجهة الأخطار من السكان المحليين، وكان حكام الولايات المعينون من قبل الإمبراطور يمارسون كامل الصلاحيات في تسيير مقاطعاتهم تحت مراقبة والي البرباطور ، وكان لكل منهم خمسون مساعدا تقريبا ، يقومون بمساعدة الوالي على تسيير شؤون مقاطعته¹ .

نفهم التركيبة الإدارية من خلال التعليمات في بعض المراسيم و القوائم الرسمية التي أرسلت إلى والي الإقليم حيث نجد إلى جانب الوالي أو الرؤساء قضاة، وكانت هذه الفئة من المساعدين للقناصل و الرؤساء في المغرب تتقاضى مبالغ مالية كبيرة بالمقارنة برواتب المساعدين الآخرين في الأقاليم الشرقية من الإمبراطورية البيزنطية².

كما اعتمد حكام الولايات في تسيير شؤون مقاطعتهم على مساعدة رجال الدين من رهبان و قساوسة يسهرون على إقرار الأمن وإخماد الفتن التي قد تثار في المدينة، وكانت تسند لهم مهمة جمع الضرائب على مستوى الإقليم الذي ينتمون إليه، كما كانت لهم صلاحية ترشيح بعض المواطنين للمناصب الشرفية³.

في حين سمح الإمبراطور جوستينيان للحاكم العام بصلاحية تعيين الموظفين وحكام الأقاليم، وذلك بعد مراجعة كل التعيينات والعمليات والترقيات من قبل الإمبراطور، وتكون سياسة الأجور مبنية على أساس الاستقلال المالي، في حين تكون كل مصاريف ونفقات الجيش والإدارة الإمبراطورية تأخوذة من مداخيل الضرائب مباشرة⁴.

كان الإمبراطور جوستينيان يهدف بهذا التنظيم إلى إرجاع التقاليد الرومانية القديمة ومد النفوذ البيزنطي إلى أقصى الحدود القديمة التي بلغت الإمبراطورية الرومانية، ساعيا إلى وضع أسس إدارة بيزنطية جديدة ببلاد المغرب، يمكن تسميتها إصلاحات

¹ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص115

² - Diehl, Ch., L'Afrique byzantine op-cit, p111-112

³ - دريسي س ، البيزنطيون في شمال إفريقيا المرجع السابق، ص117.

⁴ - Tate G, op-cit, p560.

الإمبراطور جوستينيان، وهو ما يظهر في الخطاب الديني الذي كان يعتمده في هذه الإصلاحات بتركيزه على محاربة الرشوة والفساد الإداري ونشر الوعي وروح المسؤولية في كامل المناصب الإدارية الحساسة .

II . التقسيم الإداري البيزنطي لبلاد المغرب في عهد جوستينيان:

حسب ما ذكر في المصادر أنه وبعد وصول خبر نجاح الحملة البيزنطية على بلاد المغرب والقضاء على الوندال رجع قائد الحملة بليزاريوس إلى العاصمة بيزنطا تاركا المنطقة للقائد صولومون¹ ربما بأمر من الإمبراطور، وقد فرح الإمبراطور جوستينيان كثيرا وشكر الرب على هذا الفتح وإعادة بلاد المغرب إلى حظيرة الدولة الرومانية، خاصة أنها استرجعت على يديه وأنه كان سببا لتخليص المسيحيين من الاضطهاد الذي عاشوه ما يزيد عن قرن من الزمن وذلك طيلة فترة الاحتلال الوندالي.

حيث أرسل الامبراطور رسالة في 13 افريل 534م² إلى قائد الحملة بليزاريوس يطلب فيها منه تنظيم بلاد المغرب إداريا وعسكريا³، و أمره بتقسيم المنطقة إلى مناطق، جاء في المرسوم ما يلي :

" DE OFFICIO PRAEFECTI PRAETORIO AFRICAE ET DE OMNI
EISDEM DIOCESES STATU (...)ET AB EA AUXILIANTE DEO
SEPTEM PROVINCIAE CUM SUIS INDICIBUS DISPONANTUR
QUARUM TINGI QUAE PROCONSULARIS ANTEA VOCCABATUR.
CARTHAGO ET BYZACIUM AC TRIPOLIS RECTORES HABEANT
CONSULARES : RELIQUAE VERO ID EST NUMIDIA ET
MAURETANIAE ET SARDINIA A PRAESIDIBUS CUM DEI
AUXILIO GUBERNENTUR " .

¹ - Chassin L M, Bélisaire générale byzantin, paris, 1957, p 53.

² - Benabbès M, l' Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p26.

³ - Désange J, Duval. N, carte des routes et des cités de l'est de l'africa à la fin de l'antiquité, publication par l'association pour l'antiquité tardive, éd Brepol, 2010, p51.

حيث يظهر المرسوم تقسيم بلاد المغرب إلى سبع مقاطعات تكون كل من ولاية البروقنصلية المزاق وطرابلس تحت حكم قناصل، أما نوميديا موريطانيا وسردينيا تحت حكم رؤساء¹ (انظر الخريطة 4 ص 241).

¹ - Diehl ch., l'Afrique byzantine, op-cit, p107

خريطة رقم: 04

المقاطعات البيزنطية في عهد الإمبراطور جوستينيان وحدود السيطرة في بلاد المغرب (بتصرف)

Ben Abess M, des provinces byzantines, op cit, p33



حدود السيطرة البيزنطية

المدن الساحلية التي تم السيطرة عليها

○

وقد اختلفت آراء المؤرخين في عدد المناطق التي تم اقتسامها، فهناك من يقر بخمسة و ستة وهناك من يقول سبع مناطق¹، وهذا حسب ما جاء في المرسوم الذي بعث به الإمبراطور إلي بليزار بعد بلوغه خبر نجاح الحملة حسب ما يذكره بروكوب، ولكن الإشكال كان في المقصود ب (Tangi) التي اعتبرها كروجر هي نفسها (Zeugi) وهي زغوان أو البروقنصلية ليصبح العدد بذلك ست مقاطعات بدل سبع ، وهناك من يشرح المقصود بموريطنيا أنها اثنتان السطايفية والقيصرية².

كما وضع مجموعة من القادة العسكريين لمساعدة الوالي في تسيير مقاطعته³ ، يظهر من ذلك أن الإمبراطور جوستينيان أراد استرجاع جميع أقاليم بلاد المغرب التي كانت تحت سلطة الرومان و إرجاع الأمور إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال الوندالي للمنطقة⁴.

وفيما يلي دراسة مختصرة لمقاطعات بلاد المغرب التي تم التوسع البيزنطي فيها:

¹ - Chastagnol A, la fin du monde antique,op-cit,p346-348

² - Diehl ch., l' Afrique byzantine,op-cit,p108-109

³ - Duclos-Aproco,J P, op-cit,p62

⁴ - Chastagnol.A, la fin du monde antique,op-cit,p346-347

1- مقاطعة طرابلس (la provincial tripolitana – tripolis):

يشير مرسوم جوستينيان إلى تعيين حاكم من درجة قنصل على الولاية الطرابلسية، و تعيين مركز الدوق العسكري في مدينة لبدة الكبرى (Leptis-Magna) ، كما ورد مصطلح طرابلس عند كل من الإمبراطور جوستينيان و بروكوب¹ وكوريب بمصطلح ²(Tripolis) وتعني المدن الثلاث لبدة (Leptis-Magna) أويا (Oea) و صبراتة (Sabrata)³ ، لكن الحدود لا تشمل المدن الثلاث فقط وإنما كانت أكثر اتساعاً⁴ في الفترة الرومانية وتقلصت تدريجياً في الفترتين الوندالية والبيزنطية .

والسؤال الذي يمكن طرحه هل تم فعلاً احتلال مقاطعة طرابلس من طرف بيزنطا كما كانت عليه في عهد الرومان، أم اقتصر الاحتلال على الجزء الشمالي فقط و بعض المدن الساحلية دون التوغل إلى الداخل ؟

تذكر المصادر التاريخية أن أول مدينة طرابلسية خضعت للاحتلال البيزنطي هي مدينة أويا (oea) وقد تزامنت الحملة البيزنطية على بلاد المغرب مع الصراع الذي كان بين أحد قادة طرابلس هو بودنتيوس (Pudentius) ضد الوندال، حيث بعث هذا الأخير برسالة إلى الإمبراطور جوستينيان يطلب فيها المساعدة العسكرية مقابل وضعه إقليم طرابلس تحت سيادة بيزنطا، وقد قام الإمبراطور بإرسال المدد العسكري بقيادة تاتيموث (Tatimuth) ما مكن القائد الطرابلسي بودنتيوس من الانفصال عن الوندال وإعلان مملكته المستقلة⁵ ، وهي من المقاطعات الرومانية التي أنشأها الإمبراطور دقلديانوس وحافظت على استقلالها في عهد الامبراطور جوستينيان، ولم تكن تابعة لأي مقاطعة أخرى⁶ .

¹ - Procope, les édifices, VI, 4.

² - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p30

³ - Désanges .J, et autres, carte des routes Op-cit,p50

⁴ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p30

⁵ - بن حريبط م ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص72-73

⁶ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p30

والسؤال الذي يمكن طرحه هل استطاع الامبراطور جوستينيان إخضاع المقاطعة الطرابلسية فعلا لحكم بيزنطا ؟ وهل يمكن القول بالتدخل في المنطقة قبل إرسال الحملة سنة 533م ؟

تحدث البكري عن بقايا الحصون البيزنطية في طرابلس حيث يقول : « وبين طرابلس ومدينة شروس خمسة أيام بينهما حصن لبدة » الأمر الذي يؤكد السيطرة البيزنطية على المدينة، وأنها فعلا كانت مركز إقامة الدوق العسكري خاصة ما ورد في الرواية المشهورة عن إعدام عدد من المور من طرف الدوق سرجيوس في لبدة¹ .

كذلك تؤكد المصادر العربية الاحتلال البيزنطي لطرابلس والتي أعاد البيزنطيون ترميم أسوارها وظلت في قبضتهم إلى غاية الفتح الإسلامي للمنطقة، و يقول البكري في ذلك : « وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة و البحر سور وكانت سفن البحر شارعة في مرساها إلى بيوتهم ففطن المدلجي و أصحابه فإذا البحر فاض من ناحية المدينة فدخلوا منه حتى إذا أتوا من ناحية الكنيسة فكبروا فلم يكن للروم إلا سفنهم ... فلم يفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم وغنم عمر ما كان في المدينة » ، يمكن تأكيد السيطرة البيزنطية على المدينة إلى غاية الفتح الإسلامي حسب ما أورده البكري² .

لكن السيطرة على المنطقة ربما كان في السنوات الأولى من الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، غير أنه بعد ذلك تراجعت الهيمنة البيزنطية في مقاطعة طرابلس بسبب كثرة القبائل الطرابلسية الثائرة ضد السياسة التوسعية البيزنطية، وأمام هذا الثورات تراجعت حدود السيطرة البيزنطية واقتصرت فيما بعد على مدينة طرابلس الساحلية دون غيرها من المناطق الداخلية من طرابلس حيث تمت السيطرة على طرابلس كمدينة ساحلية وليس

¹ - البكري أبو عبيد الله ، وصف إفريقيا الشمالية ، ن نشرة ديسلان ، الجزائر، 1875، ص9.

² - نفسه، ص8-9.

على طرابلس كإقليم واسع لان الاراضي الداخلية كانت تحت سيطرة القبائل الطرابلسية منذ أواخر العهد الروماني .

ومن مدن المقاطعة الطرابلسية التي خضعت للاحتلال البيزنطي مدينة صبراتة (Sabrata) وهي الأخرى كانت عاصمة للدوق¹، والتي نجد بها سورا يعود للفترة البيزنطية بقي شاهدا على الاحتلال البيزنطي للمدينة .

يظهر من خلال كل هذا أن السيطرة البيزنطية كانت على المدن الساحلية مثل: لبدية أوبا وصبراتة، أما المدن والمناطق الداخلية فقد كانت تابعة للقبائل المورية الطرابلسية²، مثل قبائل برقة و لواتة الذين ذكرهم بروكوب باسم (Laguantan) أو (Leucada) وكانت لهم سلطة مستقلة وهم المسئولون عن ثورة 544م ضد حاكم طرابلس سرجيوس، كذلك استقلال قبائل الاستريكس (Astrices) التي كانت تسيطر على أقاليم جنوب قابس إلى غاية سواحل سيرتا الصغرى³ .

أصبحت المقاطعة الطرابلسية في عهد الإمبراطور موريس (Mauris) تابعة إداريا لدوقية مصر حسب الإصلاحات الإدارية التي أحدثها هذا الأخير وهو ما أورده جورج القبرصي⁴ ، لتعود طرابلس إلى ما كانت عليه في عهد الإمبراطور هرقليس (Héraclé) أواسط القرن السابع ميلادي 610-641م لتصبح تابعة لدوقية إفريقيا بعد أن ضم المسلمون مصر⁵ .

أشارت المصادر العربية إلى أن الحاكم جرجير (Grégoire) الذي انفصل عن بيزنطة وأعلن استقلاله عن حكومة هرقليس كان ملكا على المنطقة الممتدة من طرابلس إلى طنجة، يقول ابن عبد الحكم في ذلك : « وكان عليها (قرطاج) ملك يقال له جرجير

¹ - Procope, les édifices, VI, 4,13

² - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p65

³ - بن حرييط م ع،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي،المرجع السابق ص76-77.

⁴ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p64.

⁵ - بن حرييط م ع،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي،المرجع السابق ص80.

كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل و ضرب الدنانير على وجهه وكان سلطانه ما بين طرابلس وطنجة «¹ .

2- مقاطعة البيزاكينا (la provincia byzacena – byzacium) :

نجد في المرسوم الذي بعث به الإمبراطور جوستينيان إلى بليزار بعد وصوله خبر نجاح الحملة على بلاد المغرب، انه أمر بتعيين حاكم من درجة قنصل على ولاية البيزاكينا، وهي من المناطق التي أنشأها الإمبراطور دقلديانوس في الإصلاحات التي قام بها أواخر القرن الثالث ميلادي² وتقع ما بين البروقنصلية و نوميديا³ .

وقد حافظ جوستينيان على نفس التقسيم، حيث جعل مركز الدوق في مدينة قفصة (Capsa) وذلك للموقع الاستراتيجي الممتاز للمدينة التي تمكّن من مراقبة الممر الضيق الفاصل بين شط الجريد و شط الغرسة، والطرق المؤدية إلى كل من قابس جنوبا وتبسة غربا والسهول الشمالية المطلة على قرطاج⁴ .

يصف المؤرخ تيسو (Tissot) قصة فيقول: « إنها تقع على عتبة الصحراء عند ملتقى الطرق التي تؤدي إحداها إلى قابس والأخرى إلى تبسة (Théveste) ...إنها نقطة مرور ضرورية بالنسبة لقوافل الجنوب ومركز متقدم للهضاب العليا تقف في وجه زحف القبائل الرحل لهذا اختارها الإمبراطور جوستينيان لتكون مركزا للدوق في البيزاكينا «⁵ .

¹ - ابن عبد الحكم عبد الرحمان ابن عبد الله، فتوح إفريقيا و الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، 1987، ص35

² - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p29

³ - Desanges j, étendue et importance du byzacium, op-cit, p7-23.

⁴ - Tissot Ch , Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, II, Paris, 1888, p.668.

⁵ - Ibid, p670-673.

وقد ذكر الشريف الإدريسي مدينة قفصة في مؤلفه حيث قال : « مدينة قفصة مدينة حسنة ذات سور ونهر جار ماؤه أطيب من ماء قسطيلة ... ولها أسواق عامرة وأهلها متبريرون وأكثرهم يتكلم باللسان اللاتيني الإفريقي »¹ .

كما كانت مدينة تليبت (Thélepte) (المدينة القديمة) مركزا للدوق أيضا، حيث ورد اسم المدينة في مرسوم جوستينيان وكانت بمثابة المركز الثاني للدوق المعين في البيزاكينا² ، وقد حافظت البيزاكينا على نفس الاسم والرقعة التي كانت في الفترة الرومانية و الفترة البيزنطية، وأصبح العرب يطلقون عليها اسم المزاق في الفترة الإسلامية ربما باستبدال الحرف الأول "الباء" B بحرف "الميم" M ، حيث أصبحت تسمى المزاق بدل بزاز (Buzaq-Byzace) مثل استبدال كلمة (Bagrada) بكلمة (Majarda)³.

وبسبب كثرة الثورات والحروب في المنطقة من طرف المور الرحل أو من طرف انتالاس ، قام البيزنطيون بتحسين مجموعة من المراكز سواء ببناء أسوار المدن أو إقامة مجموعة من الحصون، حيث أورد بروكوب⁴ مدينتين محصنتين هما ماما (Mamma) و كولوليس (kouloulis) والتي تسمى أيضا ب (Cululis)-(Atheodoriana) نسبة إلى الإمبراطورة تيودورا، إضافة إلى حصن حيدرة (Ammaedara) وهو ما يتعلق بقلعة حيدرة الواقعة إلى الشمال الشرقي من تبسة على الحدود الفاصلة بين البيزاكينا ونوميديا وهذا الحصن يقع على الطريق الرئيسية الرابطة بين تبسة وقرطاج⁵ .

أما مدينة ماما⁶ (Mama) فيقول بروكوب أنها تقع في سهل ماماس المحاط بمجموعة من الكتل الجبلية والذي يقع في البيزاكينا¹، أما ديال² (Diehl) فيقول أن مدينة

¹ - الإدريسي ش، المرجع السابق، ص75

² - Diehl ch, l'Afrique byzantine, op-cit, p234.

³ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p29.

⁴ - Procope, GV, II, 11.

⁵ - Diehl ch, l'Afrique byzantine, op-cit, p235.

⁶ - تحدثت المصادر العربية عن مدينة ماما وجعلت مقتل كسيلة بها، الأمر الذي يجعل الكثير من المؤرخين يضعونها مسقط تونس حاليا ... انظر :

- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، بيروت، 1950، ص33

مدينة ماما تقع في مكان غير بعيد عن أونكا (Iunca) (عين غريب حاليا) وعن الخط المتجه من الساحل إلى مدينة لاريبوس (Laribus)، وحددها برينغل (Pringle) في منطقة هنشير دوميس (Henchir-Douimis) في الجنوب الشرقي من جبال الظهر التونسية في منطقة قريبة من القيروان³ .

أما مدينة كولوليس (Couloulis) يقول ديل أنها جلولة الحالية (Djeloula) والتي تضم أثارا بيزنطية وتقع إلى الشمال الغربي من مدينة القيروان⁴ .

هذا وتؤكد الشواهد الأثرية أن البيزنطيين قد سيطروا على أكبر مناطق البيزاكينا وعلى أغلب وأكبر المدن فيها رغم الثورات و الحروب الكثيرة التي قامت بها الممالك المورية⁵، ولعل ذلك راجع لوجود مرافق رومانية مدنية وعسكرية سهلت عملية السيطرة والاحتلال ولكثرة عدد القبائل المترومنة واللاتينية في هذه المقاطعة .

3- مقاطعة البروقنصلية أو زغوان (la provincia zeugitana / zeugi-carthago) :

يرجع أصل مصطلح زغوان إلى كونه مصطلحا تم استعماله من قبل الإمبراطور جوستينيان في المرسوم الخاص الذي بعث به إلى قائد الحملة البيزنطية بليزاربوس⁶ بعد بلوغه خبر نجاح الحملة على بلاد المغرب والقضاء على الوندال ، بين فيه كيفية تنظيم المنطقة إداريا وعسكريا حتي يسهل التحكم فيها⁷ .

¹ - Procope, GV, II, 11

² - Diehl ch, l'Afrique byzantine, op-cit, p236

³ - Pringle D, the defense of byzantine, op-cit, p23-24

⁴ - Diehl ch, l'Afrique byzantine, op-cit, p236

⁵ - بن حرييط م ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق ، ص86.

⁶ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p27

⁷ - بن حرييط م ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص60.

يمتد إقليم البروقنصلية من واد المليان إلى واد مجردة¹، وربما يكون المقصود بزغوان منطقة أكثر اتساعا، فنجد المقصود بزغوان (Zeugi) عند بلين² (Pline) تشمل كل الأقاليم التي تمتد من نهر توسقة وطبرقة (Flumen Tusca et Tabraca) إلى غاية البيزاكينا (Byzacium)³، وقد أوردت المصادر أن المقصود ب زوغي (Zuegi) هي مناطق البروقنصلية⁴، وهناك من يضع زغوان في الإقليم الممتد من سهول بولا ريجيا إلى أتيكا⁵، أما المصادر المتأخرة أمثال فيكتور دي فيتا فتضع زغوان في البروقنصلية، ويقر بذلك أيضا كل من مومسن وشارل ديل⁶.

4- مقاطعة نوميديا (la provincia numidia) :

بالرجوع إلى مرسوم جوستينيان حول التنظيم الإداري لبلاد المغرب نجد أنه عين حاكما برتبة رئيس على مقاطعة نوميديا عكس ولاية البيزاكينا والبروقنصلية وطرابلس فقد عين عليها حاكما برتبة قنصل⁷، غير أن نوميديا في الفترة الرومانية كانت تحت قيادة بروقنصل (والي من الدرجة الأولى) الأمر الذي يدفعنا إلى الاعتقاد بأن نوميديا لم يتم إخضاعها في هذه الفترة للنفوذ البيزنطي ولم تلحق بعد بالمقاطعات التي تم إخضاعها، فقط كانت من مشاريع الإمبراطور جوستينيان بإلحاقها إلى المقاطعات البيزنطية التي تم التوسع فيها .

وإذا رجعنا إلى بعض الحصون والقلاع البيزنطية في نوميديا نجدها قليلة خاصة شمال الأوراس وجنوبها وفي جبالها، وإن عدنا إلى الشمال الشرقي للأوراس نجد السيطرة البيزنطية على هذه المنطقة ظاهرة، وذلك لوجود مجموعة من التحصينات في المنطقة،

¹ - Picard G., l'administration territoriale de Carthage, in Mel. A. Piganiol, Paris, 1966, III, p. 1263.

² - Pline, Histoire Naturelle, t V, 23, 1, trad J Desanges, Paris, 1980

³ - Désanges .J, et autres, carte des routes et des citée de l'est de l'afrika à la fin de l'antiquité, Op-cit, p51

⁴ - Benabbès M , l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p27

⁵ - Benabbès M, des provinces byzantines à l'ifriqiya, op-cit, p275

⁶ - Diehl Ch , l'Afrique byzantine, op-cit, p109

⁷ - Benabbès M, des provinces byzantines à l'ifriqiya, op-cit, p276 .

حيث نجد من الشرق إلى الغرب مدينة تبسة¹ (Théveste) التي هي عبارة عن الحد الفاصل بين مقاطعة البيزاكينا ونوميديا، وهي عبارة أيضا عن قاعدة عسكرية بيزنطية ضد الثورات المورية التي كانت تنطلق من الأوراس، حيث انصبت اهتمامات البيزنطيين بتحسين المدينة للدور الذي تلعبه في التصدي للثورات المورية، يذكرها الشريف الإدريسي فيقول : « ومن الأرس إلى مدينة تيفاش مرحلة وهي أيضا مدينة أزلية قديمة عليها سور قديم.....² » .

ومن المدن النوميديّة التي خضعت للبيزنطيين نذكر مدينة ماسكولا (Mascula) وهي خنشة حاليا، حيث يؤكد ديل بعدم وجود حصن بيزنطي بها ويذكر أن الإمبراطور البيزنطي تيبيريوس الثاني 578-582م تمكن من إعادة ضم المدينة ومقاطعاتها لكن دون بناء أو ترميم أي حصن بها وذلك لقربها من حصن تبسة واكتفى بالقول بوجود معقل في المنطقة أقامها السكان المحليون لحماية أنفسهم³ .

و يرى ستيفان قسال وجود حصن بيزنطي في المدينة، كما تتوفر المدينة على سور قد يدخل في نطاق الترميمات البيزنطية للبقايا الرومانية⁴ وقد أشار إلى ذلك ابن حوقل في كتابه صورة الأرض حيث يقول: « ... ومنها إلى مسكيانة قرية عليها سور قديم كثير المياه و الزرع »⁵ .

¹ - عن أهمية موقع تبسة في التاريخ القديم انظر :

- Moll C.A, Mémoire historique et archéologique sur Tébessa(Théveste) et ses environs, Annuaire de la société archéologique de Constantine,4, 1858-1859,p.81-82 ; 5,1860-1861,p.188-221.

² - الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق و تقديم اسماعيل العربي " القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1983، ص284 .

³ - Diehl ch, l'Afrique byzantine, op-cit, p364

⁴ - Gssel st, notes sur quelque fortresses antique du département de constantine , recueil des notices et mmoires de la société de constantine ,32, 1898,p82-83

⁵ - ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، ص84 .

هذا ويمكن الاعتقاد أن النفوذ البيزنطي قد وصل إلى مدينة باغاي (Bagai) (قصر باغاي) حيث ذكر بروكوب هذه المدينة على أنها مقفرة¹، وقد أقام البيزنطيون معسكرهم بالقرب منها خلال الحملات التي قادها صولومون على القبائل المورية ما بين 535-539م ، حيث اهتم فيما بين 539-544م بإعادة ترميم أسوارها الذي يبلغ امتداده حوالي 1172متر على شكل مربع منحرف غير متوازي الأضلاع، يبلغ عرضه حوالي ثلاثة أمتار 3.3 متر ويتوفر السور على حوالي خمسة وعشرون برجاً² ، وقد حافظت مدينة باغاي على سورها إلى غاية الفتح الإسلامي، و ذكرتها المصادر العربية كما ورد عند الإدريسي كالتالي : « وأما مدينة باغاي فمدينة كبيرة عليها سوران من حجر وريض عليه سور وكانت الأسواق فيه، أما الآن فالأسواق في المدينة و الأرباض خالية »³ .

كذلك نجد سور في كاساس (Quasas) أو (Guesses) التي تقع إلى الشمال من الأوراس، ينتشابه موقعها مع موقع مدينة باغاي فهي تحرص ممر الشمرا (chemara) الممر الطبيعي للقبائل المروية القادمة من الجنوب، وسورها المحيط يتخذ شكل مربع منحرف ويتوفر على أبراج، أحدهما إلى الشمال والآخر إلى الجنوب كما تحتوي على قلعة تحمي سكان الضيعات و القرى المجاورة في فترات الحروب⁴ ، وقد ذكرها البكري لكن لم يشر إلى سورها فقال: « ومن باغاي إلى مدينة قاساس وهي مدينة قديمة على نهر وفي غربها جبل شامخ »⁵ .

كما شيد البيزنطيون حصنا ب دار ملول في عهد موريس 582-602م حيث أورد الشريف الإدريسي ذلك قائلاً: « ومن طبنة شرقاً إلى دار ملول مرحلة كبيرة كانت فيها سلفاً مدينة عامرة وأسواق قائمة... وجبل الأوراس منها على مرحلة »⁶ .

¹ - Procope, GV, II, 19,7-8.

² - بن حرييط م ،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص ص94.

³ - الإدريسي الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص74.

⁴ - Gsell st, les monuments antique de l'Algérie, op-cit, p359.

⁵ - البكري ع المرجع السابق، ص09 .

⁶ - الإدريسي ش المرجع السابق ، ص66 .

ومن المدن التي سيطر عليها البيزنطيون في نوميديا نذكر مدينة تيمقاد وحصنها البيزنطي الذي أقيم في السهل المفتوح الواقع إلى الجهة الشمالية من مدينة تيمقاد الرومانية وذلك بهدف مراقبة ممرات الأوراس، حيث اتخذت قاعدة عسكرية للحملات البيزنطية ضد القبائل الأوراسية، لذلك اهتم بها البيزنطيون وحصنوها ورمموا أسوارها ، بنى صولومون بها حصنا مابين 535-539م على مقربة من المدينة الرومانية القديمة، وقد تم العثور على نقيشة¹ في المنطقة أرخت لتاريخ تأسيس الحصن بالسنة الثالثة عشر من تاريخ حكم الإمبراطور جوستينيان، أي سنة 539م جاء فيها : « بمساعدة الرب وفي السنة مائة وثلاثة عشر من تاريخ حكم أسيادنا يوستينيانوس و تيودورا العظماء و الدائمون تم إعادة بناء تاموقادي بفعل حنكة صولومون الرجل المقتر القائد العسكري الممتاز القنصل سابقا الباتريسي المتميز في كل شيء وحاكم إفريقيا »².

ومن المواقع الإستراتيجية التي سيطر عليها البيزنطيون أيضا نذكر طبنة (Tubunae) ، التي تقع بين واد بريكة وواد بيطام، وبما أن البيزنطيين توصلوا سنة 540م إلى إخضاع الأوراس وأقاموا مجموعة من الحصون بها في مختلف المناطق الشمالية للأوراس، تم تشييد حصن الزاب (Zabi Justiniani) في المنطقة الغربية بالقرب من المسيلة حاليا، وهي من المناطق التي أخضعها الإمبراطور جوستينيان وأخذت اسمه³.

والهدف من ذلك مراقبة جبل بوطالب وإغلاق الطريق القادمة من بوسعادة، ولمراقبة الحصنة الشرقية تم تأسيس حصن بمدينة طبنة التي شكّلت أحد المراكز الرئيسية على خط الحدود البيزنطية في المنطقة الجنوبية الغربية ويتوفر هذا الحصن على أبراج مراقبة ، وقد تخلى عنها البيزنطيون مبكرا وأصبحت مقرا للقبائل المحلية عند الفتح الإسلامي لبلاد

¹ - تم العثور على النقيشة بالقرب من إحدى أبواب حصن تاموقادي سنة 1991م، على يد الباحث الفرنسي بالو Ballu والذي نشرها في مجلة B.C.T.H وفي نفس السنة...انظر :

- بن حريطم ،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص96.

² - Durliat J, les dédicaces,op-cit,pp47-53

³ - Duval Y, la Maurétanie sétifienne à l'époque byzantine, op-cit, p157-161.

المغرب، ذكرها البكري¹ على أنها كانت مقرا للقائد البربري كسيلة حيث قال : « ... وهي (طبنة) مما افتتح موسى ابن النصير فبلغ سببها عشرين ألفا وهرب ملكهم كسيلة وسورها مبني بالطوب ... وقال محمد بن يوسف أن قصر طبنة قديم أولي كبير جليل مبني بالصخر » .

وقال عنها الشريف الإدريسي : « ومن المسيلة إلى طبنة مرحلتان و طبنة مدينة الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع و الحنطة و الشعير وعليها سور من تراب »² .

يمكن القول إن المراكز الدفاعية البيزنطية تمثل حدود السيطرة وهي كلها تقع في الجهة الشمالية الشرقية للأوراس الأمر الذي يبعث على الاعتقاد أن المناطق الداخلية والجنوبية للأوراس لم تتعرض للسيطرة البيزنطية بسبب قوة سكانها وكثرة الثورات والحروب ضد السياسة التوسعية البيزنطية في المنطقة .

وفيما يخص السيطرة على الأوراس بصفة عامة أو على جبال الأوراس خاصة فيقول بروكوب³ في ذلك : « بعد طرد الموريين وايبوداس الذي كان ملكا عليهم ضم الإمبراطور جوستينيان هذه المنطقة إلى الأراضي الإمبراطورية ولكي لا يتمكن الموريون من تخريبها من جديد عمل على تحصين المدن الواقعة والمحيطة بالجبل التي وجد أسوارها محطمة ومهدمة في المدن الخمس التالية باغاي فلورونتيان بادس ميلوف تاموقادي إضافة إلى حصنين هما دابوسيس (Daboussis) وكاينا (Caiana) كما تم تعيين حامية عسكرية كافية للدفاع عن المنطقة حتى لا يترك للموريين أي أمل في استرجاع الأوراس »

وقد فند دييل (Diehl) هذا القول بالوجود البيزنطي جنوب الأوراس حيث يقر أن الاحتلال البيزنطي لجنوب الأوراس كان شكليًا ومؤقتًا ويبقى احتلال جنوب الأوراس مجرد

¹ - البكري، المرجع السابق، 50
² - الإدريسي ش، المرجع السابق، ص65

³ - Procope, construction de justinien, I,6

احتمال، إذ انحصر الاحتلال في الجزء الشمالي للهضاب العليا¹، أما المناطق والمدن الساحلية فقد تم السيطرة على مدن وموانئ فقط مثل ميناء روسيكادا ووضعت فيه حامية بيزنطية² وربما الأمر نفسه بالنسبة لموانئ جيجل وبجاية .

5- مقاطعة موريطانيا (provinciae mauretaniae) :

ورد اسم موريطانيا في مراسيم جوستينيان وكان محل نقاش العديد من المؤرخين في كتاباتهم بالمقصود بموريطانيا، وقد ذكر البعض من المؤرخين أن المقصود بموريطانيا في الفترة البيزنطية هو موريطانيا السطايفية و القيصرية لأن موريطانيا الطنجية كانت خارج إدارة بلاد المغرب منذ الإصلاحات التي قام بها الإمبراطور دقلديانوس³، كما يعتقد أن الاحتلال البيزنطي لم يسيطر إلا على موريطانيا الأولى وبعض أجزاء موريطانيا الثانية وهو ما كان يقصده بروكوب⁴ .

كذلك حسب ما ذكره جورج القبرصي (Géorge Chypre) حيث أورد اسم موريطانيا الأولى وموريطانيا الثانية⁵، الأمر الذي دفع بمجموعة من المؤرخين إلى محاولة فهم المقصود بموريطانيا الأولى والثانية، حيث يقول شارل ديل أما موريطانيا الأولى فهي موريطانيا السطايفية وأما موريطانيا الثانية فهي موريطانيا القيصرية⁶ .

1- موريطانيا السطايفية (Maurétanie Sétifienne) :

نجد أول ذكر للمقاطعة السطايفية في الاستحداثات الإدارية التي قام بها الإمبراطور دقلديانوس أواخر القرن الثالث ميلادي، حيث كانت حدودها الشرقية من الواد الكبير (واد لومبساقا Lampsaga) ، غير أنها لم ترد في مدونة جوستينيان حيث وردت ضمن موريطانيا دون تحديد أي الموريطانيات التي كان يقصدها الإمبراطور، وقد عين عليها

¹ - Diehl Ch , l' Afrique byzantine, op-cit, p249

² - Duval N, l'état actuel des recherches sur les fortifications de justinien en Afrique, 1983, p180.

³ - Benabbès M, l' Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p32

⁴ - procope, GV, II, 20,30

⁵ - Diehl Ch , l' Afrique byzantine, op-cit, p36.

⁶ - Benabbès M, l' Afrique byzantine face à la conquête arabe, p60-61.

الإمبراطور حاكما برتبة رئيس (Praeside) في الوقت الذي كانت فيه البروقنصلية مركزا للدوق العسكري¹ .

بالرجوع إلى مؤلف بروكوب² نجده يفصل بين الموريطانييتين السطايفية والقيصرية، حيث يذكر موريطانيا الأولى وموريطانيا الثانية والمقصود بموريطانيا الأولى أي السطايفية والثانية موريطانيا القيصرية³، ويمكن التساؤل عن سبب سكوت مدونة جوستينيان عن موريطانيا السطايفية⁴، وهل يمكن اعتبار ذلك عدم تمكن القائد بليزار من احتلالها بعد القضاء على الوندال؟ أم أنها كانت تابعة إداريا لموريطانيا القيصرية؟

ويزداد الشك في ذلك خاصة إذا علمنا أن القائد صولومون على حد تعبير بروكوب لم يتمكن من دخول موريطانيا السطايفية إلى غاية سنة 439م بعد الانتصارات التي حققها ضد القبائل الأوراسية⁵، يقول بروكوب في ذلك: « بعد هزيمة الموريين وانسحابهم وانسحابهم من نوميديا ألحق صولومون ولاية الزاب الواقعة فيما وراء الأوراس والتي تدعى موريطانيا الأولى وعاصمتها سطيف بالإمبراطورية الرومانية وفرض الضريبة عليها⁶ » .

لا يمكن الجزم بالسيطرة الكاملة على موريطانيا السطايفية من طرف بيزنطا، فهم لم يتمكنوا من السيطرة إلا على أجزاء قليلة فقط مثل الزاب⁷ (اقترن اسم المدينة باسم

¹ - Procope, GV, I, 20, 30

² - Procope, GV, II, 20.

³ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p32

⁴ - بن حريبط م، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق ص112.

⁵ - Benabbese m, des provinces byzantines à l'ifriqiya, op-cit, p276

⁶ - Procope, GV, II, 20

⁷ - عن كل ما يخص زابي **zabé** انظر :

- Laporte J P, Zabi .Friki, note sur la Maurétanie et la Numidie de Justinien , ant-tard, 10, 2002, p151-167 .

الإمبراطور جوستينيان (Zabi Justiniana)¹ ومنها تم السيطرة على منطقة الحضنة، وهو نفس الدور الذي لعبته مدينة طبنة (Tubunae) في المنطقة الجنوبية الشرقية² .

وإذا رجعنا إلى الرسالة التي بعث بها الإمبراطور جوستينيان إلى أساقفة بلاد المغرب سنة 542م لا نجد ذكرا لموريطانيا السطايفية حيث وجهها إلى كل من أساقفة قرطاج البيزاكينا ونوميديا، الأمر الذي يجعلنا نشك في السيطرة البيزنطية على موريطانيا السطايفية³ ، أم أنها أصبحت تابعة لحاكم مقاطعة نوميديا⁴ .

غير أننا نجد ذكرا لموريطانيا السطايفية ضمن التقسيمات الجديدة التي قام بها الإمبراطور موريس، وهو الأمر الذي يجعلنا نشك دائما في السيطرة البيزنطية من عدمها على موريطانيا السطايفية، خاصة بعد سنة 544م فقد انحصر الاحتلال البيزنطي في مدينة ستيفيس فقط والتي أصبح الوصول إليها برا أمرا صعبا بسبب كثرة الثورات والحروب من القبائل المورية على المدن والحصون البيزنطية⁵ .

2- مقاطعة موريطانيا القيصرية (Maurétanie Césarienne) :

يذكر بروكوب⁶ مدينة قيصارية فيقول : « كانت تقع على الساحل كما أنها كانت مدينة كبيرة وعامرة في الفترات القديمة وأنها كانت تحت سلطة بيزنطا » ، الأمر الذي يوحي بالسيطرة البيزنطية على المدينة ، رغم غياب الشواهد الأثرية التي تؤكد ذلك⁷ .

اهتم الإمبراطور جوستينيان كثيرا بهذه المدينة وسعى إلى احتلالها والسيطرة عليها دون باقي مدن المقاطعة، حيث بعث قائده يوحنا على رأس فرقة من المشاة إلى قيصارية و ألحقت المدينة فعليا إلى المدن البيزنطية دون المناطق الداخلية التي كانت تسيطر عليها

¹ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p47

² - بن حرييط م ،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق ، ص114 .

³ - نفسه، ص115

⁴ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p32

⁵ - Ibid,p61

⁶ - procope,GV,II,5

⁷ - Duval N, l'état actuel des recherche sur les fortification de justinien en afrique,op-cit,p181.

القبائل المورية، ويذكر بروكوب¹ ويقول: « وأخيرا تمكن الموريون بعد انتصاراتهم المتكررة على الوندال من السيطرة على البلاد المسماة حاليا بموريطانيا والممتدة من مضيق قانس إلى مدينة قيصارية² .

ويقول في موضع آخر: « بالنسبة لموريطانيا الأخرى (القيصارية) التي تعد قيصارية عاصمتها سيطر ماستيغاس (Mastigas) زعيم الموريين على مجموع المنطقة التي تؤدي له الضريبة باستثناء قيصارية³ .

فهم من ذلك اقتصار السيطرة البيزنطية على مدينة قيصارية الساحلية فقط دون الأراضي الداخلية حسب ما ذكره بروكوب في كون البيزنطيين كانوا يتصلون بقيصارية عن طريق البحر فقط لأن الطرق البرية الداخلية كانت تحت سلطة القبائل المورية⁴، وما يؤكد ذلك أيضا وجود المقابر الجدارية في الداخل وبالتحديد بمنطقة فرندة بتيارت⁵، كذلك ما ورد في نقيشة ألتافا (Altava) وهي دليل على السيطرة المورية على المناطق الداخلية لمقاطعة قيصارية فقد احتوت النقيشة اسم زعيم موري يدعى مازونة (Masuna) يصف نفسه بملك المور والرومان .

« rex gentium maororum et romanorum »⁶

وقد عرفت قيصارية تغييرات إدارية في عهد مورييس (Mouris) 582-602م حيث أصبحت تضم مدينة سبتة كعاصمة لها وجزر الباليار والمراكز البيزنطية في شبه الجزيرة الأيبيرية .

وما يؤكد سيطرة المور على الداخل أيضا هي الثورة التي انضمها القائد البيزنطي ستوزاس (Stozas) ضد صولومون والانقلاب الذي قام به على السلطة في الجهة

¹ - بن حريبط م، شمال افريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق ص117

² - Procope ,GV, II,28

³ - Procope ,GV, II,20

⁴ - Benabbes M, des provinces byzantines à l'ifriqiya,op-cit,p277

⁵ - kadra F , les djedars monuments funéraires de la région de frenda ,alger,1983,p360

⁶ - Marcilet-Joubert, les inscription d'altava , Aix-en Provence ,1968,p127

الشرقية، حيث وبعد الهزيمة التي مني بها ستوزاس انسحب وفر إلى موريطانيا سنة 537م وتزوج هناك بابنة أحد القادة المور الذي كان يحكم المنطقة، ثم عاد من جديد سنة 546م ليشترك إلى جانب أنتالاس في الحرب المورية الكبرى التي شنتها القبائل المورية ضد التوسع البيزنطي في البيزاكينا¹ ، كذلك الحرب التي قام بها يوداس ضد البيزنطيين وبعد هزيمته التجأ إلى موريطانيا بعد أن سيطر صولومون على الأوراس².

3- مقاطعة موريطانيا الطنجية (Maurétanie Tangitane) :

قليلة هي المصادر التاريخية الكلاسيكية والمادية التي تغطي تاريخ موريطانيا الطنجية ما جعلنا أمام تساؤلات كثيرة يصعب الإجابة عنها ولا سيما فيما يخص حدود سيطرة البيزنطيين في المنطقة في القرنين السادس والسابع الميلاديين³ .
وإذا عدنا للتقسيمات التي أوردها جوستينيان في الرسالة التي بعث بها إلى بليزاربوس بعد تحقيق الانتصار ضد الوندال، نجده يذكر اسم المقاطعة الطنجية في التقسيمات التي قام بها، حيث قسم بلاد المغرب إلى سبع ولايات وعين على أربعة منها حكاما برتبة قنصل (Consul) و هي البروقنصلية البيزاكينا طرابلس و الباقي نوميديا موريطانيا سردينيا عين عليها حاكما برتبة رئيس (Praesides)⁴ .

أغلب الدراسات التاريخية لا تقر ولا تعترف ولا تقبل هذا التقسيم كون الاحتلال البيزنطي لم يصل إلى موريطانيا الطنجية، فقد تم احتلال مدينة سبتة كمدينة ساحلية في المقاطعة الطنجية فقط دون الأراضي الأخرى التي بقيت في يد المور، وهذا اعتراف كل من بارتش (Partch) ومومسن⁵ (Moumsen) ، حيث يقرون بعدم وجود أي أثر للاحتلال في موريطانيا الطنجية، والمصادر الكلاسيكية لا تشير إلا للسيطرة على سبتة كمدينة أو حصن سبتة، حيث تم تعيين نقيب عسكري في هذ الحصن وليس قنصلا كما

¹ - بن حريظ م ،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص-ص 119-123

² - Procope, GV, II, 21,22

³ - Duval N , cartes des route et des cité ,op-cit,p55

⁴ - Diehl Ch , l'Afrique byzantine,op-cit,p110

⁵ - Ibid, p108.

جاء في المرسوم، وهو الأمر الذي نجده في النص الخاص بالتنظيم العسكري حيث إن نقيب سبتة كان تابعا لدوق موريطانيا القيصرية .

كما يمكن قبول فكرة استبدال وتصحيح المصطلح الذي ورد في المرسوم الذي بعثه جوستينيان إلى بلاد المغرب حيث تستبدل مصطلح طنجة (Tangi) بمصطلح زوغي (Zeugi) والمقصود بطنجة أي البروقنصلية أو زغوان وهي مقاطعة قرطاج سابقا¹ .

ليصبح بذلك عدد الولايات ستة بدلا من سبع ولايات، لذلك تم اعتماد مخطوط مونت كاسان (Mont Cassin) الذي ورد فيه اسم موريطانيا بصيغة الجمع، وبذلك تكون السيطرة البيزنطية على سبتة المدينة الساحلية دون غيرها من المناطق الداخلية الأخرى والتي نجد بها حصنا بيزنطيا² ، حيث يقول بروكوب : « إن الإمبراطور جوستينيان أرسل القائد يوحنا إلى مضيق قادس للاستيلاء على الحصن في سبتة»³ وكان هدف الإمبراطور من السيطرة على حصن سبتة ربما لأهميته الاستراتيجية وذلك بمراقبة المضيق المؤدي إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، وكذا محاولة التجسس على القوط الغربيين وأطماع الإمبراطور في الاستيلاء على شبه الجزيرة.

كما عمل جوستينيان على الجمع ما تبقى من إقليم موريطانيا الطنجية والقيصرية في إقليم واحد يسمى بموريطانيا الثانية، والمجال الجغرافي التابع للبيزنطيين يصعب تحديده ومعرفة كيفية تسييره وما نعرفه أن طنجة سيرت من طرف حاكم برتبة رئيس وهي تابعة عسكريا لدوق قيصرية⁴ .

¹ - Désanges .J, et Autres, carte des routes et des citée de l'est de l'afrika à la fin de lantiquité, op-cit, p52

² - بن حريبط م ،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص127.

³ - Procope, GV,I,6

⁴ - أكرير عبد العزيز، تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني إلى مجيء الإسلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2016، ص189 .

كما يذكر بروكوب أيضا في كتاب المنجزات أو العمائر أن الإمبراطور جوستينيان أمر بإعادة إحياء وترميم المنشآت الرومانية انطلاقا من سبتة وبناء منشآت جديدة¹ ، كما يذكر ايزيدروس الاشبيلي أن البيزنطيين قاموا بطرد القوط الغربيين من سبتة وسيطروا عليها²، الأمر الذي يوحي بأن سبتة كانت تحت سيطرة القوط الغربيين في الفترة الوندالية قبل أن يتم احتلالها من طرف البيزنطيين .

III. الحاكم العام في بلاد المغرب واختصاصاته :

يعتبر منصب الحاكم العام (Préfets) هو نفسه المنصب المستحدث في الفترة البيزنطية وهو منصب والي البرايطور أو الحاكم العام، ظهر هذا المنصب لأول مرة في الإمبراطورية الرومانية القديمة، وهو بمثابة الحاكم العام لمقاطعة ما، وقد كانت مهمته في بادئ الأمر قضائية فهو القاضي المنتدب من طرف الإمبراطور، و توسعت مهامه تدريجيا لتشمل بعض المهام العسكرية، فأصبح رئيس أركان حرب يقود الجيوش باسم الإمبراطور ينظر في عملية التدريب والتجنيد العسكري، وهو الأمين العام للجيش³، وأصبح فيما بعد بمثابة الوزير ومكافأ بالمالية واتسعت سلطته لتشمل جميع المهام الإدارية فأصبح يدير المراكز العمومية، كما اعتبر المراقب العام لحكام المقاطعات (الولايات) ، وله إمكانية تغييرهم إذا رأى ذلك ضروريا، وبعد الفصل بين السلطة المدنية والعسكرية أصبح الوالي بمثابة موظف مدني مكلف بوظيفتين فقط هما: الوظيفة القضائية فهو بمثابة القاضي الذي ينوب عن الإمبراطور وقراراته لا رجعة فيها، وله وظيفة ثانية وهي وظيفة مالية أي جمع الضرائب وتأدية رواتب الجند والموظفين⁴ .

¹ - Procope, De Aedificiis, VI, 7, 14, trad J-Haury.

² - Hassab Sanaa, la Maurétanie tingitane de dioclétien à justinien, actes du X^{ème} colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du nord préhistorique, antique et médiévale, édites par Claude Briand-Ponsart, caen 25-28 mai 2009, crahm, france, 2014, p312.

³ - Jones A H M, le déclin du monde antique, op-cit, p136.

⁴ - بن حرييط م ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص156.

هذا وقد تم استحداث هذا المنصب من طرف الإمبراطور جوستينيان في بلاد المغرب بعد أن تمت عملية الاحتلال والتوسع في المنطقة، وهو منصب خاص بالإدارة المدنية وهي وظيفة عليا يتمتع صاحبها بالسلطة المطلقة قد تعادل سلطة الإمبراطور في إمبراطوريته، بحيث يكون الحاكم العام يبت في كل المهام الإدارية من تشريع إدارة وقضاء ومالية¹ .

كما أنه يقترح على الإمبراطور حكاما للولايات الذين يشرف بدوره عليهم وسياستهم في الولايات التي تم تعيينهم فيها، كما يتلقى الأوامر مباشرة من الإمبراطور و القرارات و المراسيم ويلزم الحكام بتنفيذها، فهو بذلك صلة الوصل بين الإمبراطور وحكام الولايات² ، وقد كانت له صلاحيات عديدة وامتيازات كثيرة حيث لقب بصاحب السيادة (Excellence) وصاحب العظمة (Manificence) وصاحب الرفعة (Sublimité) وكان أجره كبيرا وصل إلى مائة قطعة ذهبية، وهي قيمة كبيرة جدا تدل على مكانته و الدور الذي يلعبه الحاكم العام في الإمبراطورية البيزنطية³ .

هذا وقد ينظر الحاكم العام في جميع القضايا القضائية، فنجد أن صولومون لما كان واليا على بلاد المغرب كان مكلفا بالنظر في الدعاوى المرفوعة من قبل بعض ملاك الأراضي قصد استرجاع أراضيهم التي صادرها الوندال⁴ .

كما يشرف الحاكم العام على عملية جمع الضرائب حيث يذكر بروكوب أن الإمبراطور جوستينيان بعث بموظفين وهما تريفون (Tryphone) و اوستراتيوس (Eustratius) قصد وضع توزيع جديد للضرائب تحت إشراف الحاكم العام صولومون⁵ ،

¹ - Pyronton M, op-cit,p43

² - Bréhier L, les institution de l'empire byzantin, paris, 1970, p88

³ - التازي م س، المرجع السابق،ص213.

⁴ - بن حريبط م ع،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي،المرجع السابق،ص157

⁵ - Procope, GV, II, 8,25.

وكان الحاكم العام يقتطع بنفسه منالمداخل والمصاريف اللازمة لتسيير مقاطعته ، ويؤدي رواتب حكام الولايات والموظفين والقادة العسكريين وقد حددها جوستينيان بدقة .

كما كان للحاكم العام دور ديني، فقد كان يتصل بالأساقفة باستمرار لينظر في الدعاوى المرفوعة إليه حول أراضي الكنيسة التي صادرها الوندال، وكان الوالي يسهر شخصيا على حماية الكنيسة ويوفر لها كل الإمكانيات الضرورية لمواجهة باقي الأديان والمذاهب المعادية لها¹ .

وله أيضا مهمة ترميم المنشآت الدفاعية وتشبيد الحصون، وما يؤكد ذلك ورود اسم الحاكم العام في مختلف الإهداءات التي احتوتها المنشآت الدفاعية في بلاد المغرب²، والهدف من هذه المنشآت هو حماية المكتسبات البيزنطية والفرد البيزنطي من الهجمات والثورات التي كانت تقوم بها الممالك المورية على مستوى المدن و الأرياف³ .

أول من تقلد منصب الحاكم العام ببلاد المغرب القديم في الفترة البيزنطية هو أرخيلوس (Archelaous) سنة 534م ، وقد تقلد مناصب مماثلة في كل من إقليم إيريا و بيزنطة، كما كان يشغل منصب أمين المال في الجيش الذي قاده بليزابوس عل الوندال بلاد المغرب⁴ .

يساعد الحاكم العام في بلاد المغرب مجموعة من المستشارين (Consiliari) و الأعوان في العدل وتسيير المحاكم وأعوان القضاء والديوان والذي يصل عدده إلى ثلاث مئة وستة وتسعون موظفا، موزعين على عدد من المكاتب (قسم منها يضم حوالي ثمانية وتسعون موظفا مكلفا بالمواضيع القضائية وقسم مكون من مائة وثلاثون موظفا مكلفا بالمالية وقسم يتكون من مائة وثمانية وستون موظفا وهم صغار الموظفين أو الملحقين)⁵

¹ - Gostynski T , op-cit,p226

² - Durliat J, les dédicaces,op-cit,pp7-59

³ - بن حريظ م ع،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي،المرجع السابق،ص158 .

⁴ - Désanges J, et Autres, carte des routes et des citée de l'est de l'africa à la fin de l'antiquité, Op-cit, p52

¹) ، وكانت الإدارة في مجملها تنقسم إلى عشر عشرة مكاتب، أربعة منها مكلفة بالإدارة العامة للمالية وعلى رأسها أمناء المال (Numerarius) وأجرتهم ثلاثة وعشرون فلسا ذهبيا، ويعمل المكتب الخامس على تطبيق تعليمات الحاكم العام، وهناك مكاتبان مكلفان بتحرير العقود والاهتمام بالوثائق المحفوظة وبعض الجوانب القضائية²، وينظر المكتب الثامن في الشكاوى ومختلف الالتماسات المرفوعة إليه، والمكاتبان التاسع والعاشر أحدهما مكلف بالخدمة العمومية وعمله كبير ومهم بالنظر إلى حجم المنشآت الدفاعية التي أقيمت ببلاد المغرب و المكتب الآخر مهمته إدارة الخزينة وترتيب مصاريف الولاية³، وكان للوالي خمسون حارسا شخصيا (Singulari) وخمسة أطباء (أجرتهم تصل إلى 99 فلسا ذهبيا وهي أجرة رفيعة جدا) وله مدرسون وخطباء (يتقاضون 35 فلسا ذهبيا)⁴ .

IV. حكام الولايات ومهامهم:

بالرجوع إلى المرسوم الذي بعث به الإمبراطور جوستينيان إلى قائد الحملة بليزاريوس بعد نجاح الحملة على بلاد المغرب، وبالنظر إلى ما تضمنه المرسوم من كيفية تقسيم وتنظيم بلاد المغرب إداريا وعسكريا⁵، حيث أمر بتعيين ثلاثة حكام برتبة قناصل وثلاث حكام برتبة رئيس في الولايات الست التي تم اعتمادها مع اختلاف بسيط، وهو أن الطرابلسية التي كانت تسير في الفترة الرومانية المتأخرة من طرف حاكم برتبة رئيس عين عليها الإمبراطور جوستينيان حاكم برتبة قنصل.

كما عين على نوميديا حاكما بدرجة رئيس والتي كان يديرها قنصل في الفترة الرومانية المتأخرة، وقد يعود سبب هذا الإصلاح الإداري من طرف الإمبراطور إلى الأوضاع الأمنية وعجز بيزنطا عن التحكم في المنطقة وكثرة الحروب من طرف المور، خاصة في الولايتين الطرابلسية ونوميديا ذلك أن إخضاع طرابلس ربما كان أسهل من

¹ - Jones A H M, le déclin du monde antique, op-cit, p196

² - Diehl Ch , l' Afrique byzantine, op-cit, p104

³ - Ibid, p104.

⁴ - التازي م س، المرجع السابق، ص214.

⁵ - Diehl Ch , l' Afrique byzantine, op-cit, p111.

إخضاع نوميديا التي عرفت مقاومات كثيرة قوية وشرسة لا سيما في قسمها الجنوبي وفي منطقة الأوراس، التي لم تستطع بيزنطا إخضاعها، ربما هو السبب الذي دفع بالإمبراطور إلى تعيين حاكم برتبة رئيس بدل قنصل لأنها لم تخضع بعد للاحتلال و لازالت بها ثورات مورية كما كانت الولايتان البيزاكينا والبروقنصلية تحت حاكم برتبة قنصل بينما تم تعيين حكام برتبة رؤساء على الموريطانيات الثلاث¹ .

وكانت هناك أعداد من المكاتب احتوت على خمسون موظفا² مساعدا للوالي في تسيير ولايته، كما كان له مستشاريين وكتاب مكلفين بالحسابات المالية والوثائق و المهام القضائية³ .

V. التنظيم الإداري لبلاد المغرب في عهد خلفاء جوستينيان :

توفي الإمبراطور جوستينيان في 14 نوفمبر 565م، و خلفه في الحكم جوستان الثاني (Justin II)⁴ ، حيث لم تشهد فترة هذا الأخير 565-578م وفترة تيبار كونستونس (Tibère) 578-582م تغيرات كثيرة في المجال الإداري، فقد سارت بلاد المغرب على النهج الذي سارت عليه في عهد الإمبراطور جوستينيان⁵، وقد تميزت فترة جوستان الثاني وتيبار بإخماد بعض الثورات التي تواصلت، حيث تمكنا من إخماد ثورة غرمول (Garmule) وتمكن موريس فيما بعد من إخماد ثورة سنة 569م وتم التحالف مع قبائل الجرامنت ، كما عرفت فترة جوستان الثاني حروبا ومعارك مع الفرس في حدود سنة 571م، كما استطاعت قبائل القوط الشرقيين التوسع في الأقاليم الرومانية ما بين 571-572م⁶ .

¹ - بن حريط م ع، إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص163-164.

² - خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص222.

³ - بن حريط م ع، إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص164.

⁴ - Jones A H M, op-cit, p112

⁵ - Hédi S et Autres, op-cit, p412

⁶ - Jones A H M, op-cit, p112

تميزت فترة موريس (Maurice) 582-602م بإصلاحات إدارية، حيث أعاد تنظيم ولايات بلاد المغرب وتوزيعها، وقام باقتطاع طرابلس من مقاطعة بلاد المغرب وربطها إداريا بمقاطعة مصر¹، كما قام بإلغاء ولاية موريطانيا القيصرية وأنشأ موريطانيا الثانية وهي وحدة إدارية تتكون من سبته و جزر الباليار وبعض الممتلكات البيزنطية في شبه الجزيرة الايبيرية².

وأهم شيء تم تجديده من طرف موريس هو إنشاء منصب جديد أو رتبة مدنية وعسكرية جديدة في بلاد المغرب وهي: منصب الارخون (Exarque) حيث وضع بذلك حداً فاصلاً لمبدأ الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية، فأصبح الأرخون يجمع بين السلطتين فهو الحاكم العام والقائد الأعلى للجيش، ويأتي بذلك الارخون في السلم الإداري البيزنطي في المرتبة الثانية بعد الإمبراطور مباشرة، شغل هذا المنصب كل من هرقليس (Héraclius) سنة 608م و جرجير (Grégoire) سنة 646م³.

رجع الحكم بعد وفاة الإمبراطور موريس سنة 602م إلى الإمبراطور فوكاس (Phocas) بعد أن قام هذا الأخير بالانقلاب على الإمبراطور موريس بمساعدة الجيش البيزنطي وأمر بقتله وعائلته، ونصب نفسه إمبراطوراً جديداً على بيزنطا بقرار من مجلس الشيوخ في 23 نوفمبر 602م، عرفت فترة فوكاس ضعفاً كبيراً في كل أقاليم الإمبراطورية البيزنطية وانقلابات كبيرة على غرار بلاد المغرب التي كانت تحت قيادة هرقليس والتي ربما شهدت نوعاً من الأمن والسلم مع القبائل المورية⁴.

اعتلى بعد ذلك هرقليس (Héracliu) عرش الإمبراطورية البيزنطية سنة 610م إثر انقلاب قام به أبوه الذي كان في منصب أرخون إفريقيا⁵، إذ اعتلى عرش الإمبراطورية

¹ - Benabbès M, l' Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p53-54.

² - Hédi S et autres,op-cit,p412-413

³ - Jones A H M ,op-cit,p114

⁴ - Jones A H M ,op-cit,p115

⁵ - Ibid, p115.

وهو في سن الستينيات وهو من جنرالات القائد موريس¹، عينه الإمبراطور موريس على رأس مقاطعة المغرب رفقة أخيه جريجوار سنة 608م ، والذي كانت تربطه به علاقات حسنة نتيجة مشاركته في الحروب ضد الفرس والقلاب على الإمبراطور فوكاس سنة 610م، والذي سيحقق انتصارا كبيرا يجعل منه إمبراطورا على بيزنطا في السنة نفسها² ، ولكن شح المصادر يجعلنا نجعل الكثير عن هذه الأحداث سوى الأمن والاستقرار الذي عرفته بلاد المغرب في هذه الفترة، الأمر الذي دفع بالإمبراطور إلى التفكير في نقل مركز القيادة والعاصمة من القسطنطينية إلى قرطاج³ ، وذلك للحنين الذي كان يكنه هرقليس لبلاد المغرب التي يعرفها تمام المعرفة .

وفي سنة 646م تم اغتصاب الحكم من طرف جرجير أرخون إفريقيا، حيث اغتتم الأزمة التي عاشتها بلاد المغرب وتدهور الأوضاع في السلطة المركزية⁴، حيث انتصب إمبراطورا على بيزنطا وأحدث تغييرات إدارية، حيث نقل مقر حكمه من قرطاج الى سببلة استعدادا لمواجهة المسلمين العرب الذين كانوا وقتها قد احتلوا كلاً من مصر وقوريناية وطرابلس⁵، حيث لعبت القبائل المورية الدور الكبير في إضعاف السلطة البيزنطية والتي مهدت للفتح الإسلامي لبلاد المغرب القديم مع أواخر النصف الأول من القرن السابع للميلاد⁶ .

وما يمكن قوله في آخر الفصل أن السياسة الإدارية البيزنطية في بلاد المغرب ارتكزت على سلطتين للتحكم في المنطقة، وهما سلطة حاكم الإدارة المركزية وهو البرايطور أو الحاكم العام الذي منحت له مهام وامتيازات كبيرة نظرا للمنصب العالي الذي يحتله، فهو يحتل المركز الثاني في السلم الإداري في الإمبراطورية البيزنطية بعد سلطة

¹ - Hédi S et Autres,op-cit,p415.

² - Goubert P, Byzance avant l'islam, II, p214-218.

³ - الشاطر خليفة وآخرون ،المرجع السابق،ص223-224

⁴ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p49

⁵ - الشاطر خليفة وآخرون ،المرجع السابق،ص229

⁶ - Hédi S et Autres,op-cit,p417

الإمبراطور، كما كان لحكام الولايات أو الرؤساء سلطات وامتيازات واسعة في الأقاليم التابعين لها، بحيث تكون سلطة حكام الولايات تحت سلطة الحاكم العام وهو بدوره تابع مباشرة لسلطة الإمبراطور في العاصمة بيزنطا .

ومن غير الممكن أن تكون كامل بلاد المغرب قد خضعت للسيطرة البيزنطية وفي فترة وجيزة بمجرد سقوط الوندال ونجاح الحملة، خاصة إذا علمنا أن المناطق الغربية من قرطاج كلها كانت تابعة للقبائل المورية في الفترة الوندالية، من نوميديا شرقا إلى موريطانيا الطنجية غربا، ومن غير الممكن التوسع على حساب المملك المورية دون أي رد فعل وأراضيهم تسلب منهم من طرف الجيوش البيزنطية، حيث عمل الإمبراطور منذ البداية على استمالة القبائل المورية وعدم التعرض لها .

ويمكن القول أيضا إن التقسيم الإداري الذي أقره الإمبراطور في الرسالتين التي بعث بهما إلى الحاكمين العسكري و المدني، لم يكن أكثر من تقسيم على الورق إذ لم يطبق على أرض الواقع، فهو هدف وطموح كان الإمبراطور يسعى لتحقيقه، وما يؤكد عدم السيطرة على الأقاليم المذكورة في المرسوم، أن المناطق الثلاث (طرابلس،البيزاكينا،زغوان) والتي ربما تم إخضاعها بالفعل وضعت تحت سلطة حاكم مدني برتبة قنصل، أما المناطق الغربية لها فقد وضعت تحت سلطة حاكم برتبة رئيس من فئة الفرسان، أي أنها تسير من طرف قائد عسكري وذلك دليل عدم خضوعها، مع كثرة الصراعات و الحروب فيها خاصة في نوميديا وموريطانيا السطايفية وموريطانيا الطنجية .

وهو ما يظهر في إقليم موريطانيا القيصرية الذي كان خارج السيطرة البيزنطية ما عدا مدينة قيصرية الساحلية التي لم يكن من الممكن الوصول إليها إلا عن طريق البحر لأن الأراضي الداخلية كانت تحت سلطة المور ، كما كانت المنطقة الغربية ملجأ للعديد من القادة العسكريين البيزنطيين المتمردين على السلطة و للقادة المور بعد الهزائم ضد الاحتلال البيزنطي مثل ما حصل مع ملك الأوراس يوداس الذي انسحب إلى قبائل الغرب

بعد فشل ثورته أمام القائد صولومون، الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد في أن المناطق الغربية -غرب نوميديا- مستقلة عن الأراضي البيزنطية .

كما أن تحالف القبائل المورية مع السلطة البيزنطية مع بداية الحملة لم يكن حبا للبيزنطيين ولا للسياسة التي انتهجوها في بلاد المغرب، حيث إن هدف الممالك المورية من هذا التحالف هو من دون شك المحافظة على الأقاليم الموجودين فيها في ظل التعاون المؤقت وانتظار الفرصة السانحة والوقت المناسب للقضاء على الاحتلال البيزنطي في المنطقة، و هذا التحالف البيزنطي مع بعض القبائل المورية ربما كان من ورائه شروط يلتزم الطرفان بها، ويظهر ذلك في تغيير العلاقات بين القبائل المورية والإمبراطورية البيزنطية مع بداية الحملة وسياسة القائد بليزار وما نتج بعد مغادرته لبلاد المغرب تاركا الحكم للقائد صولومون .

وما يعكس العلاقات المورية البيزنطية هي السياسة الدفاعية الكبيرة التي عملت السلطة البيزنطية على تطبيقها في بلاد المغرب القديم، وكثرة المنشآت الدفاعية للتحكم في الأوضاع الأمنية والقضاء على الثورات المورية الكثيرة، وهو ما سنحاول أن نعالجه في الفصل الخاص بالسياسة العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب القديم .

الفصل الثالث: التحولات العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب القديم

I. النظم الدفاعية الرومانية قبيل الاحتلال البيزنطي

II. التنظيم العسكري لبلاد المغرب في عهد الامبراطور جوستينيان وخلفاءه

III. الجيش البيزنطي في بلاد المغرب القيادة و التركيب

A. تشكل الجيش البيزنطي

- جيش الرديف

- قوات الحدود

B. القيادة العسكرية

- القائد الأعلى للجيش ومهامه

- منصب الدوق وصلاحياته

C. الفوضى العسكرية في الجيش البيزنطي

IV. النظام العسكري البيزنطي في عهد خلفاء جوستينيان

V. منصب الارخون/الاكسرخس في بلاد المغرب

VI. المنشآت العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب

1. المدن المحصنة

2. المراكز العسكرية

3. القلاع المحصنة

4. القلاع

5. الابراج والمحارس

6. الحواجز

عرفت بلاد المغرب تغيّرات في الخريطة الإدارية بعد الاحتلال البيزنطي للمنطقة وصورة ذلك هو اهتمام السلطة البيزنطية كثيرا بالإدارة العسكرية، وإعادة تنظيم الجيش البيزنطي من أجل ضمان استتباب الأمن والاستقرار في الأقاليم التي تم التوسع فيها، ومواجهة مختلف ردود الأفعال المحلية والثورات التي تقوم بها القبائل المورية .

ولقد عمل الإمبراطور جوستينيان منذ البداية على محاولة السيطرة على الأوضاع الأمنية في المنطقة، حيث أمر بتنظيم بلاد المغرب وتقسيمه إلى مناطق عسكرية، ومنح السلطة العسكرية امتيازات وموارد مالية هائلة، وأمر بإنشاء مراكز دفاعية في كامل المناطق المسيطر عليها، والتصدي لثورات القبائل المورية .

غير أنّ النظام الإداري العسكري سيعرف تغيير وهيكله دفاعية جديدة في عهد خلفاء جوستينيان، وذلك يعود ربما إلى فشل السياسة العسكرية البيزنطية وعدم نجاعتها في السيطرة على المناطق الداخلية التي تم التوسع فيها من الثورات والهجمات المورية المتكررة على المنشآت والمدن البيزنطية، حيث ستعرف الهيكله العسكرية مناصب ومهام جديدة وكّلت إلى القادة العسكريين .

وأمام الثورات المورية ورد فعل السكان المحليين وعدم استقرار الأوضاع الأمنية، ستقوم الإدارة البيزنطية بإنفاق أموال كبيرة أدت إلى إفلاس الخزينة البيزنطية، وانعكست سلبا على الحياة السياسية والاقتصادية في بيزنطا وبلاد المغرب، وهذا كله بسبب الثورات المورية الكثيرة على الجيوش والمراكز العسكرية والمدن البيزنطية وما تكبّته من خسائر مادية وبشرية انعكست سلبا على المجتمع البيزنطي، ولا تزال آثار المنشآت العسكرية البيزنطية باقية مجسّدة في كثير من المناطق في بلاد المغرب إلى اليوم، الأمر الذي يوحي بأهداف واهتمامات الإمبراطورية البيزنطية بمقاطعة بلاد المغرب، وأهمية المنطقة في اقتصاد بيزنطا، حيث خصّصت لها أموال طائلة لإحكام السيطرة عليها وعدم الانسحاب منها أمام الثورات المورية المتزايد في كامل المنطقة، حيث سنحاول في هذا الفصل دراسة السياسة العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب القديم

1. النظم الدفاعية الرومانية قبيل الاحتلال البيزنطي:

اقتصرت السياسة العسكرية الرومانية في بلاد المغرب منذ بدايتها على إخماد الثورات والتصدي للقبائل المورية الداخلية التي كانت تشكل خطرا على الأهداف الاستعمارية الرومانية، حيث لم تتوقف هذه الحملات النوميديّة طيلة فترة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، وتواصلت هذه السياسة العسكرية لمواجهة كل أخطار القبائل الجيتولية في الجنوب والى غاية إقليم فزان بليبيا وقبائل الجارمنت في الغرب من إقليم فزان وقبائل جنوب موريطانيا وقبائل الناسامون في خليج السرت¹.

كما استمرت السياسة القمعية الرومانية طيلة الثلاث قرون الأولى من الاحتلال وإلى غاية عهد الإمبراطور دقلديانوس الذي أحدث تغييرات في التنظيم الإداري والعسكري، من خلال الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية والحد من سلطة القادة العسكريين في ولايات الإمبراطورية وذلك لتفادي الفوضى العسكرية، والاعتماد في تنظيم الجيش على الفرق الخفيفة السريعة التنقل والحركة استعدادا لأي هجوم مرتقب من السكان المحليين مدعما في ذلك بجيش الحدود (Limitanae)².

وبعد سقوط النظام الروماني في بلاد المغرب لم تكن هناك سياسة عسكرية واضحة في الفترة الوندالية، لأن سياسة الوندال منذ البداية ارتكزت في السيطرة على المناطق الساحلية الشرقية من المغرب القديم دون غيرها، و المناطق الغربية والداخلية أصبحت تحت سيطرة القبائل المورية، ويمكن القول أن كل المناطق والمدن العسكرية التي كانت رومانية أصبحت بعد سقوط روما تابعة وتحت سيطرة القبائل المورية التي كانت تجمعهم بالسلطة الوندالية علاقات سلم وتعاون في بداية الأمر بسبب التحالفات المبرمة بين الطرفين للقضاء على الرومان.

¹ - شنيّتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر، 1984م، ص165.

² - التاجوري م م ، المرجع السابق، ص246-247.

لم يواصل الوندال بعد سيطرتهم على المناطق الشرقية من بلاد المغرب سياسة روما العسكرية التي كانت مطبقة في المنطقة¹، بل إن سياسة الوندال العسكرية تختلف تماما عن سياسة روما العسكرية، وارتكزت السياسة الوندالية على إبقاء الأنظمة الإدارية الرومانية القديمة المطبقة بين السكان واكتفت السلطة الوندالية بالمراقبة وجمع الضرائب.

وقد اعتمد الملك جنسريق كثيرا على القبائل المورية في حملاته العسكرية البحرية في المتوسط وعلى روما سنة 455م، الأمر الذي يؤكد طبيعة العلاقات المورية الوندالية السلمية، وبهذه السياسة السلمية لم يحتاج جنسريق لجيش كبير التعداد ليواجه به الأخطار الخارجية خاصة وأنه استطاع التحالف مع أقوى القبائل المورية في المنطقة².

وعملت السلطة الوندالية على تدمير الحصون وأسوار المدن واستباحتها ماعدا تلك التي في قرطاج³، وتم اعتماد هذه الإستراتيجية ربما حتى لا تتمكن القبائل المورية أو القبائل الموالية لروما من الاستعانة بهذه الحصون والمدن والتمرد على السلطة الوندالية، وتظهر هذه السياسة العسكرية الوندالية مع الحملة التي قادها بليزار على المنطقة، حيث يذكر بروكوب في كتابه تاريخ الحروب أن بلاد المغرب لم يبق فيها مدينة واحدة مسورة أي محاطة بالأسوار ماعدا قرطاج التي احتفظ بها جنسريق⁴.

ويمكن القول أن السياسة الوندالية في بلاد المغرب ركزت على التحالف واستمالة العنصر المحلي وبقايا الرومان والمترومنين، لذلك لم تكن بحاجة كبيرة للمنشآت الرومانية القديمة، حيث اكتفت بالمنشآت التي بناها الرومان وهو ما يؤكد عدم وجود منشآت عسكرية وندالية في بلاد المغرب، الأمر الذي ربما سهل من سقوط الوندال في أول حملة قادها جوستينيان وقائده بليزار على بلاد المغرب سنة 533م.

¹ - Georges T, op-cit, p697.

² - التاجوري م م، المرجع السابق، ص248.

³ - Georges T, op-cit, p697.

⁴ - التاجوري م م، المرجع السابق، ص251.

II. التنظيم العسكري لبلاد المغرب في عهد جوستينيان وخلفائه :

أول ما أمر الإمبراطور جوستينيان¹ القيام به بعد القضاء على الوندال هو: تقسيم بلاد المغرب إداريا وعسكريا، حيث شرع في تجسيد سياسته الاستيطانية ببناء المنشآت الدفاعية من أسوار وحصون وقلاع في المناطق الشمالية التي تم السيطرة عليها، وأمر القائد صولومون بأن يكون حريصا على إقامة وترميم المنشآت الدفاعية وذلك خوفا من الثورات المورية على المدن والمناطق التي تم إخضاعها والسيطرة عليها² ، واعتمدت هذه السياسة العسكرية في المغرب للتقليل من عدد الجنود ولتفادي الأعباء المالية التي تكبدها الجيوش جراء الاحتياجات والعتاد من سلاح ولباس ومؤوى... إلخ³ .

وما يؤكد الإستراتيجية العسكرية البيزنطية هي النقوش الإهدائية التي وجدت في "هنشير القصر" بالقرب من عين فكرون والتي يعتقد أنها ترجع إلى سنة 439 أو 440م أي السنة الثالثة عشر أو الرابعة عشر من تاريخ اعتلاء الإمبراطور جوستينيان عرش بيزنطا، وهي من إنجازات القائد البيزنطي صولومون ببلاد المغرب⁴ ، تظهر النقيشة العدد الكبير للمنشآت الدفاعية في المنطقة والهدف من هذه المنشآت في هنشير القصر هو

¹ - الإمبراطور جوستينيان **l'empereur justinien**: ابن إحدى أخوات الإمبراطور جوستان الأول Justin I ، الذي حكم الإمبراطورية البيزنطية ما بين 518-527م، يعتبر جوستينيان من أصل تراقي إيليري، وهو من مواليد 482م ، كان أحد قادة المؤسسة العسكرية البيزنطية ثم ضابطا في الحرس الإمبراطوري، عينه خاله سنة 518م كونتا للبلاط الإمبراطوري، الأمر الذي ساعده لأن يكون على دراية بالشؤون السياسية و العسكرية لقربه من البلاط الملكي، وصل إلى حكم الإمبراطورية البيزنطية بعد وفاة خاله سنة 527م إلى أن توفي سنة 565م... انظر :
- طويل عماد ، سياسة جوستينيان في شمال إفريقيا 533-565م، مذكرة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ ، الجزائر، 2012-2013، ص10-11.

² - Hédi S et Autres, op-cit, p392.

³ - Francois B, op-cit, p134.

⁴ - القائد صولومون **Solomone** : كان حاكما على بلاد المغرب والقائد العسكري مرتين الأولى ما بين 534-536م والثانية ما بين 539-544م ، حيث عمل هذا الأخير على تجسيد السياسة العسكرية للإمبراطور جوستينيان في بلاد المغرب القديم، والقائم على المنشآت الدفاعية البيزنطية على اختلاف أنواعها ، ويعتقد انه بني أكثر من 25 منشأة دفاعية في هذه الفترة وقد تم ذلك بسرعة وفي وقت وجيز حتى تتم السيطرة والاحتلال... انظر :

- Xavier Dupuis, Henchir el-ksar et Mila : deux nouvelles dédicaces de fortification byzantines en Afrique, actes de la 5^{ème} journée d'études nord-africaines , éd académie des inscriptions et Belles-lettres, paris, 2012, p98-99.

سهولة مراقبة الطريق الرابط بين الجنوب الغربي للحضنة المتجه إلى البروقنصلية، والطريق الرابط بين تبسة وسيرتا¹.

و يشمل الخط الدفاعي البيزنطي كل من مقاطعة طرابلس والبيزاكينا ونوميديا، و الغرض من ذلك هو التصدي للهجمات المورية، وقد ركزت بيزنطا كثيرا على سياسة التحصين وبناء المنشآت العسكرية بالاعتماد على المخلفات المادية الرومانية، حيث حلت القلاع والحصون محل المدن والطرق الرومانية القديمة، الأمر الذي يدفعنا إلى الاعتقاد أن المخرب والمدمر الحقيقي للمنشآت الرومانية في بلاد المغرب القديم هم البيزنطيين وليس الوندال أو المور كما يزعم بروكوب.

نجد الحصون والمدن المحصنة التي أعاد الإمبراطور جوستينيان إحياءها وترميمها كثيرة في بلاد المغرب، فقد تم إحصاء ثمانية مواقع عسكرية شيدت بشكل رسمي وأربعة أخرى محتملة، قد لا يضاف عليها الطابع الرسمي، والآلاف من المنشآت الدفاعية الصغيرة، في حين تم إحصاء عدد المدن والتي تم بناءها أو ترميمها في عهد جوستينيان هي ثمان وعشرون مدينة، والعدد الأكثر منها شيد في فترة صولومون الثانية أي ما بين 539-544م، مثل : كاب فادا (Caput Vada) ، سوسة ، قفصة الخ، وهي أيضا عبارة عن خطوط دفاعية بيزنطية².

ومن أهم آثار لاحتلال البيزنطي في بلاد المغرب هو تلك للمنشآت الدفاعية على طول المناطق التي استطاع الإمبراطور جوستينيان إخضاعها³، والتي مازالت تحافظ على أشكالها إلى اليوم، الأمر الذي يوحي بالاهتمام الكبير للجانب العسكري في بداية الاحتلال البيزنطي للمغرب القديم والسياسة الدفاعية في السيطرة، وهو ما كلف السلطة البيزنطية أموالا كبيرة لإقامة أو ترميم مثل هذه المنشآت الضخمة.

¹ - Xavier D, op-cit, p99.

² - التاجوري م، المرجع السابق، ص271-272.

³ - Georges T, op-cit, p564.

تكلّمت المصادر المعاصرة للاحتلال البيزنطي مثل بروكوب على المنشآت العسكرية الضخمة التي أنشأها الإمبراطور جوستينيان، كما تكلمت على الجيوش البيزنطية وأشهر قادتها وتركيبها وتقسيمها وأهم المناطق العسكرية، حيث كان قرار إنشاء مراكز دفاعية في كامل بلاد المغرب القرار الثاني الذي اتخذته الإمبراطور جوستينيان بعد قرار الحملة على الوندال¹، وقد لا نكاد نجد مدينة أو منطقة تم إخضاعها للسلطة البيزنطية خالية من أسوار أو مراكز دفاعية بيزنطية وهذا بهدف تأمين المدن وتحقيق السيطرة .

كذلك يمكن الاعتماد على القرارات والقوانين التي كانت تصدر من الإمبراطور، والتي بعث بها إلى القادة العسكريين في بلاد المغرب، وفيها كيفية تقسيم المنطقة إلى وحدات وأقاليم عسكرية والسهر على إنشاء المراكز والمنشآت العسكرية في المناطق الثائرة، وهو ما عمل القائد صولومون على تجسيده²، لأن أغلب المنشآت العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب كانت في عهد صولومون 539-544م وربما كانت منشآت قبل ذلك أي مع بداية الاحتلال 534م، لكنها كانت قليلة مقارنة بالمنشآت التي أنشأت في فترة صولومون الثانية، وقد كافت الخزينة البيزنطية أموالا كثيرة انعكست سلبا على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في بيزنطا وبلاد المغرب.

يظهر التقسيم العسكري لبلاد المغرب في الرسالة التي بعث بها الإمبراطور جوستينيان إلى القائد الأعلى للجيش البيزنطي بليزاريوس سنة 534م³ بعد أن وصله خبر نجاح الحملة والقضاء على الوندال، جاء فيها تأكيد منصب الدوق (Duc) كقائد للجيش في المقاطعة التي ينتمي إليها، و إقامة خمسة أدواق⁴، أربعة منها في بلاد المغرب ودوقا واحدا في جزيرة سردينيا⁵، حيث وضع دوقا في المقاطعة الطرابلسية ومقره في لبدة الكبرى

¹ - Georges T, op-cit, p564.

² - Ibid, p698.

³ - Constantin Zuckerman, la haute Hiérarchie militaire en Afrique byzantine, an- tard, 10, 2002, pp169-175.

⁴ - Desange J, Duval. N, op-cit, p52.

⁵ - Constantin Zuckerman, op-cit, p169.

(Leptis Magna) ، ودوقا في مقاطعة البيزاكينا ومقره في قفصة (Capsa) وتيلابت (Telepte) ، ودوقا في مقاطعة نوميديا ومقره في سيرتا (Cirta) ، ودوقا لمقاطعة موريطانيا ومقره في قيصارية¹، وأمر الإمبراطور في هذا المرسوم كلّ الأدواق على مد النفوذ والتوسع في الداخل إلى غاية حدود روما القديمة، والسهر ليلا ونهارا للقضاء على الثورات والحروب التي تقوم بها القبائل المورية فهي الخطر الحقيقي على المصالح والمكاسب البيزنطية في بلاد المغرب² .

وكان الدوق حسب بعض المؤرخين يخضع مباشرة لسلطة الإمبراطور في بيزنطا مع بداية الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، لعدم وجود منصب القائد الأعلى للجيش، وهي سياسة لم تظهر إلاّ عند نشأة منصب الأرخون في عهد الإمبراطور موريس، وكانت مهمة الدوق قيادة الجيوش التابعة لمقاطعته والسهر على حماية الحدود، وقد يتغير مقر الدوق حسب الظروف الأمنية، فنجد مثلا: دوق البيزاكينا له مقرين في قفصة تارة وفي تلابت تارة أخرى³ .

ونفهم من المصادر أن السياسة العسكرية للإمبراطور جوستينيان في بلاد المغرب اعتمدت منذ البداية على إقامة القلاع والحصون والمنشآت العسكرية كإستراتيجية لتجسيد الاحتلال والتصدي للثورات المورية⁴ ، يذكر بروكوب في ذلك فيقول: « إذا كتبنا لائحة بالحصون التي أقامها الإمبراطور جوستينيان أمام رجال سكنوا أرضا بعيدة وغير قادرين على أن يقيموا بأعينهم الحجة على ما نقول فإن كثير هذه البنائيات بالتأكيد تظهر حكايتها وكأنها خرافية وغير صادقة » فقد حاول بروكوب في هذا القول ذكر العدد الهائل من البنائيات والمنشآت التي أقامها الإمبراطور جوستينيان في بلاد المغرب القديم والتي لا يمكن إحصائها حسبه .

¹ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p47.

² - Yanoski M.J, op-cit, p245-246.

³ - خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص223.

⁴ - Georges T, op-cit, p564.

ويضيف فيقول: «والحق أن كل مكان بسواحل البحر وبسفوح الجبال في الحضنة الموحشة ووسط السهول الجذباء بالمناطق العليا بنوميديا وفي براري قرطاج فإن بقايا القلاع القوية لتشهد على النشاط العجيب الذي بذله الإمبراطور العظيم جوستينيان «¹.

وخلاصة القول أن السياسة البيزنطية في المغرب القديم عموما وسياسة الإمبراطور جوستينيان خصوصا اعتمدت على المنشآت الدفاعية بدل العامل البشري في حشد الجيوش، رغم ما تتطلبه هذه المنشآت من إمكانيات مادية ومالية كبيرة، وهو ما تؤكدته كثرة المنشآت الدفاعية البيزنطية في بلاد المغرب خاصة في مقاطعة البيزاكينا ونوميديا مثل ما هو موجود في كل من حيدرة، تيمقاد وتبسة....الخ.

III. الجيش البيزنطي في بلاد المغرب القيادة والتركيب :

كانت من أولويات الإمبراطور جوستينيان تكوين جيش قوي يعتمد عليه في إرساء الأمن والاستقرار في الإمبراطورية البيزنطية عموما وبلاد المغرب خصوصا، حيث سخر لذلك كل الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة²، لكن الأوضاع الأمنية التي كانت تعيشها لإمبراطورية في الشرق والحروب الكثيرة ضد الفرس حثمت على بيزنطا الاعتماد على جيوش غير لاتينية تكون تحت قيادة زعمائها أو تحت راية قائد بيزنطي³.

حيث وضع الإمبراطور جوستينيان الخطوط العريضة للهيئة العسكرية ببلاد المغرب في المرسوم الذي أصدره سنة 534م، وقد تخلى بموجبه على بعض الوظائف التي كانت في الفترة الرومانية مثل: منصب بروقنصل والكونت وأدخل منصب الدوق ومهمته حراسة الحدود، كما أوجد منصب قائد أركان الجيش ومركزه في العاصمة قرطاج⁴.

وسنحاول فيما يلي التطرق إلى الجيش البيزنطي في بلاد المغرب عموما، حيث سنحاول معرفة تعداد هذه الجيوش وأهم قادتها، وتركيبها وتنظيمها وكذا الإستراتيجية

¹ - سعود م ت، المرجع السابق، ص216.

² - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p47-48.

³ - Diehl Ch, Marçais G, le monde oriental de 395 à 1081, paris, 1944, p74.

⁴ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، ص152.

القتالية للجيوش البيزنطية في المنطقة، وأهم الصعوبات والتمردات والثورات التي واجهت السياسة العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب :

أ- تشكل الجيش البيزنطي:

عرفت السياسة العسكرية للجيش البيزنطي في فترة حكم الإمبراطور جوستينيان تغييرا كبيرا من حيث التعداد التنظيم والتركيب ، حتى وإن بقيت الركيزة الأساسية للجيش مستمرة منذ عهد الإمبراطور ديقلديانوس (Déclidianus) وقسطنطين (Constantine)، ورغم الطموح الكبير الذي كان الإمبراطور جوستينيان يطمح إلى تحقيقه باسترجاع أراضي الإمبراطورية الرومانية الضائعة، فإنه لم يستطع تجنيد العدد الكبير الذي كان يريد تجنيده. هذا وحسب سليم دريسي نقلا عن أغاثياس (Aghatias) أن الإمبراطور جوستينيان كان ينوي تجنيد 645000 جندي لكن ذلك لم يتحقق فقد أستطاع تجنيد 150000 جندي فقط ، وإذا ما قارنا عدد الجنود في الجيش البيزنطي بطموحات وآمال الإمبراطور في استرجاع الأقاليم الرومانية القديمة فإن هذا العدد كان قليل مقارنة بالمساحة الكبيرة التي كانت تحتلها الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور جوستينيان¹.

ويبقى عدد الجيش البيزنطي في بلاد المغرب في ظل سكوت المصادر التاريخية مجهولا، يمكن تقديره من الإشارات التي توحى بإرسال الإمبراطور جوستينيان للإمدادات العسكرية بعد نجاح الحملة بقيادة بليزار الذي كان معه قرابة ثمانية عشر ألف جندي²، خاصة الإمدادات التي تحصل عليها كل من صولومون وجون تروقيليتا لمواجهة ثورات القبائل المورية ما بين 539-548م، لأن العدد الذي كان مع بليزار مع بداية الحملة لا يكفي لتحقيق أطماع الإمبراطور في الوصول إلى الحدود التي كانت تسيطر عليها روما القديمة، الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد أن بلاد المغرب عرفت توافد جيوش أخرى فيما بعد لتغطية الحدود والمدن والمقاطعات التي تم السيطرة عليها، كما تم الاستعانة بالقبائل

¹ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا ، ص145.

² - Lot F, les invasions Germanique, paris, 1953, p142.

المورية الحليفة للحفاظ على الأمن والاستقرار خاصة في النصف الأول من القرن السادس الميلادي .

وقد اعتمد الإمبراطور جوستينيان وبشكل كبير في تكوين الجيش على الفرسان الذين يمتطون الخيل والمحملة بالعتاد الحربي الثقيل، تسمى هذه الفئة من الفرسان بـ "الخيالة الواقية"¹ ، والذي يحمل فيها الفارس الرمح والسيف والبعض يحمل القوس، أما الفئة الثانية من الفرسان تدعى "الخيالة الخفيفة" والتي تحمل النبال².

أما المشاة فقد كانوا مقسمين إلى فيالق عسكرية تتكون من 1200 جندي، ولهم دروع وسيوف طويلة ويلبسون الخوذة³، ويمكن تقسيمهم أيضا إلى صنفين: "المشاة الثقيلة" وهم من يلبس الدروع ويحملون الرماح والسيوف والتروس ويلبسون الخوذة على رؤوسهم⁴ ويسيروا في الصفوف الأولى في المعارك، والقسم الثاني "المشاة الخفيفة" الذين يحملون القوس الترس الصغير والرمح ويضعون الدروع على أبدانهم وأرجلهم والخوذة على الرأس .

كما كان يتكون الجيش البيزنطي ببلاد المغرب من عدد كبير من القبائل المورية والتي قد تصل من ستون إلى خمسة وسبعون بالمائة من العدد الإجمالي للجيش البيزنطي بالمغرب القديم، وكان ذلك مقابل اعتراف بيزنطا بسلطة الملوك المور الذين كانوا حلفاء لها، الأمر الذي تطلب أموالا كبيرة للتجنيد والحفاظ على السلم، وهو ما أدى إلى إفلاس الخزينة، وكذا عملية البناء الواسعة للمنشآت العسكرية التي كلفت الكثير⁵ .

كما تمّ الاعتماد على جنود مرتزقة من جنسيات مختلفة (هون، لومبارديون... وغيرهم) ، ويكون التجنيد بالتطوع أو بالاعتماد على المرتزقة الذين يحاربون تحت

¹ - الخيالة الواقية : عرفت هذه الفرق أول مرة عند الفرس، ثم المقدونيين الذين تبناوا هذا النمط ، ووجدت في الفترة الرومانية في عهد الإمبراطور هادريانوس 117-138م، كما استعملها سيفيروس الكسندر 222-235م في الحروب، وكانت الواقية تخص الفارس فقط في هذه الفترة . انظر :

- Smith W, A dictionary of Greek and roman Antiquité, London ,1875,p256.

² - دريسي س ، الجيش البيزنطي هيئاته ومكوناته، المرجع السابق، ص 55 .

³ - نفسه، ص 55 .

⁴ - رنسمان س ، الحضارة البيزنطية ، ص 170 .

⁵ - دريسي سليم، السياسة العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 178.

سلطة زعيمهم أو تحت سلطة قائد بيزنطي، وهو ما دفع البعض من المؤرخين إلى الاعتقاد والتفكير في أن هذا الأمر من بين أسباب ضعف الجيش البيزنطي في تحقيق أهدافه التوسعية الاستيطانية، لكون هؤلاء الجنود المرتزقة يفتقرون للثقافة والأصول والمبادئ البيزنطية، الأمر الذي يجعلهم يقاومون لأهداف مادية وأغراض شخصية دون الحرص على تحقيق أسباب الانتصار، وهو الأمر الذي أدى إلى الضعف، و نجد الكثير من هؤلاء كانوا مجندين في صفوف القائدين بليزاربوس وصولومون أثناء توسعاتهم في المناطق الداخلية لبلاد المغرب¹.

وقد أحدث الإمبراطور جوستينيان تغييرا في تنظيم الجيش البيزنطي، فنجد أن الفيالق العسكرية والوحدات المساعدة (Auxillia) والأجنحة (Alae) والكتيبة أصبحت غير موجودة في الجيش البيزنطي، واستبدلت بوحدات عسكرية جديدة سميت بالسرية (Numeri) تتكون من ثلاث مائة إلى خمس مائة جندي²، وقد قسم الإمبراطور الجيش إلى قسمين: جيش ثابت ويسمى **جيش الحدود**³ مهمته حراسة خطوط الليمس⁴، و جيش متحرك يسمى **جيش الرديف**⁵ يستقر في المدن الحضرية، يمثل الجيش الاحتياطي يدعم يدعم جيش الحدود عند الحاجة⁶.

- جيش الرديف - الجيش المتحرك - (Comitatenses) :

وهو الجيش المتحرك كان تحت قيادة قائد أركان الجيش أو تحت قادة ساميين تابعين لسلطة الدوق⁷، وكان يضم جيش الرديف كل المرتزقة الذين كان لهم دور كبير في الحرب

¹ - دريسي سليم ، الجيش البيزنطي هيئاته ومكوناته، مجلة دراسات تراثية، العدد الخامس، 2014، ص49 .

² - Chassin L M, bélisaire, généralissime byzantin 504-565, paris ,1957,p245.

³ - حرس الحدود Limitanei : هم مجموعة من الجنود لهم دور اقتصادي حيث كلفوا بزراعة الأراضي واستغلالها، خاصة الأراضي الواقعة على الحدود التي سيطر وتوسع عليها الاحتلال البيزنطي، ولهم مهمة أخرى وهي مهمة عسكرية تتمثل في الدفاع عن تلك الأراضي التي تمثل حدود السيطرة في نفس الوقت...انظر:

- بن حربيط م، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص181.

⁴ - Hédi S et Autres, op-cit, p389.

⁵ - Diehl Ch, 1896, P121.

⁶ - Ibid, p121.

⁷ - Georges T, op-cit,p564.

ضد الوندال، وكان تحت سلطة قائد أركان الجيش ما يقارب ألفين جندي من هذا الصنف، كذلك يوجد بجيش الرديف القوات الحالفة (Foederatii)¹.

ويمكن تقسيم جيش الرديف من حيث المهام الوظيفية في عهد الإمبراطور جوستينيان إلى ثلاث أقسام:

1/ المحاربون: سواء كانوا فرسانا أو مشاة، وكان الفرسان في الفترة البيزنطية يتم الاعتماد عليهم بشكل كبير في الحروب مقارنة بالمشاة، على عكس ما كان سائدا في الإمبراطورية الرومانية، التي كانت تعتمد على المشاة بصفة أكبر من الفرسان والتي كانت فئة قليلة في الجيش الروماني.

2/ الخدم: هم عناصر مهمتها خدمة الفرسان وكان لكل فرقة من الفرسان خدم خاص بها.²

3/ العمال: وهم الذين يصنعون الأدوات العسكرية فنجد النجار والحذاد وصانع الأسلحة، فكل واحد منهم يساهم في صنع الأدوات الحربية من عربات، سيوف... وغيرها.³

وفيما يخص العتاد الحربي البيزنطي فنجد عند الفرسان أدوات وأسلحة ثقيلة، ذلك للدور الذي تلعبه في الحروب وفي المهام المسندة إليها، فنجد الفارس مسلح بالسيف والترس والقوس والكنانة والرمح، أما الخيل فقد كانت على عاتق الفارس وهو من يسهر على تدريبه وتجهيزه للحروب، وكان كل فارس يملك اثنين من الخيول، أما المشاة فمنهم من يلبس الدروع ويحمل الرمح والسيف والترس وعلى رؤوسهم توجد خوذة، وهناك صنف آخر من المشاة أقل ثقلا من المشاة الأولى فهم يحملون الرمح والقوس والكنانة والترس الصغير.⁴

¹ - القوات الحالفة: أول من أسس هذا النمط من الجيوش، هو تيودوس Theodos، وهي كتائب تضم أجناس غير رومانية و من جنسيات مختلفة، تحارب تحت قيادة قادتها، استدعاهم تيودوس عند الضرورة ضد الأعداء الذين يقاتلون بنفس نمط قتال القوات المتحالفة، فنجدهم من الأقوام الجرمانية من قبائل هيرولية ولومباردية ومن أقوام من آسيا الصغرى ومن القوقاز ومن إفريقيا وسوريا وأرمينيا والفرس والقوط... الخ انظر:

- Diehl Ch , Justinien et la civilisation byzantine au VI siècle ,p146

² - دريسي س، الجيش البيزنطي هيئاته ومكوناته، المرجع السابق، ص56

³ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، ص166.

⁴ - نفسه، ص166-167

- قوات الحدود¹ (Limitanei) :

وهو الجيش المستقر في الحدود تحت قيادة الدوق، مهمة جيش الحدود حماية الأراضي التي سيطر عليها البيزنطيون في بلاد المغرب وحراسة خط الليمس والتدخل في الضرورة لمساعدة جيش الرديف خلال الهجمات المورية على المواقع والمدن البيزنطية². وقد تحصلت قوات الحدود على ملكيات وأراضي زراعية بجوار خط الليمس ومقابل ذلك يشترط عليهم التجنيد مدى الحياة، وينتقل الإرث من الآباء إلى الأبناء، و تكون هذه الأراضي معفاة من الضرائب، يفوق عدد قوات الحدود عدد قوات الرديف، وباعتماد الإمبراطور جوستينيان على قوات الحدود في إرساء الأمن العسكري والاقتصادي في المنطقة التابعة لها فقد مكنت هذه السياسة من إرساء الأمن دون الاستعانة بالجيش النظامي³.

كذلك ومن العناصر التي كان يتشكل منها الجيش البيزنطي، العنصر الوندالي الذي كان في جيش الملك الوندالي جليمار (Gélmaire) ، ودليل ذلك أنّ الإمبراطور جوستينيان قد أرسل خمسة سرايا من هذه العناصر إلى الشرق لضمان استقرار الحدود الشرقية وصد هجمات الفرس.

ولم تكن مهمة جيش الحدود مقتصرة فقط على الدفاع العسكري وإرساء الأمن بل كان له دورا آخر تمثل في التطور والنمو الاقتصادي، ذلك أنّ الجيش كان يستغل ملكياته بفلاحتها ويكون بذلك قد أدى دورين أمني واقتصادي⁴.

¹ - قوات الحدود : ظهر هذا النمط من الجيش لأول مرة في منتصف القرن الثاني للميلاد، وتم اعتماده في الفترة البيزنطية من طرف الإمبراطور انستازيوس 491-518م، في كامل مناطق الإمبراطورية البيزنطية، وقد اعتمد الإمبراطور جوستينيان على هذا النمط في بلاد المغربانظر :

- Diehl Ch, Marcais G,op-cit,p127.

² - Diehl, Ch, l'Afrique byzantine, p121

³ - دريسي س ، البيزنطيون في شمال إفريقيا ،المرجع السابق، ص180.

⁴ - دريسي س ، البيزنطيون في شمال إفريقيا ،المرجع السابق،ص159.

إضافة إلى ذلك فقد كان هناك من القبائل المورية من هو موال للسلطة البيزنطية، حيث تعاون الدوق مع رؤساء القبائل المورية وتم تجنيد عدد كبير منهم في الجيش البيزنطي، حيث شكل العنصر الموري الأغلبية في الجيش البيزنطي¹، ذلك للدور الكبير الذي تلعبه العناصر المورية في الحروب، نذكر على سبيل المثال: الملك كوتزينا (Coutzina) قائد العناصر القاطنة بالأوراس فقد تقلد سنة 548م وسام أرخون الموريين وقد ترأس فرقة عسكرية كبيرة تتألف من موريين وبيزنطيين².

وكانت هذه السياسة -سياسة تجنيد الموريين في الجيوش البيزنطية- سياسة قام بها في البداية القائد صولومون، حيث اعتمد عليهم كثيرا في إخماد الثورات المورية التي كانت في الأوراس، كما استعان بهم القائد جون تروقليتا³ (Jean Trogilita) ضد قبائل لواتة، كما تم الاعتماد عليهم أيضا في صد حملات المسلمين على بلاد المغرب القديم⁴.

لقد استطاع الإمبراطور جوستينيان أن يحقق الأمن والاستقرار في بلاد المغرب في فترات كثيرة من عهده، ذلك لسياسته العسكرية ضد الموريين والتحالف⁵ معهم وعدم إثارتهم، كما نظم الجيش تنظيما محكما وقسمه إلى جيش مستقر وآخر متحرك و عززه ببناء الحصون والقلاع ووضع بينها حاميات عسكرية في المناطق التي سيطر عليها الجيش البيزنطي، وبفضل هذه السياسة فقد حقق بعض من الأمن رغم الهجمات المورية المتكررة و التي لم تتوقف أبدا إلى غاية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

¹ - Hédi S et Autres, op-cit, p389.

² - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص159.

³ - جون تروقليتا: أحد أبرز القادة البيزنطيين يعرف بلاد المغرب تمام المعرفة لكونه كان قائد فصيلة من الفرسان البيزنطيين في الحملة التي قادها بليزار على المنطقة ضد الوندال، وقد برز كثيرا في هذه الحملة ومنحه على إثرها الإمبراطور جوستينيان صلاحيات هامة في إدارة الجيش البيزنطي، خاصة في الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، قاد عدة حملات في شرق بيزنطا ضد الفرس، وتقلد عدة مناصب مهمة حتى كسب رضا الإمبراطور وعينه حاكما عاما على بلاد المغرب بعد مقتل صولومون، وكلفه مهمة القضاء على الثورات المورية...انظر:

- De la Malle D, Afrique ancienne, éd Jacoba, 1842, paris, p97.

⁴ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص159-160.

⁵ - Diehl, Ch, l'Afrique byzantine, p137.

ب- القيادة العسكرية:

عمل الإمبراطور جوستينيان منذ بداية الاحتلال على محاولة السيطرة على الأوضاع الأمنية بعد القضاء على الوندال، وذلك من خلال إتباع إستراتيجية عسكرية تمثلت في توزيع وحدات الجيش البيزنطي في كامل بلاد المغرب، ووضع على رأسها قيادة قوية منها القائد الأعلى للجيش وقادة الولايات أو المقاطعات العسكرية وهم الادواق، ومحاولة استمالة قادة القبائل المورية، وفيما يلي لمحة عن أهم المناصب العسكرية البيزنطية للجيش البيزنطي في بلاد المغرب :

1- القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب (Magister Militum Africae) :

هو منصب حساس في بلاد المغرب، لأنه يمثل السلطة العسكرية الكبرى في المنطقة وفي الإمبراطورية البيزنطية، و كان مقرّ القائد الأعلى للجيش في العاصمة قرطاج، وله الاستقلالية التامة في تسيير الشؤون العسكرية في المقاطعات¹، ومهمته إحلال الأمن والاستقرار والحفاظ على المنشآت والبنىات العسكرية في المقاطعات²، حيث كان تحت سلطته كل الأدواق الأربعة الموجودين في بلاد المغرب، اللذين كان تحت سلطتهم الفرسان والمشاة والمرتزة³.

وأول ما وضع هذا المنصب (القائد الأعلى للجيش) في تاريخ المؤسسات الرومانية، كان في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين (Costantine)، حيث قام هذا الأخير بتقليص مهام الحاكم العام وتجريده من اختصاصاته العسكرية وإيجاد منصب القائد العسكري الأعلى الذي تولى الشؤون والمهام العسكرية التي كانت موكلة للحاكم العام في بلاد المغرب، وكان تحت سلطته أيضا قائدين عسكريين للجيش يعملان تحت سلطة الإمبراطور مباشرة مهمتهم التكفل بالشؤون العسكرية لعموم الإمبراطورية هما :

- القائد الأعلى للفرسان يشرف على كتائب الفرسان

¹ - Hédi S et Autres, op-cit, p389

² - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p49.

³ - Pyronton M, op-cit, p43.

- القائد الأعلى للمشاة يشرف على كتائب المشاة

وقد بلغ عدد القادة الكبار العسكريين في الإمبراطورية البيزنطية مع مطلع القرن الخامس ميلادي ثمانية قادة، ثلاثة في الغرب وخمسة في الشرق، الأمر الذي دفع بالإمبراطور جوستينيان عند وصوله للحكم التقليل من عدد القادة والحد من صلاحياتهم، لأنهم يتحكمون في مناطق شاسعة جدا، خصوصا القائد الأعلى للجيش في الشرق، حيث يتحكم هذا الأخير في المناطق الممتدة من المتوسط إلى الفرات ومن جبال أرمينيا إلى بلاد النوبة، وقد عين الإمبراطور جوستينيان قائد عسكري خاص بأرمينيا وآخر ببلاد ما بين النهرين، أما في الغرب فهناك قادة ثلاث في كل من إيطاليا إفريقيا إسبانيا¹.

أول من تقلد منصب القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب في فترة الاحتلال البيزنطي هو القائد صولومون² (Solomone) في عهد الإمبراطور جوستينيان³، ولم يكن بليزار أول من تقلد المنصب حسب بعض المؤرخين لأن مهمة هذا الأخير كانت قيادة الحملة ضد الوندال، وانتهت مهمته بنهاية الوندال والقضاء عليهم، لأن القائد بليزاريوس كان القائد الأعلى للجيش في الشرق، وبمجرد نجاح الحملة رجع إلى الشرق إلى بيزنطا وتم تعيين حاكم عام وهو صولومون⁴.

¹ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p49.

² - القائد صولومون solomone : نجهل أصوله الاجتماعية سوى أنه ولد بدارا Daras ، وكان له أخ اسمه باخوس Bacchus ، وهو أيضا لا نعرف عنه شيئا ، والظاهر انه لم يكن من أصول ارستقراطية في الإمبراطورية، ولكنه وصل إلى مرتبة عسكرية عليا نظرا لقوته وشجاعته وتحقيق النصر في المهام التي وكلها له بليزاريوس والإمبراطور جوستينيان، حيث كان قائد الأركان في حملة بليزار على الوندال سنة 533م ، ونصب قائد أعلي للجيش وحاكما عام على بلاد المغرب بعد مغادرة بليزار للمنطقة سنة 534م ، عرفت فترته الأولى ثورات كبيرة وقوية من القبائل المورية 534-536م تصدى للكثير منها على المناطق والمدن التي سيطر عليها، غادر بلاد المغرب بعد الانقلاب عليه ومحاولة اغتياله ليعود مرة أخرى سنة 539م، ودخل في كثير من الحروب والتي انتهت بموته سنة 544م بإحدى المعارك...انظر :

- Durliat J ,les dédicaces d'ouvrage de défense dans l'Afrique byzantine, éd école française de Rome, Rome,1981,p8-9.

³ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p49.

⁴ - بن حرييط م،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي،المرجع السابق،ص187

لكنَّ السؤال المطروح: هل عرفت بلاد المغرب هذا المنصب أم لا ؟ و إن وجد هذا المنصب هل كان مع بداية الحملة وفي السنوات الأولى من الاحتلال البيزنطي للمنطقة أم كان فيما بعد ؟

حسب دورليا (Durliat) فان منصب القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب منصب مستحدث ولم يكن موجودا قبل سنة 570م¹ أي في فترة الإمبراطور جوستينيان، وهو ما يذهب إليه دريسي سليم أيضا حسب الكتابات الموجودة في عين القصر وخنشلة، والتي تذكر أنَّ القائد غيناديوس (Ghinadius) كان قائدا لأركان الجيش في الفترة الممتدة ما بين 578-582م²، وهو أول من تقلد هذا المنصب في بلاد المغرب³، ما يدل على أنَّ هذا المنصب لم يكن موجودا في فترة حكم الإمبراطور جوستينيان .

وحسب مارتيندال (Martindale John) أن هذا المنصب كان موجود سنة 546م بداية من القائد أرتابان⁴ (Artabane) ، أما شارل ديل (Dhiel Ch)⁵ فيقرَّ أنَّ أول من تقلد هذا المنصب في بلاد المغرب هو القائد صولومون الذي خلف بليزار مباشرة بعد نجاح الحملة على الوندال سنة 534م⁶، ويمكن أن يكون صولومون تقلد المسؤوليتين الإدارية والعسكرية في آن واحد خاصة عندما تكون الأوضاع الأمنية متوترة⁷.

وهناك من يذكر أنَّ أول من تقلد هذا المنصب في بلاد المغرب هو القائد بليزاربوس⁸ ، لكن هذه الفكرة مستبعد جدا لأن هذا الأخير كان قائدا أعلى لجيوش الشرق ومهمته في بلاد المغرب تنتهي بالقضاء على الوندال، ليرجع بعد ذلك إلى منصبه في الشرق وقيادة الجيوش في الإمبراطورية البيزنطية .

¹ - Durlit, Magister Militum, p307-313.

² - دريسي س، الجيش البيزنطي هيئاته ومكوناته، المرجع السابق، ص74

³ - Constantin Z, op-cit, p170.

⁴ - Ibid, p170.

⁵ - Diehl Ch, l' Afrique byzantine, p122.

⁶ - Benabbès M, l' Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p49.

⁷ - دريسي س، الجيش البيزنطي هيئاته ومكوناته، المرجع السابق، ص75

⁸ - Constantin Z, op-cit, 170.

و ما يمكن قوله في هذا الجانب أن المصادر الكلاسيكية المتوفرة بين أيدينا لم تكن دليلا قويا على وجود منصب القائد الأعلى للجيش ببلاد المغرب، الذي يعتبر المنسق العام لإدارة الجيش والمشرف على سياسة الأدواق العسكريين في المنطقة وفي الولايات التابعين لها، وأمام الظروف الصعبة وكثرة الحروب المورية كان الإمبراطور جوستينيان يرسل بعض القادة العسكريين للقيام بمهمة محددة، أو إخماد الثورات والقضاء عليها وهو ما نجده مع القائد جون تروكيليتا (Jean Trokilita) وأرتبان (Artabane) وغيرهم¹، ثم يرجع بعد ذلك إلى منصبه في الإمبراطورية في الشرق.

وقد توكل المهام العسكرية للحاكم العام، كما كان في عهد القائد صولومون، فقد جمع هذا الأخير بين السلطتين الإدارية والعسكرية حيث لم يكن لهؤلاء القادة جيشا يرأسونه ويسهرون على تسييره، فقد كانوا يعتمدون على الكتائب والفرق العسكرية التي كانت تصلهم من الشرق من طرف الإمبراطور من حين لآخر ويعتمدون على الفيالق المرابطة في الولايات تحت إشراف الدوق .

كما نجد في المصادر الأثرية خاصة في الإهداءات التي تم العثور عليها في المنشآت الدفاعية، التي تذكر القائد صولومون بألقاب مختلفة فنجده يلقب تارة بالقائد العسكري (Magister Militum)، وهو ما أظهرته النقيشة التي تم العثور عليها في مدينة تبسة، كما ورد اسم القائد صولومون في النقيشة التي تؤرخ لإنشاء سور في قصر بغاي في عهد صولومون، حيث نجده بألقاب أخرى مختلفة مثل : قنصل وحاكم وقائد عسكري، مثل ما ورد في المصادر : « كمل إنشاءه (السور) على عهد حاكمينا التقيين يوستينيان وتيودورا الأجلاء الخالدين تحت رعاية صولومون القائد الأعلى العسكري القنصل سابقا والي إفريقيا الباتريسي patressi »² .

¹ Constantin Z, op-cit, p171.

² - بن حريبط م ع ،شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي،المرجع السابق،ص190-191.

- مهام القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب :

إذا تمعنا في المهام التي وكّلت للقائد بليزاريوس في الشرق، نجد أنّ القائد الأعلى للجيش البيزنطي له صلاحيات عسكرية مهمة وكبيرة في بلاد المغرب، فهو القائد الأعلى للجيش في المقاطعة والقائد الأعلى للأدواق في الولايات التابعين لها¹، ويرجع له دوق الولايات في كل الأمور الخاصة بالأمن والجيش، وله مهمة إبلاغ قادة المقاطعات العسكريين بمختلف قرارات ومراسيم الإمبراطور، وله مهمة تحديد الحاميات والحصون والقلاع على الحدود، وكذا تحديد المواقع التي تحتاج إلى ترميم².

والواضح أنّ القائد الأعلى للجيش يتم تعيينه مباشرة من طرف الإمبراطور البيزنطي وكان مقره الرسمي منذ احتلال بلاد المغرب هو نفس مقر الحاكم المدني العام أي في العاصمة قرطاج، حيث يتم التعاون بين الحاكمين المدني والعسكري لأن مهمة الطرفين تقتضي حفظ الأمن والسلم في المقاطعة³.

-2- منصب الدوق Duc :

نجد في المرسوم الذي بعث به الإمبراطور جوستينيان بعد استكمال القضاء على الوندال ومطاردتهم، أنه أمر بتعيين دوقا على رأس كل ولاية وعين لهم مقرات لإقامتهم، حيث جعل مقر دوق طرابلس في لبدة الكبرى، وعين دوقا على ولاية البيزاكينا وجعل مقره تارة في قفصة وتارة في تيلبت (المدينة القديمة) الواقعة جنوب الولاية، وجعل مقر دوق نوميديا في سيرتا و مقر دوق موريطانيا في قيصارية، إضافة إلى الدوق المعين في جزيرة سردينيا .

¹ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p49

² - بن حرييط م ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص 194-195

³ - التاجوري م م، المرجع السابق، ص 264.

كما تمّ وضع قائد عسكري يشرف على حصن سبتة والأسطول الراسي في شواطئها، وذلك بهدف مراقبة مضيق جبل طارق، حيث كان هذا القائد تابع إداريا لسلطة دوق موريطانيا¹.

- مهام الدوق Duc :

يعين الدوق من طرف الإمبراطور أو من طرف القائد الأعلى للجيش بعد موافقة الإمبراطور²، وهو منصب راق في الجيش وله مكانة مرموقة عند الإمبراطور، وسلطته تشمل كل الفيالق والوحدات والحاميات العسكرية في الولاية التابعة له، وهو القائد الأعلى للجيش في ولايته³، وله سلطة على كل من الجيش المتحرك⁴ (Comitatus) أو الجيش المكلف بحراسة الحدود (Limitanei)⁵.

وقد حدد الإمبراطور جوستينيان مهام الدوق في المرسوم الذي بعث به إلى بليزاريوس، حيث اقتصرتهم مهمتهم في الدفاع عن الولاية التي عينوا فيها⁶، وحماية السكان وممتلكاتهم ومد الحدود إلى الجنوب والداخل، والسعي للوصول إلى الحدود الرومانية القديمة، أي إلى خط الليمس الروماني، وأمرهم بالرجوع إلى القائد الأعلى للجيش الذي كان مقره في قرطاج في كل ما يتعلق بالمتطلبات الضرورية من ترميم للحصون أو إعادة بناء الأسوار التي هدمت من أجل إحكام السيطرة، ومنحهم حرية التصرف والتعامل مع القبائل المورية لإحلال الأمن و السلم⁷.

نفهم من المرسوم أنّ الدوق كان المسؤول الأول على العلاقة بين الحاكم البيزنطي و القبائل المورية المجاورة، كما أن له صلاحية النظر في بعض القضايا القضائية المرتبطة

¹ - Duval N, l'Afrique dans l'empire byzantin Anciennes et nouvelles perspectives, Tunisie du christianisme à l'islam IV-XIV siècle, lattes, 2002, p40.

² -Goubert P, Byzance avant l'islam, II, paris, 1965, p202

³ - Diehl ch, l'Afrique byzantine,op-cit,p127

⁴ - Georges T, op-cit, p564

⁵ - Bréhier L, le monde byzantin .les institution de l'empire byzantin, paris, 1949, p339.

⁶ - Bréhier, op-cit, p339.

⁷ - دريسي س ، الجيش البيزنطي هيئاته ومكوناته،المرجع السابق،ص54

بالجيش، كما كان له مجموعة من الضباط الموجودين على رأس الكتائب المكلفة بحراسة الحدود يساعده في تسيير الولاية واستتاب الأمن فيها¹.

وقد وسّعت مهام الدوق في عهد موريس في ظل نظام الأرخونية، حيث امتدت سلطته إلى السلطة المدنية والتي هي سلطة الحاكم المدني، فقد أصبح يتدخل في الأمور المالية والعدالة ويعمل على جمع وجباية الضرائب المستحقة من السكان والقبائل، وله سلطة دفع رواتب الفرق العسكرية في المقاطعات².

ويمكن القول أنّ سلطة وإدارة الدوق كانت تعادل أو تفوق إدارة حكام الولايات³، خاصة في فترات الحروب، للأهمية التي أولاها الإمبراطور جوستينيان بالجانب العسكري، وذلك فيما يخص التركيبة الإدارية للمؤسسات العسكرية أو في عدد العاملين فيها، حيث استمر هذا التنظيم إلى غاية عهد موريس الذي استحدث نظام الأرخونية والذي أصبح فيه الحاكم المدني للمقاطعة يخضع للحاكم العسكري ولحكم الدوق⁴.

ج- الفوضى العسكرية في الجيش البيزنطي :

أدى مقتل جنديين من قبيلة الماساقيتا الهونية في الجيش البيزنطي من طرف القائد بليزاربوس بسبب إفراطهما في شرب الخمر إلى إثارة بلبلة كبيرة في الجيش البيزنطي، و أدى بعائلة وأصدقاء الجنديين إلى التمرد على السلطة البيزنطية وأعلنوا انحلال الحلف الذي كان يجمعهم بها، الأمر الذي أدى إلى انشقاق كبير في صفوف الجيش البيزنطي، وقد وجدت السلطة البيزنطية صعوبات كبيرة في التحكم في الوضع خاصة وأن الجيش يتألف من أجناس وقبائل مختلفة، الأمر الذي أدى إلى عدم الانضباط في العمل⁵.

¹ - بن حريط م ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص 196-197.

² - Mansouri T, les institutions de l'Afrique byzantin, mémoire de certificat d'aptitude de la recherche, Tunis, 1982, p30.

³ - Constantin Z, op-cit, p172.

⁴ - دريسي س، الجيش البيزنطي هيئاته ومكوناته، المرجع السابق، ص 70.

⁵ - التاجوري م م، المرجع السابق، ص 283.

ومن أكثر المهام في بلاد المغرب التي واجهت قائد الجيش البيزنطي بليزاريوس، هو الثورات المورية والتي كان من أشدها ثورة الاوراس بقيادة ابداس في نوميديا، و ثورة الفراكسيس في البيزاكينا بقيادة انتالاس، وهي من أقوى الثورات أيضا التي اندلعت في المنطقة بعد رجوع بليزاريوس إلى بيزنطا¹.

كذلك التمرد الذي حدث في الجيش البيزنطي، الذي قاده ستوتزاس (Stotzas) سنة 536م، فقد انضمت إليه وإلى الانقلاب الذي قام به كل الفئات الناقمة والساخطة على السياسة البيزنطية، من البيزنطيين أنفسهم ومن بقايا الوندال في بلاد المغرب والقبائل المورية المعادية للاحتلال²، منها القائد الموري أنتالاس قائد الفراكسيس، وقد استطاع القائد البيزنطي المتمرد ستوتزاس محاصرة العاصمة قرطاج، وجمع حوالي تسعة آلاف من الجنود، الأمر الذي أجبر بليزار على الرجوع إلى بلاد المغرب والقضاء على الانقلاب الذي قام به ستوتزاس بعد فشل صولومون في القضاء على هذا الانقلاب العسكري.

كذلك ظهر تمرد آخر قاده القائد البيزنطي ماكسيميان (Maximien) وكان هذا الانقلاب في فترة حكم جيرمانوس لكنه فشل هو الآخر وتم القضاء عليه .

ومن بين الصعوبات أيضا التي واجهت الجيوش البيزنطية في بلاد المغرب، الصراع الديني بين الوندال الأريوسيين الذين أصبحوا جنودا في الجيش البيزنطي وسياسة التسامح الديني التي لم تظهر في الواقع، الأمر الذي دفع بهؤلاء إلى المطالبة بالمساواة مع البيزنطيين، واغتنموا الظروف العسكرية الصعبة وثورات القبائل المورية وتم لم شملهم وانضموا الى هذه الحروب في حرب واحدة عرفت في التاريخ القديم بالحرب المورية الكبرى 544-548م³.

¹ - Georges T, op-cit, p569-570.

² - Georges T, op-cit, p569.

³ - التاجوري م م ،المرجع السابق،ص285-286.

IV. النظام العسكري البيزنطي في عهد خلفاء جوستينيان :

إذا وقفنا على الأوضاع الأمنية التي آلت إليها بلاد المغرب بعد جوستينيان أي بعد سنة 565م ، نجد أنها عرفت اضطرابات وصراعات وحروب في البحر المتوسط وفي المناطق التابعة لبيزنطا في عهد كل من الإمبراطورين جوستان الثاني (Justin II 565-578م) و تيبيريوس (Tébirus 578-582م) ، وهو الأمر الذي سيدفع فيما بعد بالإمبراطور موريس إلى إحداث تغييرات سياسية وإدارية في بلاد المغرب مع وصوله إلى حكم الإمبراطورية البيزنطية، فنجد مثلا أن اللومبارديين في ايطاليا قد زحفوا على المناطق التي كانت سحت سلطة بيزنطا، كما نجد كثرة الثورات المورية في المغرب وثورات في آسيا والدانوب، أي أن كل المناطق التي خضعت في عهد جوستينيان ثارت وبدأت تقاوم السياسة البيزنطية بعد وفاة الإمبراطور جوستينيان سنة 565م¹ .

حيث نجد في سنة 563م اندلاع ثورة عارمة في نوميديا بزعامة أبناء الملك النوميدي كوتزينا (Cotzinas) انتقاما لمقتل والدهم الذي قتل بقرطاج من طرف القائد البيزنطي روكاتينوس (Regathinos)، بعد أن طالب براتب سنوي والذي كانت تمنحه إياه بيزنطا في عهد جوستينيان جزاء الخدمات التي كان يقدمها لها .

كما تم في حدود سنوات 569م-570-571م اغتيال ثلاث قادة عسكريين كبار بيزنطيين (تيودور (Théodore) وتيوكتيستوس (Theoctistos) و امابيليس (Amabilis)) على يد الملوك المور ، وهي الأحداث الأصعب في عهد موريس والتي حثمت عليه إعادة تنظيم بلاد المغرب إداريا وعسكريا في المناطق التي بقيت تحت سيطرته .

و من أهم الأعمال التي قام بها الإمبراطور موريس هو الجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية في منصب واحد، وهو منصب الإكسرخس أو الأرخون² Exarque ، حيث

¹ - بن حرييطم، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص198.

² - Benabbè M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit,p50

نجد هذا اللقب في مراسلات البابا قريقوار الأكبر فقد لُقّب جيناديوس (Ginadius) بأكسرخس أو أرخون إفريقيا وقد يكون أول من تقلد هذا المنصب¹، حيث طُلب منه سنة 591م بضرورة التدخل لمنع دوق سردينيا تيودور (Théodore) من اضطهاد رجال الدين وفقراء مدينة تورس (Turris)، كما لقبه ب: القائد العسكري الأعلى²، وأصبح بذلك القائد الأعلى للجيش في بلاد المغرب يحمل لقب الأرخون وله كل الصلاحيات العسكرية والمدنية في آن واحد، وأصبح بذلك الحاكم العام لبلاد المغرب تابع إداريا لسلطة الأرخون وليس للإمبراطور كما كان سابقا³.

V. منصب الإكسرخس/ الأرخون (Exarchat) في المغرب القديم :

ظهر في بلاد المغرب منصب جديد مع نهاية القرن السادس الميلادي، وهو منصب يساعد والي البرايطور أو الحاكم العام (Préfet de Prétoire) حتى وإن كان منصب الحاكم العام رتبة مهمة وعالية في الترتيب الإداري البيزنطي ببلاد المغرب، إلا أنه أوجد إلى جانبه منصبا جديدا وهو: منصب الأرخون (Exarque) حيث أصبح هذا المنصب فيما بعد أعلى من رتبة والي البرايطور، والسؤال الذي يمكن طرحه هل وجد فعلا هذا المنصب في بلاد المغرب؟ وفيما تتمثل وظيفة ومهام الأرخون؟ وما هي اختصاصاته يا ترى؟

حيث إننا نجهد بالتحديد تاريخ إنشاء منصب الأرخون في المغرب القديم، الذي جمع بين السلطتين المدنية والعسكرية⁴، وربما أوجده الإمبراطور موريس سنة 584م⁵ للتخلص من البيروقراطية التي انتشرت في أوساط سابقه، فعمل على انتشارها وإصلاح ما فسد في بلاد المغرب، أما المناصب الإدارية الأخرى ومنها مهام الولاية أو حكام المقاطعات فقد

¹ - Constantin Z, op-cit,p172

² - بن حرييط م ع ، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي،المرجع السابق،ص198-199.

³ - Goubert P, Op-cit, p199.

⁴ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p50.

⁵ - دريسي سليم، السياسة العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا،المرجع السابق،ص180.

أبقى عليها كما كانت في عهد سابقه، وكانوا تابعين مباشرة للأرخون بدل الحاكم العام¹. كما نستنتج من الرسالة التي بعث بها البابا قرقوري الكبير (Grégoire le Grand) سنة 591م إلى جيناديوس² (Ghennadius) القائد الأعلى للجيش ببلاد المغرب، وقد حملت اسم إكسرخس إفريقيا (Exarchus Africae)، الأمر الذي يوحي بوجود هذا المنصب في بلاد المغرب، غير أنه و إلى غاية سنة 585م كان منصب القائد الأعلى للجيش موجودا ببلاد المغرب (Maitre des Milices d'Afrique)، وهو ما يؤكد أن منصب الأرخون لم يكن موجودا قبل هذا التاريخ، وقد تم إنشائه في ما بين 585م و 591م³.

كان للأرخون في بلاد المغرب طابع عسكري دون الطابع المدني في بداية الأمر، وبمرور الوقت أصبح الحاكم العام تابع مباشرة للأرخون وليس للإمبراطور البيزنطي، وأصبحت سلطة الأرخون تشمل السلطتين المدنية والعسكرية، و أصبح الأرخون عبارة عن ممثل أو نائب الإمبراطور في بلاد المغرب، والممثل المباشر للإمبراطورية البيزنطية في المنطقة، مقره في العاصمة قرطاج⁴، وأصبح بذلك القائد الأعلى للجيش البيزنطي، كما كانت له سلطة دينية وله صلاحيات كثيرة في حل النزاعات الدينية بين رجال الدين، وله سلطة الرقابة على القساوسة، و توسعت سلطته إلى أن شملت كل الميادين، حيث نجد في سنة 602م اندلعت ثورة أهلية في بيزنطا في عهد الإمبراطور فوكاس (Focas) وكان هيرقليس (Héraclis) أرخونا على بلاد المغرب حيث وصل هذا الأخير إلى حكم الإمبراطورية وأصبح إمبراطور بيزنطا بعد وفاة الإمبراطور فوكاس سنة 610م⁵.

الأمر الذي يوحي بأن الأرخون يحتل مكانة كبيرة عند الإمبراطور وفي السلم الإداري البيزنطي، فهو الممثل الرسمي والمباشر للإمبراطور في المقاطعة التابعة له، حيث وصف

¹ - بن حريظ م ع، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، المرجع السابق، ص200-201.

² - Constantin Z, op-cit, p172

³ - Benabbès M, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, op-cit, p50.

⁴ - Ibid, p50-51.

⁵ - التازي م س، المرجع السابق، ص231

بجميع الألقاب الكبيرة مثل: العظمة والفخامة، وهي نفسها التي كان يلقب بها الحاكم العام في بلاد المغرب، الأمر الذي يبين ويؤكد مكانته الاجتماعية وسلطته الواسعة، فهو المسؤول عن الجانب المالي والمشرف على الخدمات العامة¹، ويتلقى مراسيم ومراسلات الإمبراطور و يعمل على تنفيذها .

كما كان للأرخون سلطة تعيين الموظفين الإداريين والعسكريين ورجال الدين، وهو الذي يقود الجيوش في الحروب² إذا اقتضى الأمر ، وله مساعدين خاصين، كما يحدد مقدار الأراضي التي يجب على الجنود زراعتها، وله مهمة التفاوض مع القبائل الثائرة و سلطة مراجعة الأحكام القضائية ورئاسة الجلسات، وهو المسؤول على عملية فرض الضرائب وجبايتها، وله سلطة مراقبة صلاحيات الولاة، كما يعتبر حامي الديانة المسيحية والمدافع عنها أمام المذاهب الأخرى³ ، وأول من تقلد هذا المنصب في بلاد المغرب هو الأرخون غيناديوس(Ghinadus)⁴ .

VI. المنشآت العسكرية (الهيكل الدفاعية) البيزنطية في بلاد المغرب :

مع استقرار الأوضاع الأمنية بين الحين والآخر في بلاد المغرب القديم والتوسعات التي قام بها صولومون وبعده جون تروقيليتا، شرعت الإدارة العسكرية البيزنطية في إقامة التحصينات والأسوار في المدن والمقاطعات التي تم السيطرة عليها، وذلك بهدف صد الهجمات الكثيرة والمتكررة التي كان يقوم بها زعماء القبائل المورية⁵ .

و لإقامة التحصينات والأسوار تم استعمال حجارة المنشآت الرومانية القديمة خاصة التي كانت في المنشآت الدينية من المعابد والطرق والمسارح لبناء الأبراج وحصون المراقبة والأسوار، وهو ما يؤكد شارل ديبل حيث تم ذلك في كل من تبسة وتلابت ومداوروش وتيمقاد وسطيف وحيدرة، كما تم استعمال قوس النصر الذي كان في حيدرة

¹ - Benabbès M, l' Afrique byzantine face à la conquête arabe,op-cit,p52

² - دريسي س،الجيش البيزنطي هيئاته ومكوناته،المرجع السابق،ص75.

³ - بن حرييط م ع ، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي،المرجع السابق،ص198-199.

⁴ - Constantin Z, op-cit, p172

⁵ - Hédi S et Autres,op-cit,p389.

ومصرح تبسة ومداوروش¹، الأمر الذي يجعلنا نعتقد ونؤكد فكرة أن المسؤول الأول و المباشر على تخريب المنشآت الرومانية وتهديمها في بلاد المغرب هم البيزنطيين وليس الوندال ولا القبائل المورية كما يزعم الكثير من المؤرخين الغربيين .

وقد قام صولومون القائد العسكري ببناء الكثير من القلاع والحصون على طول أقاليم المغرب، وفي المناطق التي استطاع إخضاعها، حيث أنشأ مجموعة من القلاع و الحصون على طول الطريق الرابط بين قرطاج وسيرتا، وبين قرطاج وقابس وقرطاج وتبسة ليسهل عملية الانتقال والاتصال بين المناطق²، وكذا حماية المدن البيزنطية من هجمات القبائل الأوراسية، ومن بين أهم القلاع التي تم بنائها في نوميديا القلعة البيزنطية في تيمقاد، وهي كانت بمثابة الملاذ والملجأ والحصن الحصين للجيش البيزنطية من هجمات القبائل الاوراسية³ .

ويرى كومب(Camps) في ذلك أن فترة الاحتلال الوندالي والبيزنطي لبلاد المغرب لم تكن سوى مرحلة انتقالية في تاريخ المنطقة، وهي المرحلة التي استطاعت فيها الممالك والقبائل المورية إقامة وتكوين ممالك مستقلة، في حين كانت الفترة البيزنطية فقط فترة بناء القلاع والحصون وإعادة ترميم وإحياء بعض المدن الرومانية القديمة⁴ .

ومن المنشآت العسكرية البيزنطية ببلاد المغرب القديم نجد:

1. المدن المحصنة (Civitates):

كانت تحيط بالمدن المحصنة⁵ أسوار عالية وبها مدخل محروس بشكل جيد، وسكانها من أصل روماني أو من الرعايا الرومان، حرفتهم الزراعة والنشاط الحرفي، تخضع للنظام

¹ - Hugnot Ch, op-cit, p227.

² - Hédi S et Autres, op-cit, p394.

³ - Jean Lassus, la forteresse byzantine de thamaugadi, centre nationale de recherche scientifique, paris, 1981.P33.

⁴ -Gabriel Camps, les berbères mémoires et identité, éd Barzakh, Alger, 2011.

⁵ - يقسم المؤرخين المدن المحصنة إلى ثلاث أنماط : مدن كبيرة مثل: (قرطاج، شرشال) ومساحتها تفوق 350 هكتار، و مدن متوسطة مثل: (طرابلس، سيرتا، صبراتة) وتتراوح مساحتها ما بين 25 و50 هكتار، ومدن صغيرة مثل: (بغاي، تبسة ، شوبا (زيامة منصورية)) تتراوح مساحتها ما بين 03 و 10 هكتارانظر:

الإداري الروماني، كما يقيم في هذه المدن المحصنة أيضا الجنود البيزنطيون الذين يحرسون المدينة والإقليم التابعين له، تلعب هذه المدن دور الملجأ للريفين إذا ما تعرضوا لهجمات المور¹.

تُبرز الشواهد الأثرية سبعة عشر (17) مدينة محصنة بأسوار، وتعتبر بذلك مُدنا محصنة، تتجاوز مساحتها ثلاث هكتارات، وتنقسم هذه المدن إلى قسمين: قسم مدني يمارسون فيه الحياة الاجتماعية بصفة طبيعية وعادية، وتوجد في هذه المدن كنائس، وساحة عامة وأسواق... وغيرها من المرافق العامة، أما الجنود فيسكنون في الحاميات العسكرية والتي يوجد بها حمامات ومطابخ ومخازن ومؤن الذخيرة وإسطبلات الخيول وكنيسة، أي أن مهمة الجندي في المدن المحصنة تقتصر على أمن وحماية المدينة من أي خطر خارجي قد يهددها خاصة من طرف القبائل المورية²، وتلعب المدن المحصنة دورين عسكري ومدني، يدخل ضمن هذا الصنف كل المدن المحصنة وبعض المراكز العسكرية كحيدرة وتيفاش وهنشير سببية³.

ومن المنشآت العسكرية البيزنطية في البروقنصلية نجد قلعة أو حصن حيدرة الذي بناه القائد صولومون بأمر من الإمبراطور جوستينيان، وهو من المنشآت التي مازالت تحافظ على هيأتها البيزنطية، وهي من المشاريع الضخمة التي أنشأها جوستينيان في بلاد المغرب، الهدف منها هو إحكام السيطرة في المقاطعة ومحاربة كل الثورات الداخلية، وقد قام بدراسة حصن حيدرة كل من شارل ديل وبرينغل ودورليا ودوفال.... الخ، وتقرر أن

- Gsell S, les monuments antiques de l'Algérie, t II, paris, 1901, p349

¹ - شنيبي م.ب، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص419.

² - حاجي ي ر، المرجع السابق، ص61.

³ - دريسي سليم، السياسة العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا، المرجع السابق، ص187

الهدف من ذلك هو حماية المدينة من الأخطار الداخلية و الخارجية التي تهدد مقاطعة البروقنصلية¹.

2. المراكز العسكرية (Castras):

و هي مراكز تضم فقط الجنود البيزنطيين، وهي منشآت دفاعية مهمتها حراسة المدن المفتوحة تقدر مساحتها ما بين 1.5 إلى 3 هكتارات، شيدت في المناطق المنعزلة والإستراتيجية أو في المراكز الحضرية حتى تتمكن من رد هجمات القبائل المورية²، فهي عبارة عن ثكنات عسكرية يعسكر فيها الجنود ويخضعون فيها لنظام الهيئة العسكرية، ويمكن إدماج المراكز العسكرية في هذا الصنف وكذا القلاع المحصنة، من أمثلة ذلك: قلعة عين تونقة و زرايا و قصر سباحي و قصر لمسة و عين الحجل و عين توبورنوق وقاستال...الخ، و هي مراكز تحتوي على فرق عسكرية دائمة³.

3. القلاع المحصنة (Castellas):

هي قلاع تقام في المواقع الإستراتيجية، تكون شديدة التحصين⁴، ذات مخطط عسكري منتظم، تكون في الغالب مستطيلة الشكل و في زواياها أبراج المراقبة، وفي أحد الأبراج توجد البوابة الرئيسية، يقتصر دورها على حراسة السهول الكبرى، وهي مبنية خصيصا للدفاع العسكري، تسكنها حامية من الجيش⁵.

¹ -Francois Baratte, Fathi Bejaoui, les fortification byzantines d'amaedara, actes de la 5^{eme} journée d'études nord-africaines, éd académie des inscription et belles-lettres, paris, 2012, p176-177.

² - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص266.

³ - دريسي سليم، السياسة العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا، المرجع السابق، ص187.

⁴ - شنيتي م.ب، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص423

⁵ - حاجي ي ر، 2002م، التحصينات الدفاعية البيزنطية في شمال إفريقيا، رسالة ماجستير، العراق، ص62

تقدر مساحة القلاع من نصف هكتار إلى هكتار ونصف¹، وقد تحتوي على سرية أو سريتين من الجنود، من نماذج ذلك: القلعة المحصنة بتيمقاد كنموذج لهذا النمط من المنشآت العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب².

4. القليع :

تكون القليع عادة مربعة الشكل، بها أبراج في الزوايا، نجدها بكثرة في بلاد المغرب ، كانت ذات إتقان عالي في البناء، ويبدو أنها بنيت بسرعة والغرض منها كان عسكري بالدرجة الأولى لضمان الأمن والاستقرار في المناطق التي تم اخضاعها³.

5. الأبراج /المحارس (Burgis) :

تقام الأبراج أو المحارس بين المدن والقلاع، وهي صغيرة الحجم، الهدف منها هو المراقبة والحراسة ، تقام فوق التلال الطبيعية وفي المناطق المرتفعة، حتى يتسنى لها مراقبة كل المناطق التابعة لها، ومراقبة أي هجمات قد تحدث قبل الاقتراب إلى المدن لاتخاذ التدابير اللازمة، تقام الأبراج أو المحارس عادة في تخوم الممالك والمقاطعات، أو عند مفترق الطرق المهمة، وتكون في وسط المواقع الدفاعية، لتكون بذلك مهمة الأبراج استلام وإرسال المعلومات والإنذارات والأخبار وتوزيعها عبر المواقع الدفاعية القريبة منها⁴.

كانت الأبراج أو المحارس تلعب دور مهم في الاستقرار والأمن، فهي بمثابة الخط الدفاعي المتقدم للقلاع والحصون والمعسكرات، ويمكن القول أنها كانت عبارة عن أقواس مجاورة للمدينة أو مدمجة في أسوار المدينة، أما عن بنائها فهناك من تم بنائه من طرف السكان المحليين ومنها من بنتها السلطة البيزنطية بحيث يصعب التمييز بينهما⁵.

¹ - Duval N, la Maurétanie sétifienne à l'époque byzantine, Latomus,t 29,1980,p189

² - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص269.

³ - نفسه، ص273.

⁴ - شنييتي م.ب، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص423.

⁵ - حاجي ي ر ، المرجع السابق، ص65.

تكون الأبراج عادة مربعة الشكل، تتراوح مساحتها ما بين عشرة إلى عشرون متر في كل جانب¹، ونجدها تتقدم المدن المحصنة والمراكز العسكرية، تم العثور على نماذج منها في كل من: حيدرة ومكثر وضواحي تبسة².

6. الحواجز (Clisurae):

وهي عبارة عن أسوار أو خنادق، كان الهدف منها منع السكان المحليين من اجتياز مسالك غير مراقبة أو غير محروسة بمنشآت عسكرية³.

ويمكن تقسيم المنشآت العسكرية إلى ثلاثة أنماط:

النمط الأول: يحتوي على كل المنشآت التي تخدم الجانب العسكري والمدني مثل: المدن المحصنة والمراكز العسكرية.

النمط الثاني: يحتوي على المنشآت الخاصة بالجنود فقط مثل: القلاع و القليع.

النمط الثالث: فهي المنشآت النابعة من الإرادة الشخصية للسكان، حيث تم تشييد مثل هذه الأعمال من قبل الإدارة البيزنطية، فنجد مثلا: الأبراج والملاجئ تكون في نقاط مختلفة، وكانت في معظمها بمبادرة السكان أي أن السكان هم من قام بتشبيدها لتكون كحواجز للمراقبة، يتمثل دورها في التبليغ إذا حدث هجوم معين أو تكون كملاجئ في حالة الحرب⁴.

وقد تم العثور على نقيشة إهدائية بمدينة ميلة قام بدراستها كل من قرال (Gsell) وديزانج (Désanges)، تبين أن المدينة تحوي سور وهو سور بيزنطي تم إنشائه في عهد الإمبراطور جوستينيان و يحمل اسم الإمبراطور، ويعتقد أن هذا السور تم بناءه

¹ - Duval N, la Maurétanie sétifienne à l'époque byzantine, op-cit, p191.

² - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص274.

³ - شنيبي م.ب، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص423.

⁴ - دريسي س، البيزنطيون في شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص275-276.

ما بين 539-544م أي من طرف القائد صولومون لأن الإهداء أيضا يحمل اسم القائد البيزنطي صولومون¹.

مما سبق يمكن القول أن السياسة العسكرية البيزنطية نجحت إلى حد كبير في إرساء الأمن والاستقرار في المقاطعات التي سيطرت عليها، و يعود ذلك إلى الإستراتيجية العسكرية التي أقرها الإمبراطور جوستينيان رغم التكاليف المالية والبشرية التي كلفت الإمبراطورية البيزنطية .

كما أن نجاح الإدارة العسكرية في بلاد المغرب، كان بسبب اعتمادها على الإستراتيجية العسكرية الرومانية القديمة، والاعتماد على مختلف الطرق البرية والمنشآت العسكرية الرومانية في التحكم في المقاطعات، من خلال التقسيمات العسكرية البيزنطية المستوحاة من التقسيمات العسكرية الرومانية القديمة .

و قد كان الإمبراطور جوستينيان الدور الكبير في إرساء الأمن والاستقرار في عهده وعهد خلفائه، وذلك من خلال الإستراتيجية العسكرية والاعتماد على المنشآت و الحصون الدفاعية بشكل كبير في كامل المناطق المسيطر عليها، وذلك باستخدام بقايا المنشآت الرومانية القديمة من طرق ومرافق عامة في بناء المراكز العسكرية والحصون البيزنطية، الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد والقول أن المتسبب الحقيقي في تخريب العمران و المنشآت الرومانية القديمة في بلاد المغرب هم البيزنطيين وليست القبائل المورية و الوندال حسب ما يقره البعض من المؤرخين .

هذا و رغم المنشآت البيزنطية الضخمة والسياسة العسكرية القمعية في بلاد المغرب، إلا أن ذلك لم يمنع السكان المحليين من ممارسة نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية والوقوف في وجه التوسعات البيزنطية على حساب أراضي القبائل المورية، الأمر الذي

¹ - Xavier D, op-cit, p101.

أدى بالسلطة البيزنطية إلى محاولة التحالف و التقرب من هذه القبائل وعدم إثارتها بعد حروب كثيرة كانت بين الطرفين كلفت الخزينة البيزنطية أموالا وجيوش كبيرة .

كما إن بلاد المغرب القديم مقاطعة مهمة جدا للإمبراطورية البيزنطية الأمر الذي تبينه الإستراتيجية العسكرية والمناصب العسكرية المهمة قصد إبقاء السيطرة عليها وعدم الانسحاب منها مهما كلف الأمر، وهو ما تؤكدته الاسراتيجية العسكرية القائمة على بناء أكبر عدد ممكن من المنشآت العسكرية رغم ما تكلفه من أموال الخزينة البيزنطية والذي انعكس سلبا على الحياة السياسية في بلاد المغرب وفي الإمبراطورية البيزنطية .

الفصل الرابع: موقف الممالك المورية من السياسة البيزنطية

أ. علاقة الملوك المور بالاحتلال البيزنطي

أ. سياسة الامبراطور جوستينيان اتجاه القبائل المورية

أ. الصراع الموري البيزنطي في عهد الامبراطور جوستينيان

أ. المرحلة الاولى : من بداية الحملة الى الحرب المورية الكبرى (534-544م)

1. القبائل الطرابلسية

2. قبائل كوزيناس

3. قبائل الفراكسيس

4. قبائل الاوراس

5. قبائل الحضنة

6. قبائل الجدارات

7. قبائل التافا

ب. المرحلة الثانية : الحرب المورية الكبرى (544-548م)

كثيرة هي القبائل المورية التي ظهرت وبرزت مع ضعف الإمبراطورية الرومانية، وظهرت أكثر وأصبحت أقوى مع الحملة الوندالية لبلاد المغرب التي نجحت في القضاء على الاحتلال الروماني، حيث ظهرت هذه القبائل كحليفة للوندال لأن العدو كان مشتركا والهدف واحد وهو القضاء على الاحتلال الروماني .

لكن العلاقات الوندالية المورية تغيرت بعد ذلك وأصبحت علاقات عدائية، بسبب سياسة الوندال التوسعية ورغبة القبائل المورية في تحقيق استقلالها واسترجاع كامل أقاليم بلاد المغرب والقضاء على الوندال، بعد أن تأكدت من نواياها الاستعمارية وأهدافه الاقتصادية في النهب والسلب والسيطرة على المنطقة .

حيث ربطت مختلف القبائل المورية علاقات تحالف مع قائد الحملة على الوندال بليزار والإمبراطور جوستينيان وذلك للقضاء على الوندال، طمعا في الاستقلال والتخلص من الاحتلال الوندالي بمساعدة الإمبراطورية البيزنطية، وهو ما كانت تنتشره وتدعيه السلطة البيزنطية من الحملة على الوندال، والتي اعتبرتها حملة تخليص لسكان بلاد المغرب من بطش الوندال وليست حملة احتلال للمنطقة .

غير أن العلاقات المورية البيزنطية تغيرت بعد ذلك وبمجرد القضاء على الوندال، حيث باشرت بيزنطا سياستها التوسعية واحتلالها للمنطقة، الأمر الذي أدى إلى تغير في العلاقات بعد تغيير الإمبراطور جوستينيان لسياسته الاستعمارية، بشن هجمات على القبائل المورية ومصادرت أراضيها ، الأمر الذي أدخل البيزنطيين في دوامة من الحروب أشهرها الحرب المورية الكبرى، التي لم تنتهي إلا بانتهاء الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب.

وقد ظهر دور القبائل المورية مع بداية الحملة البيزنطية للمنطقة، وبرزت قوتها وتماسكها أكثر مع بداية التوسع البيزنطي داخل الأراضي المورية، حيث وقف هذه القبائل موقف الكتلة الواحدة في كثير من الثورات ضد عدو مشترك هو الاحتلال البيزنطي وذلك

قصد القضاء عليه واسترجاع استقلالها وأراضيها التي تم التوسع فيها، حيث سيكلف ذلك الخزينة البيزنطية أموالا طائلة للتصدي للثورات المورية وذلك بتجنيد جيوش كبيرة وبناء منشآت عسكرية ضخمة في المناطق التي تمت السيطرة عليها .

1. علاقة الملوك المور بالاحتلال البيزنطي :

مع نجاح الحملة البيزنطية على بلاد المغرب سارعت السلطة البيزنطية إلى ربط علاقات ودية مع زعماء القبائل المورية، ووجدت هذه الأخيرة الفرصة في الاستقلال وامتلاك أراضي زراعية مقابل علاقتها السلمية مع بيزنطا، نجد منها القبائل الطرابلسية وقائدها إيرنا (Irna) ، والقائد أنتالاس (Antalas) في تالة زعيم قبائل الفراكسيس، وكوتزيناس (Coutzinas) في البيزاكينا¹، حيث لم تحدث أي حروب أو صراعات بين القبائل المورية وجيوش بليزار، إلا أن مغادرة هذا الأخير لبلاد المغرب سنة 534م ورجوعه إلى بيزنطا وتعيين القائد صولومون حاكما جديدا للمنطقة أدى إلى توتر العلاقات بين السلطة البيزنطية و زعماء المور، والسبب ربما يعود إلى سياسة هذا الأخير اتجاه هذه القبائل²، وبالخصوص السياسة التوسعية التي انتهجها على حساب أراضي القبائل المورية ومحاولة التهرب من الالتزامات المالية، والهدايا التي كانت تحصل عليها هذه القبائل في عهد بليزار، الأمر الذي زاد ربما من حدة الصراع بين الطرفين.

II. سياسة الإمبراطور جوستينيان اتجاه القبائل المورية :

انتهج الإمبراطور جوستينيان سياستين مختلفتين في ترسيخ الاحتلال وإرساء الأمن والاستقرار بعد أن تمت عملية القضاء على الوندال واحتلال أجزاء من بلاد المغرب، تبدأ السياسة الأولى من بداية الاحتلال البيزنطي إلى عهد جون تروقليتا الحاكم العام لبلاد المغرب ومهمة القضاء على الحروب المورية، حيث اتّسمت هذه الفترة بثورات كبيرة احتاجت لقيادة أقوىاء مثل: صولومون وبليزاريوس للقضاء على الثورات التي شنتها القبائل

¹ - Hédi S et Autres, op-cit, p398.

² - Georges T, op-cit, p569.

المورية على المناطق التي سيطر عليها البيزنطيون، أما السياسة الثانية فقد كانت مخالفة تماما للسياسة الأولى فالإمبراطور في هذه المرة وبعد القضاء على الثورات التي قام بها المور من طرف تروقليتا وبعد انتهاء الحرب المورية الكبرى والأمن والاستقرار الذي ساد في المنطقة، عمل على استمالة الملوك المور وذلك لهدفين الأول لتجنب الثورات ضد المور لما تخلفه من خسائر مالية وبشرية، والهدف الثاني والرئيسي وهو نشر المذهب الكاثوليكي و الدين المسيحي في أوساط القبائل المورية¹ .

حيث أراد الإمبراطور جوستينيان من استرجاع بلاد المغرب القضاء على المذهب الأريوسي الوندالي أولا ثم نشر المذهب الكاثوليكي المسيحي، و إرجاع بلاد المغرب إلى ما كانت عليه في الفترة الرومانية، كما أراد بذلك القضاء على الديانة الوثنية ديانة القبائل و الممالك المورية ومحاربة كل ما هو خارج عن المذهب المسيحي، وكان يريد نشر المسيحية في جميع المقاطعات التي تخضع للاحتلال البيزنطي وتنصير شعوبها، وقد ورد في أشعار كوريبوس على أن الملك غنفان (Guenfan) والد أنتالاس كان يأتيه الوحي من الإله أمون وهي فكرة توحى باستمرار المور على دينهم القديم منذ الفترة القرطاجية² .

وبعد الاستقرار الذي عرفته المقاطعة الإفريقية في فترة حكم جوستينيان وبعد الحرب المورية الكبرى التي انتهت سنة 548م أراد الإمبراطور نشر الدين المسيحي وتنصير القبائل المورية لأنه السبيل الوحيد في السيطرة على المنطقة، حيث بدأ الإمبراطور سياسته التنصيرية ببناء الكنائس، وحسب ما أورده بروكوب في كتاب العمائر (les Edifices) فقد أرسل الإمبراطور المبشرين بالمسيحية إلى المقاطعة الطرابلسية التي كانت تدين بالوثنية خاصة إلى قبائل الصحراء الليبية لأنهم أصحاب السلطة العليا في المنطقة التي حافظت على دينها القديم وإلى غاية القرن السادس ميلادي، واصل الإمبراطور سياسته التبشيرية

¹ - Modéran Y, les maures et l'Afrique romaine, p634.

² - Ibid, p645.

وذلك بتهديم المعابد الوثنية حيث أحرق قبيلة تعبد الإله غرزيل (Guerzile) وهدم معبد الإله أمون و بنا مكان المعابد المورية كنائس مسيحية¹.

يذكر موديران أن الإمبراطور في بداية الأمر و بعد الانتصار على الوندال بسهولة لم يكن يتوقعها، لم يعط اهتماما كبيرا ووزنا ثقيلًا للقبائل المورية وللخطر الذي قد تسببه على مشاريعه الاستيطانية في المنطقة، وما يمكن أن تحدثه من دمار للجيش البيزنطي، يدل على ذلك عدد الجنود الذين كانوا في بلاد المغرب فهو عدد قليل جدا، حيث عمل صولومون في بداية الأمر على استمالة الملك كوزينا الذي لم يجلب تحالف كل القبائل المورية، حيث ظلت أقوى القبائل خارج التحالف مع البيزنطيين وضد توسعاتهم في المنطقة، وهي بذلك تشكل خطرا كبيرا يهدد استقرار الأوضاع في المناطق التي يسيطر عليها البيزنطيون، وكان التحالف البيزنطي مع المور واستمالة الملوك المور في التحالف و التعاون وإحلال الأمن في المنطقة ضعيف في فترة حكم كل من بليزاريوس وبعده صولومون مقارنة بالتحالفات التي قام بها جون تروقليتا فيما بعد وهي السياسة الثانية للإمبراطور، إذ استطاع جون تروقليتا أن يتحالف مع أقوى الملوك في منطقة الأوراس الملك يوداس .

وما يؤكد ذلك أن الانتصارات وإن لم نقل كل الانتصارات التي حققها تروجليتا يرجع الفضل فيها إلى القبائل المورية، حيث إنهم أعلم بحدود المنطقة وطبيعة تضاريسها و سكانها وهو الشيء الذي يدفعنا للاعتقاد أن السياسة البيزنطية في بداية الاحتلال كانت تعتمد على القوة في التوسع وضم الأقاليم (أقاليم القبائل المورية)، لكن هذه السياسة لم تؤت أكلها فقد تنبه تروقليتا لذلك الأمر وتفتن إلى الخطر والدور الكبير الذي يلعبه المور في المنطقة، لذلك عمل على استمالة ملوك القبائل المورية وتحقيق التحالف معهم وتجنب الثورات المورية على المدن والمقاطعات البيزنطية².

¹ - Modéran Y, les maures et l'Afrique romaine, p646-647.

² - Ibid, p634

حيث لم تتغير السياسة البيزنطية في بلاد المغرب بعد موت صولومون سنة 546م و كان ذلك سبب الإخفاق البيزنطي في القضاء على الثورات المورية، مثلا في فترة حكم سرجيوس على طرابلس زادت الأوضاع سوءا مقارنة بما كانت عليه في عهد صولومون، لأن هذا الأخير كان مبغضا جدا من طرف الجند ومن طرف القبائل المورية، يظهر ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها الملك الموري انتالاس إلى الإمبراطور جوستينيان، وكذلك في فترة حكم أريوبيند (Aréobindus) سنة 545م وهذا الأخير الذي عينه الإمبراطور وفشل هو الآخر في حل مشاكل بلاد المغرب، وقد عرفت القبائل المورية في هذه الفترة نوعا من الأمن والاستقرار والتوسع في الأقاليم الداخلية، لأن الإمبراطور لم يعط أهمية للقبائل المورية أو للثورات التي يمكن أن تقوم بها ضد البيزنطيين وضد سياسة الإمبراطور، لكن هذه السياسة تغيرت بفعل التحالفات التي قامت بها القبائل المورية والثورة المورية الكبرى التي أكدت فيها هذه القبائل القوة التي تملكها وكذا روح المواجهة والمقاومة في صد أي عدوان خارجي¹.

وكما ذكرنا سابقا أن القائد تروجيليتا كان يعرف بلاد المغرب تمام المعرفة قبل أن يكون حاكما عليها، ذلك أنه رافق جيش القائد بليزاريوس في الحملة البيزنطية على الوندال سنة 533م، ومن الممكن أنه قبل أن يكون حاكما عاما على المنطقة كان دوقا في المقاطعة الطرابلسية حسب كوريبوس، وبحكم معرفته الجيدة للمنطقة ومعرفة سكانها كانت سياسته ناجحة إلى حد كبير في استمالة بعض القبائل والتحالف معها أثناء الحرب المورية الكبرى وبعدها، فقد نجح تروجيليتا في التعامل مع الكثير من قادة القبائل والتحالف معهم، ومن هذه القبائل قبائل الملك كوزينا، كما استطاع التحالف مع ايوداس ملك قبائل الاوراس، كما استعان تروجيليتا بالقبائل المورية خلال الحملة البيزنطية على القبائل الطرابلسية وضد الملك كاركسان سنة 547م، هذه القبائل التي كان لها الدور الفعال والكبير في الانتصارات التي

¹ - Modéran Y, les maures et l'Afrique romaine, p634

حققتها تروقيلتا على القبائل الطرابلسية المورية¹، كذلك استمال قائد موري آخر يدعى افسيداس (Ifisdas) حيث شارك هذا الأخير إلى جانب الجيش البيزنطي ضد القبائل الطرابلسية، وقد استطاع جون تروقيلتا بحنكته السياسية ومعرفته الجيدة لبلاد المغرب القضاء على الثورات لمد طويلة، وطيلة فترة حكم الإمبراطور جوستينيان².

ويمكن القول إن تحالف القبائل المورية مع السلطة البيزنطية لم يكن حبا للبيزنطيين ولا للسياسة التي انتهجوها في بلاد المغرب، حيث كان هدف الممالك المورية من هذا التحالف هو من دون شك من أجل إبقاء السيطرة على الأقاليم الموجودين فيها في ظل التعاون والتحالف مع بيزنطا، وانتظار الفرصة السانحة والوقت المناسب للقضاء على الاحتلال البيزنطي في المنطقة، كما يمكن القول إن التحالف البيزنطي مع بعض القبائل المورية ربما كان من ورائه شروط يلتزم الطرفان بها، فمثلا تقوم القبائل المورية بمساعدة الجيش البيزنطي في حملاته أو في صد الهجمات التي يتعرض لها، مقابل السماح للقبائل المورية بالتوسع في المناطق الزراعية في الأراضي الداخلية وممارسة التجارة دون تعرض الجيش البيزنطي لها.

ويمكن أن نؤكد ذلك من خلال التحالف الذي كان بين القائد تروقيلتا وملك قبائل الأوراس يوداس، هذا الأخير الذي ظل يقاوم الاحتلال البيزنطي في المنطقة إلى غاية سنة 548م حيث تحالف مع السلطة البيزنطية مع نهاية الحرب المورية، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن سبب هذا التحالف؟ فقد تحول من الخصم الذي تهابه السلطة البيزنطية في الأوراس إلى حليف في صفوف الجيش البيزنطي وربما يرجع ذلك إلى الأسباب التي ذكرناها سابقا أي التعاون بشروط³.

¹- Modéran Y, les maures et l'Afrique romaine, p635.

²- Ibid, p636.

³- Ibid, p637.

يمكننا القول في الأخير أن الإمبراطور جوستينيان ربما أستطاع إلى حد كبير من إرساء الأمن و الاستقرار بعد ثورات كثيرة وعنيفة ضد القبائل المورية وذلك بعد أن تقطن إلى دور القبائل وعمل على التحالف معها، كما استطاع بمساعدة رجال الدين المسيحيين أن ينصّر بعض القبائل المورية لكن العدد الكبير من القبائل بقيت تدين بالوثنية طيلة الفترة البيزنطية إلى مجيء الإسلام و الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب القديم .

III. الصراع الموري البيزنطي في عهد الإمبراطور جوستينيان :

كانت ردود الفعل المحلية منذ التاريخ المبكر قوية ضد أي عدوان أجنبي على المنطقة، نجد ذلك منذ الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، وكلمة صراع موري أو ليبي قديمة، فالصراع وردَ المحتل الأجنبي مهما كانت قوته صفة قديمة متجذرة في سكان المغرب القديم، خاصة إذا علمنا أن الأرض هي كل شيء بالنسبة للسكان، فقد ثارت شعوب وقبائل كثيرة ضد الرومان في كل من جبال البابور والبيبان والحضنة والاوراس وجرجرة وكل مناطق بلاد المغرب .

لنتواصل الثورات في النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي في منطقة القبائل و الهضاب وسور الغزلان وواد الصومام، كذلك الثورات المتتالية من قبائل البافار (les bavare) ، واستمرت بعد ذلك ولم تتوقف طيلة فترة الاحتلال الوندالي والبيزنطي ، وهي ثورات ومقاومات تهدف بها مختلف القبائل المورية إلى استرجاع سيادتها واستقلالها في الأقاليم التي انتزعت منها وعدم قبول التبعية، وهي أحد أبرز مميزات القبائل المورية طيلة فترة الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم¹ .

يذكر بروكوب ثلاث ملوك من أقوى الملوك تزامنوا مع بداية الحملة البيزنطية لبلاد المغرب، وهم الملك انتالاس (Antalas) ملك البيزاكينا أو مملكة الفراكسيس² ، وكانت

¹ - عصماني العمري، المقاومة الوطنية وأثرها على العمارة الدفاعية (ملتقى المقاومة الجزائرية عبر العصور)، وزارة الثقافة، سطيف، 2012م، ص69-70.

² - Pierre Maraval, justinien le rêve d'un empire chrétien universel, éd tallendier, p215.

علاقته جيدة وسلمية مع القائد البيزنطي بليزاريوس ومع السلطة البيزنطية، كذلك تذكر المصادر الملك كوتزينا (Cotzinas) والذي كانت تربطه علاقة طيبة وسلمية هو الآخر مع بليزار¹، وكذلك الملك يوداس (Iudas) ملك الاوراس²، هذا الأخير الذي ظل مستقلا بمملكته في الاوراس³، والذي ربما هو الآخر كانت تجمعه علاقات سلمية مع بيزنطا لأنه كان في صراع دائم مع الوندال، الأمر الذي دفعه ربما إلى التحالف مع القائد بليزاريوس والحملة البيزنطية على الوندال.

السؤال الذي يمكن طرحه في بداية هذا الفصل من البحث هو: هل تم فعلا احتلال كامل بلاد المغرب من طرف البيزنطيين؟ وهذا إذا علمنا أن البيزنطيين استقروا و بشكل كامل تقريبا في البروقنصلية وجزء من مقاطعة البيزاكينا فقط، وبقي ثلثي من مقاطعة نوميديا في أيدي القبائل المورية، وبقيت الموريطانيات الثلاث (السطايفية البروقنصلية الطنجية) خارج السيطرة البيزنطية، واستطاع الجيش البيزنطي احتلال بعض الموانئ منها فقط، مثل: جيجل و بجاية وقيصارية، حيث كانت هذه الموانئ معزولة في بلاد مستقلة من الداخل، و كما ذكرنا سابقا أن قيصارية لم يكن ممكنا الوصول إليها إلا عن طريق البحر لأن كل الطرق والأراضي الداخلية التي تتصل بها برا كانت تحت سيطرة وسلطة الملوك المور⁴.

ويمكن التساؤل أيضا عن مصير السكان الأصليين وردود الأفعال التي كانت منهم اتجاه المستعمر الجديد، وما موقف زعماء القبائل والممالك المورية من السياسة البيزنطية؟ وهو ما سنحاول الإجابة عنه وعرضه في هذه النقطة من الصراع الموري البيزنطي، و سنحاول اقتصار الموضوع على فترة حكم الإمبراطور جوستينيان فقط، وهو ما يهمنا في بحثنا دون التطرق للفترات التي تلت فترة حكم الإمبراطور جوستينيان.

¹ - Procope, GV, I, 8, 9

² - procope, GV, II, 12.29

³ - Yanoski JM, op-cit, p249

⁴ - قداش. م، المرجع السابق، ص253.

لقد استقبل المجتمع الروماني في بلاد المغرب والأساقفة المسيحيين البيزنطيين والحملة البيزنطية وقائدها بليزار بالفرح والترحاب وهنؤوهم بالنصر الذي حققه بالقضاء على الوندال¹، عكس القبائل المورية لم تظهر نفس الموقف حيث تحالفت مجموعة من القبائل مع الوندال ضد البيزنطيين، وبقيت قبائل أخرى محايدة في مواقفها مما أدى بالسلطة البيزنطية إلى طلب رهائن من هذه القبائل كضمان للأمن والسلام بين الطرفين البيزنطي و الموري².

و يؤكد هذا الموقف بروكوب³ في ذكره بأن المور قاوموا الجيوش البيزنطية من جميع الجهات بدءا من سنة 534م، خاصة بعد عودة بليزار إلى بيزنطا وترك صولومون خلفا له⁴، ويعود سبب ذلك ربما لتغيير بيزنطا لسياستها اتجاه القبائل المورية، وتأتي في مقدمة القبائل المورية الطرابلسية وقبائل الجنوب النوميدي والبيزاكينا⁵، فضلا عن القبائل التي تحالفت مع ملك الوندال جيلمير (Gélmère) وكلها ستحمل السلاح فيما بعد لوقف التوسعات البيزنطية في الأراضي الداخلية للمور، وبذلك يبدأ الصراع من جديد سيكلف السلطة البيزنطية جهودا وجيوش كبيرة لصد الهجمات المورية المتكررة على المدن البيزنطية⁶.

وما يدل على توتر العلاقات بين المور والسلطة البيزنطية بقيادة صولومون هو إرسال الإمبراطور جوستينيان إمدادات كبيرة من الجنود لصولومون بعد رجوع بليزار إلى بيزنطا، حيث أرسلت بيزنطا إلى بلاد المغرب ما يزيد عن ثمانية عشر ألف جندي

¹ - Procope, GV, I, 20-21

² - Procope, GV, II, 11, 9-13.

³ - Procope, GV, II, 11

⁴ - Georges T, op-cit, p569

⁵ - François Decret et Mohamed Fantar, l'Afrique du nord dans l'antiquité (histoire et civilisation), Payon, paris, 1981, p343.

⁶ - شنيطي م.ب، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص410.

لإمداد الجيش البيزنطي ببلاد المغرب¹، الأمر الذي يؤكد الحروب الكثيرة والمتتالية من طرف القبائل المورية ضد السلطة البيزنطية .

هذا وقد ألحقت مجموعة من القبائل المورية خسائر كبيرة في المدن البيزنطية خاصة في كل من نوميديا والبيزاكينا، ومن أمثلة ذلك إبادة خيالة بيزنطية تعدادها خمس مائة جندي بيزنطي بقيادة كل من إيفان (Aigan) و روفينوس (Rouphinos) وهما من خيرة وأقوى القادة البيزنطيين²، الأمر الذي يوحى بقوة القادة المور في إلحاق هزائم كثيرة بالجيوش البيزنطية .

1) المرحلة الاولى : من بداية الإحتلال البيزنطي إلى الحرب المورية الكبرى (534-544م) :

شكلت القبائل المورية مجموعة كبيرة من الممالك والتي شكلت بدورها كونفيدراليات أو دولا بالمصطلح الحديث في كامل بلاد المغرب، وعملت على القضاء على الإحتلال البيزنطي في المنطقة، حيث هاجمت قبائل الأوراس مدن لامبيز وتيمقاد واستطاع ملك الأوراس يوداس من أن يجمع ثلاثون ألف فارس وقف بها في وجه التوسع البيزنطي في منطقة الأوراس³، إضافة إلى هذا الملك الذي وقف في وجه البيزنطيين نذكر الملك اورتياس ملك قبائل الحضنة وكذلك الملك ماستيغاس ملك قبائل موريطانيا وكذا الملك مازونا ملك منطقة ألتافا (Althava) (أولاد ميمون) في الغرب الجزائري وكل القادة الذين سبق ذكرهم، وقفوا بشكل عنيف وشديد ضد التوسعات البيزنطية في الأقاليم المورية⁴ .

وفي هذه الفترة كان القائد صولومون⁵ هو الحاكم الفعلي لبلاد المغرب حيث وبعد الرسالة التي بعث بها إلى زعماء القبائل المورية محاولا في ذلك استمالتهم⁶ والتي من

¹ - Georges T, op-cit, p570.

² - Georges T, op-cit, p571

³ - Pierre Maraval, justinien le rêve d'un empire chrétien universel, Op-cit, p216.

⁴ - قداش م، المرجع السابق، ص253-254.

⁵ - صولومون solomone : ولد بالقرب من مدينة دارا ، تجند في الجيش البيزنطي تحت قيادة بليزار، عين بعد ذلك قائدا على كتيبة عسكرية في أرمينيا شارك في معارك في دارا(وهي مدينة تقع بن الحدود السورية التركية) سنة 530م، وقد تقلد عدت رتب إلى أن أصبح سنة 533م قائد لمعسكر كبير، ويبقى في ذلك مساعدا مهما لبليزار، وأصبح بعد احتلال المغرب القديم والقضاء على الوندال حاكما عاما للبلاد المغرب...انظر:

- Procope, GV, I, trad. Donis Roques ,p239.

⁶ - Georges T, op-cit, p570.

جهتها ردت بقوة عن مزاعم البيزنطيين وعن توسعاتهم وضرب المعاهدات التي جمعتم ببليزار من قبل¹ عرض الحائط، لتبدأ بذلك سلسلة الحروب بين الطرفين وسار باتجاه البيزاكينا²، وكان صولومون يملك ما يقارب ثمانية عشر ألف جندي من بقايا الجيش الذي كان يقوده بليزاريوس في حملته ضد الوندال، وحصل على مدد كبير من الإمبراطور وقبل أن يباشر حملته ضد المور في البيزاكينا فقد خطب كثيرا في ضرورة القضاء على المور وبما أنهم استطاعوا القضاء على الوندال فمن السهل القضاء على القبائل المور³.

كما سبق الذكر أن المور أبادو خيالة إيفان (Aigan) و روفيني (Rouphinos) و بدأو يتوسعون داخل الأراضي الداخلية و سيطروا على الأراضي الخصبة⁴، وقد حذرهم صولومون من ذلك لكنهم لم يؤبهوا له وأجابوه حسب ما يذكر بروكوب⁵ بما يلي: « إن الرومان يخطبون ودنا ويريدون أن نكون لهم حلفاء، بينما هم لم يحسنوا إلينا وجلبوا لنا المجاعة، فليس الذين يطاردون اللصوص لاسترجاع أرزاقهم هم الذين ينالهم سخط الرب بل أولئك الذين يبادرون بالحرب و يستحونون على أرزاق غيرهم⁶ ».

لتبدأ بذلك استعدادات القائد صولومون حيث حشد الكثير من الجيوش وبدأ في توسعته على القبائل الجنوبية جنوب البيزاكينا وعلى القبائل الطرابلسية الجمالة، حيث تذكر المصادر النتائج الكبيرة التي حققها في بداية التوسع، فقد أسر الكثير من النساء والأطفال في الوقت الذي لا زال فيه انتالاس حليفا للبيزنطيين ويوداس بعيدا عن الصراع⁷.

ومع بداية سنة 535م سار القائد البيزنطي صولومون باتجاه الأوراس وفي كل مرة يتوسع يقوم ببناء حصون وقلاع للاحتماء بها من هجمات القبائل الاوراسية⁸، وهي

¹ - Georges T, op-cit, p571.

² - Procope, GV, II, 11.

³ - Procope, GV, II, 11, 23-36.

⁴ - Georges T, op-cit, p570.

⁵ - Procope, GV, II, 11.

⁶ - شارل اندري جوليان، ، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تر محمد مزالي، ج 1 ، تونس، 1985، ص366 .

⁷ - Georges T, op-cit, p573.

⁸ - Ibid, p574.

مجازفة منه لأن الفصل كان في الشتاء ولأنه لا يعرف حقيقة تضاريس وجبال وقبائل المنطقة، وهو الأمر الذي حتمّ عليه الرجوع إلى قرطاج دون تحقيق ما كان يهدف إليه وهو القضاء على القبائل الاوراسية بقيادة اوداس .

وحسب محمد البشير شنيّتي أنّ أول صدام بين المور والبيزنطيين كان بقيادة الملك أيوداس سنة 535م، هذا الأخير الذي بدأ هجومه على كتيبة البيزاكينا والتي كانت تتكون من خمس مائة جندي، ثم توغل بعد ذلك في الأراضي النوميديّة وأخضع أهلها إلى سلطانه، وكان لهذه الهجمات التأثير الكبير على صولومون، الذي كان رده بهجوم معاكس غنم من خلاله الكثير من الأسرى باعهم كعبيد بأثمان رخيصة في السوق¹.

وحسب بروكوب فإنّ صولومون قضى في هذه الحملة على ما يقارب عشرة آلاف من المور²، وهو عدد حسب رأينا مبالغ فيه إلا أن صولومون حقق انتصارا كبيرا على قبائل البيزاكينا وقد احتفل بهذا الانتصار في قرطاج التي عاد إليها غانما الكثير من الجمال والأسرى³.

وأمام هذا الوضع المتأزم وكثرة الثورات المورية حدث تمرد في الجيش البيزنطي على القائد صولومون سنة 536م ، بسبب سياسة هذا الأخير في معاملة الجنود، حيث كان القادة الكبار ينهبون ويستأثرون بالغانم لوحدهم دون استفادة الجندي بشيء من ذلك⁴، و من الأسباب أيضا استنكار الكهنة الأريوسيين للإضطهادات التي يتعرضون لها، كل ذلك أدى إلى فوضى عارمة كادت أن تقضي على القائد صولومون لولا فراره إلى جزيرة صقيلية، وقد وجد المتأمرمون في شخصية ستوزاس⁵ (stozace) الشخصية القوية التي

¹ - شنيّتي م.ب، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص413.

² - Procope, GV, II, 11,55

³ - Procope, GV, II, 11,56

⁴ - Albertini E, l'Afrique du nord dans l'histoire, paris, 1941, p124.

⁵ - ستوزاس stotzas : من أقوى القادة العسكريين ومن الشخصيات الفاعلة و المؤثرة في السياسة العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب ، استطاع إثارة نفوس بعض الجنود وتحريضهم والوقوف إلى جانبه للمطالبة بحقوقهم في الغنائم ، وقد استطاع جمع ما يقارب 8000 جندي سار بهم إلى قرطاج، أين تحالف معه الجنود المتزوجين بالونداليات، مطالبين في ذلك بحقوق وأراضي زوجاتهم، وقد انضم إلى القبائل المورية وثورتهم بعد الخسارة التي مني بها ضد بليزارانظر:

التفوا حولها للمطالبة بحقوقهم والنهوض ضد السلطة، خاصة الجنود الذين تزوجوا بالونداليات، حيث طالبو بحقوقهم في أراضي زوجاتهم الونداليات¹، حيث التفوا حول القائد ستوزاس وقاموا بحركة انقلاب ضد السلطة بدأت سنة 536م وتحالفت معهم قبائل نوميديا وقادوا حملة باتجاه قرطاج وضد صولومون²، استطاع ستوزاس من حشد عن ما يزيد عن ثمانية آلاف جندي بيزنطي وحوالي ألف من بقايا الوندال في بلاد المغرب، وقد اجتمعوا في قرطاج مطالبين بحقوقهم وقد أدى الأمر في الأخير إلى حروب بين الطرفين انتهت بفرار القائد صولومون إلى صقلية³.

وبسبب التمرد والانقلاب الذي حدث في الجيش البيزنطي أعاد الإمبراطور جوستينيان بليزاريوس إلى بلاد المغرب للقضاء على هذا التمرد⁴، و بعد المعركة الحاسمة ضد ستوزاس في موقعة بنهر مجردة استطاع بليزاريوس من التغلب على المتمردين، لكن لم يتم القضاء على ستوزاس الذي جمع الجنود وعاد مرة أخرى إلى نوميديا لمحاربة البيزنطيين، وفي هذه المرة أرسل الإمبراطور جوستينيان ابن عمه جيرمانوس (Gérmunos)⁵ للقضاء على هذه الثورة، وقد استطاع هذا الأخير من القضاء على ثورة ستوزاس وتفريق المتآمرين⁶ في كامل المقاطعات، ومنهم من إستماله جيرمانوس وانظم إلى صفوف الجيش البيزنطي كما كان سابقا ومنهم من فرّ إلى القبائل المورية⁷.

وبعد القضاء على تمرد الجند من طرف جيرمانوس أعاد الإمبراطور جوستينيان القائد صولومون إلى منصبه⁸، كحاكم عام لبلاد المغرب سنة 539م، فهو الحاكم المدني و العسكري وبدأ في سياسته التوسعية حيث أصبحت بلاد المغرب في فترته الثانية متطورة

- Procope, GV, II, 15,2-8

¹ - Procope, GV, II, 14,9

² - Hédi S et Autres, op-cit, p399

³ - Georges T, op-cit, p577.

⁴ - Procope, GV, II, 14,40-41.

⁵ - Procope, GV, II, 16

⁶ - Georges T, op-cit, p578.

⁷ - جوليان ش.أ، المرجع السابق، ص368.

⁸ - Procope, GV, II, 19.

ومزدهرة وقام بإحاطة المدن بأسوار¹ ، وأول شيء قام به هذا الأخير بعد عودته إلى بلاد المغرب هو تنظيم الجيش وتعين قادة جدد على رأسه، كما وضع معسكرا في باغاي (Bagais) تحت قيادة أبرز قادته قونتاريس (Gontharis) ، وقام بحملة ضد قبائل الأوراس وضد ملكها يوداس²، وبعد مدّ وجزر بين صولومون وملك الأوراس يوداس، استطاع صولومون الانتصار على أيوداس حيث انسحب هذا الأخير وجنوده بعد الهزيمة إلى القبائل الموريطانية وإلى القبائل الجنوبية للأوراس³.

وسارت الجيوش البيزنطية بعد ذلك باتجاه موريطانيا حسب ما يذكر بروكوب⁴ واحتلت واحتلت كل من الحضنة وموريطانيا السطايفية في حدود سنة 539م⁵، ولتأمين الحدود البيزنطية وإرساء الأمن والاستقرار في المناطق التي سيطرت عليها والتي أخضعها صولومون، قام هذا الأخير ببناء مجموعة من التحصينات في المناطق الأوراسية وفي نوميديا وموريطانيا القيصرية وهي السياسة التي سوف تؤمّن المدن البيزنطية طيلة أربع سنوات، لتظهر بعد ذلك ثورة كبرى في المقاطعة الطرابلسية ومنطقة الأوراس تجمع بين عدد كبير من ملوك وقادة القبائل المورية في بلاد المغرب تعرف بما يسمى بالحرب المورية الكبرى⁶.

ويخلص موديران في كتابه "المور وإفريقيا الرومانية" إلى أن سياسة الإمبراطور جوستينيان اتجاه الممالك المورية في الفترة الممتدة من 534-544م قد أتسمت بثلاثة استراتيجيات رئيسية وهي التسامح والحذر والعنف، وما يؤكد التسامح البيزنطي اتجاه المور ، ما ذكره بروكوب في أن الملك أنتالاس بقي ملكا على الأراضي الجنوب الغربية من مقاطعة البيزاكينا، واستمر الوضع على حاله إلى غاية سنة 535م، نفس الشيء نجده مع

¹ - Albertini.E, Op-cit, p124

² - Procope, GV ,II,19,5-8

³ - Georges T,op-cit,p696

⁴ - Procope,GV,II,20

⁵ - Georges T ,op-cit,p697

⁶ - جولييان.ش.أ، المرجع السابق، ص370.

الملك كوتزينا الذي عملت السلطة البيزنطية إلى التحالف معه، ويذكر بروكوب في ذلك أنه خلال الحرب المورية الكبرى كان كوتزينا حليفا للرومان وكان استقراره وبشكل رسمي في مقاطعة نوميديا في الجزء الشرقي¹.

وحسب رأينا أن بعض من الملوك المور قد تحالفوا مع السلطة البيزنطية في بداية الحملة لأنهم كانوا يؤملون بهذه الحملة القضاء على الوندال وتأسيس ممالك بربرية مستقلة هذا في بداية الأمر، أما فيما بعد و بعد السياسة التوسعية التي قام بها الإمبراطور فيمكن أن نقول من غير الممكن أن يقبل ملوك المور السياسة البيزنطية التوسعية أو أن يقبلوا أن تنتزع منهم أراضيهم ومقاطعاتهم وسلب أموالهم من دون رد فعل في ذلك.

و ما يدل على ذلك أنه وفي بداية الصراع البيزنطي الموري وحسب محفوظ قداش أن المور بعد الانتصار البيزنطي في المنطقة بدؤوا يتوسعون في الأقاليم الداخلية، وقد أرسل إليهم صولومون رسالة تهديدية يحذرهم فيها بعدم حمل السلاح ضد الإمبراطور القوي و كان الرد الموري على الرسالة بما يلي: « إلتزم بليزاريوس اتجاهنا بوعود ذرائعية للاعتراف بسلطة الإمبراطور جوستينيان، لكن الرومان دون أن يقدموا لنا أي خير وجالين لنا المجاعة يريدوننا أصدقاء وحلفاء، أوليس واضحا أنكم أنتم الذين تنتهكون وعودكم وليس المور إنكم أنتم الذين لا تستطيعون أن تأخذوا سوى امرأة واحدة وتصابون بالعناية بأطفالكم أما نحن الذين نستطيع أخذ خمسين فلا نخشى نقص الذرية²، وفي الرسالة نص صريح إلى قوة و شجاعة المور في التصدي لمن أراد السيطرة على أراضيهم و ممتلكاتهم .

أما السياسة الثالثة التي قامت بها الإدارة البيزنطية في بلاد المغرب وهي التشدد و الصلابة ضد القبائل المورية، وما يؤكد ذلك أنه خلال الحرب المورية الكبرى حسب كلا من بروكوب وكوريب أن الدوق الجديد للمقاطعة الطرابلسية سرجيوس قام بقتل تسعة و

¹ - Modéran.Y, les maures et l'Afrique romaine, op-cit, p593-594.

² - Procope, GV, II, 11.

سبعون فردا من نبلاء القبائل الذين جاءوا يطالبون ويحتجون على دفع نصيبهم السنوي من المحاصيل الزراعية وفقا للاتفاق المبرم قبلا مع بليزاريوس¹، وقد كانت هذه المجزرة سبب من أسباب الحرب المورية الكبرى وفي ظل هذه السياسة البيزنطية في المنطقة ثارت القبائل المورية ضد البيزنطيين في أكبر ثورة يقودها زعماء وملوك القبائل المورية²، وذلك من خلال التحالفات فيما بينهم ضد سياسة الإمبراطور جوستينيان في المنطقة، هذه الحرب التي سوف تكون أعنف وأشد وأقوى ثورة تصطدم بها سياسة الإمبراطور في بلاد المغرب وتدوم ما يزيد عن أربع سنوات.

وفيما يلي لمحة عن أهم القبائل المورية التي ذكرتها المصادر والتي ظهرت مع بداية الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، وموقفها وردود أفعالها من السياسة الإدارية والعسكرية البيزنطية في المنطقة :

1. القبائل الطرابلسية :

ما يدل على كثرة القبائل المورية وقوتها في المقاطعة الطرابلسية، أنه وبمجرد نجاح الحملة والقضاء على الوندال أمر الإمبراطور جوستينيان قاداته إلى احتلال المقاطعة الطرابلسية حتى يؤمن تكتلات وحروب القبائل الطرابلسية، فقام الإمبراطور بتعيين كلاً من كوروس (Corosse)، (سرجيوس Sergius) و ابني باكوس (Bacosse) أخ صولومون لحكم مقاطعة طرابلس³، وبدأت السياسة التوسعية البيزنطية ومصادرة الأراضي ، وكرد فعل من مور طرابلس عموما والقبائل اللواتية خصوصا أنهم قاموا بإرسال شكوى إلى حاكم طرابلس سرجيوس واستنكروا الفعل الذي تقوم به السلطة والجيش البيزنطية وطلبوا من هذا الأخير الهدايا وشعارات والمناصب المعتادة التي كانوا يحضون بها في عهد بليزار وصولومون حتى يسود الأمن والسلم⁴ .

¹ - Modéran Y, les maures et l'Afrique romaine, op-cit , p604

² - Maraval P, Justinien .le rêve d'un empire chrétien universel,op-cit,p265

³ - Morizot P, romain et berbère face à face , op-cit,p140.

⁴ - René Rebuffat, les grand tribus des confins africains .insurrection et alliances, T5, éd A.F.A.M, France, 1993, p79.

وما كان من سرجيوس إلا أنه أمر باستقبال ثمانين فردا من أشرف وأكبر وجوه القبائل اللواتية حتى يتمكن من تلبية طلباتهم، وقد سمح لهم بدخول المدينة ووعدهم بتلبية جميع طلباتهم كما دعاهم إلى وليمة أقيمت على شرفهم¹، وتذكر المصادر على أن المور كانوا يبيتون الغدر والانتقام، وسعوا إلى قتل سرجيوس حسب بروكوب².

وهناك من يذكر أنهم عندما جلسوا إلى سرجيوس بدأوا التفاوض واغتاضوا كثيرا من المعاملة السيئة التي كانت من الروم اتجاههم، وأن أراضيهم ومحاصيلهم صودرت وسلبت منهم ظلما وعدوانا، وأدى النقاش إلى جدال كلامي كبير طال مجلس الاجتماع، واغتاض سرجيوس من ذلك وأمر بقتل كل الأفراد المور الثمانين³، وتم قتلهم كلهم، غير أن احد المور استطاع الفرار دون أن يلحظه أحد ونقل الخبر إلى قادة القبائل الطرابلسية ووصف لهم الجريمة التي ارتكبت في حق المور داخل المدينة من طرف سرجيوس وهو سبب الحروب والصراع بين بيزنطا والقبائل الطرابلسية اللواتية⁴.

حشدت القبائل اللواتية الجيوش واقتربت من مدينة لبدة وقد واجههم سرجيوس والقائد بودنتيوس⁵ وقد استطاعت القبائل اللواتية الانتصار على البيزنطيين فقتل القائد البيزنطي بودنتيوس وانسحب الجيش البيزنطي والقائد سرجيوس إلى مدينة لبدة وتحصن فيها .

واصلت الجيوش اللواتية ثوراتها بقيادة ملكها إيرنا (Irna) الملك القوي حسب بروكوب توسعاتها وانتصاراتها إلى أن وصلت إلى البيزاكينا ووضعت تحالفا مع القائد

¹ - سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2011م، ص169.

² - Procope, GV, II, 21,4.

³ - Procope, GV, II, 21,22.

⁴ - René R, op-cit, p79.

⁵ - بودنتيوس **podentius** : هو قائد من طرابلس ذكره بروكوب على انه ساعد الإمبراطور جوستينيان ضد الوندال في بداية الحملة، وربما هو من أرسل إلى الإمبراطور جوستينيان ودعاه إلى إرسال حملة على الوندال وانه سيقوم بمساعدة الجيوش البيزنطية وانه سيحارب إلى صفهم، وأصبح بذلك حليف لبيزنطا... انظر:
- خشيم ع ف، نصوص ليبية، المرجع السابق، ص195.

الموري انتلاس¹، هذا الأخير الذي كانت تجمعة ببيزنطا علاقات سلمية وأصبحت عدائية فيما بعد بسبب منع بيزنطا الضريبة السنوية المعتادة طيلة العشر سنوات السابقة، وإقدام صولومون على قتل أخيه الأمر الذي دفعه إلى الانتقام، وهو ما يظهر في الرسالة التي بعث بها انتالاس إلى الإمبراطور²، ليُدخل بذلك انتالاس والقبائل اللواتية الحرب ضد بيزنطا وبدعوا في التوسع نحو قرطاج وانتصروا على صولومون وتم قتله في إحدى المعارك والقضاء على جيشه³، وقد انضم إليهم في هذه المعركة القائد ستوزاس مع مجموعة من الجنود التابعين له ومجموعة من الوندال⁴.

وأمام هذا الوضع الصعب سارع الإمبراطور إلى تعيين قائد عسكري جديد هو جون تروقيليتا بهدف القضاء على الحرب التي ظهرت في بلاد المغرب، وبمجرد وصوله والجيش الذي جلبه معه بدأ يحضر للحملة على القبائل اللواتية⁵، والظاهر أنه وصل مع بداية سنة 546م⁶، وحاول استمالة القبائل المورية إلى جانبه وأرسل رسالة إلى انتالاس يحثه فيها على التعاون مع البيزنطيين وترك الحرب مع القبائل الطرابلسية، وقد كان رد فعل أنتالاس بأن أرسل هو الآخر رسالة للقائد الجديد تروقيليتا جاء فيها حسب كوريب : « إنَّ قائد الشعوب اللّواتية الضارية البطل غونفان انتالاس طلب منا أن نسألك هذا السؤال: أنت يا يوحنا يا من تعرفك العصابات الماسيلية في أيام صولومون الذي كان مصدر خرابنا ومصائبنا، أنت الذي كنت القائد الثاني على شواطئنا، وكنت يوما ما حامي الرومان على طول البحر، هل تعلم كم عدد جنود صولومون اللذين سقطوا في تلك الحرب الضارية ... وكيف امتلأت الأنهار بجثث القوات الرومانية إبان تلك المذبحة، وكم عدد رجالك اللذين أفنتهم المعارك فوق الحقول ... ألم تسمع بذلك الدمار

¹ - Procope, GV, II, 22,4-7

² - Procope, GV, II, 22,8

³ - Morizot. P, romain et berbère face à face, op-cit, p140.

⁴ - Procope, GV, II, 23,1

⁵ - Procope, GV, II, 23,20

⁶ - Morizot. P, romain et berbère face à face, op-cit, p141.

الذي لحق بقائدك في تلك الحروب ... هل تتجاسر الآن على مقاومة أمم لا تقهر ... ألسنت تعرف بأس لواتة في الحرب، هؤلاء الذين يعرف الداني والقاصي بشهرتهم القديمة و الأبدية، هؤلاء الذين كان ماكسيميان حاكم الدولة الرومانية وإمبراطور اللاتين يعرف أسلافهم حق المعرفة، فهل تجرؤ أنت بقوتك الصغيرة التي سيكون الدمار مصيرها عن قريب بمجرد النظر إلى قواتي، هل تستطيع تحمل ضرباتهم القوية أو حتى النظر إلى وجوه رجالي في ساحة المعركة، أيها القائد الروماني خير لك أن ترتد على عقبك وأن تجمع أعلامك وتتسحب وتتجوا بحياتك، ولكن إذا كنت تظن أنك قادر على دخول معركة معي، وإذا كان يرضيك أن تذهب ربحك ويكون الموت مصيرك فلماذا إذا لا تعجل في تحريك أحلامك وخيولك، ابلغني بنواياك وسوف ألقيك أينما تشاء، ولن أتأخر عن تنفيذ ما رسمته لك الأقدار، هذه هي أوامر القائد الشجاع لنا لنبلغها لك ولك أن ترد بما تراه»¹. يظهر في الرسالة الجرأة الكبيرة للقادة المور وسبب الصراع الموري البيزنطي بعد العلاقات التي كانت حسنة وتغيرت بسبب تغير السياسة البيزنطية اتجاه القبائل المورية والتوسع في المناطق الداخلية .

أما الإستراتيجية الحربية للقبائل الطرابلسية فهي تختلف تماما عن القبائل المورية الأخرى في لأوراس أو في البيزاكينا، فقد وصف لنا كوريب هذه الإستراتيجية، وذكر أن الملك إيرنا في حروبه مع جون تروقيليتا كان يقوم بوضع حواجز من الجمال على طول معسكره، وبحيط الساحة كلها بثمانية صفوف من الجمال ويقوم بربط قطعان الماشية إلى بعضها، بشد قرونها بحبال، وقام بنصب كمائن في الأراضي الجرداء التي بها ممرات إلى المعسكر الذي يعسكر فيه، كما اعتمد على سياسة التحالف مع القبائل المورية الأخرى فقد تحالف مع كل من انتالاس ملك الفراكسيس وابداس ملك الاوراس، كما انضم إليه كل من كمالْيوس (Camalius) و هيسديراسن (Hesderasen) و سنزيرا (Sinzera) و سيفيدان (Sifidan) و كاركاسان (Carcasan) وكلهم قادة أقوياء على

¹ - كريسيوس ف.ك، المرجع السابق، ص40-41.

قبائل في طرابلس¹ ، أما بروكوب فقد ذكر أن الإستراتيجية الطرابلسية تعتمد على اثني عشر صف من الجمال يتم الاحتماء ورائها ووضع النساء والأطفال في الخلف² .

2. قبائل كوتزينا Cotzinas :

ورد اسم كوتزينا في أشعار كوريب على أنه ملك قوي، وصديق قديم للقائد البيزنطي صولومون، وصفه بروكوب بالوفي والمخلص والصديق والحليف للدولة البيزنطية، كما ورد أنه سار مع الجيش البيزنطي في الحملة التي قادها صولومون على أنتالاس، ووصفه بروكوب على أنه روماني الروح في أصله وهو من أمهر القادة في استخدام الرمح³ .

والظاهر أنه نصف بربري، لأنه ابن لزعيم قبيلة من امرأة رومانية أو مترومنة، قاوم البيزنطيين في بداية الحملة على بلاد المغرب، ثم تحالف معهم بعد ذلك لأسباب نجهلها، وكانت علاقته بأنتالاس عدائية، وقد كان يفتخر كونه من دم لاتيني ومتحضر بحضارة رومانية راقية حسبه، وكان تحت سلطته من الجيش ما يقارب ثلاثون ألف محارب، ويفتخر كونه يلقب بقائد الجيش الذي منحه إياه الإمبراطور جوستينيان⁴ .

قام بعدة ثورات جريئة ضد البيزنطيين قبل أن يتحالف معهم، الأمر الذي يؤكد قوة الملك الموري كوتزينا، حيث قام سنة 534م بعدة ثورات و كان إلى جانبه كل من أسديلاسا (Esdilassa) ويوفروت (loufrou) وميدسيليسا (Midsilissa)، حيث استطاع أن يجمع قرابة خمسون ألف مقاتل موري مع حلفائه القادة المور الثلاث، وقد كان لهذه الثورة الأثر الشديد في نفوس البيزنطيين⁵ ، خاصة وأنه استطاع القضاء على قائدين عسكريين بيزنطيين قويين في الجيش البيزنطي هما إيجان (Aigan) و رفين (Rufin) ،

¹ - كريسيوس ف.ك، المرجع السابق، ص103.

² - Procope, GV, II, 11

³ - كريسيوس ف.ك، المرجع السابق، ص79

⁴ - سعود م ت، المرجع السابق، ص226.

⁵ - نفسه، ص211.

ربما هو الأمر الذي دفع بالإمبراطور إلى استمالاته والتحالف معه لأنه سيشكل خطرا على المناطق التي سيطر عليها بيزنطا في بداية الحملة¹.

3. قبائل الفراكسيس Fraxis (قبائل أنتالاس Antalas) :

بادر سكان بلاد المغرب القديم حسب المصادر إلى مد يد المساعدة للحملة البيزنطية التي قادها بليزار على الوندال ومنها قبائل الفراكسيس، وهذا بهدف تخليص المنطقة من بطش الوندال، وسعيا إلى كسب ود الإمبراطور جوستينيان والقائد بليزار، حيث بادر ملوك المور إلى إرسال سفرائهم إلى قائد الحملة طمعا في الحصول على الهدايا وشارات الملك²، بما فيهم القائد الموري انتالاس ملك الفراكسيس ، حيث استفاد هذا الأخير كثيرا من المنح والهدايا التي كانت تصله من إمبراطور الشرق جوستينيان طيلة العشر سنوات وإلى غاية سنة 544م، وقد تغيرت العلاقة بين الطرفين من السلم إلى الحرب، بسبب إقدام القائد العسكري صولومون على قتل أخ أنتالاس في البيزاكينا فأعلن هذا الأخير الحرب على البيزنطيين، واستطاع إلحاق الكثير من الهزائم بالجيوش البيزنطية، وشارك في الحرب المورية الكبرى إلى أن انتهت سنة 548م، و انهزاه أمام جيوش القائد البيزنطي جون تروقليتا³ .

ويمكن التساؤل عن موقع مملكة انتالاس أو عن الأراضي التي كان يحكمها هذا الأخير، حيث يذكر البعض من المؤرخين ويميلون إلى القول أن مملكة الفراكسيس تقع في قلب البيزاكينا وفي جبال الظهرة التونسية، بين المدن الثلاث تالة (Thala)، تيلابت (Thelepte) (المدينة القديمة) وتبسة (Theveste) وتدعى مملكة انتالاس أو مملكة الفراكسيس (Frexes)، وقد ورث انتالاس الملك بعد وفاة أبيه غونيفان (Ghenefane) هذا الأخير الذي استطاع تكوين مملكة قوية وكبيرة في البيزاكينا⁴، كما ورد اسم هذا الأخير في أشعار كوريب، حيث يذكر أن هذا الملك كان سببا في تعاسة

¹ - التاجوري م م ، المرجع السابق،ص145.

² - Hédi S et autres, op-cit, p399.

³ - اللبارم، إفريقيا الوندالية، المرجع السابق،ص206.

⁴ - بن حريبط م، المقاومة المورية للاحتلال البيزنطي، المرجع السابق،ص105.

ونشوب الحرب في بلاد المغرب وكان ذلك مع مولد ابنه انتالاس، بعدما كانت ليبيا الغنية بمزارعها ومحاصيلها وحبوبها الذهبية وكان يسودها السلام والأمن وكان ذلك قبل ثلاثين عاما من مولد أنتالاس المتوحش وهي الصفة التي أطلقها عليه كوريب¹.

لكن ما ذكره كوريب عن انتالاس قد يكون مبالغ فيه، خاصة إذا علمنا أن كوريب من أصل موري محلي، وأنه كان مواليا للسلطة البيزنطية عموما وللقائد تروقيليطا خصوصا، وله أهداف وطموحات للوصول إلى العائلة الحاكمة في الشرق وإلى الإمبراطور جوستينيان، ويظهر ذلك في أشعاره والمدح الذي كان يقوله عن الإمبراطورية البيزنطية ومسئوليتها وقادتها .

حيث وبعد فشل كل المحاولات التي قام بها صولون للقضاء على ثورة انتالاس والتي انتهت بمقتله، قام الإمبراطور جوستينيان بتعيين حاكما جديدا لبلاد المغرب هو جون تروقيليتا حيث وبمجرد وصول هذا الأخير إلى الحكم، بدأ بتنظيم شؤون جيشه ودعمه بالفرسان و المشاة وإنشاء الحاميات العسكرية، وبدأ يحضر للحملة التي كان يستهدف بها الملك الموري انتالاس، الذي هو الآخر كان يحضر للحرب الفاصلة والانتقام لمقتل أخيه قرزिला (Ghurizila) من طرف البيزنطيين رغم وفائه لهم لمدة تزيد عن العشر سنوات، ورغم المساعدات الكبيرة التي كان يقدمها لبيزنطا ضد الوندال فكوفئ في الأخير بفقد حياته، الأمر الذي أثار حفيظة أنتالاس وسعى إلى الانتقام والثأر لمقتل أخيه² .

وقد ذكر كوريب أن القائد جون تروقيليتا أرسل رسالة إلى القائد الموري انتالاس يطلب فيها الصلح والتخلي عن الحرب، وقد رد عليه انتالاس بما يلي: « إنني أعرف تماما شرف المملكة الرومانية، لا يحسبن أحد أنه قادر على خداع انتالاس مرة أخرى، يكفي أن الأرمني استطاع خداعي مرة، إنكم تتظاهرون بخبث أنكم أصدقائي، ألم أكن صديقا لكم، ألم أتصرف على الدوام لصالحكم وأنفذ أوامركم أيها الروماني، ألم أكن يقضا

¹ - كريسيوس ف.ك، المرجع السابق، ص65-66.

² - De la Malle D,op-cit,p98-99.

وأنا أشنّ المعارك من أجل قادتكم، إنّ الدولة التي لا تتحرف عن ولائها لخير دليل على ذلك، وكذلك دمك يا أخي قورزيلا الذي سفك بأمر من قائد شرير، لقد تعلمت من المكافأة التي كافأني بها رجلكم الأرميني»¹.

يظهر لنا رد فعل انتالاس القوي بعد والعلاقات الودية التي كانت بين المملكة البيزاكينا وبيزنطا في بداية الحملة على الوندال، والعلاقات السلمية التي كانت بين الطرفين، كما تبين سوء العلاقات بين انتالاس و البيزنطيين² مع بداية حملة جون تروقيليتا على قبائل الأوراس، وأن القادة البيزنطيين اخلفوا وعودهم في القضاء على الوندال وتخليص بلاد المغرب وسكانها منهم، وأن الهدف البيزنطي ظهر واتضحت نوايا بيزنطا في السيطرة على المنطقة ونهب خيراتها وثرواتها الاقتصادية، كما تظهر الرسالة مدى ذكاء انتالاس وأنه لا يخدع مرتين من نفس العدو ذلك لمعرفته لخبث ومكر البيزنطيين، وتظهر الرسالة مدى قوة انتالاس وتحكمه في القبائل المورية وهو سبب الذي دفع بجون تروقيليتا لطلب الصلح مع قبائل الفراكسيس .

كان لأنتالاس جيشا قويا وكبيرا يتكون من الفرسان والمشاة، تم حشده من مختلف قبائل البيزاكينا ومن القبائل الحليفة من جبال الاوراس وبالقبائل الصحراوية في الجنوب، ودخل بذلك الحرب ضد بيزنطا وهذه المرة ضد قائد عنيد وقوي هو جون تروقيليتا، هذا الأخير الذي استمال الملك الموري كوتزيناس (Cotzinas) إلى صفه وهو صديق وحليف قديم لصولومون³، كما استمال أيضا كل من القائد الموري افسيداس (Ifisdais) وابنه بيتيتان (Bitipten)، أما أنتالاس فقد كان إلى جانبه كل من القائد الموري الطرابلسي ايرنا (Irna) وكاركاسان (Carcasan) .

¹ - كريسيوس ف.ك، المرجع السابق، ص94.

² - Hédi S et autres, op-cit, p400.

³ - Procope, GV, II, 25.

وبعد الحروب الكثيرة بين الطرفين استطاع جون تروقيليتا بخبرته وحنكته في استمالة بعض القادة المور الى جانبه منهم إيداس ملك الأوراس، واستطاع بذلك القضاء على انتالاس وثورته، وانتهى الصراع لصالحه بانسحاب القبائل المورية إلى المناطق الصحراوية بعد وفاة قائدها أنتالاس، إلا أن هذا الانهزام لم يكن نهائياً فقد قام كاركاسان بإعادة جمع وتنظيم القبائل المورية وتكوين جيش قوي من القبائل الصحراوية وعاود ضرب الجيوش البيزنطية، والدخول في صراع جديد مع جون تروقيليتا وقام بمهاجمة طرابلس ودخل إلى البيزاكينا وخاض الكثير من المعارك الناجحة حتى انتهت بانهزامه وفراره إلى الصحراء بسبب عدم خبرته في قيادة الجيوش وقوة الجيوش البيزنطية وحلفائها المور¹.

4. قبائل الأوراس :

قبل التطرق لثورات القبائل الأوراسية ضد الاحتلال البيزنطي وضد السياسة التوسعية التي انتهجتها بيزنطا بعد القضاء على الوندال، سنحاول معرفة جغرافية الأوراس وحدودها الطبيعية ذلك لاختلاف المؤرخين في تحديد المنطقة الجغرافية المعروفة بالأوراس.

من المصادر التي أعطت تعريفا لجغرافية الأوراس ما ذكره بروكوب الذي يذكر الأوراس قائلا: «...تقع الجبال الأوراسية في نوميديا على بعد تسعة أيام من قرطاج، وهي الأوسع والأكثر علوا - حسب معرفتنا- ولا بد في تقديرنا من ثلاثة أيام للتمكن من الالتفاف حولها، ويبدووا عند الاقتراب منها أنها جبال ممتعة وللتوغل داخلها لابد من الدخول عبر الأودية والخنادق ولكن بعد تجاوز تلك الأودية والخنادق، والوصول إلى القمم نكتشف سهولا ذات تربة خصبة ومسالك سهلة ومراعي جيدة وحدائق غنية وأراضي فلاحية واسعة وبنابيع متدفقة ذات مياه صافية تجري عبر أودية متعرجة، والأغرب هو زراعة القمح والأشجار المثمرة، وغلالها أجود مما ينتج في عموم ليبيا، وتوجد قلاع

¹ -De la Malle D, op-cit, p98-99.

يحتمى بها عند الضرورة لكنها مهجورة الآن استغنى عنها الأهالي لانتشار السلم فمنذ طرد الوندال لم يجرؤ أي عدو على الدخول إلى المنطقة...»¹.

ويضيف بروكوب فيقول : «...يمتلك المور شمال وشمالى-شرق الجبال الاوراسية أراض خصبة، وخلف هذه الجبال غربا يوجد مور آخرون يقودهم ملكهم اورتياس (Ortias) حليف البيزنطيين والرومان، وخلف إقليم مملكة هذا الزعيم توجد صحراء خالية من السكان، وخلف تلك الصحراء يعيش أناس ليسوا سمرا كالмор ولكنهم ذو بشرة بيضاء وشعر أشقر » ، الظاهر أن بروكوب لم يزر هذه الأقاليم الأوراسية التي تكلم عنها، فقد اكتفى فقط بما رواه له من زار المنطقة من معاصريه، لذا نجد وصفه للمنطقة مبالغ فيه خاصة فيما يتعلق بثرائها الاقتصادي².

ويصفها في موضع آخر فيقول : « تتميز بثلاث مواصفات فهي مرتفعات لمن يباشرها لأول مرة، وهي النعيم لمن يعيش فيها أو يعبرها مسالما، إلا أنها توفر لسكانها ضد العدو الذي يهاجمها مناطق محصنة ومواقع دفاعية متعددة ويسكنها المور منذ زمن بعيد، حيث قام مور الاوراس بالثورة ضد الوندال وأصبحوا مستقلين »³.

ظهرت مملكة الاوراس كأقوى مملكة في نوميديا في الفترة الوندالية، حيث شاركت إلى جانب جنسريق في حملاته في المتوسط لكن العلاقة بين الطرفين لم تستمر وتوترت بعد وفاة جنسريق وتوترت أكثر بوفاة ابنه هنريك سنة 484م، حيث بدأت الصراعات بين الطرفين وأصبحت العلاقات عدائية يسودها الصراع والحروب، أدت إلى بروز الاوراس كأقوى المملك المورية تحت قيادة قائد اسمه ابداس أو يوداس مع بداية الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، والذي امتدت مملكته من جبال النمامشة شرقا إلى سهول وجبال الحضنة

¹ - Procope, GV, II, 13,23.

² - عقون محمد العربي، المنطقة الأوراسية في القرن السادس ميلادي من خلال المصادر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 12، جوان 2005م، ص9.

³ - عيشي، مقاومة المور خلال القرن السادس ميلادي، المرجع السابق، ص115.

غربا، ومن المنحدرات الشمالية لجبال الأوراس إلى المناطق الممتدة إلى حدود البيزاكينا ويادس¹.

تُجمع المصادر التاريخية على استقلالية القبائل الأوراسية طيلة الفترة الوندالية وإلى الفترة البيزنطية، وقد كانت من أولى القبائل السبّاقة إلى رد فعل ضد التوسع البيزنطي داخل الأراضي الأوراسية، وقد انتظرت الفرصة السانحة خاصة مع بداية ضعف وانهايار الإمبراطورية الرومانية مع بداية القرن الخامس ميلادي لتتحرك وتعلن استقلالها التام واستقلال أراضيها، وأصبحت أقوى مع وصول يوداس إلى حكم الأوراس، فقد ربط علاقات طيبة مع الملوك المور خاصة ملوك موريطانيا، ما يؤكّد ذلك أنه وبعد انهزام يوداس في معركة من المعارك ضد صولومون سنة 539م انسحب وتراجع واحتّمى والتجأ إلى قبائل موريطانيا²، ليعود بعد ذلك سنة 546م كحليف لملك موري آخر ملك الفراكسيس أنتالاس في الحرب المورية الكبرى والتي الحقوا فيها هزائم كبيرة بالعدو³، وهو ما يوحي لنا بالعلاقات السلمية والتحالف الذي كان يربط الملوك المور فيما بينهم في الفترة البيزنطية، وذلك أن هدفها كان واحد وهو القضاء على الاحتلال البيزنطي.

في حين نجد العلاقات العدائية التي كانت بين القبائل الأوراسية ومملكة أورتياس بالحصنة ومملكة مازوناس في تلمسان، ربما بسبب النعرات الداخلية والحدود، غير أنها لم تدم هاته العلاقات السيئة طويلا فقد تحسنت علاقة الأوراس بمملكة أورتياس في الحصنة وهو ما نجده في التحالف الذي كان بين الطرفين وانضمامهما إلى التمرد والانقلاب الذي قام به القائد البيزنطي ستوتزاس (Stotzas) على الجيش البيزنطي⁴.

بدا الصراع البيزنطي الأوراسي مع بداية الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، وكان بسبب الإستراتيجية التوسعية التي انتهجتها بيزنطا على حساب أراضي القبائل المورية

¹ - فاضل ل، المرجع السابق، ص ص 197-201.

² - Procope, GV, II, 20.

³ - بن حرييط م ع، المقاومة المورية للاحتلال البيزنطي، المرجع السابق، ص 104.

⁴ - يوسف عيش، بيداس أمير الأوراس خلال القرن 6م، مجلة الحوار الفكري، العدد الأول، جويلية 2001م، ص 42.

عموماً و الأراضي الأوراسية خصوصاً، وكان ذلك مع بداية سنة 535م¹، حيث وسعت بيزنطا من حدودها التي ورثتها عن الوندال إلى الأراضي الأوراسية، بهدف الاستيلاء عليها، الأمر الذي لم تقبله القبائل الأوراسية، خاصة إذا علمنا أن الأرض هي كل شيء بالنسبة للفرد الموري القديم، فهي مورد رزقه وحياته وسبب وجوده، لتبدأ بذلك سلسلة الحروب بين الطرفين .

كانت بداية كل الحروب لصالح إبداس ملك الأوراس، حيث ألحق بالقائد صولومون وجيشه هزائم كبيرة، ويعود السبب في ذلك لقوة وحنكة إبداس وللتمرّد العسكرية الذي حدث في صفوف الجيش البيزنطي، ولطبيعة الجغرافية الأوراسية وصعوبة تضاريسها²، يظهر ذلك من خلال الإستراتيجية الحربية التي اعتمدها القبائل الأوراسية في الحروب، حيث كانت تقوم على الظهور للعدو في أرض مكشوفة ثم الانسحاب إلى الجبال لاستدراج العدو، وهو ما قامت به القبائل في حربها ضد صولومون لأن طبيعة المنطقة الجغرافية ملائمة لحرب الكمائن وحرب العصابات والكر والفر والحصار المفاجئ، وقد حقق بذلك يوداس انتصارات كبيرة ضد القائد البيزنطي صولومون سنة 535م³ .

وتذكر المصادر أن يوداس كان له جيش يتكون من ثلاثون ألف محارب⁴، والتي انضم بها إلى جانب القائد المتمرد ستوتزاس البيزنطي وأورتياس ملك الحضنة في الجهة الغربية للملكة الأوراس⁵ .

وقد تجدد الصراع بعد ذلك سنة 539م بين بيزنطا والأوراس وكانت النتيجة لصالح إبداس، حيث يذكر بروكوب إحدى المعارك الكبرى الناجحة لإبداس ضد القائد قونتاريس (Gontharis) الذي أرسله صولومون لمواجهة القبائل الأوراسية، ويذكر بروكوب في ذلك التّحكّم الجيّد ليوداس لمنابع المياه⁶، التي استعملها في الحرب ضد الجيوش

¹ - Procope, GV, II, 14.

² - حمداوي ج، المرجع السابق، ص 274.

³ - عقون م ع، المرجع السابق، ص 14.

⁴ - Procope, GV, II, 13, 1

⁵ - عيبش ي، إبداس أمير الأوراس...، المرجع السابق، ص 115

⁶ - Procope, GV, II, 19

البيزنطية، فقد عسكر الجيش البيزنطي بالقرب من مدينة بغاي (Baghai) وقد أُغلق يوداس جميع مجاري واد أبيقاس¹ (Abigas) باستثناء المجرى المتجه نحو مدينة بغاي، أي نحو المعسكر البيزنطي الذي غمرته المياه وقد حقق بذلك انتصارا كبيرا على الجيش البيزنطي² .

لكن الانتصار لم يدم طويلا فقد تمكن قائد من قادة صولومون من التسلل إلى جبال الاوراس وهو كنزو³ (Genzo) والاقتراب إلى معسكر ابداس وقتل بعض رجاله، وأصيب على إثرها يوداس بجروح مما أدى به إلى الانسحاب إلى حدود موريطانيا ولجأ إلى القبائل الحليفة له ليسترجع قواه ويعود إلى أرض المعركة مرة أخرى سنة 546م⁴ .

عاد يوداس الى الصراع سنة 546م ولكن هذه المرة ضد قائد بيزنطي جديد هو جون تروقيليتا، هذا الأخير الذي كانت مهمته القضاء على الثورات المورية في بلاد المغرب، فقد دخل في صراع ضد الملوك المور المتحالفين في معارك فاصلة تعرف عند المؤرخين بالحرب المورية الكبرى بما فيها قبائل الاوراس، وبعد سلسلة الحروب بين الأطراف المتصارعة نجد أن الملك يوداس ضعف ودخل في سلام أو أصبح حليفا لبيزنطا وللقائد تروقيليتا ضد القادة المور حسب ما يذكر بروكوب، أي ضد الملك انتالاس والقبائل الطرابلسية لكننا نجهل السبب والدافع لذلك ؟ حيث تذكر المصادر أنه قام بإرسال جيش تعداده إثني عشر ألف جندي بقيادة ابنه إلى جانب جيش تروقيليتا سنة 548م ، ونجهل بعد هذا التاريخ تاريخ الاوراس، والتي يقر بعض المؤرخين أن مملكة الكاهنة ما هي إلا امتداد لمملكة الاوراس التي كانت تحت سلطة الملك ابداس⁵ .

¹ - يذكر بروكوب واد أبيقاس Abigas والذي ذكر موقعه في منطقة الأوراس، ووصفه بأنه يقوم بسقي كل أقاليم الأوراس والقبائل الأوراسية.....انظر:

- Procope, GV, II, 13,20

² - بن حرييط م ع،مقاومة المور للاحتلال البيزنطي،المرجع السابق،ص107-108.

³ - Procope, GV, II, 20,12-13

⁴ - Procope, GV, II, 13,21-22

⁵ - عيش ي، ابداس أمير الأوراس ...،المرجع السابق،ص116.

5. قبائل الحضنة :

ورد اسم الملك أورتياس كقائد على مملكة الحضنة، في نقيشة أريس (Aris) التي عثر عليها سنة 1942م، وهي عبارة عن إهداء وضعه الملك أورتياس (Ortaias) على شرف جاره ماستيغاس (Mastigas)¹.

و يرجح كاركوبينو حسب نقيشة أريس (Aris) التي تؤرخ بنهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس²، إلى أن الملك أورتياس (Ortaias) كان في صراع مع الملك ايوداس في سنة 535م، لأن هذا الأخير كان يريد أن يتوسع على حساب أراضي الملك أورتياس، و كان أورتياس ملك قبائل الأوراس في الجزء الغربي من الأوراس، و قد تحالف ايوداس مع ماستيناس (Mastinas) هذا الأخير الذي كان ملكا على موريطانيا السطافية والحضنة ضد أورتياس، ومن الممكن أن مملكة أورتياس تجاور مملكة ماستيناس، كما أن مملكة أورتياس تتوسط مملكة ايوداس وماستيناس³.

وفي ظل الصراع الذي كان قائما بين قبائل الأوراس والحضنة والتحالف الذي أبرمه ايوداس مع قبائل موريطانيا بقيادة ماستيناس، من الممكن أن تكون قبائل الحضنة بقيادة أورتياس قد تحالفت مع الجيوش البيزنطية في حملتها على قبائل الأوراس نظرا للصراع الذي كان بين الطرفين وسعي أورتياس للقضاء على الخطر الأوراسي الذي يهدد قبائل الحضنة، وهي السياسة التي كانت تلجأ إليها بيزنطا في بلاد المغرب وهو استمالة بعض القبائل المورية إلى صفها، وانتهاز فرصة الصراع فيما بينها .

¹ - حليلة غازي-بن ميس و البيضاوية بالكامل، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته، دار السلامة، الرباط، 2007م، ص98.

² - Carcopino, un empereur maure inconnu d'après une inscription latine récemment découverte dans l'Aurès dans revue de l'étude ancienne, T.XLVI, 1944, pp94-120.

³ - Modéran.Y, Les Maures et L'Afrique Romaine, Op-cit , p376

6. قبائل الجدار :

قامت الباحثة فطيمة خضرة بدراسة موسعة عن مملكة الجدارات، وتبين أن الجدارات عبارة عن أضرحة ملكية للملوك المور في الفترة المتأخرة من التاريخ القديم، تقع على بعد 15 كلم من شرق فرنده في ولاية تيارت وعددها ثلاثة عشر جدار، وهي مقسمة إلى قسمين ثلاثة منها أطلقت عليها تسميات "A". "B". "C" وهي معزولة تماما في جبل الأخضر، والآخر أضرحة الأخرى "E". "F". "G". "H". "I". "J". "K". "L". "M" هي عبارة عن مقبرة كبيرة وتقع في أعالي جبل العروي (Aroui)¹.

هذا ويعتقد أن تاريخ بناء هذه الجدارات يرجع إلى القرن الخامس ميلادي، لكن الضريح "A" يعتقد أنه بني بتاريخ أواخر القرن الرابع للميلاد وبداية القرن الخامس، أما الجدار "B" فإنه يؤرخ ب 410م أو بعد ذلك بقليل، أما الجدار "C" فيكون قد بني نهاية القرن الخامس إلى بداية القرن السادس والجدار "F" يكون قد بني فيما بعد أي إلى منتصف القرن السادس ميلادي².

7. مملكة ألتافا (مازونة) :

ورد اسم الملك مازونة (Masuna) في نقيشة أولاد ميمون والتي عثر عليها في جبال تلمسان، في موقع ألتافا أو أولاد ميمون كما يسمى حاليا، ظهر هذا الملك على رأس قبائل كبيرة في الغرب الجزائري، والظاهر أن مملكته كانت تسمى مملكة ألتافا، وقد برزت وقويت هذه المملكة مع بداية الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب، واستمرت كمملكة مستقلة طيلة القرن السادس ميلادي³ وفي غياب المصادر لا يمكن الجزم في طبيعة العلاقات التي كانت بين مملكة ألتافا والاحتلال البيزنطي غير انه يمكن الاعتقاد بوجود الصراع بين الطرفين وذلك بسبب محاولة التوسع البيزنطي إلى الداخل انطلاقا من قيصارية أو محاولة القبائل الموريطانية القضاء على الاحتلال البيزنطي في الساحل الموريطاني .

¹ - Ait-séba N, hommage à Fatima kadra, les Djedars . Monument funéraires berbères de la région de Freneda, Ikosim, 02, 2013, p177.

² -Ibid,p181

³ - Lancel S, op-cit,p237

(2) المرحلة الثانية : الحرب المورية الكبرى 544-548م :

لم تهدأ الأوضاع للبيزنطيين في بلاد المغرب بقضائهم على ثورة و مؤامرة الجند بزعامة ستوزاس¹ (Stozace) والقضاء على ثورة يوداس ملك الاوراس الذي نزع نحو موريطانيا بعد الهزيمة التي مني بها ضد البيزنطيين²، فلقد كان على البيزنطيين أن يواجهوا ثورة أعنف و أشمل من الثورات التي عرفوها في بداية الاحتلال، حيث ستظهر ثورة اعنف واشمل وهي ثورة القبائل المورية المتحدة فيما بينها بداية من سنة 544م.

و لعل من بين أسباب الحرب المورية الكبرى التي كانت سنة 543م، أنه حينما قام الإمبراطور جوستينيان بوضع دوقا جديدا على مقاطعة طرابلس يدعى سرجيوس (Sergius) والذي كان من أقارب القائد صولومون وكانت سمعته سيئة جدا في أوساط الجيش و في أوساط المور، حيث خططوا للقضاء عليه وقتله حسب ما يذكر بروكوب³.

وأمام هذه الأوضاع الصعبة حشدت القبائل المورية الطرابلسية (Laguateane) جيشا ضخما واتجهت نحو مدينة لبدة (Liptis-Magna) وذلك للاحتجاج على ما فعله الجيش البيزنطي في انتهاك الأراضي الزراعية والمحاصيل التي كانت تمتلكها هذه القبائل، حيث استقبل الحاكم الجديد سرجيوس ممثلي القبائل المورية في قصره لينظر في مطالبهم من وراء الاحتجاج، ثم قرر في الأخير بقتل هؤلاء الممثلين و كان عددهم حوالي ثمانون فردا، و هو سبب إعلان القبائل المورية للحرب على الإمبراطورية البيزنطية⁴.

وكانت هذه الحادثة بداية صراع جديد بين القبائل المورية و البيزنطيين مع بداية سنة 544م، وقد تحالفت كل القبائل المورية المناهضة للاحتلال البيزنطي في هذه الحرب بزعامة قبيلة لواتة (Laguateane)، كما أعلن ملك البيزاكينا أنتالاس الحرب على البيزنطيين، و سعى إلى التحالف مع القبائل الطرابلسية في هذه الحرب، حيث أدى هذا الأمر بحاكم الطرابلسية سرجيوس إلى طلب المساعدة من الحاكم العام صولومون في

¹ - Procope, GV, II, 19.

² - Maraval P, justinien .le rêve d'un empire chrétien universel, op-cit, p264.

³ - Georges T, op-cit, p705.

⁴ - Diehl, Ch, l'Afrique byzantine p340.

قرطاج¹، وسارت القبائل المورية بقيادة انتالاس وتوسعت اتجاه العاصمة قرطاج مما اضطر صولومون إلى الخروج و مواجهة المور بالقرب من مدينة تبسة (Theveste) ، حيث دارت الحرب الأولى بين الطرفين في موقعة القصرين (Cillium) وذلك سنة 544م من شهر جوان انتهت بمقتل القائد البيزنطي صولومون² .

وبعد موت صولومون أوكل الإمبراطور جوستينيان مهمة القيادة بلاد المغرب إلى كل من القائد أريوبيند (Aréobinde) وسرجيوس (Sergius)³، لكن لا أحد من القادة الجدد استطاع أن يهزم القبائل المورية المتحدة والتي ازدادت قوة بعد موت صولومون⁴، بالرغم من تحالف بعض الملوك المور مع السلطة البيزنطية، مثل تحالف الملك الموري كوزينا (Cozina) حاكم الإقليم الجنوبي لنوميديا، هذا الأخير الذي كان تحت قيادته حوالي ثلاثون ألف من الفرسان حيث وقف بها الى جانب بيزنطا ضد ملك البيزاكينا انتالاس (Antalase)⁵ .

في حين إنضم القائد البيزنطي المتمرد على السلطة ستوزاس (Stosace) إلى القبائل المورية والى قائدها انتالاس، حيث كان ستوزاس لاجئا في احدى القبائل الموريطانية بعد ان فشل انقلابه على السلطة، كما انظم إلى انتالاس بقايا الوندال الذين بقوا في المنطقة بعد سقوط دولتهم⁶ .

وكانت المواجهة الثانية للقبائل المورية ضد كلا من أريوبيند وسرجيوس و حليفهم كوزينا عنيفة جدا، حيث سارت القبائل المورية المتحالفة باتجاه حضر موت (Hadrumète) (سوسة) ودخلت في ثورة كبيرة ضد الجيوش البيزنطية حققت فيها انتصارا كبيرا على الحكام البيزنطيين الجدد الذين عينهم الإمبراطور جوستينيان بعد موت القائد صولومون .

¹ - Maraval P, justinien .le rêve d'un empire chrétien universel, op-cit, p263-264.

² - Georges T,op-cit,p706-707.

³- procope,GV,II,24.

⁴ - Georges T, op-cit, p708.

⁵- Diehl, Ch, L'Afrique byzantine, p345.

⁶ - Georges T, op-cit, p708.

وفي هذه الظروف الصعبة عين الإمبراطور جوستينيان مع نهاية سنة 546م حاكما عام جديد لبلاد المغرب يدعى جون تروجيليتا (Jean Trogilita) وأمره بالقضاء على القبائل المورية الثائرة¹ وقيادة العمليات العسكرية في هذه الحرب لأن هذا الأخير كان ضابطا قديما في جيش بليزاريوس في الحملة البيزنطية ضد الوندال ببلاد المغرب سنة 533م²، وبعدها وفي فترة حكم صولومون من الممكن أن تروجيليتا كان بمثابة دوقا في المقاطعة الطرابلسية، وكان اليد اليمنى لصولومون وبقي في المنطقة بعد أحداث 536م الأحداث التي أدت إلى فرار صولومون إلى صقلية، ونصب بعد ذلك قائد الجناح الأيمن في الجيش البيزنطي في بلاد المغرب إلى غاية 538م، خاصة في فترة مقاومة انتالاس في البيزاكينا، إذا فهو بذلك يعرف الكثير عن المقاطعة قبل أن يحكمها كما يعرف طبيعة العدو (القبائل المورية) الذي سيواجهه، ربما هي أشياء دفعت بالإمبراطور جوستينيان إلى اختياره لأن يكون الحاكم العام الجديد لبلاد المغرب³.

سار القائد تروجيليتا في حدود سنة 546-547م رغم قساوة البرد في حملة ضد المور، وتوغل بعدها في الجنوب رغم الحرارة الشديدة، حيث وصل جنوبا إلى مناطق لم يصلها أحد من القادة البيزنطيين من قبل، وقد أستطاع تروجيليتا أن يستميل ملك الاوراس يوداس و التحالف معه⁴.

وفي هذه الفترة تقريبا انتهى الصراع البيزنطي مع الفرس في المشرق، وهو ما سيساعد على تدعيم الجيش البيزنطي بقوات جديدة، حيث أرسل الإمبراطور مساعدات عسكرية إلى بلاد المغرب، و ذلك بهدف القضاء على الثورة المورية الطرابلسية التي بدأتها قبائل هواره و

¹ - Procope, GV, II, 23.

² - Maraval P, Justinien .le rêve d'un empire chrétien universel, op-cit, p266

³ - Diehl, Ch, l'Afrique byzantine, p363-364

⁴ - Maraval P, Justinien .le rêve d'un empire chrétien universel, op-cit, p266

لواتة¹، كما جدد تروقيليتا تحالفه مع الملك الموري كوزينا الذي كان بحوزته ما يقارب ثلاثون ألف مقاتل².

و حسب رواية كوريبوس فقد انضم قائد موري آخر إلى صفوف الجيش البيزنطي يدعى إفيدياس (Ifisdaias)³، والذي كانت مملكته مجاورة لمملكة كوزينا، و قد استطاع جون تروجيليتا بمساعدة بعض ملوك القبائل المورية من مباشرة الحملات العسكرية ضد قبائل هواره ولواتة في الصحراء الطرابلسية التي كانت بقيادة الملك إيرنا (Ierna) ، و هو من أقوى القادة الموريين في المنطقة الطرابلسية⁴، وكان إلى جانبه في هذه الثورة ملك البيزاكينا انتالاس الذي يعرف الجوش البيزنطية أتم المعرفة .

وبعد صراع وثورات كثيرة بين الطرفين الموري والبيزنطي انتهت الحرب بالانتصار البيزنطي أواخر 547م، في ظل التعاون والتحالف البيزنطي مع بعض قادة القبائل المورية، حيث اندثرت بعد ذلك فرق الجيش الموري وتشتت في أعماق الصحراء بعد الهزيمة، و حقق بذلك تروجيليتا انتصارا كبيرا⁵، خاصة وأن الحرب المورية الكبرى انتهت بمقتل إيرنا ملك القبائل الطرابلسية، وانسحاب انتالاس ملك البيزاكينا وضعفه وتشتت جيوشه .

ما يمكن قوله في ذلك أنه كان بإمكان انتصار القبائل المورية في هذه الحرب ضد الجيوش البيزنطية وقائدها تروقيليتا، لولا خيانة بعض القبائل المورية وتحالفها مع البيزنطيين، حيث كان القائد تروقيليطا يدرك أن الانتصار لن يتحقق إذا لم يتحالف مع القبائل المورية في هذه الحرب، لذلك سارع إلى استمالة بعض القبائل المورية لكي يأمن منها ويستفيد من تحالفها مع القبائل الطرابلسية الثائرة.

¹ - Diehl, Ch, l'Afrique byzantine, p365-366.

² - Maraval P, justinien .le rêve d'un empire chrétien universel,op-cit,p266.

³ - Georges T ,op-cit,p714

⁴ - Diehl, Ch, l'Afrique byzantine, p367-368.

⁵ - Maraval P, justinien .le rêve d'un empire chrétien universel,Op-cit, p266

هذا و قد حاول الملك إيرنا حماية معبوده الإله غرزيل (Guerzil) الذي هدمه الجنود البيزنطيين ودمروا كل المعابد المورية ودمروا معبد الإله غرزيل الذي هو ربما من الآلهة التي كان يعبدها المور في الصحراء الطرابلسية، وبهذا استطاع جون تروجيليتا من إخماد الثورة المورية الكبرى وعاد بعدها إلى العاصمة قرطاج¹.

لم يدم الأمن والاستقرار طويلا، حيث ظهر قائد موري آخر جمع حوله القبائل المورية من جديد ودخل في صراع جديد ضد السلطة البيزنطية و هو الملك كاركسان² (Carcasane) ملك قبائل الايفوراس الطرابلسية (Ifouraces)³.

وقد حشد جون تروجيليتا لهذه المعركة الكثير من الجنود والحلفاء، للقضاء على هذه الثورة ، وتذكر المصادر أن الملك افيدياس كان بحوزته ما يقارب مائة ألف محارب (وهو عدد حسبنا مبالغ فيه)، كما تحالف مع البيزنطيين أيضا ايوداس ملك الأوراس هذا الأخير الذي أرسل مع ابنه ما يقارب اثني عشر ألف جندي.

وقد التقى الجيشان البيزنطي وحلفائه من بعض القادة المور ضد جيش الملك كاركسان في منطقة غربي سهول ماما (Mamas) بالقرب من قرطاج سنة 548م⁴، و بعد معركة كبيرة بين الطرفين⁵، استطاعت الجيوش البيزنطية و حلفائهم من المور من إلحاق الهزيمة بالملك كركسان وجنوده ونهاية حليفه انتالاس⁶، لتكون بذلك هذه المعركة آخر محطة من محطات الحرب المورية الكبرى التي زادت عن أربع سنوات، أظهرت خلالها القبائل المورية حقيقة المقاومة المورية وقوتها، وكلفت الإدارة البيزنطية خسائر مادية و بشرية كبيرة⁷ أدت إلى إفلاس الخزينة البيزنطية .

¹ - Diehl, Ch, l'Afrique byzantine, op-cit, p370

² - ورد اسم القائد كاركسان في الجزء السادس من أشعار كوريب ، كقائد على قبائل الناسامون Nasamon ، حيث يذكر انه تحالف مع انتالاس وثار ضد جون تروجيليتا بعد الحرب المورية الكبرى، كما ذكر كوريب إستراتيجيته الحربية التي كانت تعتمد على الكر و الفر ويذكر بروكوب ذكاه ودهائه الحربي...انظر: - كريسيوس ف.ك، المرجع السابق، ص196.

³ - Maraval P, justinien .le rêve d'un empire chrétien universel, op-cit, p266

⁴ - Diehl, Ch, l'Afrique byzantine ,op-cit, p377

⁵ - Georges T ,op-cit,718

⁶ - Ibid,719

⁷ - Diehl, Ch, l'Afrique byzantine, op-cit, p379.

نقول و نؤكد أن الانتصارات التي حققها تروجيليتا في بلاد المغرب يرجع الفضل فيه بشكل كبير إلى الملوك المور الذين لعبوا الدور الكبير في الحروب وفي جلب الانتصار للجيش البيزنطية بقيادة تروجيليتا، هذا الانتصار الذي عجز عن تحقيقه من سبقوه في الحكم أمثال القائد بليزارايوس وصولومون، حيث ستدخل المنطقة بعد ذلك في حالة سلام دون حروب تقريبا إلى نهاية عهد الإمبراطور جوستينيان.

يمكن القول في الأخير أن العلاقات السلمية التي ربطت البيزنطيين بالقبائل المورية في بداية الحملة على الوندال وعلى بلاد المغرب، كانت علاقات مصالح بين الطرفين، حيث عملت الإدارة البيزنطية على محاولة استمالة والتحالف مع المور حتى تسهل لها عملية القضاء على الوندال، في حين استغلت القبائل المورية فرصة الحملة البيزنطية للقضاء على الوندال، لأن العلاقات المورية الوندالية كانت عدائية، الأمر الذي يؤكد التحالف الموري البيزنطي .

وسوء العلاقات المورية البيزنطية بعد القضاء على الوندال، يظهر نوايا الطرفين في محاولة كل طرف استغلال الطرف الآخر، حيث استغل البيزنطيون القبائل المورية في القضاء على الوندال لأن المور أعلم بشؤونهم السياسية والعسكرية، في حين استغلت القبائل المورية الحملة البيزنطية وتحالفت معها للقضاء على الوندال والسعي بعد ذلك لاسترجاع أقاليمها وأراضيها التي تم التوسع فيها وهو ما نجده بعد القضاء على الوندال، وشرع الإدارة البيزنطية في تجسيد سياستها الاستعمارية و التوسعية واستغلال أقاليم بلاد المغرب .

حيث أدت السياسة الإدارية والعسكرية البيزنطية في بلاد المغرب إلى دخول بيزنطا في حروب لا نهاية لها ضد القبائل المورية، التي كان رد فعلها قوي واستغلت كل إمكانياتها بما في ذلك التحالف وتكوين قوة عسكرية موحدة تواجه بها الاحتلال البيزنطي وهو ما جسده بما يعرف ب "الحرب المورية الكبرى"، التي أظهرت من خلالها القبائل المورية مدى ترابطها وتلاحمها في الظروف الصعبة رغم العلاقات العدائية التي كانت تشوبها بسبب الحدود والنعرات الفكرية والعرقية .

هذا ولم يكن بإمكان الاحتلال البيزنطي تحقيق أهدافه التوسعية، لولا سياسته القائمة على استمالة العنصر المحلي ضد العنصر المحلي وانتهاز فرصة صراع القبائل المورية فيما بينها ، والتحالف مع اكبر القبائل المورية مثل: ما حدث مع الملك الاوراس اوداس والملك كوتزينا اللذين لعبا الدور الكبير إلى جانب بيزنطا في القضاء على الحرب المورية الكبرى .

خاتمة

انتشر سكان بلاد المغرب القديم في كامل مناطق بلادهم مع بداية الاحتلال الروماني للمنطقة ولم يعد يذكر اسم الممالك النوميديّة ، حيث أدت سياسة الرومنة -التي قامت بها السلطة الرومانية- إلى إدماج عدد كبير من سكان بلاد المغرب في المجتمع الروماني وفي الحضارة اللاتينية، وأصبحت الكثير من القبائل النوميديّة قبائل مترومنة و انصهرت ثقافتها مع مرور الزمن في المجتمع الروماني.

في حين بقيت القبائل النوميديّة الأخرى محافظة على نظامها الحضاري القديم وعلى نمط حكمها القائم على نظام القبيلة، الذي تسلم زمام الحكم فيه لقائد القبيلة هذا الأخير الذي يخضع كل شؤونها لسلطته ، و لم تتأثر هذه القبائل بالحضارة الرومانية وسياستها في محاولة رومنة سكان المنطقة، حيث قاومت هذا الاحتلال وسياسته الإدماجية، و هاجرت هذه القبائل بعيدا عن المدن و المقاطعات الرومانية التي تم إخضاعها، و لجأت إلى الجبال وإلى جنوب خط الليمس هروبا من تعسف الرومان و حتى لا تتجرد من هويتها و موروثها الحضاري الذي اتسمت به .

و بهذا ظهرت القبائل المورية وبقوة مع بداية انهيار الإمبراطورية الرومانية في بلاد المغرب ومع الحملة الوندالية على المنطقة، وكانت تعرف في هذه الفترة تحديدا "بالقبائل المورية"، ثم اتسعت دلالة مصطلح "المور"، وأصبح يطلق على كامل سكان بلاد المغرب القديم من السرت الكبير شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، و ظلت هذه الدلالة سارية المفعول منذ أواخر الاحتلال الروماني وطيلة فترة الاحتلال الوندالي والبيزنطي .

كانت القبائل المورية كثيرة العدد وقوية البنية، انتزعت استقلالها تزامنا مع ضعف الإمبراطورية الرومانية ومع بداية الحملة الوندالية على بلاد المغرب، و ظهرت في شكل أحلاف وممالك كان هدفها واحد وهو القضاء على الاحتلال الروماني واسترجاع أراضيها المسلوبة و التخلص من الضرائب الكثيرة التي فرضتها روما على السكان .

ومن أشهر القبائل المورية التي لعبت دورا كبيرا في القضاء على الاحتلال الروماني إلى جانب الوندالي، نجد "القبائل الطرابلسية"، "قبائل الأوراس"، "قبائل الفراكسيس" وقبائل أخرى لم تذكرها المصادر التاريخية الكلاسيكية ولم تكشف عنها التنقيبات والحفريات الأثرية بعد، ولم تتوان هذه القبائل في التحالف مع أي طرف خارجي للقضاء على الرومان، بعد معاناتها الكبيرة من ويلات السياسة الرومانية المتعطسة و القائمة على الظلم و الاستعباد .

برزت القبائل المورية في شكل كيانات سياسية مستقلة تحت لواء زعمائها بداية من القرن الخامس تحالفت مع الحملة الوندالية وفي مناطق كثيرة من بلاد المغرب ،هذا ما يثبت تماسكها القبلي و رفضها التام لسياسة المحتل الروماني، و تواصلت المقاومة المورية طيلة فترة الاحتلال الروماني،و أما تحالف قبائل المور مع قبائل الوندال فما هو إلا إستراتيجية سياسية وعسكرية مورية تهدف للقضاء على الرومان ثم التفرغ للقضاء على القبائل الجرمانية الدخيلة على المنطقة .

و يمكن القول بشأن القبائل المنتشرة في بلاد المغرب -والتي ذكرتها المصادر- أنها ليست كل القبائل الموجودة في المنطقة، حيث ذكرت المصادر أشهر القبائل المورية و حسب ولم تذكر كل القبائل، فقد تكشف لنا حفريات وتنقيبات أثرية جديدة عن أسماء ومواقع قبائل أخرى لم تذكرها المصادر لأسباب نجهلها، الأمر الذي يجعل الباحث في تاريخ بلاد المغرب القديم في الفترتين الوندالية البيزنطية في بحث وتحليل مستمر للوصول إلى حقيقة هذه القبائل علاقاتها فيما بينها وبين المحتل الأجنبي .

استطاعت القبائل الوندالية بعد عدة محاولات فاشلة في القسم الأوربي من تأسيس مملكة وندالية مستقلة في بلاد المغرب القديم، وهذا يعود بشكل كبير للقائد جنسريق و لقوته وإستراتيجيته في كسب المعارك ضد العدو أو كسبه لصفه، وهو ما استطاع فعله مع الكونت بونيفاس ومع زعماء القبائل المورية، وهو ما يفسر سرعة تحرك الوندال في

بلاد المغرب من الشرق إلى الغرب، ولم يكن ذلك ليحدث إلا بمساعدة هذه القبائل للوندال ضد الرومان .

ومن دوافع احتلال الوندال لبلاد المغرب القديم، ضعف الإمبراطورية الرومانية وتفككها بعد انقسامها إلى شرقية وغربية، بالإضافة إلى صراعاتها الداخلية والخارجية خاصة من القبائل الجرمانية، وكثرة التمردات التي قادها حكام المقاطعات، مثل: التحالف بين الملك جنسريق والكونت بونيفاس، وهو ما زاد من إصرار الوندال و رغبتهم في السيطرة على أقاليم بلاد المغرب الغنية اقتصاديا وتجاريا والقضاء على الإمبراطورية الرومانية و هي العدو التقليدي لهم.

ومن العوامل المباشرة التي مكنت الوندال من القضاء على الرومان، و الوصول إلى قرطاج بسرعة وسهولة و تأسيس دولة مستقلة هناك قائمة على أنقاض المخلفات الرومانية، نجد رغبة القبائل المورية الكبيرة في الاستقلال و القضاء على النظام الروماني المتعسف، والتخلص من هيمنة و ضرائبه التي أثقلت كاهل سكان بلاد المغرب الذي أصبح يعاني أكثر سيما بعد الضعف الذي آلت إليه أوضاع الإمبراطورية الرومانية الغربية .

وهو ما نلاحظه في العلاقات السلمية التي جمعت بين الوندال و المور طيلة فترة حكم الملك الوندالي "جنسريق"، حيث استغل هذا الأخير القبائل المورية في توجيه أهدافه و تحقيقها في المتوسط، و وجدت هي الأخرى في الوندال وفي جنسريق الطريق للتخلص من الهيمنة الرومانية، وتأسيس ممالك مستقلة تستمد مداخيلها من المشاركة في الحملات التي خاضها جنسريق في المتوسط.

إن سوء العلاقات بين الوندال والقبائل المورية بعد وفاة جنسريق دليل على تغيير الإستراتيجية الوندالية اتجاه القبائل المورية، ودليل أيضا على نهاية المصالح المشتركة بين الطرفين و هي القضاء على الرومان في بلاد المغرب-، وهو ما أدى فيما بعد إلى

اندلاع الحروب بين الطرفين التي زادت من قوة القبائل المورية، وتأكد الجميع من وجودها وسيطرتها على أقاليمها .

اقتصرت السيطرة الوندالية على الجزء الشرقي لبلاد المغرب القديم فقط، بالتحديد تونس حاليا والجزء الشرقي من الجزائر دون غيرها من المناطق الأخرى التي سيطرت عليها القبائل المورية، وهو ما تؤكدُه التقسيمات الإدارية التي قام بها الملك جنسريق، و قد تقلصت هذه الحدود فيما بعد بسبب الصراع الموري الوندالي في عهد خلفاء جنسريق ، وتوسع القبائل المورية في الأراضي التي كانت خاضعة للوندال و تابعة له.

كما أن استمرار النظم الحضارية الرومانية في بلاد المغرب القديم بعد سقوط روما دليل على تبني الوندال لهذه النظم التي لم تنزل بزوال النظام الروماني، بل بقيت متمثلة ومتأصلة في الطبقة الرومانية والمترومنة التي كانت تسيطر على أكبر الأراضي الزراعية التي لم تغادرها بسقوط روما، فعملت الإدارة الوندالية على تنظيمها واستغلالها دون القضاء عليها .

إن فشل المحاولات الرومانية الفردية والجماعية في القضاء على الوندال دليل على قوة جنسريق وخبرته في التحكم و في القضاء على كل ما من شأنه الإطاحة بدولته، وذلك باستعمال أسلوب التجسس وإشراك القبائل المورية في إفسال المخططات الرومانية الرامية إلى استرجاع بلاد المغرب من أيدي الوندال .

إن سقوط الوندال ونهاية دولتهم في بلاد المغرب دون ترك أية مخلفات حضارية مادية في المنطقة، دليل قاطع على استغلالهم لمخلفات الحضارة الرومانية دون محاولة إحداث أي تغيير، فقد تم استغلال كل المنشآت العمرانية المدنية العسكرية والدينية، و هو ما يدل أيضا على عدم اهتمام الملوك الوندال بتنظيم شؤون دولتهم -على غرار ما قام به جنسريق- و الانصراف إلى حياة الترف والبذخ و إثارة العداوة مع القبائل المورية ، و قد أدت هذه الأسباب إلى زوالهم اندثار دولتهم ببلاد المغرب القديم.

اقتصرت التقسيم الإداري الوندالي لبلاد المغرب القديم على أقاليم البروقنصلية، المزاق وجزء من نوميديا الشرقية، وهو دليل على رغبة الوندال في تأسيس دولة على المخلفات الرومانية، والسيطرة على أهم المقاطعات الحضارية والاقتصادية الرومانية في بلاد المغرب القديم، و قد ركز الوندال على هذه المنطقة لما تحتويه من مرافق ومنشآت حضارية .

امتلك الوندال عتادا حربيا متطورا ساهم في نجاحهم في الحروب التي خاضوها ضد الرومان، و هو ما يدل على قوتهم العسكرية واستراتيجيتهم المحكمة -خاصة في عهد جنسريق- التي تم اكتسابها من خلال مجاورة الإمبراطورية الرومانية في القسم الأوروبي والانخراط في جيوشها، الأمر الذي ساعدهم على انتهاج نفس الأسلوب العسكري الروماني بعد تأسيس دولتهم في بلاد المغرب القديم .

إن ظهور الممالك المورية وتحالفها مع الملك جنسريق في الحملة التي قادها على بلاد المغرب يعكس مدى الاستبداد والظلم الذي عانت منه هذه القبائل في الفترة الرومانية، و قد وجدت في الوندال الفرصة السانحة للقضاء على الرومان والاستقلال بالأقاليم التي كانت تستقر فيها .

غياب الصراع والثورات بين الوندال والقبائل المورية طيلة فترة حكم الملك جنسريق، دليل على العلاقات الوطيدة بين الطرفين واحترام هذا الأخير للمعاهدات التي جمعته بالقبائل المورية، الأمر الذي أدى إلى إشراك هذه القبائل في الكثير من الحملات التي قام بها جنسريق في جزر المتوسط .

و أدى سوء العلاقات بين الوندال و الموريين بعد جنسريق إلى كثرة الثورات المورية هذا ما سرع في سقوط الوندال، و زاد من قوة القبائل المورية وجعل منها كيانات مستقلة ومتحالفة فيما بينها، و قد أصبحت ترى في الوندال العدو المشترك الذي يجب القضاء

عليه واسترجاع كل الأقاليم التي سيطر عليها، و وجدت القبائل المورية في البيزنطيين السند القوي الذي يمكن التحالف معه للقضاء على الوندال وتحقيق السيطرة والاستقلال .

اقتترنت الحملة البيزنطية على بلاد المغرب بالأوضاع التي كانت تعيشها مملكة الوندال وظروفها السياسية والعسكرية الصعبة وحروبها الكثيرة مع القبائل المورية،الوضع الذي حفز بيزنطا عموما والإمبراطور جوستينيان خصوصا على التفكير في حملة على بلاد المغرب كان الهدف منها اقتصاديا بشكل كبير نظرا لما تزخر به المنطقة من إمكانيات وثروات طبيعية كبيرة، إضافة إلى الدافع الديني الذي حفز الإمبراطور الذي كان يعتبر نفسه حامي المسيحية ورجال الدين في كامل أرجاء العالم، وبذلك سعى في تخليص رجال الدين المسيحيين في المغرب القديم من بطش الأريوسية الوندالية .

إن سقوط الوندال على يد البيزنطيين في وقت قصير دليل على قوة الجيوش البيزنطية و هذا بفضل الحروب الكثيرة التي خاضتها في الشرق ضد الفرس، و كذا بفضل الدور الكبير الذي لعبته القبائل المورية في إضعاف الجيش الوندالي من خلال حروبهم المتكررة ضدهم، الأمر الذي سهل المهمة على الجيش البيزنطي في القضاء على الوندال ،و يرجع هذا الانتصار أيضا إلى التحالف الموري-البيزنطي ضد الوندال بسبب العلاقات العدائية التي ميزت الطرفين الوندالي و الموري بعد وفاة الملك جنسريق .

تظهر أهداف الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم من القرارات التي بعث بها الإمبراطور جوستينيان إلى الحكام الإداريين والعسكريين و المتعلقة بكيفية التحكم في المنطقة وتقسيمها إداريا وعسكريا، حيث أراد بذلك السيطرة على الحدود التي كانت تسيطر عليها روما قديما، لكن هذه الأهداف لم تتجسد على أرض الواقع فقد بقيت حبرا على ورق، لأن السيطرة البيزنطية لم تصل في هيمنتها الحدود الرومانية القديمة، واقتصرت على الساحل الشمالي لطرابلس وأجزاء من البروقنصلية والبيزاكينا وبعض المناطق الداخلية في نوميديا والجزء الشرقي لموريطانيا السطايفية وبعض المدن الساحلية

مثل قيصارية وسبته، أما المناطق الأخرى من الموريطانيات فقد استرجعتها القبائل المورية وهو ما تؤكد الشواهد الكلاسيكية والأثرية. ومن الخطأ تاريخياً القول بالحملة البيزنطية على الوندال لأن حقيقة الحملة وهدفها كان بلاد المغرب وليس الوندال، و على هذا الأساس نصلح على تسمية هذه الحملة بالإحتلال البيزنطي لبلاد المغرب .

تمكنت الإمبراطورية البيزنطية من بسط نفوذها على المناطق التي سيطرت عليها لمدة طويلة من الزمن، يرجع ذلك لمجموعة من العوامل في مقدمتها العامل الاقتصادي وطريقة استنزاف خيرات بلاد المغرب وكثرة الضرائب، والعامل الجغرافي الذي لعب الدور الكبير في إحكام السيطرة على المنطقة من خلال السيطرة على المناطق الإستراتيجية وبناء منشآت عسكرية قادرة على التصدي للثورات المورية التي لم تتوقف عن المقاومة طيلة فترة الإحتلال، و قد كان للعامل الديني دوراً كبيراً في استمرار الإحتلال البيزنطي و ذلك من خلال جهود الإمبراطور جوستينيان في نشر المسيحية والثقافة اللاتينية بين أوساط مجتمع المغرب القديم الذي بقي رغم ذلك محافظاً على مقوماته وثقافته طيلة فترة الإحتلال البيزنطي للمنطقة وإلى غاية الفتح الإسلامي .

ارتكزت السياسة الإدارية البيزنطية في بلاد المغرب للتحكم في المنطقة على سلطتين: سلطة حاكم الإدارة المركزية وهو "البرايطور" أو "الحاكم العام" الذي منحت له مهام وامتيازات كبيرة نظراً للمنصب العالي الذي يحتله، فهو يحتل المركز الثاني في السلم الإداري في الإمبراطورية البيزنطية بعد سلطة الإمبراطور، كما كان لحكام الولايات أو الرؤساء سلطات وامتيازات واسعة في الأقاليم التابعين لها، بحيث تكون سلطة حكام الولايات تحت سلطة الحاكم العام وهو بدوره تابع مباشرة لسلطة الإمبراطور في العاصمة بيزنطا .

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى عدم خضوع كامل بلاد المغرب للسيطرة البيزنطية وفي فترة وجيزة بمجرد سقوط الوندال ونجاح الحملة، خاصة إذا علمنا أن المناطق الغربية

من قرطاج كلها كانت تابعة للقبائل المورية في الفترة الوندالية، من نوميديا شرقا إلى موريطانيا الطنجية غربا، ومن غير الممكن التوسع على حساب الممالك المورية دون أي رد فعل منهم هذا و قد عمل الإمبراطور منذ البداية على استمالة القبائل المورية وعدم التعرض لها.

إن التقسيم الإداري الذي أقره الإمبراطور في الرسالتين اللتين بعث بهما إلى الحاكمين العسكري والمدني، لم يكن أكثر من تقسيم على الورق لم يطبق على أرض الواقع، فهو مجرد هدف كان الإمبراطور يسعى لتحقيقه، ما يؤكد ذلك أن المناطق الثلاث (طرابلس، البيزاكينا، زغوان) والتي ربما تم إخضاعها بالفعل وضعت تحت سلطة حاكم مدني برتبة قنصل، أما المناطق الغربية لها فقد وضعت تحت سلطة حاكم برتبة رئيس من فئة الفرسان، أي أنها تسير من طرف قائد عسكري لأنها غير آمنة، مع كثرة الصراعات و الحروب فيها خاصة في نوميديا وموريطانيا السطايفية وموريطانيا الطنجية .

و أما إقليم موريطانيا القيصرية فقد كان خارج السيطرة البيزنطية ما عدا مدينة قيصرية الساحلية التي لم يكن من الممكن الوصول إليها إلا عن طريق البحر لأن الأراضي الداخلية كانت تحت سلطة المور، كما كانت المنطقة الغربية ملجأ للعديد من القادة العسكريين البيزنطيين المتمردين على السلطة وللقادة المور بعد انهزام أمام الاحتلال البيزنطي مثل: ما حصل مع ملك الأوراس يوداس الذي انسحب إلى قبائل الغرب بعد فشل ثورته أمام القائد صولومون، الأمر الذي يقودنا إلى الاعتقاد في أن المناطق الغربية -غرب نوميديا- مستقلة عن الأراضي البيزنطية .

إن تحالف القبائل المورية مع السلطة البيزنطية مع بداية الحملة لم يكن حبا للبيزنطيين ولا للسياسة التي انتهجوها في بلاد المغرب، بل كان هدف الممالك المورية من هذا التحالف هو المحافظة على الأقاليم الموجودين فيها في ظل التعاون المؤقت وانتظار الفرصة السانحة للقضاء على الاحتلال البيزنطي، وهذا التحالف البيزنطي مع بعض

القبائل المورية ربما كان من ورائه شروط يلتزم الطرفان بها، ويظهر ذلك في تغيير العلاقات بين القبائل المورية والإمبراطورية البيزنطية مع بداية الحملة وسياسة القائد بليزار وما نتج عنها بعد مغادرته لبلاد المغرب تاركا الحكم للقائد صولومون.

نجحت السياسة العسكرية البيزنطية إلى حد كبير في إرساء الأمن والاستقرار في المقاطعات التي سيطرت عليها، ويعود ذلك إلى الإستراتيجية العسكرية التي أقرها الإمبراطور جوستينيان رغم التكاليف المالية والبشرية التي كلفت الإمبراطورية وإلى اعتمادها على الإستراتيجية العسكرية الرومانية القديمة، والاعتماد على مختلف الطرق البرية والمنشآت العسكرية الرومانية في التحكم على المقاطعات، من خلال التقسيمات العسكرية البيزنطية المستوحاة من التقسيمات العسكرية الرومانية القديمة .

كان للإمبراطور "جوستينيان" الدور الكبير في إرساء الأمن والاستقرار في عهده وعهد خلفائه، وذلك من خلال الإستراتيجية العسكرية والاعتماد على المنشآت والحصون الدفاعية بشكل كبير في كامل المناطق المسيطر عليها، وذلك باستخدام بقايا المنشآت الرومانية القديمة من طرق ومرافق عامة في بناء المراكز العسكرية والحصون البيزنطية، الأمر الذي يقودنا إلى أقول أن المتسبب الحقيقي في تخريب العمران و المنشآت الرومانية القديمة في بلاد المغرب هم البيزنطيين وليست القبائل المورية و الوندال حسب ما يقره البعض من المؤرخين .

رغم المنشآت البيزنطية الضخمة والسياسة العسكرية القمعية التي انتهجوها في بلاد المغرب، إلا أن ذلك لم يمنع السكان المحليين من ممارسة نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية والوقوف في وجه التوسعات البيزنطية على حساب الأراضي الزراعية للقبائل المورية، الأمر الذي أدى بالسلطة البيزنطية إلى محاولة التحالف والتقرب من هذه القبائل وعدم إثارتها بعد حروب كثيرة بين الطرفين كلفت الخزينة البيزنطية أموالا وجيوش كبيرة .

تعتبر بلاد المغرب القديم مقاطعة مهمة جدا للإمبراطورية البيزنطية، ما يدل على ذلك الإستراتيجية الحربية المنتهجة هناك والمناصب العسكرية المهمة التي تقلدها المسؤولون قصد إبقاء السيطرة على المنطقة، و قد عملوا على بناء أكبر عدد ممكن من المنشآت العسكرية رغم ما تكلفه من أموال الخزينة البيزنطية الأمر الذي انعكس سلبا على الحياة السياسية في بلاد المغرب وعلى الإمبراطورية البيزنطية .

امتازت العلاقات التي ربطت البيزنطيين بالقبائل المورية بالسلمية في بداية الحملة على بلاد المغرب، وكانت المصالح متبادلة بين الطرفين، حيث عملت الإدارة البيزنطية على استمالة المور والتحالف معهم حتى يسهل عليها القضاء على الوندال، في حين استغلت القبائل المورية فرصة الحملة البيزنطية للقضاء على الوندال، لأن العلاقات المورية الوندالية كانت عدائية، الأمر الذي يؤكد التحالف الموري البيزنطي .

يظهر تدهور العلاقات المورية البيزنطية بعد القضاء على الوندال نية كل طرف استغلال الآخر، حيث استغل البيزنطيون القبائل المورية في القضاء على الوندال لأن المور أعلم بشؤونهم السياسية والعسكرية، في حين استغلت القبائل المورية الحملة البيزنطية وتحالفت معها للقضاء على الوندال وسعت بعد ذلك لاسترجاع أقاليمها التي تم التوسع على حسابها و هو ما يتضح بعد القضاء على الوندال، وشرع الإدارة البيزنطية في تجسيد سياستها الاستعمارية والتوسعية في بلاد المغرب .

أدت السياسة الإدارية والعسكرية البيزنطية في بلاد المغرب إلى دخول بيزنطا في حروب لا نهاية لها مع القبائل المورية، التي كان رد فعلها قويا واستغلت كل إمكانياتها بما في ذلك التحالف فيما بينها وتكوين قوة عسكرية موحدة تواجه بها الاحتلال البيزنطي وهو ما جسّدته فيما يعرف ب "الحرب المورية الكبرى"، التي أظهرت من خلالها القبائل المورية مدى ترابطها وتلاحمها في الظروف الصعبة رغم العلاقات العدائية التي كانت تشوبها بسبب الحدود والنعرات الفكرية والعرقية .

و تجدر الإشارة في هذا السياق أنه لم يكن بإمكان الاحتلال البيزنطي تحقيق أهدافه التوسعية، لولا سياسته القائمة على استمالة العنصر المحلي ضد العنصر المحلي وانتهاز فرصة صراع القبائل المورية فيما بينها، والتحالف مع أكبر القبائل المورية مثل: ما حدث مع ملك الاوراس اوداس والملك كوتزينا اللذين لعبا الدور الكبير إلى جانب بيزنطا في القضاء على الحرب المورية الكبرى التي كادت أن تقضي على الاحتلال البيزنطي في المنطقة

البيئيوغرافيا

1- المصادر:

أ- باللغة العربية:

- ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1967م.
- ابن عبد الحكم عبد الرحمان ابن عبد الله، فتوح إفريقيا و الأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ،بيروت،1987.
- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب ، بيروت ، 1950.
- الإدريسي الشريف ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تحقيق و تقديم اسماعيل العربي" القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- البكري أبو عبيد الله ، وصف إفريقيا الشمالية ، ن نشرة ديسلان ،الجزائر،1875.
- فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس،ملحمة الحرب الليبية الرومانية ،تر.محمد الطاهر الجارري ،منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ،ليبيا،1988.
- اعترافات القديس أوغسطين، تر الخوري يوحنا الحلو،ط5،دار المشرق بيروت،1996م.

ب- باللغة الأجنبية:

- Corippe, La Johannide, II, trad. J.Alix, Rev. tun, T7, Tunis, 1900.
- Corripe ,éloge de l'Empereur Justin. II, trad. Serce Antès, les belles lettres, paris, 2002.
- Pline l'Ancien, Histoire Naturelle, t V, trad.J.Desanges, Paris, 1980.
- Plinus, Histoire naturelle, V,17 , d'apres Roget.R,le maroc chez les auteur ancien ,paris,1924
- Polybe, Histoire, trad. Devis Rossel, bibl. de la pléiade, Gallimard, 1970.

- Procope de Césarée, la guerre contre les vandales, II, traduit et commenté par Denis roques, les belles lettres ,1990.
- Procope de Césarée, construction de Justinien 1^{er} ,trad. Denis Roques, ed.dell'Orso Alessandria,2011.
- Procope de Césarée, Histoire secrète, trad. Pierre Maraval, éd les belles lettres, paris, 1990.
- Procope, Les Edifices, trad. Cousin, Mr, Paris.
- Strabon,Geographie, XVII,3,2,d'après Roget.R, le Maroc chez les auteurs anciens, paris, 1924.
- Victor de Vita, histoire de la persécution vandale en Afrique, trad. serge Lancel, les belles lettres, paris, 2002.

2- المراجع:

أ- باللغة العربية :

- أكريز عبد العزيز، تاريخ المغرب القديم من الملك يوبا الثاني إلى مجيء الإسلام، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2015م.
- ألبير عياش ،تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر عبد العزيز بل الفايذة ،ط1،الرباط،2008م.
- اللبار محمد، إفريقيا الوندالية بين الحملات البيزنطية والثورات المورية (429-534م) ،ط1،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، فاس،2002 م.
- المبكر محمد، الدوارون في شمال إفريقيا القديم حركة الدوارون وعلاقتها بالدوناتية 305م-429م، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 2001م.
- المنصوري محمد الطاهر، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي،بيت الحكمة، تونس،2016 م.

- بوكبوط محمد، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، ط1، مركز طارق ابن زياد، الرباط، 2002 م.
- بولعراس الحبيب، تاريخ تونس أهم التواريخ من عصور ما قبل التاريخ حتى الثورة، تر: الصادق بن مهني، سراس للنشر، تونس، 2015م.
- جميل حمداوي، المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ، منشورات المعارف، الرباط، 2013م.
- حارش محمد الهادي، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، دار هومه، الجزائر، 1992.
- حارش محمد الهادي، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومه، الجزائر، 2013.
- حليلة غازي-بن ميس و البيضاوية بالكامل، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته، دار السلامة، الرباط، 2007م.
- خشيم علي فهمي، نصوص ليبية، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2009.
- خليفة الشاطر و آخرون، تونس عبر التاريخ، ج1، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس، 2005.
- خليفة الشاطر و آخرون، تونس عبر التاريخ، ج1، تونس، 2007.
- رنسيما ن.س، الحضارة البيزنطية، تر جاويد.ت.ع، القاهرة، 1961م.
- سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2011م.
- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تر محمد مزالي، ج1، تونس، 1985 م.

- شنييتي محمد البشير ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج2، الجزائر، 1999.
- شنييتي محمد البشير، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، الجزائر، 1984م.
- عثمان المنصور، لطفي بوشنتوف، التاريخ القديم قضايا وأبحاث، ط1، كلية الآداب عين الشق،الدار البيضاء،2005م.
- عقون محمد العربي ، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر،2008م.
- فايز نجيب اسكندر، الحياة الاقتصادية في الشمال الإفريقي في عهد الوندال 429-534م ،دار الفكر العربي،القاهرة، 2003م
- قيرال كامب، الذاكرة و الهوية ، تر.جاد الله عزوز الطلحي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،ليبيا،2005م.
- قداش محفوظ ، الجزائر في العصور القديمة، تر صالح عباد، الجزائر،1993م.
- لحسن رابح،أضرحة الملوك المور و النوميد، دار هومه، الجزائر، 2004م.
- ماجدة بن حريبط علي ، شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي (533-647م) ،ط1،منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، فاس،2012م.
- محمد التازي سعود ، الإمام بخلاصة تاريخ أرض المغارب قبل الإسلام، المعارف الجديدة،الرباط،2003م.

- التاجوري مفتاح محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي لشمال إفريقيا أثناء حكم الإمبراطور جوستينيان 527-565م، ط1، منشورات المركز الوطني للمحفوظات و الدراسات التاريخية،ليبيا،2009م.

- مناقشي فاطمة، الدوافع العميقة للاضطهاد الوندالي لرجال الكنيسة بشمال إفريقيا القديم (429-533م)، ذاكرة التكامل (أعمال مهداة للأستاذين محمد الأمين بزاز وعبد العزيز خلوq التسماني)،منشورات جامعة الرباط، الرباط،2015م.

ب- باللغة الأجنبية:

- Albertini E, l'Afrique du nord dans l'histoire, paris, 1941.
- Albertini E, L'Afrique romaine, Impr Officielle, Alger, (1955).
- Atgier P, Les Maures d'Afrique, T4, paris, 1903.
- Ayache Albert, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, éd sociales, paris, 1949.
- Baslez Marie-Froncoise, Les Persécution dans l'Antiquité, éd fayard, Paris, 2003.
- Benabbès A, les premiers raids en Numidie byzantine. Questions toponymiques, ouvrage identités et cultures dans l'Algérie antique, publication des universités de Rouen et de havre, 2005.
- Bergasa Ingrid, épigrammes latines de l'Afrique vandale, éd les belle lettre, paris, 2016.
- Bréhier L, le monde byzantine .les institution de l'empire byzantin, paris, 1949.
- Bréhier L, les institutions de l'empire byzantin, paris, 1970.
- Courtois Ch, Les Vandales et L'Afrique, éd. Arts métiers graphique, Paris, 1955.

- Camps G, l'Oliver et l'huile dans l'Afrique romaine, éd IMP. Officiel, Alger, 1953.
- Carcopino Jérôme, profils de conquérant, éd Flammarion, paris, 1961 .
- Castagnol A, les gouverneurs de byzacens et tripolitaine in antiquité africaines, T I, 1967.
- Charl Soumagne, Mélange d'archéologie et d'Histoire, Tunis, 1968.
- Chassin L M, Bélisaire généralissime byzantin 504-565, paris ,1957.
- Christophe Hugoniot, Rome en Afrique de la chute de Carthage au début de la conquête arabe, éd flammarion, 2000.
- Claude Briand-Ponsart-Christophe Hugoniot, l'Afrique romaine de l'atlantique à la tripolitaine 146 av.j-c – 533 ap.j-c,éd Armand colin, paris,2006.
- Diehl ch, l'Afrique byzantine. Histoire de la domination byzantine en Afrique 533-709, paris, 1896.
- Diehl Ch , Justinien et la civilisation byzantine au VI siècle,1901.
- De la Malle Deraux, Afrique ancienne, éd Jacoba, paris, 1842.
- Delaplace Christine, la fin de l'empire romain d'occident. Rome et les wisigothe de 382 à 531, éd presses universitaires de rennes, 2015.
- Durliat J, les dédicaces d'ouvrage de défense dans l'Afrique byzantine, éd école française de Rome, Rome, 1981
- Duval N, l'Afrique dans l'empire byzantin Anciennes et nouvelles perspectives, Tunisie du christianisme à l'islam IV-XIV siècle, lattes, 2002.

- Duval N, la Maurétanie sétifiène à l'époque byzantine, Latomus, t 29, 1980.
- Duval. Y, Chrétiens d'Afrique à l'aube de la paix constantinienne, paris, 2000.
- Francois Baratte, l'Afrique romaine tripolitaine et Tunisie, éd .J.Picard, paris, 2012.
- François Decret et Mohamed Fantar, l'Afrique du nord dans l'antiquité (histoire et civilisation), Payon, paris, 1981.
- Gabriel Camps, les berbères mémoire et identité, éd Barzakh, Alger, 2011.
- Gean-Louis voisin, Laila Najar, l'Afrique romaine 69-439 ,éd Atland, paris, 2006.
- George Hardy, vue générale de l'histoire d'Afrique, librairie Arnould colin, paris, 1922,
- Georges Tate, justinien l'épopée de l'empire d'orient (527-565), éd fayard, paris, 2014.
- Gibbon Edward, Histoire du déclin et de la chute de l'empire romaine, éd robert Laffont, paris, 1983.
- Gostynski T, l'Afrique du nord dans l'antiquité, éd librairie chater Ahmad, Marrakeche.
- Goubert P, Byzance avant l'islam, T.II, paris, 1965.
- Gsel St, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T.V, 2.éd, paris, 1929.
- Gsell St, Monument Antique de l'Algérie, t.II ,Paris, 1901.
- Hédi Slim et autres, histoire générale de la Tunisie, T.I, sud édition, Tunis, 2006.

- Hervé Ingleberf, Atlas de Rome et des barbares, éd autrement, paris, 2009.
- Jean pierre duclos-aprico, de la berbèrie à l'Algérie, éd dualpha, paris, 2012.
- Jean-Marie Blas de roblès, libye, Greque, Romaine et byzantine, éd edsud, France,1999.
- Jones A.H.M, le déclin du monde antique 284-610, trad. de l'anglais par A. Servandoni –Duparc, éd.Sirey, Cambridge, 1970.
- Laporte Jean-Pierre, les Djedars Monument funéraire berbère de la région de Frenda et de Tiaret, ouvrage identités et cultures dans l'Algérie antique, publication des universités de Rouen et de havre, 2005.
- Salama P, les voies romaine de l'Afrique du nord, éd IMP offecielle ,Alger,1951.
- kadra F, les Djedars monuments funéraires de la région de Frenda, alger, 1983.
- Lot F, les invasions Germanique, paris,1953.
- Laronde André, l'Afrique antique histoire et monuments, éd tallandier, paris, 2001.
- Lassus.J, la forteresse byzantine de thamugadi, fouille à Timgad 1938-1956, paris.
- Maraval Pierre, Justinien. Le rêve d'un empire chrétien universel, éd Tallandier, paris, 2016.
- Martroye F, Genséric, librairie hachette, paris, 1907.
- Mercel Pyronton, Histoire générale de Maghreb, éd Albin Michel, paris, 1966.
- Mesnage GM, le christianisme en Afrique romaine, Alger, 1914.

- Modéran Y, Les Maures et L'Afrique Romaine (4ème -7ème siècle), éd EFR, Paris, 2003 .
- Modéran Yves, les provinces d'Afrique à l'époque vandale, publication du CRAHM, 2011.
- Modéran Yve, les vandales et l'empire romain, éd errance, Arles, 2014.
- Noëlle Géroudet et Hélène Ménard, l'Afrique du nord de l'atlantique à la tripolitaine 69-439, éd belin, paris, 2005.
- Oussedik Tahar, la berberie, II, éd entreprise national livre, Alger.
- Philippe richardo, la fin de l'armée romaine 284-476 , éd economica, paris, 2005.
- Picard G., l'administration territoriale de Carthage, in Mel. A. Piganiol, Paris, 1966.
- Pierre Cosme, les empereur romains, éd licence paris, 2011.
- Pierre Morizot, romain et Berbères face à face , éd errance, Arles, 2015.
- Pringle D, The Defense of Byzantine Africa from Justinian to the Arab conquest. Oxford. i. s. T.99. Oxford 1981.
- René Rebuffat, les grand tribus des confins africains .insurrection et alliances, T5, éd A.F.A.M, France, 1993.
- Schmidt L, histoire des vandales, paris, 1953.
- Scripta Varia, l'Afrique romaine, l'Harmattan, paris.
- Serge L, Actes de la conférence de Carthage en 411, éd Turnhout, Paris, 1974.
- Serge Lancel, l'Algérie antique de Massinissa à saint augustin , éd Mengès, paris, 2003.

- Smith W, A dictionary of Greek and roman Antiquité, London, 1875.
- Salama P, les voies romaine de l'Afrique du nord, éd IMP, officielle ,Alger,1951.
- Tissot Ch, Géographie comparée de la province romaine d'Afrique,T II, Paris, 1888.
- Tissot, Ch., Géographié comparé de la province romaine d'Afrique, T1, Paris, 1888.
- Wells C.M, l'Afrique à la veille des invasions arabes, les éditions de l'université d'ottawa, canada, 1982
- Yanoski MJ, l'Afrique chrétienne et domination des vandales en afrique , t1 , éd Jacoba,1942.

3- المقالات:

أ- باللغة العربية:

- اللبار محمد ، الأحوال الاقتصادية و الظروف الاجتماعية في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية المتأخرة (284-429م) ،مجلة المصباحية ، العدد التاسع ، 2012م.
- اللبار محمد، الموريون والمملكة الوندالية بإفريقيا الشمالية، مجلة المصباحية، العدد الخامس،2001م.
- اللبار محمد ، الموقف الموري من الزحف الوندالي سنة 429م،المصباحية،العدد 2000،04م.
- اللبار محمد، التنظيم الإداري والعسكري لإفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية المتأخرة 284-429م، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية، العدد 24 ، 2001م .

- اللّبار محمد ، الوندال بين التاريخ و الوندالية،مجلة الآداب و العلوم الإنسانية،العدد الثالث،2002م.
- اللبار محمد ، الباكواط وتاريخ موريطانيا الطنجية، سلسلة الندوات والمناظرات، العدد الثامن،2005م.
- اللّبار محمد، قراءة في أسباب وظروف اليقظة المورية في العهد الوندالي المتأخر، مجلة أمل، العدد 27، 2002م.
- اسكندر فايز نجيب، الشّمال الإفريقي في عهد الوندال في مصف المؤرخ المعاصر فيكتور دي فيتا ،حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، العدد2006،2007/05، مصر العربية للنشر، القاهرة.
- التازي محمد سعود، حرب يوغرطة والمؤرخ اللاتيني ساليست، ترجمة نص حرب يوغرطة،العدد18، 1981م.
- بلاو علي اسماعيل ، الوندال عابرون في شمال إفريقيا، مجلة زمان،العدد الأول،نوفمبر2013م.
- بن حربيط علي ماجدة، المقاومة المورية للاحتلال البيزنطي 533-548م سلسلة الندوات و المناظرات ،العدد 08، 2005 .
- دريسي سليم ، الجيش البيزنطي هيئاته ومكوناته ، مجلة دراسات تراثية، العدد الخامس، 2014م.
- دريسي سليم، السياسة العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا، ايكوزيم،العدد الرابع،2015م.
- عقون محمد العربي ، المنطقة الأوراسية في القرن السادس ميلادي من خلال المصادر ،مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ،العدد 12،جوان 2005م.

- عيش يوسف ، بيداس أمير الأوراس خلال القرن 6م، مجلة الحوار الفكري،العدد الأول،جويلية2001م.

- عيش يوسف، مقاومة المور خلال القرن السادس ميلادي، ملتقى وطني(المقاومة الجزائرية عبر العصور) وزارة الثقافة،سطيف،2012م.

- فاضل لخضر ، مملكة الاوراس بين الاحتلال الوندالي وبداية الفتح الإسلامي ، مجلة عصور،العدد17 ،2011م،الجزائر .

- محمد الصغير غانم، ثورة الريفيين الاوراسية ضد الاستعمار الروماني، مجلة التراث، العدد13، 2005م.

- نصحي إبراهيم، شمال إفريقيا والوندال(439-534م)،المجلة التاريخية المصرية، العدد 11، 1963م.

-محمد البشير شنتي، الدوناتية وثورة الريفيين خلال القرن الرابع، مجلة الأصالة، العدد 60، 1978م .

ب- باللغة الأجنبية:

- Abderrahmane khelifa, les Aurès au moment de la conquête musulmane,(Aurès antique) actes des journée d'étude sur l'Aurès antique ,juin 2005,centre universitaire Abbes l'aghrour, khanchla,2009.

- Ait-séba N, hommage à Fatima kadra, les Djedars . Monument funéraires berbères de la région de Frenda, Ikosim, 02, 2013.

- Boulares Habib, histoire de la Tunisie (les grands de la préhistoire à la révolution).

- Ben Abbes.M, la localisation de la patria vitensis , la cité de vitore de Vita, actes de colloque international organisé à Tunis 29-30 novembre 2013, Tunis, 2016.
- Benabbese Mohamed, des provinces byzantines à l'ifriqiya. Continuités et changements dans les découpages administratifs, publication du CRAHM, 2011.
- Camps G, Antalas , dans l'encyclopédie berbère.5, Aix, 1988.
- Carcopino, un empereur maure inconnu d'après une inscription latine récemment découverte dans l'Aurès dans revue de l'étude ancienne, T.XLVI, 1944.
- Carcopino, un empereur maure inconnu d'après une inscription latine récemment découverte dans l'Aurès dans revue de l'étude ancienne, T.XLVI, 1944.
- Claude Briand-Ponsart et Yves Modéran, provinces et identités provinciales dans l'Afrique romaine, éd C.R.A.H.M, France, 2009.
- Constantin Zuckerman, la haute Hiérarchie militaire en Afrique byzantine, an- tard, 10, 2002.
- Courtois ch, De Rome à l'islam, R.Afr, T.86 ,1942.
- Dahmani Said , Monuments funéraire institution autochtones, 6eme colloque international, 1993, éd. CTHC, 1995.
- Désange J, Duval. N, carte des routes et des cités de l'est de l'africa à la fin de l'antiquité, publication par l'association pour l'antiquité tardive, éd brepol, 2010.
- Désange.J, Catalogues des tribus berbères à l'ouest de Nile.
- Désanges .J, « un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandales », 1963.
- Désanges .J, et autres, carte des routes et des citée de l'est de l'africa à la fin de l'antiquité.

- Desanges j, un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandales et byzantine.
- Durliat Jean, la byzacène byzantine, du byzacium au sahel itinéraire historique d'une région tunisienne, textes réunis par Abdellatif mrabt, volum I, l'or du temp, Tunisie, 1999.
- Duval.N, l'état actuel des recherches sur les fortifications de justinien en Afrique, 1983.
- Desanges.J, « un témoignage peu connu de Procope sur la Numidie vandale et byzantine » dans byzantion, t.33, 1963.
- Ernest Renan, anekdota ou histoire secretes de procope, article parudans le journal des débats, 19 juillet 1857.
- Francois Baratte, Fathi Bejaoui, les fortification byzantines d'amaedara, actes de la 5^{eme} journée d'études nord-africaines, éd académie des inscription et belles-lettres, paris, 2012.
- Gssel st, notes sur quelque forteresse antique du département de Constantine, recueil des notices et mémoires de la société de constantine, 32, 1898.
- Hassab Sanaa, la Maurétanie tingitane de dioclétien à justinien, actes du X^{eme} colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du nord préhistorique, antique et médiévale, édites par Claude Briand-Ponsart, caen 25-28 mai 2009, crahm, france, 2014.
- Jean Lassus, la forteresse byzantine de thamaugadi, centre nationale de recherche scientifique, paris, 1981.
- kadra.f, note complémentaire sur les djedars de la region de Frenda, bulletin d'archéologie algérienne, T7, 1977-1979, Alger, 1985.
- Laporte J P, Zabi .Friki, note sur la Maurétanie et la Numidie de Justinien, an- tard, 10, 2002.

- Laporte Jean-Pierre, zabi friki., note sur la Maurétanie et la Numidie de justinien, an tard,10,2002.
- Lecoq A, le commerce de l’Afrique romaine, in B.S.G.A.O, t 12, 1932,339-343.
- Lepelley Claude, l’Afrique et sa diversité vues par saint augustin, actes colloque Sempam-Ausonius ,10-11 octobre 2003, bordeaux, textes réunis par serge Lancel .
- Mandouze André, les donatistes entre ville et campagne ,C.T.H.S ,110^e congrès nationale de société savantes ,Montpellier,1985,3^e colloque sur l’histoire de l’archéologie d’Afrique du nord.
- Maraval pierre, justinien le reve d’un empire chrétien universel ,éd tallendie.
- Marcilet-Joubert, les inscription d’altava , Aix-en Provence ,1968.
- Modéran yves, des maures aux berberes :identité et ethnicité en Afrique du nord dans l’antiquité tardive,tables rondes du CRAHM,3,2008
- Moderan y, les vandales et la chute de Carthage, textes rassembler par Claude Briand-Ponsard et Sylvie crogiez, publication de l’université de Rouen, 2002.
- Modéran yves, les frontières mouvantes du royaume vandales, frontière et limites géographique de l’Afrique du nord antique hommage à pierre salama , publications de la Sorbonne, paris,1999.
- Moderan yves, les premiers raids des tribus sahariennes en afrique et la johannide de corippus,113^e congrès nationales des société sanantes ,strasbourgue ,1988,IV coloque sur l’histoire et l’archéologie de l’afrique du nord ,t II, ed CTHS, paris,1991.

- Modéran.Yves, Les Tablettes Albertini et les ostraca de bir trouch, Algérie antique, catalogue de l'exposition 26 avril au 17 aout, musée de l'arts de la province antique, 2003.
- Modéran Y, Corippe et l'occupation byzantine de l'Afrique, A.A, t.22, 1986.
- Modérant Yves, l'établissement territorial des vandales en Afrique, an tard, 10, 2002
- Modérant Yves, les vandale et la chute de Carthage, actes des journée d'étude organisé par G.R.H.I.S., université de Rouen,28 janvier 1998,publication de l'université de Rouen,2002.
- Moll C.A, Mémoire historique et archéologique sur Tébessa(Theveste) et ses environs, Annuaire de la société archéologique de Constantine,4, 1858-1859,p.81-82 ; 5,1860-1861.
- Monceaux p, histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion vandales ,t4,le donatisme, paris, Ernest Leroux,1912,Brisson JP, Autonomisme et christianisme dans l'Afrique romaine de sèptime à l'invasion vandales, paris, 1958.
- Morizot P, « Aurès .époque vandale et byzantine », encyclopédie berbère, t.VIII, Aix, 1990.
- Philipp von rummel, hordes sauvages et vandales vertueux,trad julia walter,grand exposition du land de bade-wurtemberg 2009,du 24 octobere 2009 au 21 février 2010,éd baden-wurttemberg.
- Romy heyner, hordes sauvages et vandales vertueux, grand exposition du land de bade-wurtemberg 2009,du 24 octobere 2009 au 21 février 2010,éd baden-wurttemberg.
- Saugmane.Ch, Tablettes Albertini, Actes privés de l'époque vandales (fin de 5 siècles), paris, 1952.

- Serge L, l'antiquité tardive et le christianisme, Algérie antique, catalogue de l'exposition 26 avril au 17 aout, musée de l'Arles st de la province antique, 2003.
- Tissot.ch, géographie comparée de la province romaine d'Afrique.
- Troussset Pol , les limites sud de la réoccupation byzantine, an tard,10,2002.
- Troussset.p, » les limites sud de la réoccupation byzantine « ,ant tard,10,2002.
- Xavier Dupuis, Henchir el-ksar et Mila : deux nouvelles dédicaces de fortification byzantines en Afrique, actes de la 5^{eme} journée d'études nord-africaines, éd académie des inscriptions et Belles-lettres, paris, 2012.
- Yann le bohec, l'afrique à la fin du bas empire, trad julia walter,grand exposition du land de bade-wurtemberg 2009,du 24 octobere 2009 au 21 février 2010,éd baden-wurttembreg.
- Zarini Vincent, Mauri romani afri.le regard de Corippe sur l'Afrique byzantine et l'identité de ses populations, ouvrage identités et cultures dans l'Algérie antique, publication des universités de Rouen et de havre, 2005.

4- الرسائل الجامعية :

أ- باللغة العربية :

- عيش يوسف ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة منتوري قسنطينة،2006-2007م.
- حاجي ي ر، التحصينات الدفاعية البيزنطية في شمال إفريقيا، رسالة ماجستير، العراق،2002م.

- دريسي سليم ، البيزنطيون في شمال إفريقيا الاحتلال و العمارة الدفاعية ، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة الجزائر، 2007-2008م.

- طويل عماد ، سياسة جوستينيان في شمال إفريقيا 533-565م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، 2012-2013م.

ب- باللغة الأجنبية:

- Ben Abbes Mohamed, l'insécurité et la situation militaire à la veille de la conquête vandale, mémoire pour l'obtention du diplôme des études approfondie, sous la direction de .M.Ammar Mahjoubi, faculté des sciences humaines et sociale, université Tunis 1, Tunis, 1998.

- Benabbès Mohamed, l'Afrique byzantine face à la conquête arabe, thèse pour le doctorat en histoire, sous Claude Lepelley, Tunis, 2004.

- Mansouri T, les institution de l'Afrique byzantin ,mémoire de certificat d'aptitude de la recherche ,Tunis, 1982.

الفهارس

1- فهرس الأعلام والبلدان

أ

- إفريقيا 20.120 .21.14.185.163.256
- ألتافا 88.99.150
- أودر 14.360.14
- الأوراس 360.22.215.14.158
- اوزايا 320.351
- ايطاليا 155.99.45.233
- ابن عبد الحكم 12.225.325.225
- أريس 88.65 .41.55
- إفريقيا 85.65.254
- ادريسي 45.58
- البر تيني 114.32.231
- أريوس 33.36.39.38
- أسبار 333.3365.335.338
- ألاريك 88.99.65
- ألبار تيني 44.332.231.356.45.65.66
- أنتالاس 47.58.69.45
- أوجان 120.30
- أوغسطين 50.60
- إتيوس 15.11.114
- إبن الأثير 236.225.12.23

أنتالاس 44.12.15.

أوجيلا 12.15.

أبيانوس 12.25.15.68

أمون 12.33

إسبانيا 12.35.36.66.87.45.25.120

أوروبا 12.55.98.

أميام مارسولان..12..13.15.16.122.144.27..29.28.19.

أوزيا 14.15.16

أبيقاس.12.144.255.65.33.25.125.14.46.

أتالوس 18.28

الأوراس 413.20.11

ألاريك 20.30.114.

أوبطا الميلي 120.210.20.30.

أمالفريدا 21.35.38.68

ب

برقة 50.42.255.

بغاي 12.85.30

بليزار يوس 50.60.55.33.99.85.74.256

بلين 150.20

بلاسيديا 20.22 .12.03

برج القصر 10.30.33

بونيفاس .12 55.120.33.

باترينوس 20.10.03

بونيفاس 30.12.55.65

بوسيديوس القالمي 14.120.120.15.13

بادس 15.16.03

بروكوب

12.02.30.05.060.22.33.15.452.236.23.325.21.0210.021.20.30.50.60.2233.255.266.244.288.299

05.040..014.014.120.130.450.160.150..277.352.352.314.302.01.301.306.202.302.

ج

تاسيت 10.55.63.35

تبسة 20.55

تراساموند 45.25.36.85.65.236

تلمسان 41.20

تونس 12.30

تيودوسيوس 12.152.124.

ثيوديريك 251.235.26.

جزر الباليار 89 78 55

جزيرة ابيريا 98. 85

جستين الثاني 120.332.25.62.336

جلمير 10.120.13

جلمير 14.22.125.136.125

جميلة 125.14.152.12.

جنسريق 25.99

جوداس 88.65.58

جوستينيان 15.12.112.152.135.26.35.99.78.152

جون تروقيليتيا 102.20.30.14

د

دقليديانوس 45.58.69

دوقة 44.35.36.65

ديفال 45.32.36.35.69.65.452.125.136.14.18

دوناتوس 125.30

ديزونج 20.33.66

ديكليروس 152.13.16.31.15.21.5.12.152

ه

هلديريك 12.20

هرقليس 33.20.10

هو مر 20.11.52

هونريك 45.25.36.65.58

هونوريوس 21.30.80.90

ز

زينون 62.99.87

ط

طنجة 44.52.60.58

ي

يابداس 15.22.25.125.31.36

ك

كباون 10.20.5030.60.50

كامبس 55.20.30.40

كاركسن 88.99.30

كوتزيناكس 20.405.0302.0120.201

كوريبوس 88.65.96

كركلا 45.22.25.36

كورسيكا 56.65.9

كورتوا 12.36.5.365.98

ل

لاماصبا 120.20.302.120.203

لبدة 53.3263.325.324

لواتة 120.302.20.210.25.12.52

لومبب 66.32.55.26.665.65.65.69.68

ليبيا 12.30

م

مازوناس 50.20.3055.66

ماكسيموس 20.30.66.56.54.58

مالكوس 120.35.65.69.68.54

مزاك 120.45.56.68.99.64.58

موديرون

80.20.30.10.20.50.60.12.30.120.02.150.203.20.130.360.50.504.01.20.302.016.08.90.320.302.1
50.60.320.010.40.60.502.60.265.65

موريزو 20.30.66

موريس 44.50.303.366

موريطانيا 45.32.20

موريطانيا السطايفية 20.30.366.98.65.65.69.68.67.64.58.58.54.57.45

موريطانيا الطنجية 20.50.60.66.99.85.64.57

موريطانيا القيصرية 99.63.36.35.98.99.87.54.65.35

مومسن 44

ن

نوميديا 50.99

س

سر جيوس 50.66

ساتورنين 99.30.66

سردينيا 99.30.230

سور الغزلان 255.256.

سيرتا 33.120

سبته 33.20.10.

سبيطلة 33.20.50.60.30.40

ستوتزاس 33.20.50

ع

عناية 120.45.25.255

عين البرج 120.520.30.20

ف

فوقاس 230.231.20

فيرموس 120.230.236

فيستول 210.320.120

فالونتنيان 152.136.32.20

فيرموس 233

فيفري 230.120.14.152

فليكس 86

فيكتور الفيتي 120.320.321.30.20.15.16.18.99

فندل 20.30.102.30

فالب 20.30.50

ص

صقيلية 114.145.16.65.89

صولومون 98.88.78.245

ق

قالمة 125.124.13.32.36

قرطاجة 88.65.69.64

قسطنطين 235.26.25.28.45

قسطنطينية 21.35.36.65.65.32.325.36.325.325.325.326.324

قفصة 12.98

قورينة 12

قونسطنس 255.32.36.65.99

ش

شارل أندري جوليان 333.320.350.362

شرشال 54.65.96.65

شمال إفريقيا 56.33.32.66.69.56.45.25.15.166

ت

تاغست 45.30.20.10

تاهودة 20.60.99

تبسة 88.96.67.230

تبيازة 120.150.302.10

تيديس 80.56.96.33.321.123

تيوفان 12.30

غ

غيرزة 2 255.332.33.60.50.66

غرزيل 14.66.256.254.28.29

غوتي 78.65.33.20.10.20.30.20.302.30.30.211.6.52.320

غونتاموند 120.320.320.30.20.50.60

2- فهرس الخرائط، الصور والأشكال

الصفحة	العنوان
	- الخرائط :
100	1- الممالك المورية في القرنين الخامس والسادس
120	2- تحركات الوندال من الغرب إلى الشرق ببلاد المغرب
132	3- حدود السيطرة الوندالية ببلاد المغرب
241	4- المقاطعات البيزنطية في عهد الإمبراطور جوستينيان وحدود السيطرة في بلاد المغرب
	- الصور :
60	1- نقيشة أريس Arris
58	2- ألواح ألبيرتيني Albertini
172	3- قطع نقدية للملوك الوندال في بلاد المغرب
160	4- فارس وندال بجانب قصر فسيفساء وجدت بقرطاج تعود للقرن الخامس ميلادي
	- الأشكال :
99	2- فرضيات عن مناطق استقرار القادة المور في نوميديا وموريطانيا خلال القرن السادس ميلادي
162	3- مخطط يوضح الملوك الوندال في بلاد المغرب
235	4- قائمة الحكام الساميين بشمال افريقيا في عهد جوستينيان

3- فهرس المحتوى

رقم الصفحة	المحتوى
	كلمة شكر وعرقان
	إهداء
	قائمة المختصرات
أ - ي	مقدمة
28-11	مدخل : أوضاع روما وبلاد المغرب القديم قبيل الاحتلال الوندالي
29-196	الباب الأول: القبائل المورية ودولة الوندال
63-30	الفصل الأول: أهم مصادر تاريخ المغرب القديم في الفترتين الوندالية والبيزنطية
32	I. بروكوب القيصري (Procopé)
39	II. كوريب (Corripe)
46	III. فيكتور الفيتي (Victor de Vita)
53	IV. ايزيدوروس الاشبيلي (Isidorus / Isidore de Séville)
55	V. تشريعات الإمبراطور جوستينيان (Codex Justinien)
55	VI. المصادر العربية
56	VII. المصادر المادية
56	أ - ألواح البيرتيني (Les Tablettes d'Albertini)
59	ب - نقيشة أريس (Ariss)
61	ج - نقيشة ألتافا (Altava)
61	د - أضرحة الجدارات (Les Djidars)
102-64	الفصل الثاني: القبائل المورية في المغرب القديم في الفترتين الوندالية والبيزنطية
66	I. ماهية مصطلح المور
71	II. المقصود بالمور في الفترتين الوندالية والبيزنطية
73	III. أشهر القبائل المورية في الفترتين الوندالية والبيزنطية
74	1. القبائل الطرابلسية

77	أ - قبائل لواتة (Levathae / Laguautan)
79	ب - قبائل هواره (Austoriani)
80	ج - قبائل الايفوراس (Ifuraces)
80	د قبائل الموكتونيانيون (Muctuniani)
81	2. قبائل الفراكسيس (Fraxces)
85	3. قبائل الأوراس (Ourasien)
89	4. قبائل كوزينا (Cusina)
91	5. قبائل الحضنة (Orthias)
92	6. قبائل الونشريس (Ouancharis)
93	7. قبائل الجدار (Djedares)
97	8. قبائل ألتافا (Altava)
150-103	الفصل الثالث : الوندال واحتلال بلاد المغرب القديم
104	أ. التعريف بالوندال
105	(1) أصلهم
108	(2) تحركاتهم في القسم الأوروبي
110	II. أسباب الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم
114	III. حملة الوندال على بلاد المغرب
118	IV. تحركات الوندال في بلاد المغرب
122	V. المعاهدات الوندالية الرومانية
122	(1) معاهدة سنة 432م
123	(2) معاهدة سنة 435م
124	(3) معاهدة سنة 439م
125	(4) معاهدة سنة 442م
127	VI. حدود السيطرة الوندالية في بلاد المغرب
133	VII. مملكة الوندال في عهد جنسريق
136	VIII. مملكة الوندال في عهد خلفاء جنسريق
138	IX. العوامل التي ساعدت الوندال على إسقاط روما في بلاد المغرب القديم
141	X. استمرار الحضارة الرومانية في المغرب القديم بعد سقوط روما

143	XI. المحاولات الرومانية البيزنطية لاسترجاع بلاد المغرب من الوندال
143	• محاولة الإمبراطور أفيتوس Avitus سنة 456م
145	• محاولة الإمبراطور ماجريانوس Majorianus سنة 460م
147	• محاولة الإمبراطور ليون الاول Lion I سنة 468م
196-151	الفصل الرابع : السياسة الإدارية والعسكرية الوندالية في المغرب القديم ورد فعل المور
153	I. التنظيم الإداري الوندالي في بلاد المغرب القديم
157	II. التنظيم العسكري الوندالي في بلاد المغرب
161	III. الملوك الوندال في المغرب القديم :
163	1. الملك جنسريق (Géiseric) 428-477م
165	2. الملك هنريك (Hunéric) 477-484م
167	3. الملك قونتاموند (Gunthamund) 484-496م
167	4. الملك تراساموند (Thrasamund) 496-523م
168	5. الملك هلدريك (Héldiric) 523-530م
170	6. الملك جلمير (Géilmer) 530-534م
173	IV. الممالك المورية في الفترة الوندالية
174	V. طبيعة العلاقات الوندالية المورية في عهد جنسريق
179	VI. الصراع الموري الوندالي في عهد خلفاء جنسريق
179	1. ثورة القبائل الطرابلسية
182	2. ثورة القبائل الأوراسية
184	3. ثورة قبائل البيزاكينا - الفراكشيش -
187	4. ثورات القبائل الموريطانية
190	VII. سقوط الوندال في بلاد المغرب
192	VIII. مصير الوندال بعد سقوط دولتهم
193	IX. المخلفات الحضارية الوندالية في المغرب القديم
351-197	الباب الثاني: القبائل المورية والإمبراطورية البيزنطية
227-198	الفصل الأول: الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم
199	I. أسباب الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم
199	1. الأسباب السياسية

201	2. الأسباب الدينية
202	3. الأسباب الاقتصادية
203	II. الظروف التي سبقت الحملة البيزنطية على بلاد المغرب
205	III. الحملة البيزنطية على بلاد المغرب
207	IV. الصراع البيزنطي الوندالي في بلاد المغرب القديم
212	V. موقف الممالك المورية من الصراع البيزنطي الوندالي
214	VI. العوامل التي ساعدت في نجاح الحملة البيزنطية على المغرب القديم
216	VII. حدود السيطرة البيزنطية في بلاد المغرب القديم
221	VIII. العوامل التي ساعدت على تجسيد الاحتلال البيزنطي في بلاد المغرب
268-228	الفصل الثاني : التحولات السياسية البيزنطية في بلاد المغرب القديم .
229	I. الإدارة البيزنطية في بلاد المغرب عهد الإمبراطور جوستينيان
230	1- الإدارة المركزية
236	2- الإدارة الجهوية
239	II. التقسيم الإداري البيزنطي لبلاد المغرب في عهد الإمبراطور جوستينيان
243	1. مقاطعة طرابلس (Tripolis)
246	2. مقاطعة البيزاكينا (Byzantium)
248	3. مقاطعة البروقنصلية أو زغوان (Proconsularis/ Zeugitana)
249	4. مقاطعة نوميديا (Numidae)
254	5. مقاطعة موريطانيا (Maurétanie)
254	(1) موريطانيا السطايفية (Sétifienne)
256	(2) موريطانيا القيصرية (Césarienne)
258	(3) موريطانيا الطنجية (Tingitane)
260	III. الحاكم العام في بلاد المغرب واختصاصاته
263	IV. حكام الولايات ومهامهم .
264	V. التنظيم الإداري لبلاد المغرب في عهد خلفاء جوستينيان
302-269	الفصل الثالث: التحولات العسكرية البيزنطية في بلاد المغرب القديم
271	I. النظم الدفاعية الرومانية قبيل الاحتلال البيزنطي

273	II. التنظيم العسكري لبلاد المغرب في عهد جوستينيان وخلفاءه
277	III. الجيش البيزنطي في بلاد المغرب القيادة و التركيب
278	أ- تشكل الجيش البيزنطي
280	- جيش الرديف
282	- قوات الحدود
284	ب- القيادة العسكرية
284	1- القائد الأعلى للجيش ومهامه
288	2- منصب الدوق و صلاحياته
290	ج- الفوضى العسكرية في الجيش البيزنطي
292	IV. النظام العسكري البيزنطي في عهد خلفاء جوستينيان
293	V. منصب الارخون/الاكسرخس في بلاد المغرب القديم
295	VI. المنشآت العسكرية البيزنطية (الهياكل الدفاعية) في بلاد المغرب
296	1. المدن المحصنة
298	2. المراكز العسكرية
298	3. القلاع المحصنة
299	4. القليع
299	5. الأبراج والمحارس
300	6. الحواجز
340-303	الفصل الرابع : موقف الممالك المورية من السياسة البيزنطية
305	I. علاقة الملوك المور بالاحتلال البيزنطي
305	II. سياسة الإمبراطور جوستينيان اتجاه القبائل المورية
310	III. الصّراع الموري البيزنطي في عهد الإمبراطور جوستينيان
313	1) من بداية الاحتلال البيزنطي إلى الحرب المورية الكبرى 534-544م
319	1. القبائل الطرابلسية
323	2. قبائل كوتزيناس
324	3. قبائل الفراكسيس

327	4.قبائل الأوراس
332	5.قبائل الحضنة
333	6.قبائل الجدارات
333	7.قبائل ألتافا (مازونة)
334	(2) الحرب المورية الكبرى 544-548م
352-341	الخاتمة
371-353	الببليوغرافيا
372	الفهارس
373	فهرس الأعلام والبلدان
381	فهرس الصور الأشكال والخرائط
387-382	فهرس المحتوى